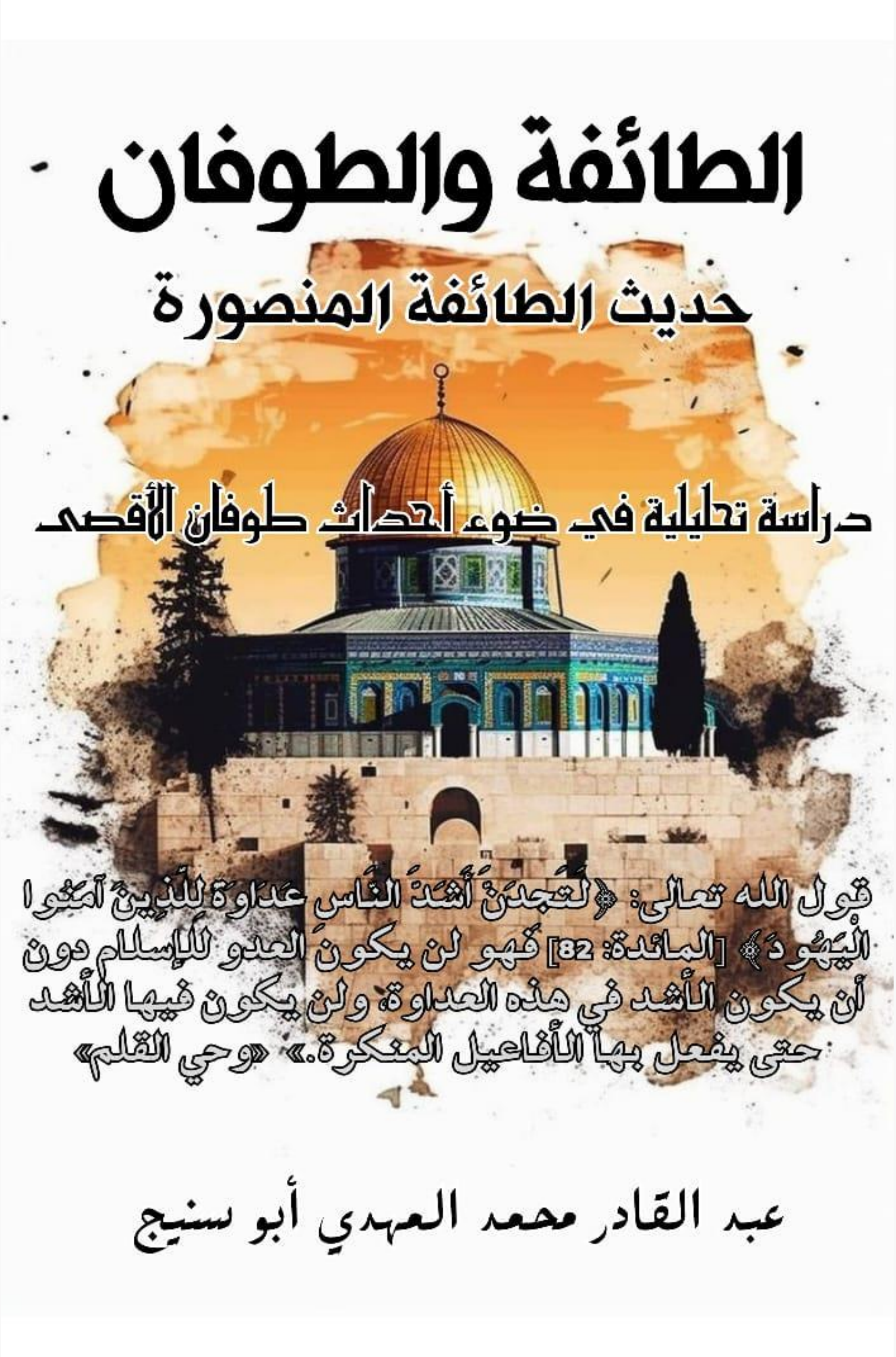


طبع دار غزة العزة/ السابع من أكتوبر الطوفان/ الموافق للخامس عشر من ربيع الثاني ١٤٤٧هـ ط١

الطائفة والطوفان

حديث الطائفة المنصورة

دراسة تحليلية في ضوء أحداث طوفان الأقصى

قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾ [المائدة: ٨٢] «فهو لن يكون العدو للإسلام دون أن يكون الأشد في هذه العداوة، ولن يكون فيها الأشد حتى يفعل بها الأفاعيل المنكرة.» «وحي القلم»

جمعه ورتبه

عبد القادر محمد المهدي أبو سنيج

طبع دار غزة العزة/ السابع من أكتوبر الطوفان/ الموافق للخامس عشر من ربيع الثاني ١٤٤٧هـ ط١

إهـــــداء

إليك رب لترضى

وحباً فيك يا رسول الله لأنال شفاعتك

وإلى الطائفة الظاهرة على الحق الذين لا يضرهم من خذلهم

إلى المجاهدين والمرابطين والصادقين والمصلحين

إلى والدي رحمه الله وطيب الله ثراه وغفر له

وإلى والدتي متعها الله بالعافية

وإلى إخوتي بارك الله فيهم وأعطاهم سؤلهم

وإلى الراحلتين سعيدة وسيدة رحمة الله عليهما وتقبلهم في الشهداء

إن كان قد عز في الدنيا اللقاءُ ففي ... مواقف الحشر نلقاكم، ويكفينا

وإلى زوجتي ورفيقة دربي ومعينتي في عملي وفقها الله وبارك فيها

وإلى أبنائي محمد وأروى ورفيدة وإلياس

اللهم اجعلهم عاملين مخلصين بعد علم، ومجاهدين مصلحين بعد عمل

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]

بصائر وحقائق

الحقيقة الأولى: قضية "الأقصى والمسرى" قبلة فمن كان معها صحت صَلَاته وصِلاَته، ومن كان ضدها وفي غير جندها فهو مخذول.

الحقيقة الثانية: "الحرب دينية" مهما حاول الأعداء -ومن والاهم- إخفاء ذلك وأن شعار الحملات الصليبية «اللبن والعسل» قديمًا، و«النفط» حديثًا لم تكن هدفًا إلا باعتبارها وسائل للحرب على العقيدة الإسلامية.. وهي الهدف الأساسي.

قد لا يتصور البعض أن الحرب الصليبية العالمية على الإسلام قائمةٌ فعلًا، بتأثير الصورة النمطية القديمة للحروب الصليبية فهي حرب قائمة يُرَاعَى فيها البُعدُ عن استفزاز الشعور الإسلامي قدر المستطاع؛ لأنهم يعلمون ما تعنيه يقظة هذا الشعور...!

حرب قاسية وشرسة وإذا كانت الحرب بهذه القسوة، وتلك الشراسة.. فإن المواجهة لا بد أن تتناسب معها.. وإذا كان الإنسان هو محور هذا الصراع وغايته فلابد أن يكون هو محور المواجهة وغايتها.

الحقيقة الثالثة: التعاون بين اليهود والمنافقين بدأ مع الرسالة المحمدية منذ هجرة النبيﷺ وحتى وقتنا هذا لم ينقطع ولن ينقطع.

الحقيقة الرابعة: الناس يَصِيرُون إِلَى فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ حتى يخرج الدجال.

الحقيقة الخامسة: سنة الله تعالى أن الدفاع عن المدينة المقدسة والمسجد الأقصى والموقف منهما فارق بين المؤمنين والفاسقين، فمن دخلها استجابة لأمر الله كان له العون والغلبة، ومن جبن عن دخولها وتخلى عن أهلها وخذلهم كتب الله عليه التيه وجعله الله من القوم الفاسقين.

وذلك من استجابة الله لدعوة سيدنا موسى عليه السلام في قومه لما {قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} [المائدة: ٢٤، ٢٥].

فكانت هذه سنة الله عبر التاريخ جعلها الله لحرمه وقدسه ليحرم من الخير من شح بماله ولسانه ونفسه عن الدفاع عن المسجد الأقصى والأرض التي باركها الله وما حولها وكتب الله التأييد لمن استجاب لأمر الله في حقها، ووعدنا رسوله ﷺ بنصرة المجاهدين فيها وظهور المرابطين على عدوهم وقهرهم له لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم أو عادهم وناوئهم.

❁❁❁

فهرس

مقدمة وتعريف

الحمد لله الذي خلق الأرض، واختار منها مواضع رفعها، وأماكن شرفها، فسماها بيوته الكرام، ومشاعره العظام، وجعلها معقلاً لأولي النهى، ومعدناً لأئمة الهدى، وأمرنا بطهارتها، ونبهنا على زيارتها، وأذن أن ترفع،{وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ} [النور: ٣٦ - ٣٧]، وفاوت بينها في التفضيل، وأبان لنا ذلك مفصلاً في التنزيل، فجعل منها بيتاً أسس على التقوى، وقبلة عظيمة لمن اهتدى، ومسجداً فضله بالنبي المصطفى، وقدساً عظمه بليلة الإسراء، فقال عز من قائل: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى} [الإسراء: ١]. وحرم رسول الله ﷺ على الخلق أن يفضلوا شيئاً من الأماكن عليها، ونهى أن تشد الرحال إلا إليها؛ كل ذلك ليضاعف لنا الحسنات، ويمحو عنا السيئات، فله الحمد على ما أسبغ علينا من نعمه، ونسأله المزيد من فضله وكرمه، ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادةً مبرأةً من النفاق، ومدخرةً ليوم التلاق، ونسأله ﷻ من الحمد ما يبلغ قضاء حقه (وإن حقه لعظيم) ومن الرشد ما يكتب سلامة نياتنا في الطريق إلى كرمه وإنه لكريم، ونستزيده ونستديمه نعمه ولن يخيب على الشكر والرضا مستزيد ومستديم.

ونسأله ﷻ أن يفتح علينا الدار التي كانت إلى الله طريقه ليلة أسرى به. فانبعث ﷺ سهما فكان كقاب قوسين في اقترابه. ما كذب الفؤاد، ولا خاب المراد.

وأين من أخبر عنه إنه رآه بالأفق الأعلى ممن امتن عليه بأنك (بالوادي المقدس طوى).

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذي من كمال فضله عليه وزيادة شرفه لديه المعراج وإسرائه به ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى السماوات العلى على ظهر البراق في جنح ليل داج. وقدَّمه على الأنبياء إمامًا فصلى بهم في تلك الليلة عند قبة صخرة بيت المقدس. فصلَّى اللهُ على أَشرَفِ نبيّ جاءَ بالسُّنَنِ والفَرضِ، مُحمَّدٍ المقدَّمِ على الأنبياءِ يومَ العَرضِ، الذي زُوِيَت له الدُّنيا فرَأَى طُولَهَا والعرضَ، وَوَعَدَ أمته مُلكَها، وحَضَّهم على الجِهادِ ليَنالُوا الحَظَّ الأحظَّ بالحَضِّ.

ونصلي على رسول الله وأصحابه ولاة الحق. وقضاة الخلق ورتقة الفتق، وغرر السبق، وألسنة الفرق، وفتحة الغرب والشرق.

منهم من رد ردة العرب عن إسلامها. ومنهم من استنزل أرجل العجم عن أسرتها وتيجانها عن هامها. وأخمد عبدة نيرانه أن يطعموها حطبا ولو وصلت إليهم لأكلتهم، وأخمد عبدة أوثانه عن أن يقعوا لها سجدا ولو وقعت عليهم لقتلتهم. ومنهم من أنفق في سبيل الله وجهز، ومنهم من قتل أعداء الله فأجهز. ومنهم الأشداء على الكفار، ومنهم الأسداء إذا زاغت الأبصار. ومنهم الساجدون الراكعون، ومنهم السابقون ومنهم التابعون. ومنهم نحن أهل الزمن الآخر، صلى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه وعقدوا الخناجر على تمكين مقاعد عزه برفع لوائه وإظهار دينه الذي شرعه وجاهدوا في اللَّه حق جهاده ومازالوا على الوفاء بعهده، إلى أن عادت منارات جوامع الإسلام مرتفعة ومنابر خطبائها بجواهر التوحيد مرصعة، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته الطيبين الطاهرين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا.

وقد سلم علينا سلام الله عليه في زمنه الحاضر. وسمانا إخوانا واشتاق إلى أن يلقانا. فنحن الآن إنما نرد عليه تحيته والبادئ أكرم، وإنما نرجو شفاعته بالمودة التي قدمها والفضل للأقدم.

وبعد

فإن المسجد الأقصى الشريف والصخرة المقدسة وما حولها "المشاهد" والمعاهد المعروفة بإجابة الدعوات وخرق العادات، أولى القبلتين وثالث الحرمين وهو المسرى ومنه المعراج أرض الأنبياء وقبلتهم وأرض المحشر والمنشر.

والمسجد الأقصى والأرض المباركة حوله يرتبط بها جملة عقائد، ولهما فضائل كثيرة جاءت بها نصوص الوحي، وهذا البحث يسلط الضوء على فضيلة من بركات هذه الأرض وهي ارتباط الطائفة المنصورة بها، وقيامها بالرباط والجهاد فيها ووعد النبي ﷺ

لهذه الطائفة بالنصر والتمكين مهما كان الخذلان ومهما كانت العداوات وتنوع الأعداء ولو خالفها أو ناوأها المنافقون والمثبطون وناصبوها العداء.

وقد سلطت الضوء على حديث الطائفة المنصورة المتواتر وذكرت رواياته وألفاظه وبينت معانيه عند شراح الحديث وما فيه من معجزات ظاهرة للنبي الكريم ﷺ ببيان أوصاف هذه الطائفة ومكانها وصنوف أعدائها والضرر الذي يصيبها، وأوصاف المناوئين المثبطين والمنافقين الذين تشابهت قلوبهم مع أعداء الدين فحاربوها وخذلوها، فذكرت شبهاتهم وردها من نصوص القرآن والسنة.

وتخلل ذلك بشريات النصر وتمكين المرابطين ونصرتهم وظهورهم بالعزة وإساءة وجوه قتلة الأنبياء ومن والاهم.

وإن أسباب الجهاد ودوافعه كلها اجتمعت في جهاد المرابطين المحاصرين من أهل غزة وفلسطين فهو جهاد عدو صائل أراد إخراجهم من ديارهم وأبنائهم، وهدم البيوت والمساجد ودنس مسرى الرسولﷺ وقبلة الأنبياء المسجد الأقصى المبارك، والأسوة الحسنة في رسول اللهﷺ أصلها في الجهاد، والمدافعة والمقاومة والجهاد إحياء للدعوة وتجديد للإيمان.

ومن أدوات هذه المعركة الاقتصاد باعتباره من الوسائل المهمة للحرب على العقيدة الإسلامية، فكان واجباً المقاطعة الاقتصادية للعدو ومن يقف معه، والوسائل تأخذ حكم الغايات، وكل ما كان فيه إغاظة للعدو والنيل منه كان واجباً وفيه أجر.

ولقد كانت أهم أدوات المعركة الإعلام والتي كان النفاق حاضرا فيها بقوة، فخاضوا في أعراض المؤمنات ونفوا الشهادة عن المجاهدين، فرددنا على ذلك مؤكدين على أن من نفى الشهادة عن أهل الرباط وخاض في أعراض المؤمنات، وتعمد قلبه هذا فقد ضاع إيمانه، ولم يبق له شيء من إسلامه لأنه لم يسلم المسلمون من يده ولسانه.. بله أهل الرباط والحصار الذين دهم بيوتهم أشر الكفار وأشدهم عداوة لأهل الإيمان.
ولقد من الله على هذه الأمة بالطوفان ليجدد في الناس الإيمان ويعيدهم إلى الشعور الجمعي الواحد لأمة الجسد الواحد وهذا مؤذن بنفي الغثاء وزوال الوهن وهو بداية

طريق التمكين وهو كذلك مؤذن بزوال الطاغوتية الجبرية وانحسار ظاهرة الإرجاء الغثائية وتمكين أمة الشهادة بالشهادة، وهو ما يقود إلى ظهور الموحدين على عدوهم بفضل الله الذي قضى بأن يظهر الإسلام على الدين كله ولو كره الكافرون، وذلك حتى تضع الحرب أوزارها وتنفي الأرض المقدسة خبثها فإن القتال والجهاد كان في أول تشريعه من أجل الأرض المقدسة ولا يزال فيها طائفة قائمة بأمر الله ظاهرة على عدوها حتى يأتي وعد الله وأمره فيكون نهاية القتال فيها بعد نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فيقتل الدجال وجنده ويظهر الله دينه حتى لا يبقى أحد من المشركين ، ولا يُشرَك بالله ولا يُعبد غيره، وحتى لا يكون دينٌ إلا الإسلام.

وليس لي في هذا البحث إلا الجمع والنقل والتأليف بين ما نقلته ليظهر في هذه الصورة، وقد نسبت الأقوال إلى قائليها، والنقول إلى مصادرها حسب الاستطاعة، وقد أكرر في مواضع ما ذكرت، وذلك لبيان معنى ومناسبة فيما أرى.

وفي الختام أردد قول القاضي الفاضل ابن البيساني، في جواب له على رسالة للعماد الأصفهاني : « إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدِّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل استيلاء النقص على جملة البشر" والنقصان، عالقٌ بالإنسان، كان من كان، وإنما الكمال، للحي الذي لا يموت ذي الجلال. . . اللهم إنِّي أبرأ إليك من الحول والقوة، اللهم عالم الغيب والشهادة فاطرَ السموات والأرض، يا من لا ينفع ذا الجدِّ منك الجدّ، يا من وعدت الذين هم محسنون بحسن الجزاء وحاشا لله أن يخلف الوعد، سبحانك تبارك اسمك وتعالى جدُّك، أسألك يا من تجيب دعوة الداعي إذا دعاك، أن تهب هذه الرسالة من توفيقك ما يتصل معه برضاك، ويعم الانتفاع بها والإفادة منها ما اختلف الملوان، وكرَّ الجديدان فأنا أستغفر الله فيما فرَطْ، وأسأله العفو عما وقع من سهو وغلط، والسلامة من الخطأ إنما تثبت لمن شهدت له القواطع بالعصمة، ودعوى رُتبة الكمال لغير من تثبت له أقبح وصمة، وتسَلُّط النسيان على جنس الانسان شيء معلوم، وطلب المسامحة أمر على المرء محتوم.» (١).

إلهي

١) البدر السافر عن أنس المسافر (٢/ ١١٧٥) عبد الرحمن البرقوقي الذخائر والعبقريات (مقدمة/ ١٤)

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢]

تمت

بحمد الله تم الفراغ ليلة الإثنين ٢ رجب ١٤٣٩هـ من هجرة المصطفى – ﷺ –، الموافق ١٤ يناير ٢٠٢٤م للميلاد / كتبه الفقير إلى عفو ربه وستر مولاه / عبد القادر محمد المهدي أبو سنيج .

مُقَدِّمَة

خطبة الفتح للمسجد الأقصى

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)} [الفاتحة: ١ - ٧]

{فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام: ٤٥].

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} [الأنعام: ١]

{وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء: ١١١]

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا {١} قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا {٢} [الكهف: ١-٢]

{قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى} [النمل: ٥٩]

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [سبأ: ١] الآية.

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُعِزِّ الْإِسْلَامِ بِنَصْرِهِ، وَمُذِلِّ الشِّرْكِ بِقَهْرِهِ، وَمُصَرِّفِ الْأُمُورِ بِأَمْرِهِ، وَمُدِيمِ النِّعَمِ بِشُكْرِهِ، وَمُسْتَدْرِجِ الْكَافِرِينَ بِمَكْرِهِ، الَّذِي قَدَّرَ الْأَيَّامَ دُوَلًا بِعَدْلِهِ، وَجَعَلَ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ بِفَضْلِهِ، وَأَفَاءَ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ ظِلِّهِ، وَأَظْهَرَ دِينَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، الْقَاهِرِ فَوْقَ عِبَادِهِ فَلَا يُمَانَعُ، وَالظَّاهِرِ عَلَى خَلِيقَتِهِ فَلَا يُنَازَعُ، وَالْآمِرِ بِمَا يَشَاءُ فَلَا يُرَاجَعُ، وَالْحَاكِمِ بِمَا يُرِيدُ فَلَا يُدَافَعُ، أَحْمَدُهُ عَلَى إِظْفَارِهِ وَإِظْهَارِهِ، وَإِعْزَازِهِ لِأَوْلِيَائِهِ وَنَصْرِهِ لِأَنْصَارِهِ، ونسأله بحمده تَطْهِيرِ بَيْتَهُ الْمُقَدَّسَ مِنْ أَدْنَاسِ الشِّرْكِ وَأَوْضَارِهِ، حَمْدَ مَنِ اسْتَشْعَرَ الْحَمْدَ بَاطِنَ سِرِّهِ وَظَاهِرَ جِهَارِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ شَهَادَةَ مَنْ طَهَّرَ بِالتَّوْحِيدِ قَلْبَهُ، وَأَرْضَى بِهِ رَبَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَافِعُ الشَّكِّ وَدَاحِضُ الشِّرْكِ، وَرَاحِضُ الْإِفْكِ، الَّذِي أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَعُرِجَ بِهِ مِنْهُ إِلَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَا، إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى،{عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى، مَا زَاغَ الْبَصَرُ

وَمَا طَغَى}[النجم: ١٥]، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى خَلِيفَتِهِ الصِّدِّيقِ السَّابِقِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَوَّلِ مَنْ رَفَعَ عَنْ هَذَا الْبَيْتِ شِعَارَ الصُّلْبَانِ، وَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ذِي النُّورَيْنِ جَامِعِ الْقُرْآنِ، وَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مُزَلْزِلِ الشِّرْكِ، وَمُكَسِّرِ الْأَوْثَانِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعَيْنَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

أَيهَا النَّاس:أَبْشِرُوا برضوان الله الَّذِي هُوَ الْغَايَة القصوى والدرجة الْعليا لما يسره الله على أَيْدِيكُم من **بداية اسْتِرْدَاد هَذِه الضَّالة من الْأمة الضَّالة** وردهَا إِلَى مقرها من الْإِسْلَام بعد ابتذالها فِي أَيدي الْيَهُود المجرمين والْمُشْركين قَرِيبا من مئة عَام، وتطهير هَذَا الْبَيْت الَّذِي أذن الله أَن يرفع وَأَن يذكر فِيهِ اسمُه وإماطة الشّرك عَن طرقه، بعد أَن أمتد عَلَيْهَا رواقه وَاسْتقر فِيهَا رسمه، وَرفع قَوَاعِده بِالتَّوْحِيدِ فَإِنَّهُ بني عَلَيْهِ ، وأسس على التَّقْوَى من خَلفه وَمن بَين يَدَيْهِ ، فَهُوَ موطن أبيكم إِبْرَاهِيم ومعراج نَبِيكُم مُحَمَّد ﷺ ، وقبلتكم الَّتِي كُنْتُم تصلونَ إِلَيْهَا فِي ابْتِدَاء الْإِسْلَام، وَهُوَ مقرّ الْأَنْبِيَاء ومقصد الْأَوْلِيَاء ومفر الرُّسُل ومهبط الْوَحْي ومنزل تنزل الْأَمر وَالنَّهْي ، وَهُوَ فِي أَرض الْمَحْشَر وصعيد المنشر وَهُوَ فِي الأَرْض المقدسة الَّتِي ذكرهَا الله فِي كِتَابه الْمُبين وَهُوَ الْمَسْجِد الَّذِي صلى فِيهِ الرَسُول ﷺ بِالْمَلَائِكَةِ المقربين والأنبياء والمرسلين، وَهُوَ الْبَلَد الَّذِي بعث الله إِلَيْهِ عَبده وَرَسُوله وكلمته الَّتِي أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَم وروحه عِيسَى الَّذِي شرفه الله برسالته وَكَرمه بنبوته وَلم يزحزحه عَن رُتْبَة عبوديته فَقَالَ تَعَالَى {لن يستنكف الْمَسِيح أَن يكون عبدا لله} وَقَالَ {لقد كفر الَّذين قَالُوا إِن الله هُوَ الْمَسِيح ابْن مَرْيَم} .

وَهُوَ أول الْقبْلَتَيْنِ وَثَانِي المسجدين وثالث الْحَرَمَيْنِ لَا تشد الرّحال بعد المسجدين إِلَّا إِلَيْهِ وَلَا تعقد الخناصر بعد الموطنين إِلَّا عَلَيْهِ ، **وَلَوْلَا أَنكُمْ مِمَّن اخْتَارَهُ الله من عباده واصطفاه من سكان بِلَاده لما خصكم بِهَذِهِ الْفَضِيلَة الَّتِي لَا يجاريكم فِيهَا مجار وَلَا يباريكم فِي شرفها مبار، فطوبى لكم من جَيش ظَهرت على أَيْدِيكُم المعجزات النَّبَوِيَّة والوقعات البدرية والعزمات الصديقية والفتوح العمرية والجيوش العثمانية والفتكات العلوية جددتم لِلْإِسْلَامِ أَيَّام الْقَادِسِيَّة والوقعات اليرموكية والمنازلات الْخَيْبَرِية والهجمات الخالدية فجزاكم الله عَن نبيه مُحَمَّد ﷺ أفضل الْجَزَاء وشكر لكم مَا بذلتموه من مهجكم فِي مقارعة الْأَعْدَاء وَتقبل مِنْكُم مَا تقربتم بِهِ إِلَيْهِ من مهراق الدِّمَاء وأثابكم الْجنَّة فَهِيَ دَار السُّعَدَاء** فاقدروا رحمكم الله هَذِه النِّعْمَة حق قدرهَا ، وَقومُوا لله تَعَالَى

بِوَاجِب شكرها فَلهُ النِّعْمَة عَلَيْكُم بتخصيصكم بِهَذِهِ النِّعْمَة وترشيحكم لهَذِهِ الْخدمَة، فَهَذَا هُوَ الْفَتْح الَّذِي فتحت لَهُ أَبْوَاب السَّمَاء، وتبلجت بأنواره وُجُوه الظلماء وابتهج بِهِ الْمَلَائِكَة المقربون، وقر بِهِ عينا الْأَنْبِيَاء والمرسلون.

فَمَاذَا عَلَيْكُم من النِّعْمَة بِأَن جعلكُمْ الْجَيْش الَّذِي يفتح عَلَيْهِ الْبَيْت الْمُقَدّس فِي آخر الزَّمَان، والجند الَّذِي تقوم بسيوفهم بعد فَتْرَة من النُّبُوَّة أَعْلَام الْإِيمَان...؟

فيوشك أَن تكون التهاني بِهِ بَين أهل الخضراء أَكثر من التهاني بِهِ بَين أهل الغبراء أَلَيْسَ هُوَ الْبَيْت الَّذِي ذكره الله فِي كِتَابه وَنَصّ عَلَيْهِ فِي خطابه فَقَالَ تَعَالَى {سُبْحَانَ الَّذِي أسرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا من الْمَسْجِد الْحَرَام إِلَى الْمَسْجِد الْأَقْصَى الَّذِي باركنا حوله} الْآيَة..؟.

أَلَيْسَ هُوَ الْبَيْت الَّذِي عَظمته الْمُلُوك وأثنت عَلَيْهِ الرُّسُل وتليت فِيهِ الْكتب الْأَرْبَعَة الْمنزلَة من إِلَهكُم ﷻ..؟

أَلَيْسَ هُوَ الْبَيْت الَّذِي أمسك الله ﷻ الشَّمْس على يُوشَع لأَجله أَن تغرب وباعد بَين خطواتها ليتيسر فَتحه وَيقرب..؟

أَلَيْسَ هُوَ الْبَيْت الَّذِي أَمر الله مُوسَى أَن يَأْمر قومه باستنقاذه فَلم يجبهُ إِلَّا رجلَانِ وَغَضب عَلَيْهِم لأَجله فألقاهم فِي التيه عُقُوبَة للعصيان...؟

فاحمدوا الله الَّذِي أمضى عزائمكم لما نكلت عَنهُ بَنو إِسْرَائِيل وَقد فَضلهمْ على الْعَالمين، ووفقكم لما خذل فِيهِ من كَانَ قبلكُمْ من الْأُمَم الماضين، وَجمع لأَجله كلمتكم وَكَانَت شَتَّى، وأغناكم بِمَا أمضته كَانَ وَقد عَن سَوف وَحَتَّى، فليهنكم أَن الله قد ذكركُمْ بِهِ فِيمَن عِنْده وجعلكم بعد أَن كُنْتُم جُنُوداً لأهويتكم جنده وشكركم الْمَلَائِكَة المنزلون على مَا أهديتم إِلَى هَذَا الْبَيْت من طيب التَّوْحِيد وَنشر التَّقْدِيس والتحميد وَمَا أمطتم عَن طرقهم فِيهِ من أَذَى الشّرك والتثليث والاعتقاد الْفَاجِر الْخَبيث فَالْآن يسْتَغْفر لكم أَمْلَاك السَّمَوَات وَتصلي عَلَيْكُم الصَّلَوَات المباركات.

فاحفظوا رحمكم الله هَذِه الموهبة فِيكُم واحرسوا هَذِه النِّعْمَة عنْدكُمْ بتقوى الله الَّتِي من تمسك بهَا سلم وَمن اعْتصمَ بعروتها نجا وعصم واحذروا من اتِّبَاع الْهوى وموافقة الردى وَرُجُوع الْقَهْقَرَى والنكول عَن العدى وخذوا فِي انتهاز الفرصة وَإِزَالَة مَا بَقِي من الغصة وَجَاهدُوا فِي الله حق جهاده وبيعوا عباد الله أَنفسكُم فِي رِضَاهُ إِذْ جعلكُمْ من عباده وَإِيَّاكُم أَن يستزلكم الشَّيْطَان وَأَن يتداخلكم الطغيان فيخيل لكم أَن هَذَا النَّصْر

بسيوفكم الْحداد وبخيولكم الْجِيَاد وبجلادكم فِي مَوَاطِن الجلاد لَا وَالله {وَمَا النَّصْر إِلَّا من عِنْد الله إن الله عَزِيز حَكِيم}.

واحذروا عباد الله بعد أَن شرفكم بِهَذَا الْفَتْح الْجَلِيل والمنح الجزيل وخصكم بِهَذَا الْفَتْح الْمُبين وأعلق أَيْدِيكُم بحبله المتين أَن تقترفوا كَبِيرا من مناهيه وَأَن تَأْتُوا عَظِيما من مَعَاصيه فتكونوا كَالَّتِي نقضت غزلها من بعد قُوَّة أنكاثاً وَالَّذِي آتيناه آيَاتنَا فانسلخ مِنْهَا فَأتبعهُ الشَّيْطَان فَكَانَ من الغاوين وَالْجِهَاد الْجِهَاد فَهُوَ من أفضل عباداتكم وأشرف عاداتكم انصروا الله ينصركم اذْكروا الله يذكركم اشكروا الله يزدكم ويشكركم جدوا فِي حسم الدَّاء وَقطع شأفه الْأَعْدَاء وتطهير بَقِيَّة الأَرْض الَّتِي أغضبت الله وَرَسُوله واقطعوا فروع الْكفْر واجتثوا أُصُوله فقد نادت الْأَيَّام بالثارات الإسلامية وَالْملَّة المحمدية.

الله أكبر فتح الله وَنصر غلب الله وقهر أذلّ الله من كفر.

وَاعْلَمُوا رحمكم الله أَن هَذِه فرْصَة فانتهزوها وفريسة فناجزوها ومهمة فأخرجوا لَهَا هممكم وبرزوها وسيروا إِلَيْهَا سَرَايَا عزماتكم وجهزوها فالأمور بأواخرها والمكاسب بذخائرها فقد أَظْفَرَكُم الله بِهَذَا الْعَدو المخذول وهم مثلكُمْ أَو يزِيدُونَ فَكيف وَقد أضحى فِي قبالة الْوَاحِد مِنْهُم مِنْكُم عشرُون وَقد قَالَ الله تَعَالَى {إِن يكن مِنْكُم عشرُون صَابِرُونَ يغلبوا مِائَتَيْنِ} أعاننا الله وَإِيَّاكُم على اتِّبَاع أوامره والازدجار بزواجره وأيدنا معشر الْمُسلمين بنصر من عِنْده {إِن ينصركم الله فَلَا غَالب لكم وَإِن يخذلكم فَمن ذَا الَّذِي ينصركم من بعده} » (٢).

٢) المقدمة من خطبة الفتح للمسجد الأقصى على يد صلاح الدين لمحيي الدين محمد بن الزكى على من سلالة عثمان بن عفان ﷺ،(ت٥٩٨هـ) نسوقها من باب الفأل الحسن بعد اليقين بوعد الله ﷻ والثقة والتصديق ببشرى سيد الخلق ﷺ.

البداية والنهاية (١٦/ ٥٩٠) الروضتين (٣/ ٣٨٥) وفيات الأعيان (٤/ ٢٣١) مفرج الكروب (٢/ ٢٢٠) تاريخ الإسلام» (١٢/ ١١٥٧)

«فتحت المدينة المقدسة يوم الجمعة ٢٧ رجب ٥٨٣هـ وكَانَت إِقَامَةُ أَوَّلِ جُمُعَةٍ فِيهِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ مِنْ شَعْبَانَ، بَعْدَ يَوْمِ الْفَتْحِ بِثَمَانٍ، وفي هذه السنة «كَانَتْ وَقْعَةُ حِطِّينَ الَّتِي كَانَتْ أَمَارَةً وَمُقَدِّمَةً وَبِشَارَةً لِفَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَاسْتِنْقَاذِهِ مِنْ أَيْدِي الْكَافِرِينَ» البداية والنهاية» (١٦/ ٥٧٩) وكان الخطيب هو العلامة : محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز بن علي، قاضي قضاة الشام محيي الدين، أبو المعالي ابن قاضي القضاة زكي الدين أبي الحسن ابن قاضي القضاة المنتجب، أبي المعالي ابن قاضي القضاة الزكي أبي المفضل القرشي، الدمشقي، الشافعي ... خطب خطبة فتح بيت المقدس «وعظ فأبلغ، وكان مضمونها تعظيم بيت المقدس، وتعظيم الجهاد، والحثّ عليه، والدّعاء لصلاح الدّين. وكان له يومئذٍ ثلاثُ وثلاثون سنة، واسمه على تثمين قبّة النّسْر بخطٍّ كوفيّ

وبعد

فالمسجد الأقصى الشريف والصخرة المقدسة وما حولها حوت البركات وخصت بإجابة الدعوات وخرق العادات.

فهو المسجد المبارك وما حوله، وأول القبلتين وثاني المسجدين، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه، ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه، إليه أسري بالنبي ﷺ وصلى فيه بالأنبياء والرسل، ومنه كان المعراج إلى السماوات العلى، وهو وما حوله أرض البركة والرباط، وأرض المحشر والمنشر يوم التلاق، وهو مقر الأنبياء، ومقصد الأولياء إليه تشد الرحال، وتضاعف فيه الأعمال، وتحط في ساحته الأوزار.

وهي الأرض المقدسة التي طهرت من الشرك وجعلت مسكناً للأنبياء والمؤمنين، وبيت المقدس المتطهر والذي يتطهر فيه من الذنوب.

فقدره عظيم، وشرفه كبير، والإيمان بفضله وشرفه عقيدة، والجهاد لتحريره عزة، والتخاذل عن نصره ذلة، والرضى بكونه مأسورًا ومدنسًا نفاق وخسة.

بفَصٍّ أبيض، وهو ظاهرٌ فِي الجهة الشرقيَّة، فِيهِ أنّ ذلك فُصِّص فِي مباشرته. تُوُفّي فِي سابع شعبان»(سنة ٥٩٨هـ) «ذكره أبو شامة فقال: كان عالما صارما، حَسَن الخطّ واللَّفْظ. وشهِد فتح بيت المقدس، فكان أوّل من خطب به بخطبةٍ فائقة أنشأها، وكانت بيده أوقاف الجامع الأُمويّ، وغيره» افتتح الخطبة وقرأ فيها سورة الفاتحة ثم سورة الفتح «تاريخ الإسلام(٤٢/ ٣٦٩) قال ابن كثير:«أَوْرَدَ تَحْمِيدَاتِ الْقُرْآنِ كُلَّهَا» «البداية والنهاية»(١٦/ ٥٩٠)وقال المنهاجي السيوطي : «وكان في قصده أن يذكر جميع تحميدات القرآن فخشي من الإطالة»إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى(١/ ٢٦٤)وقال: «القاضي محيي الدين أبي المعالي محمد أبي الحسن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن الوليد بن محمد بن عبد الرحمن بن عثمان بن عفان ﷺ ويعرف بابن الزكي عثمان القرشي، ورسم له السلطان أن يرقى ذلك المرقى بتقديمه عرقى فرقى ذلك العود، ولقي السعود واهتزت أعطاف المنبر واعتزت أطراف المعشر فخطب وأنصتوا ونطق وسكتوا وأفصح وأعرب وأبدع وأغرب وأبان عن فضل بيت المقدس وتقديسه وتطهيره بعد تنجيسه وإخراس ناقوسه وإخراج قسسه» قال شوقي ضيف:«أما الخطيب فهو محيى الدين محمد بن الزكى على من سلالة عثمان بن عفان ﷺ، كانوا قضاة فى دمشق، وكانت ولادته سنة ٥٥٠، وكانت له عند صلاح الدين منزلة عالية، فلما صارت له حلب ولاه قضاءها، حتى إذا فتحت القدس، وكان محيى الدين حاضرا فتحها تطاولت الأعناق إلى الخطابة بها فى أول يوم جمعة، وأعدّ من كانوا فى حضرته خطبا بليغة يخطبون بها فى هذا اليوم واختار صلاح محيى الدين، فألقى خطبة ضافية ابتدأها بفاتحة الكتاب ثم تلاها بالتحميدات فى أول سور الأنعام والإسراء والكهف والنمل وسبأ وفاطر، ثم شرع فى الخطبة» تاريخ الأدب العربي (٦/ ٣٣١)

وهو الدار التي كانت إلى الله طريق النبيﷺ ليلة أسرى به ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى السماوات العلى على ظهر البراق في جنح ليل داج. وقدَّمه على الأنبياء إمامًا فصلى بهم في تلك الليلة عند قبة صخرة بيت المقدس.

وجعل الله من أمته أمماً منهم من أنفق في سبيل الله وجهز، ومنهم من قتل أعداء الله فأجهز.

ومنهم الأشداء على الكفار، ومنهم الأسداء إذا زاغت الأبصار. ومنهم الساجدون الراكعون، ومنهم السابقون ومنهم التابعون ومنهم الصابرون على بلاء أهل الكذب والخذلان إلى آخر الزمان حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

والإسلام هجرة ونصرة: أظهر الله على الأديان الدين القيم، ونسخ تاريخ الهجرة كل تاريخ متقدم، فأمن وقوع الخلف الواقع في تواريخ الامم، وجبت الهجرة ما قبلها جب الأنوار للظلم.

ودفع الله الناس بعضهم ببعض، واستدار الزمان كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض.

وقد هيء الله بقدره طوفان الطائفة المنصورة لتكون هجرة من الهجرات تشهد للهجرة الأولى بأن أمدها إلى يوم القيامة، أمدها الله بمدده وأصطفى لها عباده وجنده.

وهذه الهجرة هي هجرة الإسلام إلى البيت المقدس ومنه إلى العالم في المشرق والمغرب، طوفان ساقه الله على يد طائفة تشرفت بأن تكون من أمة رسوله الله وعلى عامها يحسن أن يبني التاريخ وينسق، وتسفر عن أهلتها دآدئ المداد وتنشق، وهي وإن كانت هجرة الإسلام إلى القدس جديدة؛ فقد أصبحت على نفوس أهل الكفر والنفاق شديدة.

وهذه الهجرة من أبقى الهجرات، وهي كرة بقوة الله أبقى الكرات، ولها ما بعدها من الخير والتمكين فيما يستقبل من السنوات.

رباط وجهاد وهجرة ونصرة جاء بها طوفان الأقصى بعد أن طال الأمد على القلوب فقست، ورانت الفتن على البصائر فطمست، وبرز النفاق وحزبه وعلا الكفر وجنده وكم من خراب وفساد وكم وكم من دماء وأشلاء بل مذابح وتدمير في الشرق وفي الغرب، وتدنيس لمسرى رسول الله ﷺ.

جاءت هذه الطائفة -على حين فترة من أهل الرباط والجهاد- يجاهدون في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا ويحاربون القوم بما يجب أن يحارب به قوم البهت وهم شراذم الأرض.

فالصراع بيننا وبين اليهود وحلفائهم ليس صراع أرض وحدود، وانما هو صراع عقيدة ووجود، ومن نظر إلى قضية القدس بغير هذا المنظور فهو جاهل ظلوم قد تجاوز الحدود، فاليهود يخوضون ضدنا حربًا دينية، ويتقربون إلى اللَّه -زعموا- بتخريب بلادنا، وافساد أخلاقنا، وتدمير اقتصادنا وقتل أطفالنا ونساءنا وقتل كل مسلم.

ولقد كان طوفان الأقصى طوفاناً في السياسة والاقتصاد والإعلام والثقافة عم الكوكب فغسل غثاء سيل الكذب وكشف قول الزور وشهادات الزور وحرك الأمة ليعيد ربطها بالمسرى والقبلة الأولى، وليذكر العالم أجمع أن اليهود أهل فساد وإفساد وأن جرح فلسطين ما زال ينزف بخذلان القريب وعداوة أهل الفجور والكفر .

وهذا ما حملني على نقل ما تيسر من روايات حديث الطائفة المنصورة والتعليق على هذه النصوص المتواترة والروايات المتعددة في ظل أحداث "طوفان الأقصى" .

أسوقها ورجائي أن ينصر الله الحق وأهله وأن يخذل من خذل أهل الرباط والمسرى اللَّهُمَّ منزل الْكتاب سريع الْحساب اهزم الْأَحْزَاب اليهود ومن والاهم وزلزلهم ، كما أسأله أن يجعل بحثي هذا غفراناً لتقصيري في حق أهل الرباط وأن يكتب له القبول في الأرض بعد السماء والحمد لله رب العالمين .

❁❁❁❁❁❁❁

الفصل الأول

أولاً : روايات حديث الطائفة المنصورة([3])

«عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّكُمْ تَتَحَدَّثُونَ [وفي رواية : تَزْعُمُونَ (٤)] أَنِّي [وفي رواية : أَلَا وَإِنِّي (٥)] مِنْ آخِرِكُمْ وَفَاةً وَأَنِّي مِنْ أَوَّلِكُمْ وَفَاةً [وفي رواية : وَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : أَتَقُولُونَ (٦)] [وفي رواية : أَيَقُولُونَ (٧)] [إِنِّي مِنْ آخِرِكُمْ مَوْتًا ؟ (٨)] ، وَتَتْبَعُونِي [وفي رواية : ثُمَّ تَأْتُونَ (٩)] [وفي رواية : ثُمَّ تَتْبَعُونِي (١٠)] أَفْنَادًا- يَعْنِي بَعْضُكُمْ بَعْضًا-[وفي رواية : وَلَتَتْبَعُنِّي أَفْنَادًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ (١١)] ثُمَّ نَزَعَ بِهَذِهِ الْآيَةِ ، فَقَالَ : قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ - حَتَّى بَلَغَ : لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ، ثُمَّ قَالَ : لَا تَبْرَحُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي [وفي رواية : مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٢)] [وفي رواية : لَا يَزَالُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ (١٣)] يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ .

---

٣) الرواية الأصلية المعجم الكبير: (١٩ / ٣٨٦) ح (٩٠٥) والزوائد عليها نذكر مرجعه في موضعه. والحديث متواتر من رواية سبعة عشر صحابياً.

٤) مسند أبي يعلى الموصلي: (١٣ / ٣٥٥) برقم: (٧٣٦٦)

٥) مسند أبي يعلى الموصلي: (١٣ / ٣٥٥) برقم: (٧٣٦٦)

٦) المعجم الكبير: (١٩ / ٣٨٧) برقم: (٩٠٦)

٧) المعجم الأوسط: (٨ / ٥٨) برقم: (٧٩٥٧ م)

٨) المعجم الكبير: (١٩ / ٣٨٧) برقم: () المعجم الأوسط: (٨ / ٥٨) برقم: (٧٩٥٧ م)

٩) المعجم الأوسط: (٨ / ٥٨) برقم: (٧٩٥٧ م)

١٠) المعجم الكبير: (١٩ / ٣٨٧) برقم: (٩٠٦)

١١) مسند أبي يعلى الموصلي: (١٣ / ٣٥٥) برقم: (٧٣٦٦)

١٢) صحيح مسلم: (٦ / ٥٣) برقم: (١٠٣٧) مسند أحمد: (٧ / ٣٧٢١) برقم: (١٧١٢٤)

١٣) المعجم الكبير: (١٩ / ٣٤٥) برقم: (٨٠١)

[وفي رواية: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ (١٤)] [وَهُوَ يَخْطُبُ (١٥)] [يَقُولُ (١٦)].

[وفي رواية: قَامَ مُعَاوِيَةُ خَطِيبًا، فَقَالَ: أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ (١٧)] [: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي (١٨)] [وفي رواية : لَا تَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ (١٩)] [وفي رواية : وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ (٢٠)] [وفي رواية : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا وَطَائِفَةٌ

---

[14]) مسند أحمد: (٧ / ٣٧٣٩) برقم: (١٧٢٠٦)

[15]) صحيح مسلم: (٣ / ٩٥) ح (١٠٣٧) المعجم الكبير: (١٩ / ٣٤٤) ح (٧٩٧) شرح مشكل الآثار: (٤ / ٣٨٧) ح (١٦٨٣)

[16]) صحيح البخاري: (١ / ٢٥) برقم: (٧١) ، (٤ / ٢٠٧) برقم: (٣٦٤١) ، (٩ / ١٠١) ح (٧٣١٢) ، (٩ / ١٣٦) برقم: (٧٤٦٠) صحيح مسلم: (٣ / ٩٤) ح (١٠٣٧) ، (٣ / ٩٥) ح (١٠٣٧) ، (٦ / ٥٣) ح (١٠٣٧) سنن ابن ماجه: (١ / ٧) برقم: (٩) مسند أحمد: (٧ / ٣٧٢٩) برقم: (١٧١٥٤) ، (٧ / ٣٧٢٩) برقم: (١٧١٥٥) ، (٧ / ٣٧٣٥) ح (١٧١٨٤) ، (٧ / ٣٧٣٥) برقم: (١٧١٨٥) ، (٧ / ٣٧٣٥) برقم: (١٧١٨٦) ، (٧ / ٣٧٣٧) برقم: (١٧١٩٥) ، (٧ / ٣٧٣٩) برقم: (١٧٢٠٥) ، (٧ / ٣٧٣٩) برقم: (١٧٢٠٦).

مسند الدارمي: (١ / ٣٠٠) برقم: (٢٣٠) صحيح ابن حبان: (١ / ٢٩١) برقم: (٨٩) ، (٨ / ١٩٣) برقم: (٣٤٠١) المعجم الكبير: (١٩ / ٣٢٩) برقم: (٧٥٥) ، (١٩ / ٣٢٩) برقم: ( ) ، (١٩ / ٣٣٠) برقم: (٧٥٦) ، (١٩ / ٣٤٤) برقم: (٧٩٧) ، (١٩ / ٣٤٥) برقم: (٨٠١) ، (١٩ / ٣٥٨) برقم: (٨٤٠) ، (١٩ / ٣٧٠) برقم: (٨٦٩) ، (١٩ / ٣٧٠) برقم: ( ) ، (١٩ / ٣٧١) برقم: (٨٧٠) ، (١٩ / ٣٧١) برقم: (٨٧١) ، (١٩ / ٣٧١) برقم: (٨٧٢) ، (١٩ / ٣٧١) برقم: (٨٧٣) ، (١٩ / ٣٨٠) برقم: (٨٩٣)، (١٩ / ٣٨٣) (ح٨٩٩) ، (١٩ / ٣٨٦) برقم: (٩٠٦) ، (١٩ / ٣٨٧) ، (١٩ / ٣٩٠) برقم: (٩١٧) ، (١٩ / ٣٩١) برقم: (٩١٨)

المعجم الأوسط: (٢ / ١١٧) برقم: (١٤٣٦) ، (٨ / ٥٨) برقم: (٧٩٥٧) ، (٨ / ٥٨) برقم: (٧٩٥٧ م) ، (٨ / ٣٢٨) برقم: (٨٧٦٦)

مسند أبي يعلى الموصلي: (١٣ / ٣٤٠) برقم: (٧٣٥٤) ، (١٣ / ٣٧٥) برقم: (٧٣٨٣)

شرح مشكل الآثار: (٤ / ٣٨٧) برقم: (١٦٨٣) ، (٤ / ٣٩١) برقم: (١٦٨٨)

[17]) سنن ابن ماجه: (١ / ٧) برقم: (٩)

[18]) صحيح مسلم: (٦ / ٥٣) برقم: (١٠٣٧) مسند أحمد: (٧ / ٣٧٣٩) برقم: (١٧٢٠٦)

[19]) المعجم الكبير: (١٩ / ٣٨٠) برقم: (٨٩٣)، (١٩ / ٣٩٠) برقم: (٩١٧) مسند أبي يعلى الموصلي: (١٣ / ٣٧٥) برقم: (٧٣٨٣)

[20]) صحيح البخاري: (١ / ٢٥) ح (٧١) مسند أحمد: (٧ / ٣٧٣٩) ح (١٧٢٠٥) شرح مشكل الآثار: (٤ / ٣٨٧) ح (١٦٨٣)

مِنْ أُمَّتِي (٢١)] [قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ (٢٢)] [وفي رواية : قَائِمَةً بِالْحَقِّ (٢٣)] لَا يُبَالُونَ [وفي رواية : لَا يَضُرُّهُمْ (٢٤)] مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ [وفي رواية : مَا يَضُرُّهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ (٢٥)] [وفي رواية : لَا يَضُرُّهُمْ عَدَاوَةُ مَنْ عَادَاهُمْ وَلَا خِذْلَانُ مَنْ خَذَلَهُمْ (٢٦)] [وَلَا مَنْ نَصَرَهُمْ (٢٧)] حَتَّى يَأْتِيَ [وفي رواية : حَتَّى يَأْتِيَهُمْ (٢٨)] أَمْرُ اللهِ [ﷻ(٢٩)] عَلَى ذَلِكَ [وفي رواية : وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ (٣٠)] [وفي رواية : يُقَاتِلُونَ مَنْ قَاتَلَهُمْ وَحَارَبَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (٣١)] [وفي رواية : وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ، أَوْ : حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ (٣٢)] ، ثُمَّ نَزَعَ بِهَذِهِ الْآيَةِ : يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

---

(٢١) سنن ابن ماجه: (١ / ٧) برقم: (٩)

(٢٢) صحيح البخاري: (٤ / ٢٠٧) برقم: (٣٦٤١) ، (٩ / ١٣٦) برقم: (٧٤٦٠) صحيح مسلم: (٦ / ٥٣) برقم: (١٠٣٧) مسند أحمد: (٧ / ٣٧٣٩) برقم: (١٧٢٠٦) المعجم الكبير: (١٩ / ٣٨٣) برقم: (٨٩٩) مسند أبي يعلى الموصلي: (١٣ / ٣٧٥) برقم: (٧٣٨٣)

(٢٣) المعجم الكبير: (١٩ / ٣٧١) برقم: (٨٧٠)

(٢٤) صحيح البخاري: (١ / ٢٥) ح (٧١) ، (٤ / ٢٠٧) برقم: (٣٦٤١) صحيح مسلم: (٦ / ٥٣) برقم: (١٠٣٧) مسند أحمد: (٧ / ٣٧٣٥) ح (١٧١٨٦) ، (٧ / ٣٧٣٩) ح (١٧٢٠٥) ، (٧ / ٣٧٣٩) برقم: (١٧٢٠٦) المعجم الكبير: (١٩ / ٣٢٩) برقم: ( ) ، (١٩ / ٣٤٥) برقم: (٨٠١) ، (١٩ / ٣٧٠) برقم: ( ) ، (١٩ / ٣٨٠) برقم: (٨٩٣) ، (١٩ / ٣٨٣) برقم: (٨٩٩) ، (١٩ / ٣٩٠) برقم: (٩١٧) المعجم الأوسط: (٨ / ٣٢٨) ح (٨٧٦٦) مسند أبي يعلى الموصلي: (١٣ / ٣٧٥) ح (٧٣٨٣) شرح مشكل الآثار: (٤ / ٣٨٧) ح (١٦٨٣)

(٢٥) صحيح البخاري: (٩ / ١٣٦) برقم: (٧٤٦٠)

(٢٦) المعجم الكبير: (١٩ / ٣٤٥) برقم: (٨٠١)

(٢٧) سنن ابن ماجه: (١ / ٧) برقم: (٩)

(٢٨) صحيح البخاري:(٤/ ٢٠٧) برقم:(٣٦٤١) المعجم الكبير:(١٩/ ٣٤٥) برقم: (٨٠١)

(٢٩) صحيح مسلم: (٣ / ٩٤) برقم: (١٠٣٧) مسند أحمد: (٧ / ٣٧٢٩) برقم: (١٧١٥٤) ، (٧ / ٣٧٢٩) برقم: (١٧١٥٥) ، (٧ / ٣٧٣٥) برقم: (١٧١٨٤) ، (٧ / ٣٧٣٥) برقم: (١٧١٨٥) ، (٧ / ٣٧٣٧) برقم: (١٧١٩٥) ، (٧ / ٣٧٣٩) برقم: (١٧٢٠٦) مسند أبي يعلى الموصلي: (١٣ / ٣٧٥) برقم: (٧٣٨٣) شرح مشكل الآثار: (٤ / ٣٨٧) برقم: (١٦٨٣)

(٣٠) صحيح مسلم: (٦ / ٥٣) برقم: (١٠٣٧) مسند أحمد: (٧ / ٣٧٣٥) برقم: (١٧١٨٦) ، (٧ / ٣٧٣٩) برقم: (١٧٢٠٥) ، (٧ / ٣٧٣٩) برقم: (١٧٢٠٦) المعجم الكبير: (١٩ / ٣٧٠) برقم: ( ) ، (١٩ / ٣٨٠) برقم: (٨٩٣) ، (١٩ / ٣٨٣) برقم: (٨٩٩) ، (١٩ / ٣٨٧) برقم: ( ) ، (١٩ / ٣٩٠) برقم: (٩١٧) المعجم الأوسط: (٨ / ٥٨) برقم: (٧٩٥٧ م) ، (٨ / ٣٢٨) برقم: (٨٧٦٦) شرح مشكل الآثار: (٤ / ٣٨٧) برقم: (١٦٨٣)

(٣١) المعجم الكبير: (١٩ / ٣٧١) برقم: (٨٧٠)

(٣٢) صحيح البخاري: (٩ / ١٠١) برقم: (٧٣١٢)

[فَقَامَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ السَّكْسَكِيُّ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، سَمِعْتُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ يَقُولُ : وَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: وَرَفَعَ صَوْتَهُ: هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا يَقُولُ : وَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ (٣٣)] .

[وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ الْيَحْصَبِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ ، يَقُولُ عَلَى مِنْبَرِ دِمَشْقَ : إِيَّاكُمْ وَأَحَادِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا حَدِيثًا كَانَ فِي عَهْدِ عُمَرَ ، فَإِنَّ عُمَرَ ﷺ [كَانَ يُخِيفُ النَّاسَ فِي اللَّهِ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (٣٤)] [وفي رواية : سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ ذَكَرَ حَدِيثًا رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺلَمْ أَسْمَعْهُ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثًا غَيْرَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ (٣٥)] [وفي رواية : الْخَيْرُ عَادَةٌ ، وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ ، مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ (٣٦)] [وفي رواية : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ ﷻ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ (٣٧)] [وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- يَقُولُ : ; إِنَّمَا أَنَا خَازِنٌ (٣٨)] [وفي رواية : وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ (٣٩)] [وفي رواية : وَإِنَّمَا هُنَّ الْأَقْسَامُ (٤٠)] [وَيُعْطِي اللَّهُ ﷻ(٤١)] [وفي رواية : وَاللَّهُ يُعْطِي (٤٢)] [وفي رواية : وَإِنَّمَا يُعْطِي اللَّهُ (٤٣)] [وفي رواية : وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ (٤٤)] [، فَمَنْ أَعْطَيْتُهُ عَنْ

---

(٣٣) مسند أحمد: (٧ / ٣٧٣٩) برقم: (١٧٢٠٦)

(٣٤) صحيح ابن حبان: (٨ / ١٩٣) برقم: (٣٤٠١)

(٣٥) مسند أحمد: (٧ / ٣٧٢١) برقم: (١٧١٢٤)

(٣٦) صحيح ابن حبان: (٢ / ٨) برقم: (٣١٠)

(٣٧) مسند أحمد: (٧ / ٣٧٢٩) برقم: (١٧١٥٤)

(٣٨) صحيح مسلم: (٣ / ٩٤) برقم: (١٠٣٧) صحيح ابن حبان: (٨ / ١٩٣) برقم: (٣٤٠١)المعجم الكبير: (١٩ / ٣٧٠) ح: (٨٧٠)

(٣٩) صحيح البخاري: (١ / ٢٥) برقم: (٧١) ، (٩ / ١٠١) برقم: (٧٣١٢) صحيح مسلم: (٣ / ٩٥) برقم: (١٠٣٧) المعجم الأوسط: (٩ / ٧٣) برقم: (٩١٥٨) شرح مشكل الآثار: (٤ / ٣٨٧) برقم: (١٦٨٣)

(٤٠) المعجم الأوسط: (٨ / ٣٢٨) برقم: (٨٧٦٦)

(٤١) شرح مشكل الآثار: (٤ / ٣٨٧) برقم: (١٦٨٣)

(٤٢) صحيح البخاري: (١ / ٢٥) برقم: (٧١)

(٤٣) مسند أحمد: (٧ / ٣٧٣٥) برقم: (١٧١٨٥) ، (٧ / ٣٧٣٧) برقم: (١٧١٩٥)المعجم الكبير: (١٩ / ٣٧٠) ، (١٩ / ٣٧١) برقم: (٨٧٢) ، (١٩ / ٣٧١) برقم: (٨٧٣)مسند أبي يعلى الموصلي: (١٣ / ٣٤٠) برقم: (٧٣٥٤)

(٤٤) صحيح البخاري: (٤ / ٨٥) برقم: (٣١١٦)

طِيبِ نَفْسٍ يُبَارَكْ (٤٥)] [وفي رواية : فَيُبَارَكُ (٤٦)] [لَهُ فِيهِ (٤٧)] [وفي رواية : وَإِنَّمَا يُعْطِي اللَّهُ ، فَمَنْ أَعْطَيْتُهُ عَطَاءً وَأَنَا طَيِّبَةٌ بِهِ نَفْسِي فَإِنَّهُ يُبَارَكُ لَهُ فِيهِ (٤٨)] [وفي رواية : فَمَنْ أَعْطَيْتُهُ عَطَاءً وَأَنَا بِهِ طَيِّبُ النَّفْسِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ (٤٩)] [، وَمَنْ أَعْطَيْتُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ ، وَعَنْ شَرَهٍ (٥٠)] [وفي رواية : وَمَنْ أَعْطَيْتُهُ عَطَاءً عَنْ شَرَهِ نَفْسٍ ، وَشِدَّةِ مَسْأَلَةٍ (٥١)] [وفي رواية : بِشَرَهِ نَفْسٍ وَشَرَهِ مَسْأَلَةٍ (٥٢)] [كَانَ (٥٣)] [وفي رواية : وَمَنْ أَعْطَيْتُهُ عَطَاءً عَنْ شَرَهِ النَّفْسِ وَشِدَّةِ الْمَسْأَلَةِ فَهُوَ (٥٤)] [كَالَّذِي يَأْكُلُ (٥٥)] [وفي رواية : كَالْآكِلِ (٥٦)] [وَلَا يَشْبَعُ (٥٧)] »

هذا حديث محكم متواتر قمنا في دراسته بتجميع نصوصه وتفكيك ألفاظه وبيان معانيها ومراميها ومقاصدها وحكمها وأحكامها.

---

(٤٥) صحيح ابن حبان: (٨ / ١٩٣) برقم: (٣٤٠١)

(٤٦) صحيح مسلم: (٣ / ٩٤) برقم: (١٠٣٧)

(٤٧) صحيح مسلم: (٣ / ٩٤) برقم: (١٠٣٧) مسند أحمد: (٧ / ٣٧٣٧) برقم: (١٧١٩٥)صحيح ابن حبان: (٨ / ١٩٣) برقم: (٣٤٠١) المعجم الكبير: (١٩ / ٣٧٠) برقم: ( ) ، (١٩ / ٣٧١) برقم: (٨٧٢) ، (١٩ / ٣٧١) برقم: (٨٧٣) مسند أبي يعلى الموصلي: (١٣ / ٣٤٠) برقم: (٧٣٥٤)

(٤٨) المعجم الكبير: (١٩ / ٣٧١) برقم: (٨٧٣)

(٤٩) المعجم الكبير: (١٩ / ٣٧١) برقم: (٨٧٢) مسند أبي يعلى الموصلي: (١٣ / ٣٤٠) برقم: (٧٣٥٤)

(٥٠) صحيح ابن حبان: (٨ / ١٩٣) برقم: (٣٤٠١)

(٥١) المعجم الكبير: (١٩ / ٣٧١) برقم: (٨٧٣) مسند أبي يعلى الموصلي: (١٣ / ٣٤٠) برقم: (٧٣٥٤)

(٥٢) مسند أحمد: (٧ / ٣٧٣٧) برقم: (١٧١٩٥)

(٥٣) صحيح مسلم: (٣ / ٩٤) برقم: (١٠٣٧) مسند أحمد: (٧ / ٣٧٣٥) برقم: (١٧١٨٤) صحيح ابن حبان: (٨ / ١٩٣) برقم: (٣٤٠١) المعجم الكبير: (١٩ / ٣٧٠) برقم: (٨٦٩) ، (١٩ / ٣٩٠) برقم: (٩١٧) ، (١٩ / ٣٩١) برقم: (٩١٨)

(٥٤) المعجم الكبير: (١٩ / ٣٧١) برقم: (٨٧٢)

(٥٥) صحيح مسلم: (٣ / ٩٤) برقم: (١٠٣٧) مسند أحمد: (٧ / ٣٧٣٧) برقم: (١٧١٩٥) صحيح ابن حبان: (٨ / ١٩٣) برقم: (٣٤٠١) المعجم الكبير: (١٩ / ٣٧٠) برقم: ( ) ، (١٩ / ٣٧١) برقم: (٨٧٢) ، (١٩ / ٣٧١) برقم: (٨٧٣) مسند أبي يعلى الموصلي: (١٣ / ٣٤٠) برقم: (٧٣٥٤)

(٥٦) مسند أحمد: (٧ / ٣٧٣٥) برقم: (١٧١٨٥)

(٥٧) صحيح مسلم: (٣ / ٩٤) برقم: (١٠٣٧) مسند أحمد: (٧ / ٣٧٣٥) برقم: (١٧١٨٥) ، (٧ / ٣٧٣٧) برقم: (١٧١٩٥) صحيح ابن حبان: (٨ / ١٩٣) برقم: (٣٤٠١) المعجم الكبير: (١٩ / ٣٧٠) برقم: ( ) ، (١٩ / ٣٧١) برقم: (٨٧٢) ، (١٩ / ٣٧١) برقم: (٨٧٣) مسند أبي يعلى الموصلي: (١٣ / ٣٤٠) برقم: (٧٣٥٤).

وهو من الأحاديث المتواترة والذي كثر رواته من الصحابة، وتعددت روايته وألفاظه وأخرجه غالب المحدثين إن لم يكن كلهم.

فهو حديث متواتر: روي عن نحو سبعة عشر من أصحاب رسول الله ﷺ. (٥٨).

والحديث حوى جملة من العقائد والبشريات فالمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين، وهو أحد الثلاثة أماكن المقدسة التي حث الرسول ﷺ على زيارتها وشد الرحال إليها.

وهو مسجد مبارك يتصف بصفة البركة، حيث جاء في القرآن{الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} وهي من أبلغ وأعظم التعابير عن بركة المسجد الأقصى وشرفه العظيم، فهو في أرض الرسالات والإسراء وملتقى الرسول بالأنبياء وصلاته بهم ومنطلق معراجه إلى السماء.

وهو أرض المحشر والمنشر يشهد قتال المؤمنين مع عيسى عليه السلام بعد نزوله، وخروج المهدي وظهور الدجال - لعنه الله - وهلاكه هناك.

---

٥٨) نص شيخ الإسلام في الاقتضاء ٩٦/١ على أنه متواتر عنه ﷺ، وكذا السيوطي في قطف الأزهار رقم ٨١ والكتاني في نظم المتناثر" (١٤٦). وقال الألباني في "الصحيحة" ١/ ٥٤٠: الحديث صحيح ثابت مستفيض أو متواتر»

(١) لابْن القيسرانى- مُحَمَّد بن طَاهِر بن على بن احْمَد بن ابى الْحسن الشَّيْبَانِيّ الْحَافِظ أَبُو الْفضل الْمَقْدِسِي الْمَعْرُوف بِابْن القيسرانى رَحل إِلَى بِلَاد كَثِيرَة لطلب الحَدِيث ولد سنة ٤٤٨ وَتوفى بِبَغْدَاد سنة ٥٠٧ هـ (طرق حَدِيث لَا تزَال طَائِفَة من امتى) هدية العارفين (٢/ ٨٢)/ (٢) جزء فيه: فوائد في مسائل من الحديث في قوله عليه السّلام: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرّهم من خذلهم حتى تقوم السّاعة»؛ جمع الشّيخ أبي عليّ الغسّاني، رحمه الله. حدثني به الشيخ أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر، رحمه الله، قراءة منّي عليه وكتبته من كتابه، قال: قرأته على أبي عليّ الغسّاني جامعه، رحمه الله. فهرسة ابن خير ط دار الغرب (ص: ٢٤٩) (٣) بشارة تسر الناظرين على حديث لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين لأبي عبد الله محمد المدعو "ماني" بن محمد الصنهاجي الفاسي، المتوفي عام ١٣٣٣هـ/١٩١٥م. الموجود قطعة من أوله يتخللها بياض، وأوله: الحمد لله... وبعد فهذه بشارة تسر الناظرين... في محفظة من ص ١ إلى ص ٢٢، مقياس ١٧٥/٢٣٠. خط مغربي ملون خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ.

وردت ترجمة المؤلف في معجم الشيوخ للفاسي ج ٢ ص ٤٢/٤١. ٦٥ - (١٨٣ ك) ---بشارة تسر الناظرين على حديث لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين لمحمد ماني الصنهاجي المتقدم عند رقم ٦٤. أوله: الحمد لله... وبعد فهذه بشارة تسر الناظرين... في محفظة من ص ٢٣ إلى ص ١١٩، مسطرة مختلفة، مقياس ١٨٠/٢٣٠. خط مغربي مدموج مليح ملون يتخلله التشطيب والإلحاق حيث أنه خط المؤلف نفسه. وقع الفراغ من تأليفه وانتساخه بعد عصر الجمعة ٢٢ رمضان المعظم عام ١٣٠٨هـ. (من فهارس الخزائن المغربية: مخطوطات التفسير والحديث في الخزانة الكتانية للأستاذ محمد المنوني مجلة دعوة الحق، (س.٢٦،ع ٢٤٩ / يونيو ١٩٨٥ ص ١٣/ «معجم المؤلفين» (١٢/ ٤٤).

والحديث يبين لنا في وضوح صفات هذه الطائفة ومكانها ومكانتها، واصطفاء الله لأهلها وتأييده لجندها ونصرتهم وخذلان عدوهم، وهو بيان لصفات أعدائها وأنواع العداء، وأصناف البلاء الذي ينزل بهم ووعد الله بنصرهم وتأييدهم.

وهي الطائفة المنصورة الظاهرة على عدوها القائمة بالحق التي تستمر تدافع عن الحق وهي قائمة بالحق حتى يأتي أمر الله وهي وُقُوعُ الْآيَاتِ الْعِظَامِ الَّتِي يَعْقُبُهَا قِيَامُ السَّاعَةِ.

<u>لو لم يكن هناك طوفان لوجب أن يكون:</u>

لعل عند البعض تساؤلاً عند البعض وهو لماذا طوفان الأقصى ...؟.

والإجابة: أن الأسباب كثيرة ووجيهة منها ما هو ديني وما هو سياسي وأخلاقي.

ولكن دعونا نعود بالزمن للوراء، ثلاثة أشهر، لنسافر إلى جنوب الولايات المتحدة الأمريكية، وتحديدا ولاية تكساس، من داخل أحد مزارع الأبقار، حيث نشاهد طائرة خاصة أرسلتها الحكومة الصهيونية، من أجل استقدام، خمس بقرات حمراء.

زعم اليهود في شهر (يوليو/تموز) الماضي، أنهم عثروا على بقرات تتوافر فيهم الشروط (حسب الموروث اليهودي) وقد رصدت الحكومة، ميزانية كبيرة لجلبها من أمريكا إلى مطار "بن غوريون" في تل أبيب.

وقالت التقارير إن البقرات الخمس قد تم هندستهم جينيا في ولاية تكساس الأمريكية، حيث تعجلت حكومة نتنياهو الحصول على تلك البقرات، من أجل تنفيذ مخططها بتهويد كامل لمدينة القدس، وطرد العرب منها، مع هدم المسجد الأقصى، وبناء هيكلهم المزعوم.

حيث تخبرنا الخرافات التلمودية، أن هناك بقرة تحمل مواصفات معينة؛ بمجرد عثور اليهود عليها، سيحق لهم، هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل، تمهيدا لظهور المُخلّص (الذي تنُص عليه شريعتهم)

ويعتقد اليهود أن تلك المواصفات: أن تكون حمراء نقية، ولادتها طبيعية، خالية من أي عيب، لم يوضع عليها نير (الخشبة المعترضة فوق عنق الثور)، ولم تستخدم في الحرث، ولا في أي غرض مهما كان، ناضجة، ولم تتزاوج، أي أنها أكبر من عامين.

وأشار الإعلام العبري، أنه وفقا لتلك الموروثات، سيُقام احتفال خاص، على جبل الزيتون بالقدس المحتلة، فور بلوغ سن البقرة ثلاث سنوات، حيث يقومون بذبحها،

ورش دمائها في اتجاه المسجد الأقصى سبع مرات، وحرقها مع خشب شجر الأرز وطحالب، ودودة المن الحمراء.

وبعد الانتهاء من هذا كله، سيُخلط الرماد بالماء المأخوذ من النبع، ويجري الخلط باستخدام أكواز مصنوعة من الطحالب.

ويستخدم هذا الخليط في تطهير اليهود، بدءاً من الكاهن الذي يغسل ملابسه ويغتسل هو بالخليط، (وذلك لاعتقادهم أن اليهود جميعاً نجسين)

وبتطهيرهم، سيتسنى لهم الدخول إلى أرض المسجد الأقصى واقتحامه، ومن ثَمَّ، هدم مسجد قبة الصخرة، وبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه.

ويدعي المسيحيون الإنجيليون أن إعادة بناء الهيكل المقدس لدى اليهود، وحربهم للمسلمين والقضاء عليهم، هي الشرط المؤذن لظهور المسيح عليه السلام ليقود العالم ويحكم بالصليب.

بينما يظن اليهود الأرثوذكس بأن بناء الهيكل هو الشرط المؤذن لظهور (المسيا اليهودي) المخلص المُنتظَر عندهم، والذي سيكون ملكًا يحكم الشعب اليهودي، ويُوَحِّد أسباط بني إسرائيل.

ومن أجل تحقيق حلم كل فريق منهما، نجد أنهما، قد توحدا على حرب المسلمين، والرغبة في القضاء عليهم والاستيلاء على القدس، وهدم المسجد الأقصى الشريف.

وعلى مدار شهور، لم تتورع إسرائيل عن إعلان نيتها هدم المسجد الأقصى المبارك، وأعدت العدة لذلك، ورصدت الميزانيات الحكومية، بينما العالم العربي والإسلامي، كان يغط في سُبات عميق.

والقضية الفلسطينية، هُمشت تماما، في الإعلام العالمي، وفي أحاديث السياسيين.

وظلت المنظمات الفلسطينية والإسلامية تستغيث، وتصرخ في كل ذي نخوة ودين، أن يتحرك لإنقاذ أولى القبلتين، وثالث الحرمين، ومسرى رسول الله ﷺ من جنون حكومة نتنياهو الأشد تطرفا وعنصرية في التاريخ، فلم تجد سوى صدى صرخات النساء والكهول المرابطين، على عتبات الأقصى الشريف، والذين تواصلت الاعتداءات عليهم بشكل ممنهج ومرير

حينها قرر المجاهدون، أن يرسلوا للاحتلال الإرهابي، رسالة، بالطريقة التي لا يفهم سواها، وعنونوها بعبارة "طوفان الاقصى" في إشارة للهدف الأسمى منها، وهو وقف حكومة الاحتلال عن السعي لتنفيذ مخططاتها الإجرامية بحق مسرى رسول الله ﷺ، فوصلت الرسالة، وقرأها الجميع، وعادت فلسطين وقضية المقدسات، على رأس أولويات العالمين العربي والإسلامي، وتصدرت نشرات الأخبار، بل وباتت أحاديث الكُتاب، من الصهاينة والغربيين، تمتلئ بتساؤلات من نوعية: هل اقتربنا حقا، من نهاية إسرائيل؟!(٥٩).

إن سيل الكذب المستمر والفجور وادعاءات الزور والعقائد الباطلة والطقوس المختلقة المخترعة والكذب على الله ورسوله يحتاج طوفان يوقفه ويكشفه ويفضحه.

وإن التدنيس المستمر والمتكرر من اليهود يحتاج طوفان لغسله، وان قنابل الغاز والرصاص الحي الذي يطلق داخل الحرم الشريف مع الاعتداء على رواد المسجد من النساء والرجال يحتاج لطوفان لإقافه ومحوه.

كثرة الحواجز وانتهاك الحريات والحرمات، واقتحام البيوت في منتصف الليل وكل الأوقات، والتفتيش المهين للنساء والرجال، مع القتل.

كله يحتاج لطوفان يطهر الدنس ويغسل الظلم ويكسر القيود ويهدم جدران العار التي شيدتها الاتفاقيات والتنسيقات التي لم تخدم إلا العدو ولم تراعي أصحاب الأرض.

---

٥٩) ما قصة البقرات الخمس التي تم إحضارها إلى إسرائيل تمهيدا لبناء "الهيكل"؟ (شاهد)

عربي٢١- عدنان أبو عامر ٣١ يوليو ٢٠٢٣م

https://arabi21.com/story/1528319/%D9%85%D8%A7-%D9%82%D8%B5%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%85%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A-%D8%AA%D9%85-%D8%A5%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D9%87%D8%A7-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84-%D8%AA%D9%85%D9%87%D9%8A%D8%AF%D8%A7-%D9%84%D8%A8%D9%86%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%8A%D9%83%D9%84-%D8%B4%D8%A7%D9%87%D8%AF

الاحتلال والعدوان وتنديس المقدسات والاستهانة بالدماء والأعراض والتطاول على الإسلام ورسوله عليه الصلاة والسلام كلها توجب الطوفان وإذا لم تكن هذه أسباب مقنعة فما هي الأسباب التي تقنع ...؟.

الطائفة وطوفان دلالة التسمية وظلالها:

"طوفان الأقصى" لِمَ اختارت المقاومة الفلسطينية في غزة أن تُطلق على عمليتها اسم "الطوفان" ولَم تختر غيره؟

لا شك في أن حديث "الطائفة المنصورة" الذي أُشربت به قلوب رجالها كان له تأثير في هذه التسمية؛ فـ"الطوفان" لا يكون إلا من عمل هذه "الطائفة" متمثلةً فيهم، هذا عن الأصل الاشتقاقي؛ أما عن العلة لهذه التسمية، فمعلوم أن "الطوفان" يفيد معنى "التجريف الذي لا يترك وراءه شيئا"؛ فلنسأل ما حقيقة هذا الشيء الذي حمَلت هذه المقاومة أمانةَ تجريفه بالمرة بحيث لا تُبقي منه شيئا؟

لا يُمكن أن يكون هذا الشيء مجرد الاحتلال، ولا حتى مجرد الظلم، وإنما هو، على الحقيقة، "الشر المطلق"؛ فقد كان الناس يتصورون "الشر المطلق" مفهوما بعيدا، ولا يعتقدون تحققه، فإذا بهم اليوم يرونه رأي العين واقعا حيا؛ فقد شاهدوا "الصلاة" في بيوت الله تُقصف، و"البراءة" في الطفولة تُزهق، و"العافية" من المستشفيات تُطرَد، و"اللجوء" إلى المآوِي يُرهَب، وقس على ذلك ما شابَهه؛ رأوا بأمّ أعينهم احتضار كل قيم الخير التي خُلق الإنسان من أجلها؛ وليس "الشر المطلق" إلا مَشاهِد الموت الذي يأتي على كل القيم؛ وقد كانت المقاومة الفلسطينية في غزة سبّاقة إلى تبيُّن حقيقة هذا الشر، فسارعت إلى مواجهته بالقوة التي تدفع موبقاته، بل تنتزعه من أصله؛ لذلك استحقت هذه المقاومة أن تسمى "المقاومة الطوفانية"، تمييزاً لخصوصيتها عن باقي أشكال المقاومة.

يبقى أن نسأل لِم أضافت هذه المقاومة "الطوفان إلى "الأقصى" ولَم تُضِفه إلى سواه؟ ما من شك أن مكانة "الأقصى" عندها تُحتّم هذه الإضافة، غير أن هذه المكانة لها وجوه عدة يختلف الأخذ بها بحسب السياقات والظروف؛ فـ"الأقصى"، في سياق ذكر التوجه في الصلاة، هو القبلة الأولى للمسلمين، بينما هو في الظروف الخاصة التي تحفُّ بالمقاومة الطوفانية هو، بالأساس، "المَسرى"، ذلك أن "الإسراء"، اصطلاحا، يستلزم

التغلب على مادية الجسم بالكلية، مَثَلُه في ذلك مَثَل "العروج"؛ وهذا يعني أن روح "المُسرَى به" تتحرر من كل القيود بما يجعلها تنطلق في فضاء الملكوت اللامتناهي؛ لذلك، بات "المَسرى"، بالنسبة إلى هذه المقاومة، يدل على "مكان التحقق بالحرية القصوى"؛ وعليه، فإن كان الاسم التاريخي لهذا المكان هو "الأقصى"، فإن الاسم الظرفي له هو، بالذات، "المَسرى"؛ ولو أن هذه المقاومة لم تُسمّ عمليتها "طوفان الأقصى"، لاتخذت لها اسم "طوفان المَسرى" لدلالته على الحرية؛ ولعلّها حرصت على حفظ الاسم التاريخي، اعتبارا لشهرته؛ والدليل على ذلك أنها جعلت "تحرير" جميع الأسرى في سجون العدو أسبق مقاصد "الطوفان"، بل جعلته أول شرط في أي تفاوض معه!

ومن هنا، يتبين أن السياق الفلسطيني لطوفان الأقصى يفتح على السياق الإنساني من جانبين على الأقل؛ أحدهما، أن هذا الطوفان فيه من طوفان نوح عليه السلام نصيب، وهو "استئصال الشر من الأرض"، بحيث يتهيأ بفضله الإنسان من حيث هو كذلك ليتلقى قيما جديدة؛ والثاني أن "الأقصى" فيه من إسراء محمد ﷺ نصيب، وهو "التحرر من قيود المادة"؛ فيكون "الأقصى" أو قل "المَسرى" آية دالة على تعميم القيم الجديدة على البشرية جمعاء، بحيث لا يحدُّها أي اعتبار مادي.

ولما ظهر أن الطوفان، من حيث كونه تجريفاً للشر المطلق، هو السبيل الذي يوصّل إلى التحرر الأمثل، فقد لزم أن تكون "المقاومة الطوفانية" حركة تحرر للإنسان عامة أو حركة تحرير للعالم كله، حتى ولو بدت في الظاهر حركة تحرر لشعب مخصوص أو حركة تحرير لأرض مخصوصة، إذ المقاوم الطوفاني إنما هو الإنسان في صراعه مع الشر؛ ويؤيد ذلك التفاف العالم حول قضيته، ولا يرجع هذا الالتفاف، كما شاع بين جمهور السياسيين، إلى تعاطي العالم للرواية الفلسطينية للأحداث بقدر ما يرجع إلى كون هذه المقاومة أعادت بقوة الإنسان، حيثما كان، إلى فطرته الأولى، أي أعادته إلى القيم الأصيلة التي تنطوي عليها روحه، بدليل سرعة هذا الالتفاف حول قضيته وانخراط الفتيان فيه بكثرة، إذ الفتى يكون أقرب من سواه إلى الفطرة، فيسهل إحياؤها فيه.

إن ما جاءت به هذه "الطائفة" من المقاومين من "طوفان" عز نظيره، محوا لشرور الاحتلال، وتثبيتاً لأسباب التحرر، لَيفتح الطريق لإمكاناتٍ للنهوض لا سابق لها؛ فلما

كان هذا الطوفان يعيد الثقة المفقودة إلى الذات، ويحيي الذاكرة المجيدة للأمة، ويورّث الوعي الضروري بقوى الروح، فقد جمع أسباب إطلاق طاقات الإبداع، اجتهادا وتجديدا، لدى أبناء الأمة؛ وحينها، يبقى على هؤلاء أن يبادروا إلى الأخذ بهذه الأسباب قبل أن يتجند الاحتلال وأعوانه في الخارج وأتباعه في الداخل لتفويت هذه الفرصة التاريخية عليهم، رادّا لهم إلى ما كانوا عليه قبل الطوفان من فقدان الثقة الذاتية والذاكرة المميَّزة والوعي الروحي؛ وأيا كانت الكيفية المتبعة في الأخذ بهذه الأسباب، (هنا الأهم) يبقى أن هذا الطوفان يوجب البناء، في هذا التجديد للأمة، عرباً ومسلمين، على أصلين طوفانيين: أحدهما، أنه "لا نهوض للأمة إلا بالتحقق بالمقاومة"؛ والثاني، أنه "لا مقاومة إلا مع التحقق بالانتماء إلى العالم".

أما عن الأصل الطوفاني الأول، أي أنه "لا نهوض للأمة إلا بالتحقق بالمقاومة"، فما عانته الأمة، ممثلةً خير تمثيل بشعب فلسطين، من أشكال الاحتلال الطويل، سياسة واقتصادا وثقافة، جعل المقاومة فيها ترتقي من رتبة الفعل السلوكي إلى رتبة الفعل الوجودي، وهذا يعني أنه لا وجود للأمة إلا بالفعل المقاوم، بل يعني أنه لا حق للأمة في الوجود إلا بهذا الفعل؛ فقد باتت المقاومة، بالنسبة إليها، الطريق الذي به تحيا وتبقى؛ فليست المقاومة، في حق أمتنا، مجرد دفع المظلومية القانونية، وإنما هي تحصيل المشروعية الوجودية؛ لذلك، لا يمكن أن تكون هذه المقاومة مجرد عمل يُترك لاختيار الفرد أو لتقديره، وإنما هي معاملة يشترك فيها مجموع الأمة، دخولاً فيها وتقويما لها.

وعليه، يتعين على مثقفي العهد الجديد الذي فتحه "طوفان الأقصى" أن يعيدوا التفكير في مفهوم "المقاومة"، ويؤسسوه على أصول جديدة، ويُنشؤوا من المفاهيم ما يعضّده، ويستخرجوا من حقائقه ما لم يكن يخطر على البال، ويبنوا من النظريات والأنساق الفكرية والسياسية ما يكون على قدره؛ فقد أظهر "طوفان الأقصى" أن هزيمة العدو تكون أشد وأنكى لو هُزم عقلُه وهُزمت أخلاقه، على خلاف ما ترسخ في الأذهان من أن المقاومة توجب أولا وقبل كل شيء إيقاع الهزيمة السياسية بالعدو؛ فـ"طوفان الأقصى" انتصر على عقل المحتل كما انتصر على أخلاقه، فتكون هزيمة العدو السياسية مجرد تابع لهزيمته العقلية وهزيمته الأخلاقية؛ ولما كان العقل والخُلُق هما الصفتين

المحددتين لكلية الإنسان، كانت هزيمة العدو فيهما هزيمة لذاته بأسرها؛ ومثلُ هذه الهزيمة لذات العدو لا يمكن أن تُمحى من ذاكرته، فلا يستقيم له بعدها أمر، فيأخذ في دوام الانهزام، حتى الانقراض الكلي؛ وفي المقابل، فإن انتصار المقاومة بهذه الطريقة- أي عقلا وأخلاقا- هو انتصار لكلية ذاتها؛ ومِثلُ هذا الانتصار لا يمكن، هو الآخر، أن يمحى من ذاكرة الأمة، فلا يَعوجّ لها بعده طريق، فتأخذ في دوام الانتصار، حتى الانبعاث الكلي.

وأما عن الأصل الطوفاني الثاني الذي يجب البناء عليه، وهو أنه "لا مقاومة إلا مع التحقق بالانتماء إلى العالم"، فقد ظهر للعيان أن أبعاد "طوفان الأقصى" تتخطى الحدود الجغرافية والثقافية للأمة إلى العالم كله، لا لأن آثاره سرت، بالفعل، في مجموع الإنسانية فحسب، بل لأن الفعل المقاوِم بات يتطلب أن تُزال هذه الحدود بالمرة، وأن يُنظر إليه على أنه فعل عالمي صريح مُلزِم لكل فرد من أفراد البشرية، حيثما حصل من بقاع الأرض وكيفما كانت الشرور التي يتصدى لها؛ لذلك، يتعين على المقاوم أن يعي ويوقن، وهو يأتي أفعاله، بأنه يتصدى لشرور لا تقتصر آثارها على وطنه، وإنما تَطال أقطار العالم كلها؛ ولا شك أن هذا الشعور سيزيد، بما لا يقاس، من طاقته النضالية، فضلا عن توسيع إمكانات إمداده.

ولعل هذه النتيجة أوجب في حال المقاوِم العربي منها في حال غيره، نظرا لأن النظام العربي، في جملته، أضحى مانعاً للفعل المقاوم إلى حد أن هذا المنع أشبَه المنع الذي يقع من المحتل، حتى كأن هذا النظام "احتلال داخلي"؛ ويرجع ذلك إلى أسباب عدة قد تجتمع لدى بعض عناصر هذا النظام، وهي، كما هو معلوم، "الهوة السياسية بين الحاكم والمحكوم"، و"النخبة العسكرية المستولية على السلطة بالقوة والمشتركة في المصالح مع الجهات الاستعمارية"، و"النخبة المدنية التي استُلبت بقيم الثقافة الأجنبية والتي أُسندت إليها إدارة المؤسسات بتوجيه من هذه الجهات الاستعمارية".

وأخيرا، "مسلسل التطبيع" الذي أنهى البقية الباقية من الأمة؛ ولا سبيل إلى دفع هذا المنع الداخلي إلا باتخاذ المقاومة حالة حركية دائمة التوجه إلى العالم كله، شعوباً ومنظمات، نظراً لأن هذه الشعوب والمنظمات قادرة، بحكم وجودها في دول تحفظ الصلة بين الحاكم والمحكوم، على تصحيح آراء ومواقف ساستها، إذ هذا التصحيح

السياسي من شأنه أن ينعكس على هذه المقاومة في الداخل بمزيد القوة، لا سيما وأنها تحمل توجهاً عالمياً.

لطالما كان الجدل حيّاً بين القيم الأخلاقية والمصالح السياسية، فكيف حسَم "طوفان الأقصى" هذا الجدل؟

أول ما تجب الإشارة إليه هو التباس مفهوم "المصلحة"؛ فقد كان يدل في الاستعمال الإسلامي على معنى "المنفعة التي تعود بالصلاح على الإنسان"، بينما أضحى يدل في السياق المعاصر على "المنفعة التي تلبي مطلق الحاجة"؛ وشتان بين المعنيين: إذ إن المعنى الأول للمصلحة يتضمن بعداً أخلاقياً صريحاً يجعل منها لفظاً مرادفاً للقيمة الأخلاقية، بينما المعنى الثاني للمصلحة لا يتضمن بالضرورة هذا البعد الأخلاقي، بحيث يجوز أن تكون المصلحة مباينة للقيمة الأخلاقية، هذا التباين الذي يبرز بأوضح صورة في فكر "ميكيافيل" وفيما يسمى بـ"الواقعية السياسية"؛ لذلك، كان استعمال لفظ "المصلحة" في هذين المعنيين المتضادين باعثا على تشويش الفكر لدى الناطق العربي؛ وكان الأجدر أن يُوضع للمعنى الثاني مصطلح مستقل خاص به، وقد يكون هذا اللفظ هو "الغرض"، لا سيما وأن الدول الاستعمارية باتت تستعمل مقابلاته في لغاتها للدلالة على فاسد أغراضها في المنطقة العربية كما في العبارة: "تهديد المصالح القومية"، فينساق الجمهور العربي، من حيث لا يشعر، إلى الاعتقاد بأن هذه الأغراض الاستعمارية مصالح مشروعة، إذ يضفي عليها، بحكم ثقافته الإسلامية، الصلاح الذي ليس فيها قط.

أما "طوفان الأقصى"، فقد انبَنى على مبدأ عدم التضاد بين القيمة الأخلاقية والمصلحة السياسية، بحيث لا جدل بينهما في سياقه، بل انبنى على مبدأ التداخل بينهما الذي ورثه عن ثقافته الإسلامية، وهذا التداخل يتخذ فيها صورة التضمن ذي الاتجاه الواحد؛ والمقصود بهذا التضمن هو أن المصلحة السياسية تكون تابعة دوماً للقيمة الأخلاقية؛ وهذا يعني أن المقاوم الطوفاني يبني سياسته، بالأساس، على المعيار الأخلاقي، ويسخّر العمل السياسي لخدمة الأخلاق تسخير الوسيلة لمقصدها؛ إذ السياسة عنده عبارة عن تدبير من أجل التحرير، و"الحرية" قيمة أخلاقية عليا؛ ثم إن التدبير عنده عبارة عن تدبير للدنيا من أجل الآخرة، فيلزم أن يوجد، في أفق هذا التدبير، مقصد الشهادة، و"الشهادة"،

هي الأخرى، قيمة أخلاقية عليا؛ وهكذا، فإن المصلحة السياسية، بحسب المقاوم الطوفاني، تكون موجَّهة على الدوام بقيمتين أخلاقيتين جامعتين هما: "الحرية" و"الشهادة"، فإما أن يتحرر، وإما أن يستشهد؛ فلولا كمال تحقق المقاوم الطوفاني بملابسة الأخلاق للسياسة ما كان ليُنجز ما أنجز من مآثر غاية في الإبداع.

وقد استطاع هذا المقاوم، بفضل تلبُّس عمله النضالي بالأخلاق، أن يُرِيَ العالم مشاهد السقوط الأخلاقي الذي تؤدي إليه مادّية الحضارة الغربية؛ فقد حمل العدوَّ الإسرائيلي على كشف صور لا أخلاقيته الفاحشة، استغراقا في الكذب والخداع والتضليل، وإيغالا في سفك دماء الأبرياء، وتدميرا لكل قيم الحياة، بل كشَف العورات اللاأخلاقية لدول الغرب، إذ هبّت كلها، وقد فقدت صوابها لهول ما أصاب هذا العدو، إلى مساندته بإطلاق، تَمدُّه بأفتك الأسلحة وتؤيده في فظائع جرائمه، مُضْفيَة عليها، بلا استحياء، وصف "الشرعية الدولية"، بل فضَح "النفاق المطلق" الذي اتصف به حكامها وبعض مثقفيها، وهم يزعمون حمل لواء التنوير في العالم.

ولما كان المقاوم الطوفاني إنساناً عالمياً بحق، فقد نزل منزلة المنقِذ للعالم من هذا السقوط الأخلاقي غير المسبوق الذي ينزل به؛ ذلك بأن العالَم لا بد أن يجد في هذا المقاوم المعلّم الأمثل الذي يعينه على استرجاع الصلة المفقودة عنده بين الطرفين: "السياسة" و"الأخلاق"، إذ لا يسعه إلا أن يرى أن هذا المقاوم لم يكتف بأن يسلّم بهذه الصلة التي ورثها عن زمن ثقافي كانت فيه الحدود بين هذين الطرفين متداخلة، وإنما اشتغل، في الزمن الثقافي الحالي الذي اشتهر بالفصل بين الطرفين، ببناء منجَزه الطوفاني العظيم على هذه الصلة، مختبراً لقوتها ومتوصّلاً إلى نتائج مبهرة؛ ولما أيقن العالَم بأن المقاوم الطوفاني خبير بهذه الصلة بقدر ما هو وريث لها، فقد بات يُبدي حاجته إلى أن يستعيد، هو نفسه، هذه الصلة المفقودة، لكن يأبى أن تحصل هذه الاستعادة على الوجه الذي تحققت به في ماضيه لِما ترتَّب على سابق استغلالها من مفاسد، وإنما يتطلع إلى أن تحصل على الوجه الذي تتحقق به الآن في العمل الحي لهذا المقاوم المتميز؛ ومن

هنا، يتأتى للمقاوم الطوفاني أن يمارس جانبا من واسع عالَميته، معيدا الاعتبار، في المجال السياسي، للأخلاق بوصفها عنوان "الإنسانية" في تدبير العالم. (٦٠).

ويقول أستاذنا الدكتور سيف الدين عبد الفتاح:"طوفان الأقصى لحظة فارقة في تاريخ الأمة، وهو ضمن لحظات كاشفة توضح وهن الأمة. ذلك الوهن الذي يقيض الله له من أهل الصلاح من يعمل على مواجهته.

هي لحظة للتفكير والتدبير، أي أن لحظة الطوفان هي نقطة ابتداء لا انتهاء وهي ثمرة المقاومة، والتي تجيب عن سؤال أين هذه الأمة من فاعليتها وخياراتها؟!، إن مشروعات هذه الأمة يجب أن تنهض بها وتؤكد على عزتها وكرامتها وشرفها.

"المقاومة" تصدع كل يوم أن "المقاومة خيار بل وقرار استراتيجي" واقعي على الأرض تقدم فاعليتها في مواجهة العدوان والاحتلال على الأمة وحياضها.

و"المقاومة عملية حضارية واستراتيجية ممتدة" وخيار لابد وأن يتحول إلى إصرار، وإصرار يجب أن يتحول إلى قرار.

مقاومة الأمة فعلها الحامي لكيانها الضامن لفعاليتها، القادر على حفظ بقائها واستمرارها، المقاومة حالة شاملة متكاملة تتكافل فيها عناصر مقاومة الاستبداد في الداخل ومقاومة العدوان من الخارج، هي حال خمائر عزتها وقدرات ممانعة الحضارية ليس هذا فائض كلام وإنما هي بلاغة المقاومة حينما تبلغ بيانها، وتفعل فعلها على الأرض فتقدم انتصارت مهمة التي تعني ضمن ما تعني أن هذه الأمة تستعصي على الموت كما تستعصي على الاحتواء وأن عناصر ممانعتها هي حقيقة مناعتها وحصانتها. المقاومة عملية معرفية وثقافية وفكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية شاملة حضارية في محتواها، وحضارية في مقاصدها، تملك عناصر تمكينها من المفاهيم الحرة التي

---

٦٠) الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن للجزيرة نت: "المقاومة الطوفانية" حركة تحرر للإنسان والعالم/ موقع الجزيرة على هذا الرابط
https://www.aljazeera.net/culture/2023/12/16/%d8%a7%d9%84%d9%81%d9%8a%d9%84%d8%b3%d9%88%d9%81-%d8%a7%d9%84%d9%85%d8%ba%d8%b1%d8%a8%d9%8a-%d8%b7%d9%87-%d8%b9%d8%a8%d8%af-%d8%a7%d9%84%d8%b1%d8%ad%d9%85%d9%86
وهذا رابط الحلقة الحوارية معه : https://www.youtube.com/watch?v=0MF_mN7oQ3Q&t=1s

تشكل أساس خطابها للأمة "مفاهيم الحرية والتحرر" في مواجهة مفاهيم "العدو والعدوان والعبودية والاستسلام".

هذه أولى معاركنا المفاهيم والكلمات كالحياض وكالجيوش، وجب الدفاع عنها كالأرض والعرض، لأنها تنتهك في حرماتها، وتدنس معانيها. وانتهاك حرمة معاني الكلمات لا نأتي فقط من معتد من خارج يحاول أن ينحرف بالمعاني ويدلس الدلالات، فتصير الكلمات لا تدل أو تر شد، بل قد تأتي كذلك من داخل حيث تهون فيه الكلمات وتهان، أين نحن من كلمات الكرامة؟!، والمقاومة التي توصف حينا بالمقامرة أو المغامرة؛ وعقلية العزة ونفسية الأحرار، أين مقامنا من كلماتنا، ومقام كلماتنا فينا؟ وأين نحن كذلك من أيامنا (أيام العرب والمسلمين)، أيام المقاومة ؟، المقاومة في هذا الاعتبار "قيام" و "قوام" و"مقام" و"قيمومية" و"قيمة"، المقاومة فعل الأمة وقدرات وفاعليتها، وعز الأمة تمكينها، هل تعلمنا درس المقاومة من خبرة "حزب الله" الذي استطاع أن يرد العدوان وإن يحمي شرف الأمة وكرامتها أم أن البعض لم يعد يعرف لمعاني الشرف والكرامة والعزة معنى، إنها المقاومة لا مساومة ولا مقاولة.

كان هذا الكلام من أستاذنا الدكتور سيف الدين عبد الفتاح قبل طوفان الأقصى بسنوات ولكنه أكد هذا المعنى في تدوينة بقوله: "إن المقاومة تحيي مفهوم الأمة وتحول تلك الضغوط السلبية إلى حالة إيجابية فتصير فاعلة دافعة، بدلا من المانعية، وتؤكد على تماسك الأمة في شبكة علاقاتها الاجتماعية والحفاظ على لحمتها، بدلا من تشرذمها وتفرقها، وتحاول من كل طريق أن تملأ الفراغات التي تملّكها حال العجز والضعف للأمة فتذكر بالنهوض والإصلاح والتغيير.

وفي حقيقة الأمر فإن نظرية الضغوط تأتي بأربعة أركان غاية في الأهمية؛ ألا وهي التحمل، والتحريك، والتدافع، والإصلاح والتغيير. هذه الأركان تنطبق على كيان وفعل المقاومة وأدوارها الحضارية التي تقوم بها في الأمة، فهي تشكل في آن واحد جهاز تنبيه وإنذار، وجهاز طاقة واستنفار.

وهي في هذا مرشحة لأن تكون منتدبة عن الأمة وتتحمل ما تتعرض له من صعوبات أو تحديات فتواجهها، وتستعد دائما لرد العدوان وفق القاعدة الأساسية والنداء الحركي القرآني "وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ" (٦١).

فإذا كان طوفان سيدنا نوح ﷺ غمر الكون بالماء والأمواج، فإن طوفان الأقصى شغل الكون ببطولاته وجهاد أبطاله، مع التغني والافتخار ببسالة الطائفة القائمة به المدافعة عن الأمة، كما وأثار انتباه العالم لأخباره، وجدد وعي البشرية بحقيقة قضية المسجد المبارك والقضية الفلسطينية.

وجرف في طريقة نفايات حثالات البشر التي راجب بالزور والكذب والفجور كالمثلية والنسوية، ودعايات الخداع عند دعاة الحقوق للمرأة والطفل وحرية الكفر والفجور والإلحاد لتظهر الحقيقة الكاذبة، كما أنه طوفان كنس الصورة التي رسمتها أذيال الصهيونية عن الإسلام كدين إلهي وعن المسلمين كأتباع لسيد الخلق سيدنا محمد ﷺ.

ولا ننسى فضل الطوفان في تجريف صورة كهف الكذب لشعب الله المختار والجيش الذي لا يقهر والأسلحة التي لا مثيل لها.

وفي طريق الطوفان تبين للناس أن أهل الرباط تعرضوا لمؤامرة ضخمة وخذلان لم ينقطع ممن يظن أنه أهل القضية وأولياؤها المحيطين بها والذين ادعو أنهم مدافعين عنها.

فانهزموا من جيش مهزوم مأزوم -فارس خَيَال في صحراء لا خيل فيها ولا فارس خيَّال جيش من ورق هزم جيوش عربية ولكنه لم يصمد أمام من آمنوا بالله وتحملوا أمانة القضية.

الذين كسروا قتلة الأنبياء وأذلوهم فساءت وجوههم وشاهت، كسروهم وهم محاصرون وأثخنوا فيهم ولا معين ولا ناصر لهم إلا الله.

هزموهم وكان نصيبهم من جيرانهم الخذلان بتضييق الخناق وحصارهم لهم مع العدو، ولم يمدوهم بسلاح ولا عتاد بل ومنعوا عنهم الطعام والشراب والنجدة، وزادوا الطين

[٦١] المقاومة عز وتمكين لا مقاولة ومساومة الدكتور سيف الدين عبد الفتاح، نشرت عام ٢٠٠٦، في مجلة المسلم المعاصر المجلد/مج ٣١، ع ١٢٢، التاريخ: ديسمبر/كانون الأول – رمضان ٢٠٠٦م / الصفحات: ١٦١-١٦٨.، وانظر حديثه عن طوفان الأقصى في مدونته وتغريداته على تويتر

بلة بأن هاجموهم وأثاروا رويات الكذب والفجور التي يروجها العدو ليشوهوهم فجمعوا بين الخذلان والمخالفة والمناوأة والعداوة.

وقد وعدنا رسولنا الكريم ﷺ أنه لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ولا من ناوأهم ولا من عاداهم فهم قاهرين لعدوهم ظاهرين على الحق بتأييد خالقهم وربهم.

ومن تمام الوعد أن الله قضى أن يكون أهل الشام وبيت المقدس وأكنافه هم سَوْطُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، يَنْتَقِمُ بِهِمْ مِمَّنْ يَشَاءُ وكَيْفَ يَشَاءُ، وَحَرَامٌ عَلَى مُنَافِقِيهِمْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَى مُؤْمِنِيهِمْ، وَلَنْ يَمُوتُوا إِلَّا هَمًّا أَوْ غَمًّا أو غَيْظًا أَوْ حُزْنًا.

هذا تمام الوعد فكان مما جرفه الطوفان بيان المؤمنين من المنافقين المخذلين أفضل بيان وفرق الله تعالى ببركة بيت المقدس بين المؤمنين والفاسقين المخذلين والمثبطين عن نصرة الأرض المباركة وأهلها بفرقان الحق الواضح البين حيث أنهم خذل هؤلاء المعوقين طائفة محاصرة محتلة مقدساتها وأرضها ولو كانوا غير مسلمين لوجب عليهم نصرتهم وإعانتهم، ولكن الله جرفهم -بتقديره وتدبيره وحكمته ورحمته- بهذا الطوفان من جند الله الأذلة على المؤمنين الأعزة على الكافرين الذين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم جرفهم فظهرت خياناتهم وتعانوهم ومؤامراتهم ضد أمتهم وأهليهم فأصبحوا من حزب الشيطان أذلة على الكافرين أعزة على المؤمنين ليصبحوا مخذلين ومخذولين ومثبطين جبناء لا يموتون إلا هماً وغماً وحزناً لأن الله ناصر جنده على أعدائه وعلى من يتولهم ممن هما من بني جلدتنا الذين أصبحوا سلما لأعداء الله وحرباً على أوليائه يقتلون أهل الإسلام ويتركون ويسالمون ويعاونون أهل الأوثان.

يقول الدكتور عبد العزيز كامل:" فعندما اختار مجاهدو فلسطين اسم (الأقصى) عنوانا لملحمتهم التاريخية ضد شر البرية، كان حقا كل مسلم أن يوقن بأن المسجد الذي بارك الله حوله، سيتحول التاريخ عنده لصالح أهل الإيمان كما تكرر ذلك طوال الزمان منذ بناه إبراهيم عليه السلام..

** .. كل المؤشرات تؤكد أن معركة طوفان الأقصى ستتمدد وتتطور وتطول، لتتحول من أحداث تخص جزءا صغيرا من فلسطين؛ إلى صدام واسع المدى، له أبعاده العالمية والإقليمية، وكذلك تداعياته الداخلية في الدول المحيطة بكيان الاحتلال.

** وستكون هذه التطورات على هذه المستويات الثلاثة في حال حدوثها -والعلم عند الله- مقدمات لملاحم وصدام عظيم بين عتاة الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين.

فطوفان الأرض المباركة مرشح للتحول إلى ثوران إقليمي حولها، ثم بركان عالمي تتغير موازين القوى حيالها.

★.. فعلى المستويات الداخلية: فإن البلدان المعنية بما كان يسمى ب (الصراع العربي الإسرائيلي) سيجري جر أنظمتها طوعا أو كرها للعودة لذلك الصراع بصور جديدة ، وهو ما سيطيح بمخرجات استراتيجيات السلام الموهوم والتطبيع المزعوم ، خاصة إذا جرى البدء في تنفيذ مخطط (الوطن البديل) للفلسطينيين في سيناء والأردن.

★.. وأما على المستويات الإقليمية.. فإن الهزيمة الإسرائيلية خلال الأيام الأولى لطوفان الأقصى؛ كانت أيضا هزيمة أمريكية، باعتبار أن كيان العدوان هو في الأصل قاعدة عسكرية متقدمة للأمريكان في صورة دولة.

ولأن إيران عدت ما جرى انتصارا لها قبل غيرها؛ فالمترجح التحرش بها واستدراجها للمواجهة من قبل الحشود العسكرية الأمريكية والغربية التي يتوالى وصولها إلى المنطقة.

** ولا شك أن العواصم العربية التي احتلتها إيران، واصطنعت فيها أذرعها العسكرية تحت مسمى (محور المقاومة) في بيروت ودمشق وبغداد وصنعاء؛ ستظل أنظمتها تحت خط النار، إذا ما تقرر كسر شوكة طهران، بعد أن تخطت الخطوط الحمر التي رسمت لها بانضمامها إلى تحالف المعسكر الشرقي الجديد، الجامع بين الأعداء الألداء لأمريكا والغرب، وهم الصين وروسيا وكوريا الشمالية.

★.. وأما على المستويات العالمية: فإن الحشود العسكرية الأمريكية والبريطانية الضخمة، لم تأت لمجرد مساندة عصابات نتنياهو المذعور من هجوم المقاومة الإسلامية، وكذلك فإن إرسال أمريكا ثلاث حاملات طائرات إلى شرق المتوسط بكامل التسليح البري والبحري؛ وبصحبة ٢٠٠٠ مقاتل من قوات المارينز وتجهيز أضعافهم (حتى كتابة هذه السطور)، مع قدوم قوات بريطانية بحرية للدعم اللوجستي، وقول بايدن بأن الحرب ستطول؛ وقول وزير خارجيته بأننا نخوض حربا دينية، كل هذا يدل على أن المخطط أكبر من تل أبيب، وأبعد من غزة..

★ومن الواضح أيضا أن تلك الحشود المتصاعدة المتزايدة؛ ليست مجرد استعراض للقوة الغربية في وجه ما يسمى (محور المقاومة) بزعامة إيران، ولكن المقصود ما وراء إيران اليوم، وهو (محور المعسكر الشرقي الجديد) الآخذ في البروز والتحدي.
لذلك ستظل إيران متحسبة لضربات قاصمة طال تأجيلها، وستبقى روسيا متأهبة لخلط الأوراق بعيدا عن حدودها، والصين كذلك ستراقب متربصة ومتحفزة، بل قد تحرك المسار في جزيرة تيوان، إذا تعرض حلفاؤها الرئيسيون لأي هجوم أو عدوان.
وهذا يعني أن الأمور قد تتدحرج نحو حرب عالمية، سيرى الناس بداياتها، ولا يعلم غير الله نهاياتها..
** أما طوفان الأقصى الذي بدأ ولم تنته تداعياته ونتائجه؛ فلم تتفجر موجاته إلا بعد أن بلغ الظلم المتعدد الأطراف مداه، وهو ما يستدعي جريان سنن الله، في الانتقام من الظالمين.
** فنوح عليه السلام عندما دعا ربه: {أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ} جاء الطوفان العظيم بالانتقام ليبقى تذكرة للمؤمنين {فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٥) [سورة نوح].
وهكذا تجري سنة الله في الأولين والآخرين بهلاك المجرمين: {فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} (الروم/٤٧). (٦٢).
"شواظ" {يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ} [الرحمن: ٣٥]
سياق الآية: سُبقت الآيةُ بقوله تعالى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} [الرحمن: ٣٣] ...).
وفيها تحدي العالَمين من جنٍّ وإنسٍ أن يجاوزوا إرادةِ الله ويُعجزوا قدرته وينفُذوا عما قيدهم به؛ فهم مقيدون بقيد السماوات والأرض؛ فلا يستطيعون النفوذ من أقطارها المضروبة عليهم، وهم أسْراها!

---

٦٢) طوفان الأقصى.. هل يبلغ مداه الأقصى...؟ الدكتور عبد العزيز كامل منشور على صفحته بالفيس بوك.

فمن حاول من الجنُّ فعله-وهم أقدر عليه من الإنس- من النفوذ في أقطار السماوات لاستراق السمع وجمع أخبار الغيوب يواجه ب "شواظ" من نار، وبنحاس.

أما الشواظ؛ فهو اللهب الصافي من الدخان؛ لأنه قد كمل احتراقه، وهو بهذا أشد إحراقاً!

إنها كتل نارية شديدة التلظي!

وأما النحاس؛ فقيل هو بمعنى الدخان، والوجه- على هذا المعنى- في إرسال الشواظ الذي لا يخالطه الدخان، ثم في إرسال الدخان وحده: أن يجتمع عليهم شدة الإحراق بالشواظ مع الاختناق بالدخان؛ كل على حياله!

وقيل: هو بمعنى النحاس الأصفر المعروف: يذاب ويصب عليهم، والله أعلم.

وفي تسمية "المقاومة" لسلاح من أسلحتهم ب"شواظ" توفيقٌ عجيب!

- فهو سلاح يُرسلونه لعقاب شياطين يهود الذين يحاربون دين الله؛ كما يُرسَل شواظ السماوات على شياطينها الذين يحاولون النفوذ من أقطار السماوات والأرض.

- وسلاح القسام "شواظ": كتلة مدمِّرة شديدة الإحراق، تحرق العدو وتدمره بالكلية؛ كما يحرق شواظُ السماواتِ الشياطينَ ويقضي عليها!

- ويعقب انفجارَ "شواظ" في آليات العدو دخانٌ كثيفٌ يخنق من بقي فيه بقيةُ حياةٍ منهم،

أو يذيب الإحراقُ الشديد معدنَ الآليات المدمَّرة فينصب على رؤوس الجند المجرمين؛ فيجتمع عليهم اللهب مع النحاس- على معنييه المحتملين-.

وجميل ختم الآية بترتيب نفي الانتصار على إرسال "الشواظ": {فَلَا تَنْتَصِرَانِ}!

إنه إذا أُرسل عليكما الشواظ هذا والنحاس فإنكما- يا معشر الجن والإنس- لا تنتصران، وما أبعدكما عن النصر والنجاة!

ومن أرسل المجاهدون عليه الشواظ فلا ينتصر بإذن الله ولا ينجو!

إن اختيار اسم الشواظ لسلاح القسام المسلط على شياطين يهود لهو توفيق لاختيار قرآني دقيق!.

وقفة مع قَوْلِه تَعَالَى: ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً [الإسراء: ٣]

الحرب التي يشنها اليهود ويوقدونها بين حين وآخر على كافة الأصعدة وفي كل المجالات، ويسعون في الأرض فسادا، هذه الحرب سببها ومنطلقها ديني.

وهؤلاء قوم استباحوا قتل الأنبياء وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس فسهل عليهم استباحة تحريف الكلم عن مواضعه.

ومن قديم وهم يدسون في تراثنا وفي تراث أمتنا زيغ وكذب وزور على أنبياء الله تعالى.

ومن هذا افترائهم على الخليل سيدنا إبراهيم وتقولهم عليه وعلى زوجته سارة، واشاعتهم أن هاجر أمة سيقت مع الدواب والعبيد، وقولهم إن الذبيح هو إسحاق لا إسماعيل وتقولهم على سيدنا داود وسليمانعليهما السلام، وطمسهم لصفة النبي الخاتم سيدنا محمد ﷺ وغير ذلك من تحريفهم وكذبهم، كل هذا ليسنى لهم اثبات أنهم "شعب الله المختار" بالكذب والزور، وأن العرب هم أصحاب اللعنة.

وفي اختيار المقاومة تسمية معركتها "طوفان الأقصى" ما يجعلنا نتذكر طوفان سيدنا نوح عليه السلام ليكون طوفاناً يجرف سيل الكذب والزور ودعاية الفجور.

ويجرف مستنقع النفعية والانتهازية والافساد في عموم الأرض، ويوقف دعايات المثلية والنسوية، ونفايات الغرب تحت الرايات الحمراء والسوداء المرفوعة باسم الإنسانية وحقوق الطفل والمرأة وحرية الفكر والكفر والالحاد والاسهال المصطلحي الذي يخرج من شر وعاء لبطن الحضارة الغربية، والتي احتل عقلها وقلبها وسلوكها أحط البشر وحثالة الأمم فيما يشبه أن يكون علواً كبيراً في الإثم والعدوان والفحشاء والمنكر والبغي، لا يطهره ولا يغسله إلا طوفان رجاله" عباد للرحمن" في محيط عربي تلوث بهذه النفايات.

رجاله من ذرية المصطفين الأخيار ذرية من حملنا مع نوح وأتباع محمدﷺ، المؤمنين بكل الأنبياء غير مفرقين بين أحد من رسله "رجال" من القائمين على الحق.

وفي قصة سيدنا نوح عليه السلام دليل على كذبهم وافترائهم ولعل في ذكره في سورة الإسراء مناسبة تامة حيث ذكره الله بصفة سائر أنبيائه وأصفيائه وهي صفة العبودية قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وبالعبودية نعت كل من اصْطفى من خلقه فِي قَوْله [٤٥-٤٧ ص]: {وَاذْكُر عبادنَا إِبْرَاهِيم وَإِسْحَاق وَيَعْقُوب أولي الْأَيْدِي والأبصار* إِنَّا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدَّار * وَإِنَّهُم عندنَا لمن المصطفين الأخيار} وَقَوله [١٧ ص]: {وَاذْكُر عَبدنَا

دَاوُد ذَا الأيد إِنَّه أواب}. وَقَالَ عَن سُلَيْمَان [٣٠ ص]: {نعم العَبْد إِنَّه أواب}. وَعَن أَيُّوب [٤٤ ص]: {نعم العَبْد}. وَقَالَ عَنهُ [٤١ ص]: {وَاذْكُر عَبدنَا أَيُّوب إِذْ نَادَى ربه}. وَقَالَ عَن نوح ﷺ[٣ الْإِسْرَاء]: {ذُرِّيَّة من حملنَا مَعَ نوح إِنَّه كَانَ عبدا شكُورًا}. وَقَالَ عَن خَاتم رسله [١ الْإِسْرَاء]: {سُبْحَانَ الَّذِي أسرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا من الْمَسْجِد الْحَرَام إِلَى الْمَسْجِد الْأَقْصَى}- وَهُوَ أولى الْقبلَتَيْنِ، وَقد خصّه الله بِأَن جعل الْعِبَادَة فِيهِ بخمسمئة ضعف، وَالْمَقْصُود بمضاعفة الْحَسَنَات هُوَ الْمَسْجِد الَّذِي حرقه الْيَهُود، عَلَيْهِم لعنة الله، ويظن الْبَعْض أَن الْمَسْجِد الْأَقْصَى هُوَ الصَّخْرَة والقبة المحيطة بهَا، وَلَيْسَ كَذَلِك - وَقَالَ [١٩ الْجِنّ]:{وَأَنه لما قَامَ عبد الله يَدعُوهُ} وَقَالَ [٢٣ الْبَقَرَة] : {وَإِن كُنْتُم فِي ريب مِمَّا نزلنَا على عَبدنَا} وَقَالَ [١٠ النَّجْم] : {فَأوحى إِلَى عَبده مَا أوحى} وَقَالَ [٦ الْإِنْسَان] :{عينا يشرب بهَا عباد الله} وَقَالَ [٦٣ الْفرْقَان] :{وَعباد الرَّحْمَن الَّذين يَمْشُونَ على الأَرْض هونا} وَمثل هَذَا كثير مُتَعَدد فِي الْقُرْآن»(٦٣).

والآية في سورة الإسراء جاءت للرد على «زعم اليهود في كتابهم أن نوحاً ﷺ ، شرب الخمر وتعرَّى داخل خبائه، وفي هذا قالوا في (سفر التكوين) (٩/ ٢٠): (وابتدأ نوح يكون فلاحاً، وغرس كرماً وشرب من الخمر وتعرَّى داخل خبائه). هكذا وصفوا نبي الله نوحاً ﷺ، وهو أول أنبياء الله إلى المشركين، والذي دعا قومه إلى دين الله ألف سنة إلا خمسين عاماً، كما ذكر الله ﷻ حيث قال: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ [العنكبوت: ١٤] وامتنَّ الله على بني إسرائيل أنهم ذرية ذلك العبد الصالح نوح عليه السلام، فقال جلَّ وعلا: وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا [الإسراء:٢ - ٣] فامتنَّ الله على بني إسرائيل بنسبتهم إلى ذلك العبد الصالح، واليهود يصفونه بتلك النقيصة، وما ذلك منهم إلَّا خدمة لأهوائهم وأغراضهم التي تتضح من بقية كلامهم في القصة نفسها، حيث يقولون بعد الكلام السابق في (سفر التكوين) (٩/ ٢٢): (فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه، وأخبر أخويه خارجاً، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء فلم يبصرا

٦٣) العبودية (ص٧٩)

عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير. فقال: ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته).

فيتضح من هذا النص أن مقصد اليهود منه لعن "الكنعانيين" الذين كانوا أعداءً لبني إسرائيل، كما أن فيه خطأً ظاهراً من ناحية أن حام هو الذي أبصر عورة أبيه حسب النص السابق، فلماذا يلعن ابنه كنعان، مع أن لحام أبناءً آخرين غير كنعان، فإن اليهود قالوا في (سفر التكوين) (١٠/ ٦): (وبنو حام كوش ومصرايم ونوط وكنعان). فلماذا خص كنعان من بين إخوته؟ ما ذلك إلا لهدف خاص في نفوسهم، وهو لعن الكنعانيين أعدائهم، ولو كان بالافتراء على الله عز وجل وعلى نبيه نوح عليه السلام»(٦٤).

هذه نبذة وتذكير بعقائد القوم المكذبين، والتي كذبها القرآن في آية سورة الإسراء، وقد جاءت الآية في موقعها من سورة الإسراء بإثبات عبودية سيدنا نوح عليه السلام كإخوانه من الأنبياء ومنة الله عليه وعلى ذريته بإنجائهم ونفي الشبهة عنه.

والرد كان بما يتناسب مع افترائهم وكذبهم وادعائهم أنهم" شعب الله المختار " وهو ادعاء كان مبناه على هذه الفرية.

قال البقاعي :«{ذرية من حملنا} أي في السفينة بعظمتنا، على ظهر ذلك الماء الذي طبق ما تحت أديم السماء، ونبه على شرفهم وتمام نعمتهم بقوله تعالى: {مع نوح} أي من أولاده وأولادهم الذين أشرفهم إبراهيم الذي كان شاكراً ثم إسرائيل عليهما السلام، لأن الصحيح أن من كان معه من غيرهم ماتوا ولم يعقبوا، ولم يقل: ذرية نوح، ليعلم أنهم عقب أولاده المؤمنين لتكون تلك منة أخرى؛ ثم نبه على تقواه وإحسانه حثاً على الاقتداء به بقوله: {إنه كان} أي كوناً جبلياً {عبداً شكوراً *} أي مبالغاً في الشكر الذي هو صرف جميع ما أنعم الله به فيما خلقه له فأحسن إليه لشكره بأن جعل في ذريته النبوة والكتاب كما فعل بإبراهيم عليه السلام لأنه كان شاكراً، فاقتدوا بهذين الأبوين العظيمين

---

٦٤) انظر «دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية» لسعود بن عبد العزيز الخلف (ص١٠٨)، وموسوعة الملل والأديان موقع الدرر السنية (١/١٣٤) والموسوعة العقدية موقع الدرر السنية (٣/٤٢١) انظر هذه الفرية البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح (ص٢٨١) لمؤلفه: زيادة الراسي (ق ١١) كان حياً خلال القرن الحادي عشر الهجري، يظهر أنه من أهل الشام، كان نصرانياً (والظاهر أنه كان من علمائهم)، ثم هداه الله تعالى للإسلام.

في الشكر يزدكم، ولا تقلدوا غيرهما في الكفر يعذبكم، وخص نوحاً عليه السلام لأنه ما أملى لأحد ما أملى لقومه ولا أمهل أحداً ما أمهلهم، ثم أهلكهم أجمعين»(٦٥)

وقال الطاهر بن عاشور: «افْتُتِحَتْ سورة الإسراء بِمُعْجِزَةِ الْإِسْرَاءِ تَوْطِئَةً لِلتَّنْظِيرِ بَيْنَ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ وَشَرِيعَةِ مُوسَى عليه السلام عَلَى عَادَةِ الْقُرْآنِ فِي ذِكْرِ الْمُثُلِ وَالنَّظَائِرِ الدِّينِيَّة، ورمزا إِلَيْهَا إِلَى أَنَّ اللَّهَ أعْطى مُحَمَّدًا ﷺ مِنَ الْفَضَائِلِ أَفْضَلَ مِمَّا أَعْطَى مَنْ قَبْلَهُ، وَأَنَّهُ أَكْمَلَ لَهُ الْفَضَائِلَ فَلَمْ يَفُتْهُ مِنْهَا فَائِتٌ. فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَحَلَّهُ بِالْمَكَانِ الْمُقَدَّسِ الَّذِي تَدَاوَلَتْهُ الرُّسُلُ مِنْ قَبْلُ، فَلَمْ يَسْتَأْثِرْهُمْ بِالْحُلُولِ بِذَلِكَ الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ مَهْبِطُ الشَّرِيعَةِ الْمُوسَوِيَّةِ، وَرَمْزُ أَطْوَارِ تَأْرِيخ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَسْلَافِهِمْ، وَالَّذِي هُوَ نَظِيرُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي أَنَّ أَصْلَ تَأْسِيسِهِ فِي عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فَأَحَلَّ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ بَعْدَ أَنْ هُجِرَ وَخُرِّبَ إِيمَاءً إِلَى أَنَّ أُمَّتَهُ تُجَدِّدُ مَجْدَهُ.

وَأَنَّ اللَّهَ مَكَّنَهُ من حرمي النبوة وَالشَّرِيعَةِ، فَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى لَمْ يَكُنْ مَعْمُورًا حِينَ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ وَإِنَّمَا عُمِّرَتْ كَنَائِسُ حَوْلَهُ، وَأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَحْفَظُوا حُرْمَةَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، فَكَانَ إِفْسَادُهُمْ سَبَبًا فِي تَسَلُّطِ أَعْدَائِهِمْ عَلَيْهِمْ وَخَرَابِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى. وَفِي ذَلِكَ رَمْزٌ إِلَى أَنَّ إِعَادَةَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى سَتَكُونُ عَلَى يَدِ أُمَّةِ هَذَا الرَّسُولِ ﷺ الَّذِي أَنْكَرُوا رِسَالَتَهُ.

وقوله تعالى «حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ»، مَقْصُودٌ بِهِ تَحْرِيضُهُمْ عَلَى شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَاجْتِنَابِ الْكُفْرِ بِهِ بِاتِّخَاذِ شُرَكَاءَ دُونَهُ.... وَجُمْلَةُ إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً مُفِيدَةٌ تَعْلِيلَ النَّهْيِ عَنْ أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَكِيلًا، لِأَنَّ أَجْدَادَهُمْ حُمِلُوا مَعَ نُوحٍ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لِنَجَاتِهِمْ مِنَ الْغَرَقِ وَكَانَ نُوحٌ عَبْدًا شَكُورًا وَالَّذِينَ حُمِلُوا مَعَهُ كَانُوا شَاكِرِينَ مِثْلَهُ، أَيْ فَاقْتَدُوا بِهِمْ وَلَا تَكْفُرُوا نِعَمَ اللَّهِ.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنْ تَمَامِ الْجُمْلَةِ التَّفْسِيرِيَّةِ فَتَكُونُ مِمَّا خَاطَبَ اللَّهُ بِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهَا مُذَيِّلَةٌ لِجُمْلَةِ وَآتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَيَكُونُ خِطَابًا لِأَهْلِ الْقُرْآنِ.

٦٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١/ ٣٠٢)

وَاعْلَمْ أَنَّ فِي اخْتِيَارِ وَصْفِهِمْ بِأَنَّهُمْ ذُرِّيَّةُ مَنْ حَمَلَ مَعَ نُوحٍ ﷺ مَعَانِي عَظِيمَةً مِنَ التَّذْكِيرِ وَالتَّحْرِيضِ وَالتَّعْرِيضِ لِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ ذُرِّيَّةِ سَامِ بْنِ نُوحٍ وَكَانَ سَامُ مِمَّنْ رَكِبَ السَّفِينَةَ.

وَإِنَّمَا لَمْ يَقُلْ ذُرِّيَّةَ نُوحٍ مَعَ أَنَّهُمْ كَذَلِكَ قَصْدًا لِإِدْمَاجِ التَّذْكِيرِ بِنِعْمَةِ إِنْجَاءِ أُصُولِهِمْ مِنَ الْغَرَقِ، وَفِيهِ تَذْكِيرٌ بِأَنَّ اللَّهَ أَنْجَى نُوحًا وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْهَلَاكِ بِسَبَبِ شُكْرِهِ وَشُكْرِهِمْ تَحْرِيضًا عَلَى الِائْتِسَاءِ بِأُولَئِكَ.

وَفِيهِ تَعْرِيضٌ بِأَنَّهُمْ إِنْ أَشْرَكُوا لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ عَذَابٌ وَاسْتِئْصَالٌ، كَمَا فِي قَوْلِهِ:(قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ) [هود: ٤٨].

وَإِنْجَاءُ اللَّهِ إِيَّاهُ نِعْمَةٌ عَلَيْهِ، وَإِنْجَاءُ أَهْلِهِ نعْمَة أُخْرَى، وإهلاك ظَالِمِيهِ نِعْمَةٌ كُبْرَى، وَجَعْلُ عُمْرَانِ الْأَرْضِ بذريته نعْمَة دائمة لِأَنَّهُمْ يَدْعُونَ لَهُ وَيُذْكَرُ بَيْنَهُمْ بصَالِحُ أَعْمَالِهِ وَذَلِكَ مِمَّا يَرْحَمُهُ اللَّهُ لِأَجْلِهِ» (٦٦).

ولقد كان "طوفان الأقصى " في أحد تجلياته لمحو سيل الكذب وجرفه من عقول البشر بعد هزة عنيفة زلزلت أركان الزور والبهتان بالحديث عن "معاداة السامية " و"المظلومية " لكسب تعاطف الناس وجرف ادعاءات "الجيش الذي لا يقهر " و"جيش الأخلاق" ودولة الديمقراطية لتظهر سوءاتهم وخسة طبعهم التي لم تتغير عبر التاريخ فهم أهل غدر وخيانة ونهب وسلب سماعون للكذب أكالون للسحت يسعون في الأرض فساد يوقدون نار الحروب وبالجملة لا يوجد عندهم غاية نبيلة ولا وسيلة شريفة قاتلهم الله أني يأفكون.

بشريات قرآنية محكمة

«المسلم يؤمن بالله وبرسوله وبالقرآن الذي نزل على رسوله، ويعرف أن البشائر التي في القرآن بشائر صدق، وأن آياته كلها حق.

والله تعالى يقول في شأن هؤلاء اليهود: {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ}. [آل عمران: ١١٢].

---

٦٦) التحرير والتنوير (١٥/ ٧، ٢٦) (٢٣/ ١٣١)

ويقول في شأنهم: {وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ} [المائدة: ٦٤].

ثم الله يحكم عليهم حكمًا أبديًا {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٧) وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا} [الأعراف: ١٦٧، ١٦٨].

يقول الشيخ أحمد شاكر ﵀:«هذه صواعق من الله تنصبّ على رؤوس أعدائكم، وعلى رؤوس حملتهم، هذا وعد الله لكم بنصركم عليهم، والله منجز وعده، وحسب أعدائكم عهد بلفور، وهو وقومه واليهود أعجز من أن يفوا بعهده، بل هم أعجز من أن يخلفوه؛ لأن الله هو الذي يتولى إخلافه بأيديكم وأيدي أعدائكم. {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} [سورة محمد ٣٥].

إن هؤلاء الأذلاء كتب الله عليهم الجلاء، فقد أجلاهم النبي ﷺ عن المدينة وأرباضها، ثم جلاهم الفاروق من الحجاز، ثم سكت عنهم المسلمون، بل حموهم حين رأوهم مضطهدين مستضعفين، فلما عادوا سيرتهم من البغي والعدوان، أعادهم الله سيرتهم من الجلاء، فجلاهم الألمان والطليان عن بلادهم، وستكون عاقبة أمرهم - إن شاء الله - أن يجليهم المسلمون عن كل بلاد الإسلام.

إن أوربة لم تتمكن من دول الإسلام في فترة ضعفهم إلا حين أرهبتهم بغول التعصب، حتى صار كل مسلم يتخاذل عن دينه وعن شريعته، خشية أن يُتهم بالتعصب، ثم ألقت بينهم بدعة القوميات، لتفتنهم عن وَحْدَتهم وقُوَّتِهم» (٦٧).

ويقول على الطنطاوي ﵀:«المعركة — هنا-: في فلسطين، والسلاح هو الدم والنار والحديد...هذا هو الطريق، قد وضعتم الآن أقدامكم عليه فسيروا قدماً. اضربوا ضربة الحق، ودعوا اليهود يشتكون هم إلى مجلس الأمن، فلقد كنا في المدرسة نحتقر التلميذ الذي لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الشر فيذهب باكياً إلى المعلم، فيقول بصوت رخو، وعين دامعة، وشفة مقلوبة: «أستاذ، هاد ضربني».

يا أيها الناس، ألم تشعروا -بعدُ- أننا في حرب مع أعداء الله: اليهود؟

٦٧) جمهرة مقالات أحمد شاكر (٢/ ٦٩٧)

فهل سمعتم أن أمة تعيش الحرب كما كانت تعيش السلم؛ لا تدع شيئاً من لهوها ولعبها، وسرفها وترفها؟.

هل سمعتم أن أمة تعطي مالها لعدوها، تعينه به على نفسها، وتشتري له به السلاح ليوجّهه إلى صدور أبنائها؟.

فما لكم ما نقصتم شيئاً من لهوكم ولعبكم؟.

ما لكم تعطون أموالكم عدوكم، تشترون بها ما لا ينفعكم ولا يفيدكم؟.

لم لا تستغنون عن «الكماليات» لتشتروا بأثمانها السلاح؟.

لم لا يبذل أغنياؤكم من حرّ أموالهم ما يهدون به الطيارات والدبابات والمدافع إلى جيش البلاد، فتسمى الطيارة أو الدبابة باسم مهديها، فتبقى له ذكراً وفخراً، وتكون له للآخرة ذخراً، وينال بها عند الله أجراً...

من الذين كانوا منقسمين على أنفسهم في فلسطين يوم كان زعماء اليهود متحدين ... من الذين كانوا يبتغون لذائذ الزعامة وقصورها وبذخها وولائمها ورحلاتها يوم كان زعماء اليهود لا ينفقون قرشاً في غير السلاح والعتاد ... من الذين كانوا يملؤون الدنيا كلاماً فيكشفون أسرارهم للقريب والبعيد يوم كان زعماء اليهود يستعدون صامتين ... من الذين عملوا لأطماعهم وشهوات نفوسهم يوم كان زعماء اليهود لا يعملون إلا لقضيتهم وحدها ... من الذين كانوا لعبة في أيدي أميركا وإنكلترا يوم كان زعماء اليهود يلعبون بإنكلترا وأميركا ...فهل اعتبر هؤلاء الآن!

هل علموا أنهم ضلوا إذ عصوا «دريد» العصر، فارس الخوري، حين أمرهم أمره بِ «منعرج اللوى»؟ وأن مدافع المبطل تضيع معها خطب المحق فلا تسمع؟ وأن الدنيا لمن غلب؟

هل اعتبروا الآن وفهموا؟

فماذا ينتظرون؟ أليست فلسطين لنا؟ أليست ديارنا؟ أليس الصهيونيون لصوصاً غاصبين؟ فإلى متى يبيت صاحب البيت في الشارع والمسدس في يده واللص ينام في البيت على السرير؟ أتريدون أن نصير معرة تاريخ العرب وأن يلعننا الأحفاد؟ (٦٨).

الطريق إلى النصر والتمكين

---

٦٨) مقالات في كلمات» (ص٥٤، ٦٣، ١٣٩)

يقول عماد الدين خليل: "إن الغزو الاستعماري، أيا كان لونه، لابد من أن يؤول إلى الانحسار مهما طال الزمن، وأن يستعيد المغلوب حقه كاملا شرط أن يتحقق بعوامل الانتصار، وهي كثيرة ومتشعبة لكن أبرزها ولا ريب اثنان:

(*) حماية الذات الحضارية من التفكك والذوبان والدمار.

(*) وتوفر القيادة الصالحة التي تتعاطف مع الجماهير وتعرف كيف تقودها إلى مشارف النصر (٦٩).

وهذا معناه وعي وسعي علم وعمل إيمان وعمل صالح اجتهاد وجهاد، توحيد ويقين وتوكل على الله مع السعي في حاجات الناس وحمايتهم من موبقات الأفكار والأعمال. والبحث يعتبر كله في بيان العنصرين والثاني منهما بالأخص والذي تجتمع فيه القيادة والجماهير من أجل فاعلية المقاومة والتأثير من خلال البيان القرآني والسنة النبوية.

وأما حماية الذات الحضارية للأمة وهو العنصر الأول فنشير إليه فيما يلي:

(١) المضمون الحضاري لدولة الدعوة «الحق»:

فلكل حضارة مضمون.. والحركة صانعة الحضارة.. والحق هو مضمون الحركة الإسلامية وحضارتها، ومن هنا يتحدد مقتضى الحق كمضمون للحضارة الإسلامية الذي تنشأ عنه خصائصها المستمدة من حركتها من البداية؛ لتكون هذه الخصائص:

- العدل: متمثلًا في الوحدة في معايير السلوك، وفي معايير التعامل {كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ} [النساء:١٣٥]، {كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ} [المائدة: ٨].

- العالمية: فإن الحق الذي تتبناه الحضارة يجب أن يستوعب الواقع البشري جميعًا..

- البقاء: فإن مقتضى الحق الاستمرارية «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»..

- القوة: فالحق مقتضاه من حيث التعامل السيطرة والظهور.. {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ} [الصف:٩]، من أجل ذلك تصبح القوة التي تفرض بها هذه السيطرة هي أهم مقتضيات الحق باعتبارها أداة تحقيق كل المقتضيات. (٧٠).

---

٦٩) مقدمة كتاب الطريق إلى فلسطين للدكتور عماد الدين خليل. طبعة أولى دار وائل الأردن ٢٠٠٨م .

٧٠) التصور السياسي للحركة الإسلامية (٧/ ٨)

(٢) الاختصاص الحضاري للأمة الإسلامية:

باعتبار أن الأمة الإسلامية هي آخر الأمم وأن هذا زمانها القدري (٧١)، وأن مجالها القدري هو الأرض كلها؛ والبشر جميعهم فإن هذه الأمة باقية إلى قيام الساعة فكانت أوجه الاختصاص المتعلقة بهذه الحقيقة متعددة وأهمها:

(*) بقاء المضمون المنهجي للحضارة الإسلامية من خلال قدر الله بحفظ القرآن الكريم، كما قال سبحانه: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)، ومن خلال رجال الحديث الذين حفظوا السنة بصورة بشرية خارقة بلغت حد المظاهرة القدرية المباشرة التي لم تحدث في أي أمة من الأمم.

(*) بقاء المثال الواقعي لهذا المضمون المنهجي وهو جماعة الحق إلى قيام الساعة وهي الطائفة التي قال النبي ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ».

وكما أن هذه الأمة باقية إلى نهاية الزمان فإن لها هي الأخرى نهاية وذلك لحتمية النهاية لكل الأمم مما أنشأ اختصاصا آخر لهذه الأمة وهي أن هذه الأمة لا تهلكها أمة أخرى لأنها اخر الأمم بل يهلك بعضها بعضاً، كما قال النبي ﷺ: (هذه الأمة يهلك بعضها بعضا) (٧٢) وهذا الاختصاص كان هو العلة التي لم يستجب لأجلها الله ﷻ لدعاء النبي ﷺ للهم لا تجعل بأسهم بينهم شديد فلم يستجب لي (٧٣).

---

٧١) بدليل قول النبي ﷺ:(مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا، فقال: من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ ألا فعلت اليهود ثم قال: من يعمل لي من صلاة الظهر إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ ألا فعلت النصارى ثم قال: من يعمل من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين ألا فأنتم الذين عملتم فغضب النصارى واليهود وقالوا: نحن أكثر عملا وأقل عطاء؟! قال هل ظلمتكم من أجركم شيئا؟ قالوا: لا. قال: فإنما هو فضلي أوتيه من أشاء). رواه أحمد وقد رواه البخاري برواية قريبة منه وأورد ابن كثير الروايتين في تفسير قول الله تعالى في سورة الحديد:(يأيها الذين أمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم) [الحديد: ٢٨]، بدليل قول الله ﷻ: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) [الأنبياء: ١٠٧]،وقول النبي ﷺ:(وكل نبي لقومه خاصة وبعثت للناس كافة)

٧٢) مسلم الفتن (٢٨٨٩)، (٢٨٩٠) من حديث ثوبان ﷺ .

٧٣) قدر الدعوة (٦/ ٢٠)

وقد جاء في رواية لحديث الطائفة المنصورة: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ».

قال ابن العربي: إن ذلك- أي امتناع عيسى من التقدم للإمامة - إبقاء لشريعة النبي ﷺ واتباع له، وإسخان لأعين النصارى، وإقامة الحجة عليهم (٧٤)

والملاحظة الأساسية في هذا النص أن امتداد الطائفة سيبقى حتى قتال الدجال مع عيسى ابن مريم.. ليتحدد بذلك المعيار التاريخي للحق من خلال الصراع بين عيسى ابن مريم والدجال، وليتأكد بذلك قيام الأمة بحجة الله على البشر بالجهاد.

فجميع النصوص التي ورد فيها ذكر «عيسى» تحدِّد التصور الإسلامي عنه من خلال حقيقة الوحي والإقرار به، مثبتةً لبشريته ونبوته.{ إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [آل عمران: ٥٩].

والآيات تتضمن الاعتقاد الذي ينفرد به المسلمون في المسيح ﷺ.. فهم وحدهم الذين يعتقدون أن الحواريين آمنوا به نبيًّا ورسولًا.. وهم وحدهم الذين يعتقدون أن الله نجاه من مكر اليهود ورفعه إليه، وهم وحدهم الذين يعتقدون أن الذين اتبعوه ممن جاء بعده- وهم المسلمون-سيظلون ظاهرين على أعدائهم بالحجة والبيان، والسيف والسنان.

وأخيرًا! هم وحدهم الذين يعتقدون أن خلق عيسى مشابه لخلق آدم، من حيث تَوَجُّه الأمر الإلهي «كن» إليه بينما يعتقد اليهود المغضوب عليهم أنه ابن زنا.. ويعتقد النصارى الضالون أنه ابن الله.. !! تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا..

{وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} [الزخرف: ٦٣]. والأمة الإسلامية هي الأمة الوحيدة التي تكونت نظريتها السياسية من خلال منهجها مع بداية نشأتها حتى تمام تلك النشأة.

والأمة الإسلامية.. هي الأمة التي لم ينقطع وجودها التاريخي لحظة واحدة على هذه الأرض وهو ما يدل عليه حديث الطائفة المنصورة وغيره من النصوص.

والأمة الإسلامية هي الأمة ذات المضمون الحضاري المطلق.. وهو الحق (٧٥)..

---

٧٤) عارضة الأحوذي (٩/ ٧٨)

٧٥)المسيح بن مريم .. تصور سلفي (ص: ٤٧٨،٣٧٧) التصور السياسي للحركة الإسلامية (ص ٩) بتصرف

الوعد الكاذب وصفعة القرن

حينما نستفتح الكلام عن حديث "الطائفة المنصورة" وموضوع أهل الرباط يواجهنا حقيقة وهي كثرة المؤامرات والكيد، وخطورة المتآمرين وتنوعهم وهو مكر وصفه الله تعالى بقوله {وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ } [إبراهيم: ٤٦، ٤٧].

ونحن ننبه لوصل الآية لقرأ جملة واحدة هكذا (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ).

لتعلم أن الله تعالى هو نعم المولى ونعم النصير وليتجدد إيماننا بالله وحده في كل لحظة تتوارد علينا فيها المؤامرات والخذلان والمناوأة والعداوة وهذا الإيمان هو صخرة الدفاع ومعراج الأمة للعز والتمكين وهو باب الرضا عن الله في كل ما قدر بصدق التوجه إليه والتوكل عليه، لتحمل الأمانة ولنتحمل المتاعب والمصاعب في مثل ما عاش في مثله أصفياء الله من الأنبياء والأولياء والصديقين والشهداء.

وهو باب لزيادة المحبة للرسول ﷺ وتصديقه فيما وعد به وأخبرنا عنه من غلبة المؤمنين على قلتهم واصطفاء الله لهم بقوة إيمانهم وجهادهم ورباطهم ولذا شرفهم بأن نسبهم إليه وإلى أمته فقال (طائفة من أمتي) وهذا ما يدعو إلى اتباعه والتمسك بسنته فهو قدوتنا في الجهاد وأسوتنا في الصبر وتحمل الأذى.

ولذا سيدور حديثنا عن (الطائفة المنصورة بين وعد الصدق (ظاهرين على الحق) ووعد الكذب (صفقة القرن).

فإن المسجد الأقصى وبيت المقدس والأرض المباركة هي الأرض الموعودة بالصراع في نهاية الزمان وهي جزء من الشام.

وقد تعرضت عبر التاريخ للهدم والتخريب والاحتلال والاعتداء بما لم تتعرض له مدينة، فخلال تاريخها الطويل، تعرضت القدس للتدمير مرتين، وحوصرت ٢٣ مرة، وهوجمت ٥٢ مرة، وتمّ غزوها وفقدانها مجددًا ٤٤ مرة.

ومن ضمن هذه المؤامرات "الوعود" الكاذبة، والتي تعود في أصلها إلى الكذب والادعاء بنسبتها إلى الكتاب المقدس بعهديه القديم والحديث.

ومن هذه الوعود " وعد بلفور" وهي السبب في تمكين اليهود الغاصبين من "وطن قومي" بالكذب والزور والبهتان في بداية القرن الماضي، ومنها "صفقة القرن" بتهجير من تبقى من أهل فلسطين خارج الأرض المباركة المقدسة وهذه هي مؤامرة القرن الحالي بعد مائة عام تقريباً من وعد الكذب، والتي يتواطؤا فيها الغرب مع اليهود ويشاركهم من العرب أقوام زاغوا عن دينهم وعن عروبتهم، بل وعن انسانيتهم لتحقيق نبوءات تقوم على الكفر بالله والتفريق بين الله ورسوله والكذب والظلم والخيانة.

وهذه بشريات نصرة أهل الحق المرابطين ببيت المقدس وأكنافه، والتي هي جزء من الطائفة القائمة على أمر الله والتي تتعدد فيها أعمال هذه الطائفة، وأصناف رجالها ما بين مجاهدين وعلماء وفقهاء وساسة وغيرهم، ممن يدافعون عن الدين وعن المسلمين بألسنتهم وأيديهم وأموالهم ومواقفهم وبيانهم، وهم قائمون على أمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ثباتاً على الحق مع الظهور والغلبة والنصر والقهر لعدوهم.

وقد تواترت الروايات والأخبار على بشريات النصر للطائفة المنصورة بأطراف بيت المقدس وأكنافه والمحاصرة منذ سنوات ليس للاحتلال عليها سلطان لأن الله وعدنا على لسان نبيه ﷺ بأن هذه الطائفة لن تبرح مكانها ولا تزال على النصر والقهر لعدوها وهي كذلك، ولن يضرها من خذلها ولا من خالفها، وهذا أمر ظاهر مشتهر والضرر الذي يصيبها بعد تكالب الأعداء والمنافقين عليها هو ضرر بسيط في مقابل الأثر الكبير الذي يؤلم أعدائها ويغيظهم بل ويقهرهم وقوله ﷺ "لَا يَضُرُّهُمْ" معناه كُلَّ الضَّرَرِ، وَقَدْ أَضَرَّ الْكُفَّارَ يَوْمَ أُحُدٍ بِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمَّا كَانَتِ الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى لَمْ يَعُدْ ذَلِكَ ضَرَرٌ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُصِبْهُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَى الْيَوْمِ غَضَاضَةٌ وَلَا هَوَانٌ، بَلْ كَانَ لَهُمُ النُّصْرَةُ وَعَلَى عَدُوِّهِمُ الدَّبْرَةُ، والْفِئَةَ الْمَوْعُودَةَ لَهُمْ بِالنَّصْرِ هُمُ الْجُيُوشُ الْغَازِيَةُ بِهَا »(٧٦).

٧٦) إرشاد الساري (٦/ ٧٥)شرح المشكاة للطيبي (١٢/ ٣٩٦٧)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٤٠٤٧)

وقد روي عن جمع من الصحابة ﷺ قوله ﷺ«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي[عَلَى الدِّينِ][عَلَى الْحَقِّ(٧٧)] قَوَّامَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِ، ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ[عَلَى مَنْ يَغْزُوهُمْ(٧٨)][ظَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ] قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ ولَا يُبَالُونَ مَنْ خذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ نَصَرَهُمْ، [إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ] حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ، يُزِيغُ اللهُ لَهُمْ قُلُوبَ أَقْوَامٍ فَيُقَاتِلُونَهُمْ وَيَرْزُقُهُمْ اللهُ مِنْهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تبارك وتعالى وَيَنْزِلَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ﷺ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمْ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ» «وَعُقْرُ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ»[قِيلَ]: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَيْنَ هُمْ ؟ قَالَ: بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ] (٧٩).

ومن البشريات الكثيرة أن هذه الطائفة ومدينة "غزة العزة" التي يتحصنون بها ويقع القصف على أهلها، لن يبرحوا مكانهم ولن يزولوا عنه مهما كان المال المرصود لذلك، ومهما كانت المؤامرات التي تحاك لتحقيق هذا الوعد الكاذب "صفقة القرن" وهي في الحقيقة صفعة القرن التي نقولها تصديقاً لوعد الله وبشرى رسوله ﷺ.

وموضوع تهجير أهل غزة متداول رصدت له ميزانيات وأموال طائلة، وتأمرت عليه أنظمة ودول، ويتردد في أيامنا تحت اسم "صفقة القرن ".

وبدأ هذا الأمر سراً ولم يعلنه أحد بل كانوا يتهربون من الإجابة إذا سألوا عنه أو ينفونه، ولكن علت الأصوات به من شراذم اليهود وأوباش الغرب والعرب خاصة بعد طوفان الأقصى.

لكن هل هذا ممكن ..؟ وهل سيقع فعلا تهجير ما يزيد على مليونين من البشر من أهل غزة؟

٧٧) المعجم الكبير: (٨ / ١٤٥) برقم: (٧٦٤٣)

٧٨) المعجم الكبير: (٨ / ١٤٥) برقم: (٧٦٤٣)

٧٩) هذا حديث متواتر روي عن عدد كبير من الصحابة، وأخرجه أكثر المحدثين في تصانيفهم منهم البخاري (٣٦٤٠، ٧٤٥٩، ٧٣١١، ٣٦٤١)، ومسلم (١٩٢٤، ١٩٢٣، ١٩٢٠، ١٠٣٧، ١٧٤)، وأحمد (٢ ٣٢١ و٣٤٠ و٣٧٩) و (٣ ٦ ٤٣٦) و (٤ ٩٧ و١٠١) و (٥ ٣٥ و٢٧٩)، وابن الجعد في مسنده (١٠٧٦)، وأبو داود (٢٤٨٤)، وابن ماجه (٦ ـ ١٠)، والترمذي (٢١٩٢ و٢٢٢٩)، وأبو يعلى (٦٤١٧ و٧٣٨٣)، وابن حبان (٦١ و٦٨٣٤ و٦٨٣٥)، والطبراني في الأوسط (٧٤)، وفي الكبير (٢٠٠١ و٦٣٥٧ و٧٦٤٣) و (١٧ ٣١٤ ح ٨٦٩ و٨٧٠) و (١٩ ح ٨٠١ و٨٧٠ و٨٩٣)، و (٢٠ ح ٩٦٠ ـ ٩٦٢)، وفي مسند الشاميين (٥٧ و٨٦٠ و١٥٦٣)، والحاكم (٨٣٨٩) والشهاب في مسنده (٩١٣ و٩١٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٨٦٠٥)، وغيرهم

وللجواب على هذا يستلزم النظر في جوانب :-
وهي الجانب التاريخي ثم الجانب السياسي ثم الجانب الجغرافي وكلها متأثرة بالجانب الديني وهو أهم الجوانب وأولاها بل وأولها وهو موضوع حديثنا.
وبداية: نقرر أن التهجير لشعب بأكمله صعب إن لم يكن مستحيل وتتأكد الاستحالة إذا كان التهجير لأمة تعتبر القتال دون الدار شهادة في سبيل الله فهذا شيء لا ولن يقع، بل وليس وارداً في نقاش، فإذا أضفت لهذا أن هذه الديار في مكان موصوف بالأرض المباركة و"أرض المحشر والمنشر" و"الأرض المقدسة" و"أرض بيت المقدس" و" خير مهاجر" وغيرها من الأوصاف التي نطق بها نصوص الوحي فإننا نستبعد ذلك ونعده ضرباً من الخيال والمحال.
فضلاً عن أن هذا المحتل الغاشم مغتصب، وليس له حق أصلاً ولم يستطع فعل ذلك -بمحاولاته الكثيرة- منذ عشرات السنين.
فما لم يفعله في الماضي لن يفعله حاضراً ولا مستقبلاً حتى ولو كان مؤيداً من القوى الكبرى ومدججاً بأحدث الأسلحة وافتكها.

أولاً الجانب الجغرافي :

وهذا جانب مهم فإن الحدود الجغرافية ومسمايتها في السنة النبوية يكون نسبياً في بعض الأحيان يجتهد فيه العلماء، كما يكون تحديداً مطابقاً لا اجتهاد فيه .
فمن الأول اشارته ﷺ إلى أماكن مثل "نجد" كما جاء في حديث ابن عمر، قال: ذكر النبي ﷺ: "اللهم! بارك لنا في شامنا، اللهم! بارك لنا في يمننا". قالوا: وفي نجدنا؟ قال: "اللهم! بارك لنا في شامنا، اللهم! بارك لنا في يمننا. قالوا: يا رسول الله! وفي نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة: "هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان"(٨٠).
ومن هذا النوع جهة"الغرب" فقد خرج مسلم في "صحيحه" من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يزال الغرب ظاهرين عَلَى الحق حتى تقوم الساعة" وقد فسر الإمام أحمد أهل الغرب في هذا الحديث بأهل الشام؛ فإن التشريق والتغريب أمر نسبي، والنبي ﷺ إِنَّمَا قال هذا بالمدينة، وقد سمي النبي ﷺ وأهل نجد والعراق أهل

٨٠) رواه البخاري في الفتن (٧٠٩٤)

المشرق، فلذلك كانوا يسمون أهل الشام أهل المغرب؛ لأن الشام تتغرّب عن المدينة، كما أن نجدًا تتشرّق عنها (٨١).

ومن الثاني قوله " عدن أبين " وقوله " من صنعاء إلى حضرموت " ومن هذا الباب قوله ﷺ : أهل الشام " وأكناف بيت المقدس " وأطراف بيت المقدس "، ومنه " الطور " في حديث الدجال وفي حديث سيدنا عيسى عليه السلام" حرز عبادي إلى الطور".

وهذا يعني أن أهل الرباط في فلسطين لن يخرجوا إلى أرض سيناء ولا غيرها جملة، ولن يستطيع أحد تهجيرهم إلى مكان آخر وقد يخرج منهم جمع وسيبقى من أهل غزة وعسقلان من يرابط ويجاهد ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم وذلك لأسباب:

منها: لو كان ذلك سيقع لأخبرنا به النبيﷺ وهذا لم يثبت في رواية عنه عليه السلام بل ثبت خلافه.

ومنها: لو كان ذلك واقعاً لنسب النبي ﷺ الطائفة الظاهرة على عدوها ، والقائمة على أمر الله وعلى الحق إلى "الطور" أو" سيناء" أو غيرهما، وهذا لم يحدث بل إن عشرات الروايات وصفتهم بالمكان في الشام وبيت المقدس وأطرافه وأكنافه، مثلما وصفتهم بالظهور والغلبة وكونهم على الحق.

ومنها: الألفاظ الواقعة في حديث الطائفة المنصورة -المتواتر- والتي كانت محكمة وقطعية في بيان بقائهم في جغرافيا بيت المقدس وأكنافه وهي بشرى ووعد لن يتخلف أبداً ولن تخلو منهم الأرض المباركة أرض الرباط حتى لو أخرج بعضهم وهجر كرها.

ثانياً: ارتباط النصر بالزمان والمكان:

حديث الطائفة المنصورة المتواتر يبشرنا بنصرهم، وأن من علامات نصرهم أنهم بالشام باقون وعنها مدافعون، ولن يزولوا عن هذا المكان ولن يبرحوه أبداً وهذا ما أشارت إليه الأحاديث في مواضع نذكر منها:

(١) ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ«لَا تَبْرَحُ وفي رواية (لَنْ تَبْرَحَ) هَذِهِ الْأُمَّةُ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ مَنْصُورِينَ أَيْنَمَا تَوَجَّهُوا، يُقْذَفُ بِهِمْ كُلَّ مَقْذِفٍ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» وفي رواية أَكْثَرُهُمْ

٨١) فضائل الشام (٣/ ٢٠٤)

أَهْلُ الشَّامِ") (٨٢). وفي رواية حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ نَزَعَ بِهَذِهِ الْآيَةِ: {يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} [آل عمران: ٥٥] »(٨٣) وفي سنن سعيد بن منصور عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَبْرَحُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يُبَالُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَخْرُجَ الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ فَيُقَاتِلُونَهُ»(٨٤).

فهذه الروايات تثبت بقائهم وثباتهم وغلبتهم وعدم تحولهم من مكانهم، وهو بقاء مكاني مع امتداد زماني، لن يزول عن أرض الشام وقد جعلت الأحاديث تعانق الزمان والمكان بالصفة دليل على عدم تزحزهم ولا تهجيرهم.

فالزمن حتى يأتي أمر الله عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ نَزَعَ بِهَذِهِ الْآيَةِ: {يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} [آل عمران: ٥٥]»(٨٥) و«حَتَّى يَخْرُجَ الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ فَيُقَاتِلُونَهُ»(٨٦).

ومعلوم أن نزول سيدنا عيسى عليه السلام بالشام كما أن هلاك الدجال بالشام وخص منه أقرب الأماكن وهو «بَابُ لُدٍّ» فعَنْ مُجَمِّعِ بْنِ جَارِيَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "يَقْتُلُ ابْنُ مَرْيَمَ الدَّجَّالَ بِبَابِ لُدٍّ، أَوْ إِلَى جَانِبِ لُدٍّ")(٨٧).

و«بَابُ لُدٍّ»: بالضم والتشديد: وهي بلدة قرب بيت المقدس (إيلياء) في فلسطين بقرب الرملة، فتحت بعد فتح بيت المقدس. ببابها يدرك عيسى عليه السلام الدجال، فيقتله» (٨٨).

ثالثاً: اللغة تفيد انتصارهم وأنهم لن يبرحوا مكانهم

---

٨٢) "حسن بشواهده" سنن سعيد بن منصور- الفرائض إلى الجهاد- ت الأعظمي»(٢/ ١٧٧) موقوفاً: «فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن الربعي» (ص٩) (١٦)، وعنه ابن عساكر في "تاريخه" (١/ ٢٥٩)، وأخرجه ابن عساكر من وجهين آخرين (١/ ٢٥٨- ٢٥٩) عن جبير، وقال في رواية: "هم أهل الشام". وللحديث شواهد يرتقي بها، . وقال الألباني في "فضائل الشام ودمشق" (٦): صحيح، دون قوله: "وأكثرهم أهل الشام".انظر: موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية (ص٢٠٩) .

٨٣)«المعجم الكبير للطبراني» (١٩/ ٣٨٦): «٩٠٥» «مسند الشاميين للطبراني» (٣/ ٢٥١)

٨٤) سنن سعيد بن منصور - الفرائض إلى الجهاد - ت الأعظمي» (٢/ ١٧٨):٢٣٧٦ -

٨٥)«المعجم الكبير للطبراني» (١٩/ ٣٨٦): «٩٠٥» «مسند الشاميين للطبراني» (٣/ ٢٥١)

٨٦) سنن سعيد بن منصور - الفرائض إلى الجهاد - ت الأعظمي» (٢/ ١٧٨):٢٣٧٦ -

٨٧) مصنف عبد الرزاق» (١٠/ ٤١٠ ط التأصيل الثانية)

٨٨) (انظر: أطلس الحديث النبوي) (ص ٣٢٤) المعالم الأثيرة في السنة والسيرة» (ص٢٣٥)

جاء في روايات حديث الطائفة المنصورة التعبير بقول ﷺ (**لا تزال -ولا يزال- لن تزال - لا تبرح**) يدل دلالة قاطعة على أن هذه الطائفة مستمر وجودها ويلازمها ويحالفها دائماً أنهم ظاهرين وأنهم على الحق وأنهم لا يضرهم خذلان الصديق ولا عدوان العدو المعتدي «يقاتلون على الحق فإنهم ظاهرين إلى يوم القيامة».

«وبرح وزال» أفعال منفية تفيد الثبات والاستمرار، ومعناها مثبتٌ للترك والزوال، ونفيها نفي الترك والزوال، فيؤدي معناها الاستمرار والثبات.

فأما زال: فمعناه ذهب وانفصل وترك، وقد ورد لهذا الفعل ثلاثة أفعال مضارعة زال يزول ومعناه الذهاب والاضمحلال قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا} [فاطر: ٤١]، أي أن تذهبا وتضمحلا.

وزال يزيل يقال: زال الشيء يزيله زيلا إذا مازه أي خلص شيئا من شيء وفصله عنه.

وزال يزال وهذا الأخير هو الفعل الناقص وهي ذات معان متقاربة، كلها تفيد الذهاب والانفصال والترك، فزال معناه ذهب وترك وانفصل، وما زال معناه ما ذهب ما ترك وما انفصل، فإذا قلت (ما زال زيد قائمًا) كان معناه لم يترك القيام، وما انفصل عنه أي بقي مستمرا عليه، ومضارعه(لا يزال) ومعناه (يبقى) فمعنى لا يزال المطر نازلا، يبقى المطر نازلا، قال تعالى: {ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم في شك مما جاءكم به} [غافر: ٣٤]، أي بقيتم في شك وقال: {ولا يزال الذين كفروا في مرية منه} [الحج: ٥٥]، أي يبقون في مرية لا ينفكون عنها، ولا يتركونها. وقال: {ولا تزال تطلع على خائنة منهم} [المائدة: ١٣]، أي ستستمر في الاطلاع على خائنة منهم».

وقد أفاد دخول النفي على النفي دوام الثبوت، لأن النفي يفيد التكرار على ما ذهب إليه أكثر الأصوليين، فحصل من هذا كله إن نفي النفي يكون أيضاً دائماً، ونفي النفي يلزمه منه الإثبات فيلزم من نفي النفي إثبات دائم، وهو المقصود.

وأما برح فأصله ترك المكان وغادره، قال تعالى { فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ }[يوسف: ٨٠] أي لن أترك الأرض.

فبرح معناه ترك المكان، وما برح معناه لم يترك المكان أي بقي فيه ولازمه، ثم نقل إلى الدوام والاستمرار في غيره» (٨٩).

وفي رواية الطبراني وغيره عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺقَالَ: «لَا تَبْرَحُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يُبَالُونَ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ بِهِ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ» ثُمَّ نَزَعَ بِهَذِهِ الْآيَةِ: {يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} [آل عمران: ٥٥] (٩٠).

فهم لا يبرحون ولا يزالون ولا يزولون لغاية (حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ).

يقول السهيلي: «وأما " حتى " فموضوعة للدلالة على أن ما بعدها غاية لما قبلها، وغاية كل شيء حده، ولذلك كان لفظها كلفظ الحد:" حاء " قبل تاءين.

والحد: حاء قبل دالين، والدال كالتاء في خرجها وشدتها، لا تفارقها إلا في الجهر، فكانت لقوة الجهر أولى بالمعنى القوي وهو الاسم والفعل» (٩١).

«وخصّ بالإثبات؛ كقولهم: لا زال؛ لأَن برِح، وزال اقتضيا معنى النفي. ولا للنفي، والنَفْيان يحصل من اجتماعهما إثبات. ومنه قوله-تعالى-: {لا أَبْرَحُ حتى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البحرين}، وهذا نفي في اللفظ إثبات في المعنى، لأن معناه أداوم على كذا، ولذلك لم يدخل الإيجاب بإلا في خبرها، وما ورد غيره فمؤول....» (٩٢).

---

٨٩) تهذيب اللغة (١٣/ ١٧٣) حاشيتان لابن هشام على ألفية ابن مالك (١/ ٣٧٢) دراسات لأسلوب القرآن الكريم (٨/ ٣٧٤) جامع الدروس العربية (٢/ ٢٧٣)إعراب القرآن وبيانه(١/ ٥٤١) التطبيق النحوي(ص١٢٣ معاني النحو (١/ ٢٤٠ وما بعدها)

٩٠) أخرجه الطبراني في الكبير ١٩/ ٣٨٦ (٩٠٥)، مسند الشاميين للطبراني (٣/ ٢٥١) (٢١٩٢) وابن عساكر في تاريخه ١/ ٢٦٥.

قال الهيثمي في المجمع ٧/ ٣٠٦ (١٢٣٥١): «رواه أبو يعلى، والطبراني في الأوسط، والكبير، ورجالهم ثقات».

٩١) نتائج الفكر في النحو(ص١٩٧)

٩٢) المفردات في غريب القرآن (ص١١٦) بصائر ذوي التمييز (٢/ ٢٣٦) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ(١/ ١٧٤)

ومعنى الحديث:" أَي لم يزل هَذَا الدّين قَائِما بِسَبَب مقاتلة هَذِه الطَّائِفَة وَفِيه بِشَارَة بظُهُور هَذِه الامة على جَمِيع الامم إِلَى قرب السَّاعَة قال ابن جماعة: ولعله بدعوة النبي ﷺ التي دعاها لأمته ألا يسلط عليهم عدوا من غيرهم» (٩٣).

وهذه بشرى أخرى بأن هذه الطائفة لن تبرح مكانها، ولن يستطيع أحد إخراجها من الأرض المباركة، ولن يتمكن العدو وأعوانه من نفيهم أو تهجيرهم.

و"برح " في معناها ترتبط بالمكان وذكرها في الروايات الصحيحة مع " زال " التي ترتبط في بعض معانيها بالزمن يعطينا برهان آخر على أن هذه الطائفة متجددة عبر الزمن مرتبطة ببيت المقدس وأكنافه مكاناً، كما أن هذه الطائفة عابرة للزمان والمكان بوجود من يشاركها ويعينها في جهادها.

فهي قائمة على أمر الله وعلى الحق تدافع عنه بالمقال والفعال باللسان والسنان، عابرة للزمان والمكان، ولذا اختلف أهل العلم في هَذِهِ الطَّائِفَةُ فقيل: هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ، وقيل أَهْلَ الْحَدِيثِ، وقيل أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، قال النووي:« وَيَحْتَمِلُ أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ مُفَرَّقَةٌ بَيْنَ أَنْوَاعِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ شُجْعَانٌ مُقَاتِلُونَ وَمِنْهُمْ فُقَهَاءُ وَمِنْهُمْ مُحَدِّثُونَ وَمِنْهُمْ زُهَّادٌ وَآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَمِنْهُمْ أَهْلُ أَنْوَاعٍ أُخْرَى مِنَ الْخَيْرِ وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونُوا مُجْتَمِعِينَ بَلْ قَدْ يَكُونُونَ مُتَفَرِّقِينَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ فَإِنَّ هَذَا الْوَصْفَ مَا زَالَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْآنَ وَلَا يَزَالُ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»(٩٤).

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله:« ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد، وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد، وأن يكونوا في بعض منه دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فأولاً إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد؛ فإذا انقرضوا جاء أمر الله» (٩٥) .

٩٣) فيض القدير (٥/ ٣٠١)التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٣٠٣)

٩٤) شرح النووي على مسلم(١٣/ ٦٦)

٩٥) فتح الباري ١٣/ ٢٩٥

فهي طائفة لا تبرح النصر والظهور ولا يزول عنها تأييد الله ولن تزول عن مكانتها ولا مكانها ولن تبرح أمر الله ولن تزول عنه بل هي تسير بأمر الله وتتوكل على الله غير عابئة بمن خذلها ولا من خالفها ولا حتى من نصرها.

وهذا يقودنا للإشارة إلى شؤم ونكبة الإخراج من الديار وهي صيحة نذير لمن يتعاونون مع الأعداء لإخراج إخوانهم في الإسلام والعروبة طاعة لأعداء الأمة.

رابعاً: البشرى بنصرتهم مع كثرة أعدائهم وتعدد معاركهم.

هذه الطائفة لا تزال قائمة على الحق ولا تزال ظاهرة ومنصورة وغالبة وهذه الطائفة يحالفها دائماً النصر وهي على الحق كما يلازمها الخذلان والمخالفة ممن ينتظر منهم الإعانة والمناصرة، ولن يضرها.

وكثرة أعدائها مع تحديد المكان لظهورها على هؤلاء الأعداء يدل على ملازمتها للمكان الذي وصف فيه حالها وأعداؤها والخذلان الواقع عليها والمناوأة والمخالفة والوعد بقهرها لعدوها وانتصارها وظهورها، ولا مفر للمنافقين من الموت هماً وغماً وحزنا لذلك.

وكذلك فإن هذه الطائفة لا تبرح مكانها ولن تبرح، وتلازم هذه الأوصاف يجعل جهادها من أعظم الجهاد، كما يدلنا على أنها لا تبرح مكانها ولا تغادره وكونها ظاهرة مشتهرة غير باطنة ولا مستترة دليل على كونها في مكان معلوم معروف لن تغادره حتى ولو خذلها البعض أو خالفها.

ومن الخذلان المستمر لهذه الطائفة أن أقواماً يمليون من الإيمان إلى الكفر ويزيغون عن الحق يريدون التكسب من وراء محنتهم، وجني الأموال منهم وهم في شدتهم ويدفعهم حب الدنيا وضعف الإيمان إلى مقاتلتهم لهذا السبب، فتكون العاقبة لطائفة الإيمان على أقوام الزيغ فيخسروا أموالهم وينهزموا أمامهم، { وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ} [إبراهيم: ٤٦، ٤٧]

جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ «أن رسول الله ﷺ قَالَ: لَا تَزَالُ مِنْ أُمَّتِي عِصَابَةٌ قَوَّامَةٌ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ﷻ لَا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا تُقَاتِلُ أَعْدَاءَهَا، **كُلَّمَا ذَهَبَ حَرْبٌ نَشَبَ حَرْبُ قَوْمٍ**

آخَرِينَ، يُزِيغُ اللَّهُ قُلُوبَ قَوْمٍ لِيَرْزُقَهُمْ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ كَأَنَّهَا قِطَعُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ فَيَفْزَعُونَ لِذَلِكَ حَتَّى يَلْبَسُوا لَهُ أَبْدَانَ الدُّرُوعِ» (٩٦).

وقد جاءت روايات أخرى لهذا المعنى نذكر منها قوله ﷺ«**وَيَزِيغُ اللهُ قُلُوبَ (قَوْمٍ) أَقْوَامٍ، فَيُقَاتِلُونَهُمْ(لِيَنَالُوا مِنْهُمْ)، وَيَرْزُقُهُمُ اللهُ مِنْهُمْ**»(٩٧)«**لا يزال الله يُزيغ قلوب أقوام تقاتلونهم ويرزقكم الله، ﷺ منهم**»(٩٨)«**لَا يَزَالُ اللَّهُ يَزِيغُ قُلُوبَ أَقْوَامٍ تُقَاتِلُونَهُمْ، فَقَاتِلُوا بِهِمْ وَيَرْزُقُكُمُ اللَّهُ مِنْهُمْ**»«**وينصرهم عليهم**»(٩٩).«**يُزِيغُ اللَّهُ تَعَالَى قُلُوبَ أَقْوَامٍ فَيُقَاتِلُونَهُمْ لِيَنَالُوا مِنْهُمْ . وَقَالَ يَعْقُوبُ: قُلُوبُ قَوْمٍ قَاتَلُوهُمْ لِيَنَالُوا مِنْهُمْ .**»(١٠٠).

قال السندي : | "ويزيغ من أزاغ إذا مَال وَالْغَالِب اسْتِعْمَاله فِي الْميل عَن الْحق إِلَى الْبَاطِل وَالْمرَاد يمِيل الله تَعَالَى "لَهُم" أَي لأجل قِتَالهمْ وسعادتهم "قُلُوب أَقوام" عَن الْإِيمَان إِلَى الْكفْر وعن الحقِّ إلى الباطلِ، ليقاتلوهم ويأخذوا مَا لَهُم.

وَيحْتَمل على بعد أَن المُرَاد: يمِيل الله تَعَالَى قُلُوب أَقوام إِلَيْهِم ليعينوهم على الْقِتَال ويرق الله تَعَالَى أُولَئِكَ الأقوامَ المعيَّنين من هَؤُلَاءِ الْأمة بِسَبَب إِحْسَان هَؤُلَاءِ إِلَى أُولَئِكَ فَالْمُرَاد بالأمة الرؤساء وبالأقوام الِاتِّبَاع، وعَلى الأول المُرَاد بالأمة المجاهدون من الْمُؤمنِينَ وبالأقوام الْكَفَرَة وَالله تَعَالَى أعلم (١٠١).

فالحديث يحتمل أن القوم من الأمة سواء أكانوا رؤساء أو أتباع يقاتلون الطائفة القائمة على الحق ويأخذوا أموالهم أو ما رصد لهم أو يتاجر هؤلاء بمحنتهم فيأخذوا مالهم بدل أن يعينوهم.

---

٩٦) "إسناده صحيح" "المعرفة والتاريخ" (٢/ ٢٩٦ - ٢٩٧)، وأخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" من طريق الفسوي (١/ ٢٥٨)، وابن ماجه (٧)، مقتصرًا على قوله: "لا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر اللَّه لا يضرها من خالفها"، وأبو نعيم في "الحلية" (٩/ ٣٠٧) بنحو سياق الفسوي، كلاهما بذكر أبي هريرة فقط بدون ذكر ابن السمط، والبخاري في "التاريخ الكبير" (٤/ ٢٤٨) عنهما، ولفظه: "لا تزال عصابة قوامة"، ثم قال: "هم أهل الشام". اهـ. وقال الألباني في "الصحيحة" (٣٤٢٥): هذا إسناد صحيح

٩٧)مسند أحمد (٢٨/ ١٦٥ ط الرسالة) «التاريخ الكبير» للبخاري (٥/ ٦٥ ت الدباسي والنحال) «المعرفة والتاريخ - ت العمري - ط العراق» (٢/ ٢٩٧)«السنن الكبرى - النسائي - ط الرسالة» (٨/ ٦٨) مسند الشاميين للطبراني» (٣/ ٣٨٧)

٩٨) الطبقات الكبير» (٩/ ٤٣١ ط الخانجي)

٩٩) مسند الشاميين للطبراني (٢/ ٣٢٠) المخلصيات» (١/ ١١٣)

١٠٠) الأسماء والصفات - البيهقي (٢/ ٣٩١)

١٠١) حاشية السندي على سنن النسائي (٦/ ٢١٤)

كما أن الحديث يحتمل أن هؤلاء الأقوام من غير المسلمين يميلون إلى هذه الطائفة لكثرة أعدائها ووقوع الظلم عليها وما ينزل بها فيدافع هؤلاء الأقوام بإنكار الظلم الواقع عليهم والصدع بالحق تأييداً لهم، ويحتمل جمع الأموال لإعانتهم وبناء ما يهدمه الغزاة الطغاة وعلاجهم والإنفاق على التعليم وغيره من المجالات مما يكون له أثر في تفرغهم للجهاد ودفع الصائل الباغي والمغتصب الغازي.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ«لَا تَبْرَحُ هَذِهِ الْأُمَّةُ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ مَنْصُورِينَ أَيْنَمَا تَوَجَّهُوا، يُقْذَفُ بِهِمْ كُلَّ مَقْذِفٍ، لَا يَضُرُّهُمُ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» ([١٠٢]).

وقد رأينا أقوام ممن زاغوا عن الإيمان إلى الكفر يسترزقون من محنتهم فيبيعون لهم ما يحتاجون بأضعاف مضاعف، ويتأكلون السحت تحت مسمى " الإعمار" أو " الإغاثة ".

والآن نجد من يبحث عن منافع مالية مقابل تهجيرهم وترك وطنهم المحتل ليجمع عليهم سوءات ترك وطنهم الأرض المباركة وخيانة قضيتهم بالوقوف مع عدوهم والمساهمة في حصارهم وكل ذلك لن يضرهم وهذا وعد الله والله لا يخلف وعده، ووعد رسوله الصادق الأمين ﷺ.

وبالنظر في هذا الحديث وفي غيره نجد أن البشرى بالنصر يلازمها البشرى ببقائهم واستحالة تهجيرهم، وأن ذلك من تمام غلبتهم وقهرهم لعدوهم وظهورهم لقيامهم على أمر الله وتوكلهم عليه وحده ﷻ .

فهم (مَنْصُورِينَ أَيْنَمَا تَوَجَّهُوا، يُقْذَفُ بِهِمْ كُلَّ مَقْذِفٍ، لَا يَضُرُّهُمُ مَنْ خَالَفَهُمْ) وهي (تُقَاتِلُ أَعْدَاءَهَا، كُلَّمَا ذَهَبَ حَرْبٌ نَشَبَ حَرْبُ قَوْمٍ آخَرِينَ).

١٠٢) "حسن بشواهده" سنن سعيد بن منصور- الفرائض إلى الجهاد- ت الأعظمي»(٢/ ١٧٧) موقوفاً: «فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن الربعي» (ص٩) (١٦)، وعنه ابن عساكر في "تاريخه" (١/ ٢٥٩)، وأخرجه ابن عساكر من وجهين آخرين (١/ ٢٥٨- ٢٥٩) عن جبير، وقال في رواية: "هم أهل الشام". وجبير بن عبيدة صوابه جبر بن عبيدة، كذا ترجم له غير واحد، وترجم له الذهبي تحت جبر ابن عبيدة، وقال: وقال بعضهم جبير بن عبيدة، وهو مجهول العين. وقال الذهبي في "الميزان" (١/ ٣٨٨): لا يعرف من ذا. وقال الحافظ: مقبول. وللحديث شواهد يرتقي بها، . وقال الألباني في "فضائل الشام ودمشق" (٦): صحيح، دون قوله: "وأكثرهم أهل الشام".انظر: موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية (ص٢٠٩).

فهم في حرب دائمة يتنوع فيها العدو ويتجدد النصر مع كل عدو، ما يعني أن هناك " أحزاباً" مختلفي المشارب والمصالح ولكنهم متفقون على عداوة الإسلام والتعبير " بالمقذف" يصف لك حالة الحرب وشدتها والدمار والرعونة في العداوة والقتل والفتك بالضعفاء.

وهذه الغلبة في هذا الحديث تشير من طرف خفي بأن هناك قوم بل أقوام من "الأمة" تزيغ قلوبهم من الإيمان إلى الكفر وذلك بتضييع الولاء لله ورسوله والبراء من الكفر وحزبه، تميل هذه الطائفة من الإيمان إلى الكفر ليكونوا أولياء لليهود والنصارى والله تعالى يقول في حق هؤلاء:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ(٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [المائدة: ٥١ - ٥٧].

لقد زاغوا فأصبحوا أعداء لله ورسوله والمؤمنين وولايتهم للكافرين ثم زادوا فلم يناصروا الطائفة المظلومة أصحاب الحق بل خذلوهم وكان الحصار والتجويع المضروب عليهم من قبل الأعداء أداته ووسيلته بيد الزائغين "من بني جلدتنا وممن يتحدثون بألسنتنا ".

فصاروا سلاحاً مع العدو وقوة ضد الضعفاء تضاف لقوة الأعداء، ولم يغيثوهم ولم ينصفوهم ولم يعاونهم بل كان غرضهم " الاسترزاق منهم ومقاتلتهم " والله وعد بخلاف مقصودهم وخذلانهم وجعل الله تمام نصرهم بأن من زاغت قلوبهم سيقاتلونهم وأن

الطائفة المنصورة تنصر عليهم بل ويرزقهم الله منهم بعد أن كانوا يريدون التكسب من محنتهم. والله غالب على أمره.

أخيراً: دلالة الواقع

وهي دلالة الواقع والمعهود والمتبادر، في معنى الغزو، ومن يقع عليه، فقد جاء في رويات الحديث عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ يَغْزُوهُمْ ، قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ نَاوَأَهُمْ (١٠٣).

فالمعهود أن من وقع عليه الغزو هو صاحب المكان، وأن الغازي هو طاريء على المكان وهو ما يسمى "بدلالة التزام"«وهو دلالة اللفظ على أمر خارج عنه ، ولازم المعنى الذي يدُلُّ عليه اللفظ قد يكون لازماً له عقلاً، أو لازماً له عادةً، أو لازماً له عُرْفاً»و هو من أيضاً من «دلالة التضمن، وهي دلالة اللفظ على بعض معناه، كدلالة (البيت) على السقف أو الباب» (١٠٤) يقال «"غزَا العدو يَغْزُوهم: سَار إلى قتالهم (ودخل أرضهم): {إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى}: ج غازٍ كصائم وصُوَّم. وذلك الدخول والقرار تمكّن وتحوّز في المقر»(١٠٥) فالغزو واقع عليهم ، ولا معنى لظهورهم وغلبتهم وقهرهم لعدوهم إلا بأن تخلص لهم أموالهم وديارهم ومقدساتهم .

والنبي ﷺ ذكر أنهم ظاهرين على من يغزوهم سواء أكانوا أعداء أو كانوا ممن زاغوا من الإيمان إلى الكفر، ففي كل الأحوال هم على الحق ظاهرين ولعدوهم قاهرين ولا يكون الظهور والقهر للعدو إلا ببسط اليد على المكان الذي وقع عليه الغزو واعتداء المغتصبين وخلوصه لأهله.

فالنصوص متواترة في صفة هذه الطائفة وبيان مكانها وزمانها وقد تعانق وصف زمنها ومكانها وشخوصها وأحدثها وأن هذه الطائفة قد جمع الله لها بين ثباتهم على الحق، ودوام النصر والغلبة والظهور والإشتهار واستمرار ذلك، فهي ظاهرة مشتهرة وغالبة منتصرة لن تزول عن مكانها حتى قيام الساعة ولن يضرها من خذلها ولا من خالفها

---

١٠٣) أخرجه أحمد(٥/٢٦٩، رقم ٢٢٣٧٤)، والطبرانى (٨/١٤٥، رقم ٧٦٤٣) . وأخرجه أيضًا: فى مسند الشاميين (٢/٢٧، رقم ٨٦٠) . قال الهيثمى (٧/٢٨٨) : رجاله ثقات .

١٠٤) البلاغة العربية (٢/ ١٣١) أفعال الرسول ﷺودلالتها على الأحكام الشرعية (١/ ٣٩٦)

١٠٥) المعجم الاشتقاقي المؤصل (٣/ ١٥٧٧)

ولا من ناوئها وكل ضرر يصيبهم هو من اللأواء مع اختلاف جهات الغزو والمناوأة والمخالفة التي تجعلهم يتعرضون للخذلان والحصار ففي بعض الروايات: «إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ، فَهُمْ كَالْإِنَاءِ (كَالشَّيءِ)بَيْنَ الْأَكَلَةَ»(١٠٦)اللأواء الشدة وضيق المعيشة بل « اللأواء: شدة الضيق» واللَّوْلَاءُ: الشِّدَّةُ والضُّرُّ وَالْجُهَدُ والسَّنَةُ: وقد غلبت على القحط(١٠٧).قال الطبري ﷺ:«يعني النبيﷺ بالأواء الشدة، إما في المعيشة من جدب وقحط أو حصار، وإما في الأبدان من الأمراض والعلل أو الجراح. يقال من ذلك: أصابت القوم لأواء، ولولاء» (١٠٨).

قال الطيبي: «وتنزيل أمثال هذا الحديث على الطائفة المنصورة من أهل الشام أولي وأحرى.» (١٠٩).

وكل ذلك حادث وواقع بسبب الحصار الجائر، والذي يُمنع فيه عنهم السفر والحصول على ضروريات الحياة بدءً من الغذاء والدواء ومروراً بمواد التشييد والبناء، ووصولاً إلى الحرمان من مرافق الدولة من مؤسسات تعليمية وصحية واجتماعية وميناء بل وتدميرها إن وجدت كلما نشب حرب وتجدد قتال، وحرمانهم من ميناء أو مطار.

وقد دلت الأحاديث أن ذلك يكون سببه عدو غاصب معتد أثيم يحارب الله ورسوله ويهلك الحرث والنسل يعاونه قريب منافق من بني جلدتنا لا يعظم الله ولا يرفق بخلقه. فهم بنص الحديث" ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ يَغْزُوهُمْ" وقعوا تحت غزو الأعداء وخذلان ومناوأة ومخالفة الأرحام والأقرباء"بني جلدتنا ومن يتحدثون بألسنتنا"والخذلان لا يضرهم، والمخالفة والمناوأة لا تثنيهم عن مقصدهم وهدفهم، ولا يبالون بمن خذلهم ولا من خالفهم وفي الحديث عن ﷺ:"إذا فسد أهل الشام، فلا خير فيكم، ولا يزال أناس (طائفة) من أمتي منصورين لا يبالون من خذلهم حتى تقوم الساعة»(١١٠) بل إن الأمر تعدى المخذلين والمثبطين إلى عدم المبالة بمن ينصرهم لأنهم توكلوا على الحي

١٠٦) تهذيب الآثار مسند عمر (٢/ ٨٢٣) فضائل البيت المقدس - الواسطي (ص١٩٣)

١٠٧) الغريبين في القرآن والحديث (٥/ ١٦٦٥) والنظم المستعذب (١/ ١٢١) (عن القاموس والتاج): (لولاء)

١٠٨) تهذيب الآثار "مسند عمر»، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، ط ١، د. ت، ٢/ ٨٣٥

١٠٩) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٨/ ٢٦٤٣)

١١٠) مسند أحمد» (٢٤/ ٣٦٢ ط الرسالة)

الذي لا يموت جاء في رواية:«ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، لَا يُبَالُونَ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ نَصَرَهُمْ»(١١١).

وجاء في روايات الحديث(قائمة على أمر الله)أي: دينه الذي شرعه،واستعمل فيه "على" (على الحق)و(ظاهرين على الناس)و(عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ) و(عَلَى مَنْ يَغْزُوهُمْ)(١١٢) دلالةً على كونهم عالين على الخصم محيطين بجوانب هذا الأمر، بحيث لا يصل إليه أو إليهم كيد الأعداء»(١١٣).

نكبة الإخراج من الديار:

الْإِخْرَاجَ مِنَ الدِّيَارِ نَكْبَةٌ وَمُصِيبَةٌ لَكِنَّهَا لَا تُدْرَكُ بِالْحِسِّ وَإِنَّمَا تُدْرَكُ بِالْوِجْدَانِ، والقرآن الكريم يشدد على-حرمة الإيواء-وعدم إخراج الإنسان من سكنه، وموضع استقراره بسبب الخصومات التي تثيرها اختلافات الرأي، أو الولاءات العصبية والانتماءات الحزبية أو المصالح المختلفة، من ذلك قوله تعالى:{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ، ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ}[البقرة: ٨٤، ٨٥] فقد جعل الإخراج من الدار ينزل منزلة القتل، والقتل خروج الروح من الجسد بقوة قسرية غير الموت الطبيعي، والإخراج من الديار هو الترحيل القسري بقوة قسرية خارج الأرض التي يعيش فيها الإنسان، فساعة يُقتل الإنسان فهو يتألم، وساعة يخرج من وطنه فهو يتألم، وكلاهما شاق على الإنسان.

ونجد في قوله تعالى (وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ): تَقَدَّمَتْ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: قَتْلُ النَّفْسِ، وَالْإِخْرَاجُ مِنَ الدِّيَارِ، وَالتَّظَاهُرُ، وَالْمُفَادَاةُ، وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ. وَاخْتُصَّ الإخراج بِتَأْكِيدِ التَّحْرِيمِ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا مُحَرَّمَةً، لِمَا فِي الْإِخْرَاجِ مِنَ الدِّيَارِ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَلَاءِ وَالنَّفْيِ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ شَرُّهُ إِلَّا بِالْمَوْتِ، وَذَلِكَ بِخِلَافِ الْقَتْلِ، لِأَنَّ الْقَتْلَ، وَإِنْ كَانَ مِنْ حَيْثُ هُوَ هَدْمُ الْبِنْيَةِ، أَعْظَمُ، لَكِنْ فِيهِ انْقِطَاعُ الشَّرِّ، وَبِخِلَافِ الْمُفَادَاةِ بِهَا، فَإِنَّهَا مِنْ جَرِيرَةِ

١١١) سنن ابن ماجه» (١/ ٥ ت عبد الباقي)

١١٢) المعجم الكبير: (٨ / ١٤٥) برقم: (٧٦٤٣)

١١٣) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري» (١/ ١٦٦) بتصرف وزيادة.

الْإِخْرَاجِ مِنَ الدِّيَارِ وَالتَّظَاهُرِ، لِأَنَّهُ لَوْلَا الْإِخْرَاجُ مِنَ الدِّيَارِ وَالتَّظَاهُرُ عَلَيْهِمْ، مَا وَقَعُوا فِي قَيْدِ الْأَسْرِ.

وقرن بالقتل-وهو من أكبر الكبائر-الإخراج من الديار لأن المال عديل الروح والمنزل أعظم المال وهو للجسد كالجسد للروح، ويدخل في معنى الإخراج من الديار: أن يتصدى الرجل لإيذاء جاره حتى يلجئه إلى الخروج من داره؛ تخلصاً من شره، وقال: {وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ}،فجعل إجلاءهم غيرَهم من مساكنهم إجلاء لأنفسهم، فنبه بذلك على أن الأمة المتواصلة بالدين أو النسب بالغةٌ من الوحدة بحيث يعد قتل الرجل لغيره إنما هو قتل لنفسه، وإخراجه من منزله إنما هو إخراج لنفسه، وعن قتادة؛ قولَه:{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ}؛ أيْ: لا يقتُلُ بعضُكم بعضًا،{وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ}،ونفسُكَ يا ابنَ آدَمَ أهلُ مِلَّتِكَ (١١٤).

وتتضاعف خطورة نفي الإنسان، وإخراجه من مكان إيوائه إذا كان المنفيون من الرسل والدعاة ورجال الفكر، والعلم الذين يكرسون جهودهم لإصلاح ما أفسد الناس.

وإلى هذه الخطورة كانت الإشارة في قوله تعالى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا، سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا} [الإسراء: ٧٦، ٧٧].

روى البخاري بسنده قال كَانَ ثَوْبَانُ يَقُولُ:«وَمَا مِنْ جَارٍ يَظْلِمُ جَارَهُ وَيَقْهَرُهُ، حَتَّى يَحْمِلَهُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَنْزِلِهِ، إِلَّا هَلَكَ »(١١٥).

هذه هي سنة الله التي مضت في جميع الرسالات من قبل، وهي سنة ماضية مستمرة، فحين تخرج الأمم رسلها ودعاتها، وتنفيهم ينزل بها العذاب المدمر، ولن تجد لسنة الله هذه تحويلًا» (١١٦).

١١٤) تفسير الطبري (٢/ ٢٠٢)

١١٥) الأدب المفرد - ت عبد الباقي (ص٥٨) «١٢٧»

١١٦) تفسير السمرقندي بحر العلوم (١/ ٧٠) البحر المحيط في التفسير (١/ ٤٦٩) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢/ ٨) موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (١/ ١٥٣): التحرير والتنوير (٢٨/ ٧٣) أهداف التربية الإسلامية ماجد عرسان الكيلاني (ص٢٩٢) تفسير الشعراوي (٤/ ٢٣٧٩)

وقد قرن الله في القرآن القتل بالإخراج من الديار. وإذا كان فراق الدنيا هو الموت فإن دنيا الإنسان الصغرى وطنه، وإن فارقه وأُخرجَ منه فقد مات الموت الأصغر، ولكن إذا جاء الدين هان في سبيله كل شيء حتى حبّ الديار. ([١١٧])..

ونجد مجموع الآيات لمادة (خرج) ونظائرها في خمس آيات ومائة آية، وقد جاءت في اثنتين وثلاثين سورة، المكي منها ٤٢ موضعاً، والمدني منها ٦٠ موضعاً.([١١٨])

وهذه النظائر تشمل أخرج ومشتقاتها وهاجر وأبعد وشرد وطرح ونفى ومشتقاتها.

وفي جميع المواقف والآيات التي تحدثت عن التهجير والإخراج والطرد والإبعاد القهري المبني على الظلم والتسلط والطغيان نجد أن الوعد واحد بنصرة المؤمنين وإهلاك الظالمين بل والتمكين بجعل كلمة الله هي العليا.

(*) فقد أخبر الله عن هؤلاء المتخلفين عن فتح بيت المقدس، في زمن موسى عليه السلام، وحكى لنا رسول الله ﷺ عن رحمة الله بالجيل المؤمن الجديد، الذي حمل القرآن، ورفع الراية تصديقاً وعزيمة، واتباعاً لهدى الأنبياء، وسمعاً وطاعة لقول رسولهم ﷺ، ففتح الله عليهم وردهم إلى مكة فاتحين، بعد إخراجهم منها مكرهين. : «لَمْ تُحْبَسِ الشَّمْسُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا لِيُوشَعَ لَيَالِيَ سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ».

(*) وها هو نبي الله شعيب، يقف على أطلال قومه المعتدين، والذين هددوه أن يصادروا حق مواطنته، وأن يخرجوه، ويقرر حقيقة خالدة، أن الحق هو الذي يبقى، وأن الخبث لا لأصل له فلا يثبت وجوده. قال تعالى: {فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ} [الأعراف: ٩٣].

(*) وها هو نبي الله يوسف، وبعد أن طرحوه أرضاً، وأخرجوه من حضن أبيه، وتجمعوا على فعلتهم، يعود الحق إلى أهله، ويعلن الحقيقة الثابتة قال تعالى: {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [يوسف: ١٠٠]

[١١٧]) ذكريات - علي الطنطاوي (٨/ ١٠٣)

[١١٨]) الإخراج من الديار في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية (ص١٩ وما بعدها) للباحث عماد يعقوب حمتو رسالة (ماجستير) الجامعة الإسلامية بغزة سنة ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م

(*) وها هو رسول الله ﷺ وصحابته يحنون إلى موطنهم مكة مرة بعد مرة، حتى تطوف الروح في جنبات مكة والحرم، ويري النبي ﷺ رؤيا صالحة، يجمع الناس للبشارة بها، وتقع في نفوس الصحابة أن الله منجز وعده لنبيه ﷺ ، وتخبرنا سورة الفتح هذا النبأ العظيم، وتفصل في صدق الرؤيا، وما رافقها من أحداث.

قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥) إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦) لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} [الفتح: ٢٤- ٢٨]

إن الذي يفكر في إخراج المؤمنين وإذلالهم، ستجري عليه سنة الله عاجلاً أم آجلاً ، كما جرت على فرعون وقومه، الذي خطط لموسى وللمؤمنين، وقد قال الله عنهم: {يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ} [الأعراف: ١١٠]

ولقد رد موسى من قبل إلى الأرض التي خرج منها هاربا مطاردا. رده فأنقذ به المستضعفين من قومه، ودمر به فرعون وملأه، وكانت العاقبة للمهتدين.. فامض إذن في طريقك، ودع أمر الحكم فيما بينك وبين قومك لله الذي فرض عليك القرآن «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرادُّكَ إِلى معاد» ([١١٩]).

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} [البقرة: ٢٤٦]

([١١٩]) في ظلال القرآن (٧/ ٤٠٣)

يقول الشيخ المراغي «(فَقالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْياهُمْ) أي خرجوا هاربين فأماتهم الله، بأن مكن منهم العدوّ ففتك بهم، وقتل أكثرهم وفرّق شملهم، وأصبح من بقي منهم خاضعا للغالب، منضوياً تحت لوائه، يصرّف بحسب إرادته ولا وجود له في نفسه، ثم أحياهم بعود الاستقلال إليهم، بعد أن جمعوا كلمتهم، ووثقوا رابطتهم، واعتزوا وكثروا، وخرجوا من ذلّ العبودية إلى رياض الحرية، وكان ما أصابهم من البلاء تأديبا لهم ومطهرا لنفوسهم مما عرض لهم من ذميم الأخلاق ورذيل السجايا.

وقد جرت سنة الله في خلقه أن تموت الأمم باحتمالها الظلم، وقبولها الجور والعسف، حتى إذا أفاقت من سباتها وتنبهت من غفلتها، قام بعض أفرادها بتدارك ما فات، والاستعداد لما يرقى شأنها، وتبذل في ذلك كل مرتخص وغال، وتتلمس كل الوسائل التي تحقق لها ما تصبو إليه، ولا يصدها عن ذلك ما يحول دونها من العوائق حتى تفوز ببغيتها وتنال أمنيتها» .....

والخلاصة- إن إماتة الأمة إنما تكون بتسليط الأعداء عليها، والتنكيل بها، وإحياءها يكون بإحياء نابتة من أبنائها تستردّ ذلك المجد الضائع، والشرف المسلوب، كالبنيان القديم الذي تقضى الضرورة بإزالته، وإقامة بناء جديد تدعو الحاجة إلى عمل مثله، أو كالعضو الفاسد الذي يبتره الطبيب ليسلم الجسد كله.»...و«بعد أن ذكر سبحانه في الآيات التي قبل هذه شرع القتال لحماية الحق وبذل المال في سبيل الله لعزة الأمة ومنعتها، وأن من ينحرف عن ذلك يتردى في مهاوي الردى كما وقع لمن خرجوا من ديارهم فارّين من عدوهم على كثرة عددهم.

وهنا بيان قصة قوم من بنى إسرائيل أخرجوا من ديارهم وأبنائهم بالقهر، كما خرج أصحاب القصة الأولى بالجبن واستحقوا الخزي والنكال، لكن جاءت هذه القصة مفصلة تبين ما في القصة الأولى المجملة، فإن الأولى تصرح بأن موتهم كان بذهاب استقلالهم، وأنه نتيجة لفرارهم وضعف عزيمتهم، لكن لم يذكر سبب إحيائهم وإن كان قد فهم مما جاء بعدها من الأمر بالقتال وبذل المال أن هذا هو سنة الله في إحياء الأمم.

أما هذه القصة فقد فصلت احتياج هؤلاء القوم إلى القتال لمدافعة العادين عليهم، واسترجاع ديارهم من أيديهم، فبذلوا الوسع في الاستعداد للدفاع، لكن الضعف قد بلغ

منهم كل مبلغ، فتولوا وأعرضوا عن القتال إلا قليلا منهم، ألهمهم الله رشدهم فاعتبروا وانتصروا.

إن الأمم إذا سيمت الخسف تتنبه أفكارها إلى دفع الضيم، فتعلم أن لا سبيل إلى ذلك إلا بانضوائها تحت لواء زعيم عادل باسل كما وقع من بنى إسرائيل حين نكل بهم أهل فلسطين، وإن أول من يشعر بالحاجة إلى ذلك هم خواصها وأشرافها كما حدث من الملأ من بنى إسرائيل، ثم تنتقل الفكرة من ذلك إلى عامتهم، حتى إذا وصلت إلى حيز العمل نكص ضعفاء العزائم على أعقابهم كما يدل عليه قوله: «فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ، وإن الأمم زمن الجهل ترى أن أحق الناس بالملك والزعامة هم أصحاب الجاه والثروة كما يدل على ذلك قول المنكرين لملك طالوت (وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ) مع أن الأجدر بهذا الاختيار أهل الشرف بمعارفهم وعلومهم وأخلاقهم الفاضلة، ونفوسهم الكريمة.

إن الفئة القليلة قد تغلب الفئة الكثيرة إذا صبرت وثبتت وأطاعت رؤساءها والتجارب والمشاهدة تدل على صدق هذا.»(١٢٠)

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} [الممتحنة: ١]

إن ولايته لا تصح إلا بالإيمان، ولا يثبت الإيمان إلا بدلائله من الأعمال، ولا تصح الأعمال إلا بالإخلاص، ولا يكون الإخلاص إلا بمباينة الأعداء " إن كنتم " أي كونا ً راسخاً حين أخرجوكم من أوطانكم لأجل إيمانكم بي " خرجتم " أي منها، وهي أحب البلاد إليكم " جهاداً " أي لأجل الجهاد " في سبيلي " أي بسبب إرادتكم تسهيل طريقي التي شرعتها لعبادي أن يسلكوها " وابتغاء مرضاتي " أو لأجل تطلبكم بأعظم الرغبة لرضاي، ولكل فعل يكون موضعاً له (١٢١)

(١٢٠) تفسير المراغي (٢/ ٢٠٨/ ٢١٤/ ٢٢٧)

(١٢١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٩/ ٤٨٨)

{ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } [الحج: ٣٨ - ٤١].

(قَالَ الشَّافِعِيُّ ﵀): وَلَمَّا فَرَضَ اللَّهُ ﷻ الْجِهَادَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺوَجَاهَدَ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ إذْ كَانَ أَبَاحَهُ وَأَثْخَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَهْلِ مَكَّةَ وَرَأَوْا كَثْرَةَ مَنْ دَخَلَ فِي دِينِ اللَّهِ عز وجل اشْتَدُّوا عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ فَفَتَنُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، أَوْ مَنْ فَتَنُوا مِنْهُمْ فَعَذَرَ اللَّهُ مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنْ الْمَفْتُونِينَ فَقَالَ {إلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} وَبَعَثَ إلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إنَّ اللَّهَ ﷻ جَعَلَ لَكُمْ مَخْرَجًا وَفَرَضَ عَلَى مَنْ قَدَرَ عَلَى الْهِجْرَةِ الْخُرُوجَ إذَا كَانَ مِمَّنْ يُفْتَنُ عَنْ دِينِهِ، وَلَا يُمْتَنَعُ» فَقَالَ فِي رَجُلٍ مِنْهُمْ تُوُفِّيَ تَخَلَّفَ عَنْ الْهِجْرَةِ فَلَمْ يُهَاجِرْ {الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ} الْآيَةَ. وَأَبَانَ اللَّهُ ﷻ عُذْرَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَقَالَ {إلا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً} إلَى " رَحِيمًا "([١٢٢]).

وتظل رسالة التحريض القرآني في مواجهة الإخراج مستمرة، فهذا قول الله في سورة البقرة: {وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ} [البقرة: ١٩١]، يمتد إلى قوله تعالى في سورة التوبة، وهي من أواخر السور التي نزلت: {أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ} [التوبة: ١٣] إنها رسالة واضحة بينة ممتدة عبر الزمن لتقول للمسلمين، لا راحة ولا قرار إلا بالعودة إلى الديار، واستنقاذ الأرض والإنسان والقيم.

ثم حرض المؤمنين على القتال فقال الله تعالى: {أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ} من مكة، يذكرهم بفعلهم برسولهم وبهم، فكيف يترددون في القتل والقتال، {وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} وَالْبَادِي أَظْلَمُ، فما يمنعكم من قتالهم، وفى الآية توبيخ على ترك القتال، وحض عليه، وتذكير بما يوجب القتال، من نكث العهد، وإخراج

[١٢٢]) «الأم» للإمام الشافعي (٤/ ١٦٩ ط الفكر)

الرسول، والبدء بالقتال من غير موجب، ومن كانت هذه أفعاله حقيق بأن لا تترك مصادمته، وأن يوبخ من فرط فيها» (١٢٣)

وقوله: {يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ} [الممتحنة: ١] هذا مع ما قبله من التهييج على عداوتهم، وعدم موالاتهم، لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده (١٢٤).

وقال تعالى ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥]

والخطاب للجماعة المسلمة كلها. يلتفت إليها لاستجاشة مروءة النفوس، وحساسية القلوب تجاه المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين كانوا يقاسون في مكة ما يقاسون على أيدي المشركين غير قادرين على الهجرة إلى دار الإسلام والفرار بدينهم وعقيدتهم وهم يتطلعون إلى الخلاص، ويدعون الله أن يجعل لهم مخرجا من دار الظلم والعدوان..يلتفت هذه الالتفاتة ليوحي إليهم بسمو المقصد، وشرف الغاية، ونبل الهدف، في هذا القتال، الذي يدعوهم أن ينفروا إليه، غير متثاقلين ولا مبطئين. وذلك في أسلوب تحضيضي يستنكر البطء والقعود: «وَما لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ. الَّذِينَ يَقُولُونَ: رَبَّنا أَخْرِجنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُها، وَاجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا، وَاجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً؟» ..

وكيف تقعدون عن القتال في سبيل الله واستنقاذ هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان؟ هؤلاء الذين ترتسم صورهم في مشهد مثير لحمية المسلم، وكرامة المؤمن، ولعاطفة الرحمة الإنسانية على الإطلاق؟

هؤلاء الذين يعانون أشد المحنة والفتنة لأنهم يعانون المحنة في عقيدتهم، والفتنة في دينهم. والمحنة في العقيدة أشد من المحنة في المال والأرض والنفس والعرض، لأنها محنة في أخص خصائص الوجود الإنساني، الذي تتبعه كرامة النفس والعرض، وحق المال والأرض! ومشهد المرأة الكسيرة والولد الضعيف، مشهد مؤثر مثير. لا يقل عنه

(١٢٣) تفسير الكشاف - ومعه الانتصاف ومشاهد الإنصاف والكافي الشاف (٢/ ٢٥٢)

(١٢٤) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٤٤)

مشهد الشيوخ الذين لا يملكون أن يدفعوا - وبخاصة حين يكون الدفع عن الدين والعقيدة - وهذا المشهد كله معروض في مجال الدعوة إلى الجهاد.

وهو وحده يكفي. لذلك يستنكر القعود عن الاستجابة لهذه الصرخات وهو أسلوب عميق الوقع، بعيد الغور في مسارب الشعور والإحساس ([١٢٥]).

وهذه طائفة من الآيات التي تتحدث عن الإخراج وجميعها تؤكد حقيقة اتخاذ الإخراج وسيلة من وسائل الظلم والطغيان ويقابلها أن سنة الله قاضية بأن ينصر من وقع عليهم الظلم بمؤكدات شتى عبر ذكر أحداث تكررت بإخراج المؤمنين وكانت السنة التي لا تتحول ولا تتغير أن الله ناصر حزبه وجنده ومهما كان المكر {وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ} [إبراهيم: ٤٦، ٤٧]

فالآيات تحض على الجهاد والقتال من أجل الديار والعقيدة هي المحرك والأساس والنصر في أكثر الآيات مصاحب للإخراج عند المدافعة، ومقارن لإهلاك الظالمين عن شدة الطغيان ومجاوزة الكبر والظلم للحد.

وهذه الآيات نسوقها وبأدنى نظر تجد سنة الله لا تتبدل ولا تتغير:

قال تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} [آل عمران: ١٩٥]

وقال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ الأنفال: ٣٠

﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣]

---

[١٢٥]) في ظلال القرآن (٣/ ٣٢)

وقال: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]

وقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٣ - ١٥]

وقال:﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا(٧٦) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦، ٧٧]

وقال: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨٠، ٨١].

وقال : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٣٩ - ٤١]

وقال: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محمد: ١٣]

وقال : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١٢) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١١ - ١٣].

وقال: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ

فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩]

وإن الجهاد ضد من يحاول التعدي على بلاد المسلمين باحتلالها أو إخراجهم منها من أبرز أسباب الجهاد وأشهرها وهو المنصوص عليه، قال تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦]

وقال ﷻ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]

وهو السبب الذي لا ينتظر فيه إذن ولي الأمر ولا يتوقف على شرط يقول الفقهاء: «والجهاد فريضة يحملها من قام بها، إلا أن يغشى العدو محلة قوم، فيجب على جماعتهم قتاله فرضا.» (١٢٦) «(فيجب فرضا عليهم) جميعهم الذكور والإناث الأحرار والعبيد» (١٢٧) «يعني أن العدو إذا فجأ مدينة قوم مثلا، فيتعين على كل أحد، وإن لم يكن من أهل الجهاد كالمرأة والعبد، فإن عجزوا عن الدفع عن أنفسهم فإنه يتعين على من بقربهم أن يقاتلوا معهم العدو» (١٢٨) «والمراد وجوبا عينيا على الذكر والأنثى الحر والعبد.» (١٢٩).

وفي «الموسوعة الفقهية الكويتية»: «والجهاد كذلك يتعين على المرأة إذا هاجم العدو البلاد. يقول الفقهاء: إذا غشي العدو محلة قوم كان الجهاد فرض عين على الجميع ذكورا وإناثا وتخرج المرأة بغير إذن الزوج؛ لأن حق الزوج لا يظهر في مقابلة فرض العين» (١٣٠)

وفي هذا الجهاد وهو جهاد الدفع يجتمع فيه: دفع العدو الصائل المعتدي على بلاد المسلمين، مع رفع الظلم والفتنة عن المؤمنين، لإعلاء لكلمة الله تعالى

(١٢٦) الإرشاد إلى سبيل الرشاد» (ص٥٢٥)

(١٢٧) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني» (٢/ ٢٧٢)

(١٢٨) حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني» (٢/ ٤)

(١٢٩)«حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني» (٢/ ٤٠٦)

(١٣٠)«الموسوعة الفقهية الكويتية» (٧/ ٧٩) وانظر : الفواكه الدواني ١ / ٤٦٣، ٢ / ٣٦١، والاختيار ٤ / ١١٨.

ومن أسف أننا نجد من بني جلدتنا وممن يتحدثون بألسنتنا يساعدون العدو في تهجير أهلنا وإخراجهم من أرضهم بوسائل متنوعة من الدعم والتخطيط والتمويل.

وقد أفادت تقارير كثيرة أن من العرب والمسلمين من يقوم بشراء بيوت المقدسيين وتسليمها لليهود، وكذلك نجد بعض الدول تساهم بالأموال في تهويد القدس ومحاربة المقاومة والمساهمة في حصارها.

ومؤخراً وبعد طوفان الأقصى تعدى الأمر إلى أمدادهم بالغذاء والدواء والسلاح والمرتزقة لمحاربة المسلمين وقصف المدنيين.

فضلاً عن التطبيع والتعاون السياسي والاقتصادي والثقافي والحربي والاستخباراتي.

وهذا هو الخذلان وأهل الخذلان هم من يخذلون إخوانهم المحاصرين ويثبطون من يريد مساعدتهم، مع موالاتهم من أوجب الله علينا عدواته: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [المائدة: ٥١].

الخذلان والخزي بالتكسب من المحنة

لا معنى لتجنب الحرب إلا الاستسلام للفناء والرضا بالتلاشي والانقضاء، وما دام القتال قد كتب علينا بدوافع دينية وأحقاد تاريخية وأطماع استعمارية، وما دامت غايته إبادتنا فلا بد أن نتلاقى عرباً ومسلمين، حكومات وشعوباً؛ لرد هذه الغائلة واستبقاء وجودنا المهدد.

إن الحرب المعلنة علينا دينية لا يماري في ذلك عاقل، وما دامت العقيدة سلاحاً يرتكز عليه العدوان فلم لا تكون العقيدة سلاحاً يرتكز عليه الدفاع؟ وما معنى إبعاد الإسلام عن معركة هو فيها مستهدف؟ وأمته فيها ضحية اليوم والغد؟.

وإبعاد الإسلام عن المعركة لا يخدم إلا بنى إسرائيل ومن وراءهم من الحاقدين على رسالة محمد وجنسه القدامى والمحدثين.

وإبعاد الإسلام عن القتال الدائر أنفع لبنى إسرائيل من إمدادهم بألف طائرة من أفتك طراز، إنه لا يفل الحديد إلا الحديد، ولا يصد عدواناً يعتمد على دين إلا دفاع يستند إلى دين.(١٣١).

والحرب دينية لا شك ولا ريب ولا مراء ووسيلتها الاقتصاد-النهب والسلب-باعتبارها وسائل للحرب على العقيدة الإسلامية .. وهي الهدف الأساسي.

وقد طالعتنا عديد من الصحف بأخبار متواترة عن حِزَم مساعدات سخية ظهرت فجأة بأرقام كبيرة وهي مساعدات تطايرت على (دول الطوق) مصر والأردن، وعلى سلطة التعاون مع العدو الصهيوني" السلطة الفلسطينية" .

لكن أشد ذلك ما كان من مصر حيث أنها الأقرب في الدين واللغة والتاريخ والجغرافيا وقد كانت غزة العزة جزء من مصر وتتبعه إدارياً وعسكرياً فهي جزء من أمنها مهم.

فمثلاً أعلن الاتحاد الأوروبي الثلاثاء(٢٠٢٣/١١/٧م) عن مساعدات جديدة للأردن تزيد عن ٩٠٠ مليون يورو بعد محادثات بين رئيسة المفوضية الأوروبية "أورسولا فون دير لايين" والعاهل الأردني عبد الله الثاني، طغت عليها حرب عدوان إسرائيل على غزة بعد بداية طوفان الأقصى بشهر.

---

(١٣١) قذائف الحق (ص: ٢٨٨)

وفي (٣١ من أكتوبر) قرر وزير المالية الاسرائيلي وقف تحويل أموال الضرائب التي تجبيها إسرائيل للفلسطينيين عن طريق (السلطة الفلسطنية) وعليه طلبت إدارة بايدن توضيحات من إسرائيل حول قرار وزير المالية الإسرائيلي بتسلئيل سموتريش تعليق تحويل أموال المقاصة-الضرائب التي تجبيها إسرائيل للسلطة الفلسطينية على خلفية الحرب في غزة، جاء هذا وفقا لما نقله مسؤولين أمريكيين لموقع (والا).

وفي (١٥ نوفمبر ٢٠٢٣م) أظهر تقرير من بلومبرج، أن الاتحاد الأوروبي يريد دعم مصر بنحو ١٠ مليارات دولار لتعزيز قدرات الاقتصاد وتخفيف عبء الديون ومساعدة البلاد على معالجة التداعيات المتزايدة الناجمة عن الصراع بين إسرائيل وحماس على حدودها.

وفي ١٨ نوفمبر تتابعت الأخبار بما يلي:

(*) صندوق النقد الدولي يدرس زيادة القرض المقدم لمصر لمواجهة الصعوبات الاقتصادية بسبب حرب غزة.

(*) تمديد الكويت وديعة بقيمة ٥ مليار دولار في البنك المركزي.

(*) اعلان قطر استثمارات بقيمة مليار ونصف مليار دولار في مصر.

وهذا الإجراءات جاءت مفصلة منذ مدة في تقرير معهد الاستراتيجية والأمن القومي الإسرائيلي المقرب من الموساد وهو تقرير مفصل عن خطة تهجير الفلسطينيين إلى مصر، وجاء في التقرير: أن اسرائيل ستضغط على حلفائها في أمريكا وأوروبا والعالم العربي لمساعدة مصر اقتصادياً لقبول خطة التهجير.

هذه هي الأخبار في ظل إحكام الحصار على أهل غزة من قبل دول الطوق وعلى رأسها مصر والتي تتحكم في معبر رفح وتتحجج بأن دخول المساعدات تمنعه (إسرائيل) علماً بأن المعبر خالص بين مصر وفلسطين وليس لليهود سلطة عليه.

ثم من قبل السلطة التي قررت أنها (حركة حماس لا تمثل الشعب الفلسطيني) وأما الأردن فلم نر منه غير تصريحات قوية، وأما الأفعال فهي على الأرض لم تمنع العدوان ولم تدخل المساعدات. (فالقول مضحك والفعل مبكي).

وما ذكر هو حلقة في حرب دينية وسيلتها الاقتصاد (النهب والسلب واللبن والعسل قديما والنفط حديثاً) والسيطرة والتهجير، ونذكر لمحة عن أهداف حربهم الدينية فيما يلي:

(١) هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل

وذلك بقتل القضية وتصفية آخر معقل للمقاومة ممثلة في (طائفتها المؤمنة) والتي تصدر عن عقيدة وتقاتل بالإيمان.

فإن من القطعيات الشرعية التى ندين بها لله فى شأن القدس والتي نزل القرآن من أربعة عشر قرناً ونصف حدوث احتلال اليهود للأرض المقدسة ومضى ثلاثة عشر قرناً ولم يتحقق الخبر حتى القرن الأخير تحقق، ففرح يهود بهذا وتجاهلوا نصف الخبر والذي نزل به الوحي أن الله جامعهم لتكون مصارعهم بها فلا الشرعية الدولية الوضعية ستمنعهم ولا اعتراف الحكومات بهم ستعصمهم.

هذه الحقيقة والتي يجب توريثها للأجيال الحاضرة والتالية لهم فهي ليست قضاء مبرم وحسب ولكنها قدر، والذي لا يتحقق إيمان عبد بالله إلا بالإيمان به.

والنصيحة والوصية أن تعلم أنه ليس المهم متى...؟ ولكن للتاريخ ضفتين فلا تكن في ضفة معاداة القدر الإلهي فالقدس قبلة التاريخ الماضي والحاضر والمستقبل كما الكعبة قبلة الصلاة..

والمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، سيتحول التاريخ عنده لصالح أهل الإيمان، كما تكرر ذلك طوال الزمان منذ بناه إبراهيم عليه السلام..

فإن الحشود العسكرية الأمريكية والبريطانية الضخمة، لم تأت لمجرد مساندة عصابات نتنياهو المذعور من هجوم المقاومة الإسلامية، وكذلك فإن إرسال أمريكا ثلاث حاملات طائرات إلى شرق المتوسط بكامل التسليح البري والبحري؛ وبصحبة ٢٠٠٠ مقاتل من قوات المارينز وتجهيز أضعافهم(حتى كتابة هذه السطور) ، مع قدوم قوات بريطانية بحرية للدعم اللوجستي ، وقول بايدن بأن الحرب ستطول؛ وقول وزير خارجيته بأننا نخوض حربا دينية، وتواترت الأخبار عن مصرع مرتزقة من جنسيات مختلفة ، كل هذا يدل على أن المخطط أكبر من تل أبيب، وأبعد من غزة..

وكل ما يجري في غزة وفي محيطها الإقليمي، على الصعيدين العسكري والسياسي إنما يدور حول غاية مركزية واحدة هي: استئصال "المقاومة" استئصالاً كلياً، وإن تعذرت الإزالة الكلية فلا تراجع عن تفكيك عدتها العسكرية والإبقاء عليها كياناً سياسيا رثّاً مهيض الجناح، منزوع الشوكة، كما هو حال فصائل أوسلو.

ذلك المقصد الإستراتيجي ليس مطلباً إسرائيلياً فحسب، بل هو غاية دولية وإقليمية، وبين أيدينا من البينات ما يكفي لإثبات تورط عدد من العواصم الاقليمية في مشروع الاجتثاث ذاك، هذا الأمر هو الأخطر، ليس على مستوى القضية الفلسطينية فقط، بل على مستوى معادلات الصراع الإقليمي برمتها، ذلك أن هزيمة المقاومة الإسلامية (عسكرياً)أو انتصارها سيفرز تحولات محورية على الصعيدين الفلسطيني والعربي (١٣٢).

(٢) الاستحواذ على نفط فلسطين وشواطئ غزة

والموجود بكميات مهولة تقدر بالألوف من مليارات الدولارات وهذا يفسر الخطة التي اتبعها الصهاينة لتدمير الحياة والبنية التحتية وتهجير سكان غزة مع إصرار الولايات المتحدة وإسرائيل على تفريغ غزة من سكانها ليستولوا على ثروة أهلها.

وهنا نذكر بحقيقة وهي أنه "في الحملات الصليبية المبكرة كان البابوات يحرِّضون العامة على حرب المسلمين بقولهم:(إن أرض الشرق تفيض لبنًا وعسلًا..)، وحديثًا يحل النفط والثروات الطبيعية محل اللبن والعسل؛ ليكون هو المحرك الأساسي للحملات الصليبية الحديثة على بلاد المسلمين التي خصها الله بالنصيب الوافر منه ...! وذلك كله مصداقًا لقوله ﷺ:(يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أُفق كما تداعى الأكلة على قصعتها) (٢).

ولكن يجب أن يكون مفهوماً أن «اللبن والعسل» قديمًا و«النفط» حديثًا لم تكن هدفًا إلا باعتبارها وسائل للحرب على العقيدة الإسلامية.. وهي الهدف الأساسي (١٣٣).

---

١٣٢) *حماس: المنعطف الإستراتيجي الأخطر: تزول أم تتمدد؟* د. عبد الله الغيلاني/ أكاديمي وباحث في الشؤون الاستراتيجية*

السبت، ١٦ ديسمبر / كانون الأول ٢٠٢٣

١٣٣) المسيح بن مريم.. تصور سلفي (ص: ٥٧٧)

وأما المنافقون فإنهم يوالون أهل الكفر والطغيان والمعتدين ويظاهرونهم على هذا ويرفعوا شعار الحصار مرددين كلام أوائلهم:«{لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا} فإنهم-بزعمهم-لولا أموال المنافقين ونفقاتهم عليهم، لما اجتمعوا في نصرة دين الله، وهذا من أعجب العجب، أن يدعى هؤلاء المنافقون الذين هم أحرص الناس على خذلان الدين، وأذية المسلمين، مثل هذه الدعوى، التي لا تروج إلا على من لا علم له بحقائق الأمور، ولهذا قال الله ردًا لقولهم:{وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ} فيؤتي الرزق من يشاء، ويمنعه من يشاء، وييسر الأسباب لمن يشاء، ويعسرها على من يشاء،{وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ}فلذلك قالوا تلك المقالة، التي مضمونها أن خزائن الرزق في أيديهم، وتحت مشيئتهم»(١٣٤).

وهذا الهدف يشتبك مع حلم اليهود في إنشاء قناة بن جوريون وهذا خبره.

(٣) قناة بن غوريون..

وهو حلم إسرائيلي غربي قديم، فهل أُشعلت معركة غزة لتحقيق ذلك الحلم؟ وما علاقة غزة بتلك القناة البديلة لقناة السويس التي تستحوذ حالياً على نحو٢٠٪ من حركة النقل في البحار بنحو٩٢سفينة يومياً، وبإيرادات تقدر بـ٩.٤ مليارات دولار سنوياً؟.

ولجواب هذا السؤال نقول: شق «قناة بن غوريون» صعب تنفيذه لتكلفته العالية بسبب طولها الزائد ما لم تخترق قطاع غزة الذي يعوق مساره الأقصر والأقرب، وللتغلب على ذلك فلابد من احتلالها وتفريغها من أهلها، ومن ثم جرفها بالكامل لتكون الممر الأنسب لشق القناة البديلة، لتربط إيلات الواقعة على البحر الأحمر بغزة على البحر المتوسط.

أما الأهم في ذلك المشروع فهو اختصار الوقت عن الذي تستغرقه السفن العابرة لقناة السويس ذات العمق ٤٠ متراً، والطول ١٩٣ تقريباً، لأنها ذات اتجاه واحد، ورغم أن «قناة بن غوريون» أطول من قناة السويس بنحو ١٠٠ كم، فإنها ستتكون من قناتين مستقلتين باتجاهين مختلفين، وبعمق ٥٠ متراً.

وقد حصلت إسرائيل على ضوء أخضر أميركي أوروبي مسبق بالبدء بتنفيذ حلمها، وتحديداً من إنجلترا وفرنسا اللتين شقتا قناة السويس، وافتتحتاها في سنة ١٨٦٩م،

---

[١٣٤] تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن (ص٨٦٥)

فأممها جمال عبد الناصر سنة ١٩٥٦، وها قد حان وقت الثأر منه، فالدول الغربية تنظر إلى إسرائيل على أنها الحليف الفعلي والمضمون، ويرون فيها قاعدة عسكرية قوية لكبح جماح من يتمرد عليهم من العرب.

فسعي إسرائيل إلى تنفيذ مشروع «قناة بن غوريون»، رغم وجود قناة السويس له عدة أسباب، أحدها اقتصادي، فالمتوقع أن تدر لها القناة البديلة ما لا يقل عن ٦ مليارات دولار سنوياً قابلة للزيادة، وبالمقابل ستنخفض إيرادات قناة السويس إلى نحو ٤ مليارات دولار سنوياً، أما استراتيجياً فتلك القناة ستضمن لإسرائيل السيطرة على خطوط الملاحة الأهم عالمياً، وستصبح موانئها حلقة الوصل بين آسيا وأوروبا، وتصبح مصالح الدول المستوردة للنفط والغاز مرتبطة بالحفاظ على مصالح إسرائيل.

فواضح أن مشروع «قناة بن غوريون» المخترق لغزة وراء إصرار إسرائيل على إفراغها من أهلها، ووراء ذلك التدمير الوحشي الممنهج لبنيتها ومبانيها، وهو أيضاً سبب السكوت الغربي الغريب والشاذ ضد الوحشية الإسرائيلية على غزة، ورفضهم القاطع لوقف إطلاق النار (١٣٥).

إذن المخطط أكبر من غزة وما تحرك البوارج البحرية للأمريكان والبريطانيون والفرنسيون والألمان والإيطاليين قبالة ساحل غزة إلا لأن القضية (قناة بن غوريون) التي تنطلق من إيلات إلى غزة ذهابا وإيابا، حتى يصل إلى الهند -في ٢٠٠٩م كان رئيس الوزراء الهندي "نارندرا مودي" حاكم كجرات يقترب من حكم الهند وطالب ساعتها بتدويل قناة السويس- ماراً بالخليج ثم الكيان الصهيوني ثم أوروبا في مواجهة طريق الحرير(الصيني)، والمخطط الآن هو تفريغ غزة وبكل وضوح السيطرة الكاملة لليهود على المنطقة بحرا وبرا وجوا مع التطبيع لتصبح هي صاحبة الكلمة في بلاد تخلى حكامها عن أمنهم القومي بتعبير اليوم، وتخلوا عن دينهم وعروبتهم بتعبير الشريعة والواقع.

والقناة الصهيونية المزمع البدء بها قريبة من الحدود البحرية الأردنية وافتتاح هذه القناة سيكون أمراً محرجا للدولة الأردنية، وذلك كونه باعتبارات المصلحة سيكون أفضل

---

(١٣٥) في الصميم: قناة بن غوريون سبب مأساة غزة طلال عبد الكريم العرب
اقرأ المزيد: https://www.aljarida.com/article/44551

للأردن، غير أنه باعتبارات سياسية وعربية فسيكون له كُلفة عالية على الأردن، متوقعا ألا يستخدم الأردن القناة-في المرحلة الأولى على الأقل-تجنبا للإحراج مع مصر.

واذا قام الكيان الصهيوني ببناء القناة من إيلات على البحر الأحمر إلى البحر المتوسط،فإنها ستقلص المسافة التي تمر بها السفن عبر قناة السويس إلى البحر المتوسط.

وهذه القناة الصهيونية لن تبني على شاكلة قناة السويس، الممر البحري الذي تبحر عبره السفن من اتجاه إلى آخر، وفي اليوم الثاني في الاتجاه المعاكس.

بل سيقوم الكيان الصهيوني بحفر قناتين مستقلتين، واحدة من البحر الأحمر إلى البحر المتوسط، والثانية من البحر المتوسط إلى البحر الأحمر.

وبالتالي لن تتأخر أي سفينة، في حين تستغرق السفن في قناة السويس فترة أسبوعين للمرور وتشير المصادر ذاتها إلى وجود ميزة أخرى تتمثل في طبيعة الأرض، حيث إنها صخرية وصلبة، وتتحمل أي ضغط دون أي تأثير على عكس قناة السويس، حيث طبيعة الارض رملية وتحتاج الى متابعة مستمرة.

وستكون القناة بعمق ٥٠ مترًا، أي زيادة عن قناة السويس ١٠ أمتار، وتستطيع سفينة بطول ٣٠٠ متر وعرض ١١٠ أمتار، وهي أكبر قياس سفن في العالم للعبور في القناة.

وسيتفق الكيان الصهيوني مع (٣) مصارف أمريكية لإقراضها الـ١٤ مليار بفائدة ١٪ في المئة على أن تردَّها على مدى ٣٠ سنة. وهكذا يكون الصهاينة قد بنوا القناة من قروض أمريكية بفائدة بسيطة، بينما هي تستفيد بقيمة ٤ مليارات وأكثر في السنة.

(٤) الممر الاقتصادي الجديد بين الهند والخليج وأوروبا

وقّعت الولايات المتحدة والهند والسعودية والإمارات وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والاتحاد الأوروبي– على هامش قمة العشرين في نيودلهي-مذكرة تفاهم وأعلنت فيها عن البناء المشترك لمشروع "الممر الاقتصادي الهندي الأوروبي"(IMEC)الذي يربط بين آسيا والهند وأوروبا مروراً بالخليج.

كان هذا اللعلان في سبتمبر ٢٠٢٣م وقبل شهر تقريباً من بدء المقاومة لعملية طوفان الأقصى.

ويتألف المشروع الجديد من ممرين منفصلين، أحدهما يربط الهند بالخليج العربي والآخر يربط الخليج العربي بأوروبا.

وأشارت العديد من التعليقات والتحليلات إلى أن "طريق التوابل الحديث" الطموح هذا يهدف إلى منافسة واضحة مع مبادرة "الحزام والطريق" أو " طريق الحرير" التي أطلقتها الصين قبل ١٠ أعوام.

بحسب المذكرة الصادرة عن البيت الأبيض، يتألف "الممر الاقتصادي الهندي والأوروبي" من ممرين منفصلين، سيمتد واحد عبر بحر العرب من الهند إلى الإمارات العربية المتحدة، والآخر يعبر المملكة العربية السعودية والأردن و(فلسطين) "إسرائيل" قبل أن يصل إلى أوروبا.

ويهدف المشروع إلى ربط دول الشرق الأوسط عبر خطوط السكك الحديدية، ثم ربطها بالهند عبر الموانئ البحرية.

قالت رئيسة المفوضية الأوروبية "أورسولا فون دير لاين" عن إطلاق المشروع، إن "خطوط السكك الحديدية ستجعل التجارة بين الهند وأوروبا أسرع بنسبة ٤٠٪". وإلى جانب ذلك، يشمل المشروع خطوطاً لنقل الكهرباء والهيدروجين، وكابلات نقل البيانات.

ومن منظور استراتيجي، يتسم مشروع "الممر الاقتصادي" بنوايا جيوسياسية واضحة، وتحاول الولايات المتحدة أن تحذو حذو الصين، من خلال بناء الممر الاقتصادي واسع النطاق للتنافس مع مبادرة "الحزام والطريق"، مما يضعف نفوذ الصين في الشرق الأوسط.

وفي ٢٤نوفمبر ٢٠٢٣م صرح الخرف بايدن قائلاً: "حماس عرفت أنني أعمل مع السعودية للحصول على اعتراف بإسرائيل.

- كنا قد اتخذنا قرار تنفيذ مشروع اقتصادي سيربط الهند بأوروبا عبر الاراضي الفلسطينية المحتلة والسعودية.

التصريح الأول سيزيد من شعبية حماس والمقاومة في غزة إسلاميًا ولدى أحرار العالم.

التصريح الثاني سيجلب للمقاومة في غزة دعم من أطراف إقليمية ودولية، الصين وتركيا وروسيا المتضررين من هذا المشروع الهندوسي-الاسرائيلي الذي سيضر بطريق الحرير

للصين وبمشاريع تركيا للطاقة في المتوسط، وسيضر بمشروع روسيا لتمرير الانابيب الى أوروبا عبر تركيا.

هذه المشاريع وتلك الأهداف " المؤامرة" والتي حاكها المتآمرون ما كان لها أن تحدث في أمتنا لو الغفلة والاستبداد والظلم واشغال الجماهير عن قضايا مصيرية بسرقة عقولها وتزييف أعدائها حتى وصل حال البعض إلى اتهام أبناء الأمة والثقة في أعدائها.

وبالكذب الذي يهدي إلى الفجور ونسيت نسبة ليست بهينة من الجماهير أن هناك بلد محتل وفيه جزء محاصر، وأن المسجد الأقصى المبارك دنسه الاحتلال الغاشم.

بل ونسيت هذه الجماهير أن عقولنا وثرواتنا تهاجر إلى بلاد عدونا، وأن هذه الثروات كفيلة بتوفير التحسينيات في أمة تفتقد للضروريات.

من ألفاظ الحديث

(ناس وأناس وطائفة وعصابة وقوم)

[لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي] [لَا تَبْرَحُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي] [إِنَّهَا لَنْ تَبْرَحَ] [مِنَ الْمُسْلِمِينَ [لَا يَزَالُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ] [لَا تَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ [وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ] [لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا وَطَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي] [لَا يَزَالُ أُنَاسٌ] [لَا يَزَالُ نَاسٌ]

فهم (ناس وأناس وطائفة وعصابة وقوم)

قاموا لمقاومة مشاريع الذل والظلم والاستعباد والاستبداد ليتجدد التاريخ النضالي للرسالات بطائفة وطوائف تجدد الفعل والممارسة الحضارية للوحي، بالجهاد والرباط ومنازلة الكفر ومقاومة الظلم.

ووصفهم بهذه الأوصاف يدل على قلة عددهم، وقلة من يواليهم أو يناصرهم مع كثرة مخالفيهم وخاذليهم وأعدائهم يوجب كثرة الحروب والمنازلات وقد جاء في روايات الحديث وصفة قلتهم وكثرة أعدائهم ومخالفيهم بوصفه ﷺ أنهم «كَالْإِنَاءِ (أو كَالشَّيءِ) بَيْنَ الْأَكَلَةِ» وذكر كثرة معاركهم وجهادهم بقوله :(كُلَّمَا ذَهَبَ حَرْبٌ نَشَبَ حَرْبُ قَوْمٍ آخَرِينَ)

(١) الطَّاءُ وَالْوَاوُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى دَوَرَانِ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ، وَأَنْ يُحَفَّ بِهِ. ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ..... ثُمَّ يُقَالُ لِمَا يَدُورُ بِالْأَشْيَاءِ وَيُغَشِّيهَا مِنَ الْمَاءِ: طُوفَانٌ.

وأَمَّا الطَّائِفَةُ مِنَ النَّاسِ فَكَأَنَّهَا جَمَاعَةٌ تُطِيفُ بِالْوَاحِدِ أَوْ بِالشَّيْءِ. وَلَا تَكَادُ الْعَرَبُ تَحُدُّهَا بِعَدَدٍ مَعْلُومٍ، إِلَّا أَنَّ الْفُقَهَاءَ وَالْمُفَسِّرِينَ يَقُولُونَ فِيهَا مَرَّةً: إِنَّهَا أَرْبَعَةٌ فَمَا فَوْقَهَا، وَمَرَّةً: إِنَّ الْوَاحِدَ طَائِفَةٌ، وَيَقُولُونَ: هِيَ الثَّلَاثَةُ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ كَلَامٌ كَثِيرٌ، وَعند الْعَرَبُ، أَنَّ كُلَّ جَمَاعَةٍ يُمْكِنُ أَنْ تَحُفَّ بِشَيْءٍ فَهِيَ عِنْدَهُمْ طَائِفَةٌ، وَلَا يَكَادُ هَذَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْيَسِيرِ هَذَا فِي اللُّغَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ثُمَّ يَتَوَسَّعُونَ فِي ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ الْمَجَازِ فَيَقُولُونَ: أَخَذْتُ طَائِفَةً مِنَ الثَّوْبِ، أَيْ قِطْعَةً مِنْهُ، وَهَذَا عَلَى مَعْنَى الْمَجَازِ ؛ لِأَنَّ الطَّائِفَةَ مِنَ النَّاسِ كَالْفِرْقَةِ وَالْقِطْعَةِ مِنْهُمْ.

والمعنى المحوري لـ(طوف-طيف) ومنه طائفة «غِشْيان الشيء (بغلظ أو قوة) غِشْيانًا يَعُمَ حدُودَه: جوانبه أو أعلاه كالطُوفان يَغْشَى وَجه الأرض ويغطي كل ما عليها {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ}[الأعراف: ١٣٣، وكذا ما في العنكبوت: ١٤].

"الطائفة: القطعة من الشيء "كأنها جانب من حواشيه أو مما يحيط به {وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [النور: ٢]، وكذا كل (طائفة) ومثناها في القرآن الكريم »(١٣٦).

وهذه اللفظة هي ما جاءت في أكثر الروايات وهي متناسبة مع الأحداث فهي طوفان الأقصى وطوافه بتوفيق الله تعالى وتأييده لطائفة النبي ﷺ ومن أمته وهم على الحق أسوتهم النبيﷺ في سنته وشريعته وأخلاقه وجهاده وصبره.

(٢)عصابة والعِصابة:الجماعة من الناس، والعصبة من النَّاس: مَا بَين الْعشْرَة إِلَى الْأَرْبَعين، وعصب القوم بفلان:أحاطوا به، وبه سميت العصبة، وهم قرابة الرجل لأبيه،وَسُمِّيَتْ عُصْبَةً لِأَنَّهَا قَدْ عُصِبَتْ، أَيْ كَأَنَّهَا رُبِطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، والعصابة جمَاعَة لَيْسَ لَهَا وَاحِد(١٣٧).

و«المعنى المحوري شَدّ أشياءَ أو أثناءِ شيءٍ معًا بمُمْتدٍّ مَتين. كالأعصاب للمفاصل، وكما تفعل العصابة والعمامة بالرأس... والعُصْبة -بالضم، وكرسالة: الجماعةُ ما بين العشرة إلى العِشْرين " (بينهم آصرة شديدة تربطهم، أو هم متحدون على أمرٍ ما) {لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ} [يوسف: ٨]، {مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ

---

١٣٦) مقاييس اللغة (٣/ ٤٣٢) فيض القدير (٦/ ٣٩٦) المعجم الاشتقاقي المؤصل (٣/ ١٣٣٦)

١٣٧) المنجد في اللغة (ص٢٦٦) جمهرة اللغة (١/ ٣٤٨) مجمل اللغة لابن فارس (ص٦٧٢) مقاييس اللغة (٤/ ٣٣٩) مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٩٤).

بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ} [القصص: ٧٦ وكذا ما في يوسف: ١٤، النور: ١١]. و"عَصَبَة الرجل -محركةً: بَنُوه وقرابتُه لأبيه " (مشدودون إليه بقرابة قوية من العصب والصلب لا من الرحم)»(١٣٨).

(٣) والقوم في الأصل جماعة الناس عامة (كأنها اسم جمع قائم)، وهم مظاهِرون (مُقَوُّون) لمن هو منهم. ثم خُصصت بعد فيما أرى بالرجال، باعتبار أنهم كانوا هم الذين يُعْتَدّ بهم في الحروب وما إليها، ولأنهم القادة والذادة أي القائمون بالأمر {لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ} [الحجرات: ١١](١٣٩)

(٤) ناس وأناس «المعنى المحوري(الأُنْس والأُلفة =) كون الشيء في وَسَطٍ مجانس أو مشاكل له ... (الإنس) مقابل الجن، والنسبة إليه، و (الإنسان) وجمعه (أناسيّ) و (الناس) والمعتمد أنه اسم جمع للإنسان كقوم ورهط، وأن أصله (أناس) حذفت همزته بعد دخول (أل) عليها لكثرة الاستعمال، ثم استمر الحذف بعد حذف (أل)»(١٤٠).

فهم أناس متجانسون وهم قوم تقوا بالحق، وعصابة ارتبطت بأمتها بعد ارتباط والتفاف بعضهم ببعض، وارتباطهم بدينهم وبأمتهم ودورانهم في فلك أمتهم واحاطتهم بعدوهم وحملهم وحملتهم كأنهم الطوفان.

وإن كثرة هذه الأوصاف وتواردها تأكيد لكونهم مستمرون على الحق والجهاد من أجله دفعاً للظلم، وصوناً للحرمات وحفظاً للمقدسات، كما أنها دليل على تنوعهم واختلافهم مع اتحاد مقصدهم وهدفهم، مع قلتهم وقلة الناصر والمعين وكثرة أعدائهم.

ظاهرين على الحق

ظاهرين على الحق «أَي: معاونين على الحق أي: ثابتين له، وَقيل: غَالِبين، وَقيل: عالين»(١٤١). وكلها متفقة فهم ثابتين على الحق وعالين وغالبين لعدوهم بهذا الحق .

وقد يكون المراد بظهورهم في الحديث أي غير خافين ولا مستترين بل غالبون وظاهرون على غيرهم حساً ومعنى؛ لأن الظهر في اللغة خلاف البطن

١٣٨) المعجم الاشتقاقي المؤصل (٣/ ١٤٧٣)

١٣٩) المعجم الاشتقاقي المؤصل (٤/ ١٨٣٩)

١٤٠) المعجم الاشتقاقي المؤصل (٤/ ٢١٨٧)

١٤١) عمدة القاري (٢٥/ ٤٨) إرشاد الساري (١٠/ ٣٢٤) صحيح البخاري بحاشية السهارنفوري-ت الندوي(١٤/ ٢٩٣)

قال ابن حجر:«قَوْلُهُ (حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ) أَيْ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ أَيْ غَالِبُونَ، أَوِ الْمُرَادُ بِالظُّهُورِ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُسْتَتِرِينَ بَلْ مَشْهُورُونَ وَالْأَوَّلُ أَوْلَى » (١٤٢).

فهو يدل على الارتفاع مع بروز، والبطن يدل على تستر وانخفاض. وهذه الروايات ربطت بين القتال والظهور؛ فهم في قتالهم لهم الغلبة ولا تكون الغلبة إلا بظهور.

وعلى هذا تفسر الروايات الأخرى التي ورد فيها ذكر الظهور فقط دون ذكر القتال.

عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺيقول: «لن يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون» (١٤٣) .

وعن معاوية ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:«لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله،وهم ظاهرون على الناس» (١٤٤).

وعن سعد ابن أبي وقاص ﷺقال: قال رسول الله ﷺ:«لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة» (١٤٥) . وعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» .(١٤٦)

وفي رواية عند ابن ماجة: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»، وعن قرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، ولا يزال أناس من أمتي منصورين لا يبالون من خذلهم حتى تقوم الساعة» (١٤٧). وفي رواية عنه: «لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من

١٤٢) فتح الباري» (١٣/ ٢٩٤ ط السلفية)

١٤٣) رواه مسلم في كتاب الإمارة رقم (٣٥٤٥) وهذا لفظه والبخاري في المناقب رقم (٣٣٦٨) وفي الاعتصام رقم (٦٧٦٧) وفي التوحيد رقم (٦٩٠٥) ، ورواه أحمد في المسند رقم (١٧٤٣٣) ورقم (١٧٤٩٣) ، والدارمي رقم (٢٣٢٥)

١٤٤) رواه مسلم في الإمارة رقم (٣٥٤٨) ورقم (٣٥٤٩) ، والبخاري في فرض الخمس رقم (٢٨٨٤) والمناقب رقم (٣٣٦٩) ، وأحمد رقم (١٦٣٠٥) (١٦٣٢٣) (١٦٣٢٤) . (١٦٢٧٦) ، وابن ماجة في المقدمة رقم (٩)

١٤٥) انظر: كتاب الإمارة رقم (٣٥٥١)

١٤٦) رواه مسلم في الإمارة رقم (٣٥٤٤) وأحمد (٢١٣٦٩) ، والترمذي في الفتن (٢١٥٥) ، وابن ماجة في المقدمة (١٠) والفتن (٣٩٤٢)

١٤٧) رواه أحمد (ح١٩٤٧٣) وهذا لفظه و(ح١٩٤٦٨) ، و (ح١٥٠٤٣) ، والترمذي في الفتن رقم (٢١١٨) ، وابن ماجة في المقدمة (٦)

خالفهم حتى تقوم الساعة». ويؤيد هذا حديث جابر بن سمرة ﷺ مرفوعاً: «لن يبرح هذا الدين قائماً يُقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة» (١٤٨). وفي لفظ عند الحاكم: «لا يزال هذا الدين قائماً يقاتل عليه المسلمون حتى تقوم الساعة» (١٤٩).
وروى مسلم من حديث عقبة بن عامر ﷺأنه قال: «أما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك». فقال عبد الله: أجل ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك، ومسها مس الحرير، فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلاّ قبضته، ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة» (١٥٠) .
والقهر للعدو لا يكون إلاّ بالغلبة والظهور عليه. وقد جاء في الروايات تفسير الظهور بالقهر كما جاء تفسيره بالنصر، وكلها معان تفسر كلمة (ظاهرين) . قال الإمام القرطبي: وظاهرين منصورين غالبين كما قال في الحديث الآخر: «يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خذلهم «أي من لم ينصرهم من الخلق» (١٥١) . وسبق ذكر حديث عمران بن حصين ﷺعند أبي داود في الجهاد، وعند الحاكم في الجهاد، والفتن.
وقيد (على الحق) قيد خرج به كل قتال ليس للحق وإنما من أجل الباطل، وهو ما جاء في حديث أَبِي مُوسَى قَالَ:«سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ.» (١٥٢)
وهذا القيد يدل دلالة قاطعة على شرف الوسيلة لشرف المقصد والهدف وليس الأمر لسفك الدماء وإنما إحقاقاً للحق ورد عادية الظالم وحفظ الحرمات وصيانة المقدسات. وانْتِفَاعِ الْمُسْلِمِينَ بِجِهَادِ المجاهدِ وَاجْتِهَادِهِ لا يكون إلا بذَلِكَ لأنه لَا يَنْفَعُ إلَّا مَعَ الْإِيمَانِ وَالنِّيَّةُ السَّالِمَةُ بأَنْ يَكُونَ جِهَادُهُ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا (١٥٣) ولذا قال ابن

١٤٨) رواه مسلم في الإمارة رقم (١٧٢)
١٤٩) انظر: المستدرك، (٤/ ٤٤٩)
١٥٠) انظر: كتاب الإمارة رقم (١٧٦)
١٥١) المفهم، (٣/ ٧٦٢)
١٥٢) البخاري (١٢٣، ٢٨١٠)، مسلم (١٩٠٤)
١٥٣) المنتقى شرح الموطإ» (٣/ ٢٠٧)

عبد البر ويؤخذ من الحديث أن «كلُّ من قاتلَ لتكون كلِمةُ الله هي العُليا، وكلِمةُ الذينَ كفرُوا السُّفْلَى، فهُو في الجنّةِ إن شاءَ الله» (١٥٤).

وهنا وجب التنبيه أن كل قتال يراد به المال لحساب الغير ويكون سبباً لزيادة الشقاق فليس مراد في ديننا البتة.

وكل من يعمل لحساب الغير في قتل الناس لحزبية أو قومية أو قبلية أو حتى "عمل" فليس من الجهاد للحق في شيء ولا يراد به وجه الله .

فالجهاد هو الجهاد من أجل الحق والدعوة بحماية دين الناس ومساجدهم وأعراضهم وأموالهم، وهو الجهاد الذي يرضاه الله ورسوله وهو قرين الدعوة وأس حمايتها.

وهو الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا بتعظيم الخالق والرحمة بالخلق .

لأن مهمة المسلم في الحياة كما الإمام الهروي (ت٤٨١ه) عن البدايات في علم التصوف: "إقامة أمر الله وتعظيم نهيه، والشفقة على العالم"(١٥٥). ويقول الإمام الرازي (ت ٦٠٦ه): "مَجَامِعَ الطَّاعَاتِ مَحْصُورَةٌ فِي أَمْرَيْنِ التَّعْظِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالشَّفَقَةِ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ"(١٥٦). وبتعبير قال ابن تيمية (ت٧٢٨ه):"إِرَادَةِ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ؛ وَمَحَبَّتِهِ وَالْإِنَابَةِ إلَيْهِ؛ وَرَحْمَةِ الْخَلْقِ وَالْإِحْسَانِ إلَيْهِمْ"(١٥٧).

وقد ذكر العلامة الكافيجي الحنفي (ت٨٧٩) هذا المعنى بقوله: "الصدق مع الحق والخُلُق مع الخَلْق"، وقال عنه: "جامع لمعاني علوم الأولين والآخرين"(١٥٨).

ومن الحق في الجهاد أن يكون تحت راية ويأذن فيه ولي الأمر وهذا في حالة جهاد الطلب.

---

١٥٤) التمهيد – ابن عبد البر» (١١/ ٥٨٩ ت بشار)

١٥٥) منازل السائرين (ص: ٦) بتصرف.

١٥٦) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/٧٤٦).

١٥٧) مجموع الفتاوى (٢٠/١١٧).

١٥٨) ذكره في رسالتين تتحدثان عن الأوقاف مخطوط:سؤال في استبدال الوقف بالملك دار الكتب/القاهرة (١٧٥ مجاميع) بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في دار الكتب ٤١٤/١ (فقه حنفي) ورسالة:"وجيز النظام في إظهار موارد الأحكام" مخطوطات مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية، رقم: رقم: ٣٦٧٨١.

وأما جهاد الدفع فلا يشترط فيه الإذن بل منع المسلم من صد اعتداء الكافر عليه أَعْظَمُ إِثْمٍ بعد الكفر قال ابن حزم: «وَلَا إِثْمَ بَعْدَ الْكُفْرِ أَعْظَمُ مِنْ إِثْمِ مَنْ نَهَى عَنْ جِهَادِ الْكُفَّارِ وَأَمَرَ بِإِسْلَامِ حَرِيمِ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ» (١٥٩).

يقول الأستاذ الإمام محمد عبده «فَالْقِتَالُ لِحِمَايَةِ الْحَقِيقَةِ كَالْقِتَالِ لِحِمَايَةِ الْحَقِّ كُلِّهِ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ»(١٦٠).

وعلق الشيخ محمد أحمد العدوي رحمه الله على ذلك بقوله:"ومنه نعلم أن ما يعمله شعوب المسلمين اليوم في جميع أنحاء الأرض مع المستعمرين من الدفاع عن بلادهم، والذود عن حقيقتهم وحفظ استقلالهم، ولغتهم وقوميتهم، كل ذلك جهاد في سبيل الله وطريقه الذي يحبه ويدعو إليه، وأن من يقاتل لحماية الحقيقة كالذي يقاتل لحماية الحق، لأنا مطالبون بحمايتهما معاً، لأن الذي يفرط في الحقيقة لا يستطيع أن يدافع عن الحق، ولأن مسلوب العزة والكرامة والاستقلال لا يستطيع أن يقيم دين الله في الأرض، ولا أن يقيم حدوده، ولا أن يحفظ أخلاقه وأخلاق أمته، إنما الذي يستطيع ذلك هو العزيز في بلاده، القوي في وطنه، وهو الذي له من المنعة والقوة ما يخيف العدو، ويرهب الخصم"(١٦١).

فليس جهاد هذه الطائفة لهوى أو مال أو سلطة بقدر ما هي للحق بمعناه الواسع الذي يشمل صيانة التوحيد وحماية الموحدين في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وديارهم .

والتوحيد مركزي بل هو أصيل في هذه المعركة بل كل حركة وكر وفر من أجل إقراره ونشره.

وهنا يبدو لنا بكل وضوح أن تعاون غلاة النصارى مع متطرفي اليهود واتفاقهم وموالاة بعضهم لبعض سره الحقيقي طمس الحق في نبوة المسيح وبنوته ، والتشغيب على التوحيد ، واتباع كيد الشيطان بعبادة غير الله وصرف العباد عن توحيده واتباع رسله للتسلط على الخلق وهتك الحرمات وهو الطاغوت الذي أمرنا أن نكفر به { لَا إِكْرَاهَ

١٥٩) المحلى بالآثار (٥/ ٣٥٢)

(١٦٠) تفسير المنار(٢/ ٣٦٥)

١٦١) دعوة الرسل إلى الله تعالى (٧/٥) الأعمال الكاملة للشيخ محمد أحمد العدوي .

فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٥٦]

ولذا كان المسيح عليه السلام في بنوته ونبوته والأرض التي ولد فيها وتعرض لمؤامرات اليهود وكيدهم وهي الأرض التي رفع منها ويعود إليها نازلاً عند المنارة البيضاء كلها لحفظ التوحيد وإقراره على يد النبي عيسى بن مريم عليه السلام الذي نسجت حوله الأباطيل التي اعتنقها أهل الكفر والزيغ والضلال لقرون ويحاولون الآن نشرها ونصرها والقتال من أجلها.

إن هذه النصوص النبوية تدل دلالة واضحة على أهمية الجهاد في سبيل الله، وأنه لا ينقطع بل إنه مستمر حتى قيام الساعة من أجل حماية الدين ونصرة الحق ودمغ الباطل.

ومن هنا تعلم عظمة فقه السلف عندما أوجبوا الجهاد مع البر والفاجر حتى مع الحاكم الظالم الفاجر الجائر، وأن ما هم فيه من الجور والظلم لا يسقط الجهاد معهم.

وإن الحكمة من ذلك -والله أعلم- هي المحافظة على أمر الشارع الحكيم في استمرارية شعيرة الجهاد حتى لا تتعطل، ومن ثم يتعطل ما ينتج عن الجهاد من الآثار العظيمة في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: [قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاّ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ] (التوبة: ٥٢) قال ابن تيمية رحمه الله: «يعني إما النصر والظفر، وإما الشهادة والجنة؛ فمن عاش من المجاهدين كان كريماً له ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، ومن مات منهم أو قتل فإلى الجنة» (١٦٢).

وكل الروايات بألفاظها اتفقت في إثبات علوهم "على الحق " "يقاتلون عَلَى الحق ظاهرين عَلَى من ناوأهم وعلى عدوهم " فإن علوهم بالحق وللحق ومع الحق وبهذا كان لهم العلو والغلبة على عدوهم وعلى من ناوأهم وعلى من خالفهم مع غزو العدو ولأواء الحصار الشامل والجائر .

قال ابن حجر:«اتَّفَقَ الشُّرَّاحُ عَلَى أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ أَنَّ الْمُرَادَ عُلُوُّهُمْ عَلَيْهِمْ بِالْغَلَبَةِ»(١٦٣).

---

١٦٢) كتاب الجهاد، (٢/ ٦٣) نقلا عن الطائفة المنصورة تنقذ الموقف د. أحمد بن عبد الله الزهراني «مجلة البيان» (العدد١٧٢) ذو الحجة - ١٤٢٢هـ مارس - ٢٠٠٢م (السنة: ١٦) بتصرف وزيادة

١٦٣)«فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٢٩٥)

وقد ورد أن بقاء أمر الظهور على الحق في الأمة واستمراره فيها إلى قيام الساعة، وهو الخبر الوارد في الحديث: «لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال» (١٦٤) فقد عبر النبي - ﷺ- عن بقائهم إلى قيام الساعة ظاهرين على الحق بأن «آخرهم يقاتل الدجال»، وذلك أن مضمون البعثة المحمدية هو «الظهور بها على الرافضين لها منذ أن بشر بها المسيح عليه السلام»، ولذلك كان المسيح هو قاتل الدجال وكاسر الصليب وواضع الجزية لأن محاولة الالتفاف حول البعثة المحمدية كانت من خلاله هو بتحويله إلى إله من دون الله، ولذلك كانت الفئة الظاهرة لابد أن تكون مرتبطة بالمسيح أثناء قتله للدجال(١٦٥).

فهم على أمر الله حتى يأتي أمر الله وكأنهم لما حازوا معية الله بسعيهم وجهادهم وقيامهم بأمر الله صاروا من اليقين بمكان يجعلهم لا يعبأون بمن خذلهم ولا من خالفهم ولا حتى من ناصرهم، وهذا كمال التوكل وتفويض الأمر لله فهو يؤمنون بالله الحق ويتبعون الحق ويقومون بالحق وللحق ومع الحق فكان ثباتهم وجهادهم نابع من توحيد مطلق وتوكل تام .

والقيام بأمر الله وعلى أمر الله هو عين المعنى الذي شابهوا فيه أصحاب رسول الله ﷺ وكان عليه رسول الله ﷺ .

❀❀❀ ❀❀❀❀

١٦٤) سنن أبي داوود برقم (٢١٥٥). ومسند أحمد بن حنبل برقم (١٩٠٧٣).

١٦٥) علامات الساعة .. دراسة تحليلية رفاعي سرور (ص: ١٣١)

[ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ [مَنْصُورِينَ] (١٦٦)

(على من نَاوَأَهُم)

(لا يضرها من خالفها) وعاداها وخذلها؛ لأنهم منصورون من الله ﷻ، كما قال تعالى: {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ}»

«(لا يبالون)ولا يكترثون (من خذلهم) وأهانهم بترك نصرهم بالحزن على خذلانهم إياهم، (ولا) يبالون (من نصرهم) وأعانهم على عدوهم بالفرح بنصرهم، بل هم متوكلون على الله لا يلتفتون إلى أحد من خلقه»(١٦٧).

وهذا فيما يبدو لكثرة وقوع الخذلان وقلة الناصر، لذا فهم قد وطنوا أنفسهم بالاعتماد على الله والتوكل عليه وهذا هو مفتاح نصرهم وسر ثباتهم .

قوله «على من نَاوَأَهُم»؛ أي: ناهضهم وعاداهم، مُفَاعَلَةً منه، كأنَّ كُل وَاحِدٍ منهم نَاءٍ إلى الآخرِ فكل من المتعادِيَيْنِ ينهض إلى قتال صاحبه، ونَاءَ: نَهَضَ، وناءَ: سَقَطَ، كَأَنَّه مِن الأَضْدَادِ. وهي من النَّوَى، بِالْقصرِ وَهُوَ البُعْد، وفي الحديث: أنّ رجلاً ربطَ الخيلَ فخراً ورياء أو نِواء لأهل الإسلام» ، أي معاداة لهم(١٦٨).

والفرق بين المناوأة والمعاداة: أن مناوأة غيرك مناهضتك له بشدة في حرب أو خصومة وهي مفاعلة من النوء وهو النهوض بثقل ومشقة، ومنه قوله تعالى {مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ} [القصص: ٧٦] ويقال للمرأة البدينة إذا نهضت أنها ناءت وينوء بها عجزها وهو من المقلوب أي هي تنوء به، وناء الكوكب إذا طلع كأنه نهض بثقل، وقال صاحب الفصيح تقول إذا ناوأت الرجال فاصبر أي عاديت وهي المناوأة، وليست المناوأة من المعاداة في شئ إلا ترى أنه يجوز أن يعاديه ولا يناوئه»(١٦٩).

قال الخطابي «ومن باب دوام الجهاد... عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناواهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال.

---

١٦٦) مسند الدارمي(٣ / ١٥٧٨) رقم: (٢٤٧٧)المستدرك (٤ / ٤٤٩، ٥٥٠) رقم: (٨٤٨٣) و: (٨٧٥٠)

١٦٧) شرح سنن ابن ماجه للهرري = مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه» (١/ ٧١، ٧٦)

١٦٨) شرح المصابيح لابن الملك (٤/ ٣٢٤) مسند أحمد (٢٣/ ٦٣ ط الرسالة) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث (٣/ ٣٥٦) مجمع بحار الأنوار (٤/ ٧٩٢) التنبيه على الألفاظ في الغريبين(ص٤١١)

١٦٩) معجم الفروق اللغوية (ص٥١٤)

وفيه بيان أن الجهاد لا ينقطع أبدا وإذا كان معقولا لأن الأئمة كلهم لا يتفق أن يكونوا عدلا فقد دل هذا على أن جهاد الكفار مع أئمة الجور واجب كهو مع أهل العدل وإن جورهم لا يسقط طاعتهم في الجهاد وفيما أشبه ذلك من المعروف. وقوله ناواهم يريد ناهضهم للقتال وأصله من ناء ينوء إذا نهض والمناوأة مهموزة مفاعلة منه»(١٧٠).

وإنما استعمل ذلك في المعاداة؛ لأن كل واحد من المتعاديين ينهض إلي قتال صاحبه انتهي كلامه. وقد سبق .. أن تنزيل أمثال هذا الحديث علي الطائقة المنصورة من أهل الشام أولي وأحرى»(١٧١).

وجاء في الحديث قوله: «ونواءً لأهل الإسلام»، النِّوَاء والمُناوَأة: المخاصمةُ المحارَبة، يعني: ليحارب المسلمين على ظهرها»(١٧٢).

وهذا مما يدل على أن المناوئة تكون من أناس من الأمة تقع منهم المُناوَأة والمخاصمةُ والمحارَبة لهذه الطائفة .

❁❁❁ ❁❁❁❁

١٧٠) معالم السنن» (٢/ ٢٣٦).

١٧١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٨/ ٢٦٤٣).

١٧٢) المفاتيح في شرح المصابيح (٢/ ٤٧٩).

لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم

لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ [من يَخْذُلُهُمْ] (١٧٣)[خَالَفَهُمْ] (١٧٤)

هذه صفة من صفات هذه الطائفة تميزها عن غيرها كما أنها في سياقها تحذير لغيرهم من خذلانهم وحض لأفراد هذه الطائفة أن يستعدوا بلا اعتماد على الغير.

وهذا من أبلغ الوصف وأوضح النصح منه ﷺ ، وهذا الخذلان الذي نراه في وقتنا الراهن بحصارهم وعدم معونتهم ولا حتى مداوة جرحاهم ومنع الماء والغذاء والدواء فضلا عن حصارهم براً وبحراً وجوا ولكن الذي أخبرنا بأنهم سيصيبهم لأواء وسيخذلهم أناس من أمتهم هو النبي ﷺ وقد اقترن خبره ذلك بأن كل ذلك لن يضرهم.

وفي اللغة «خَذَلَ يَخْذُلُ خِذْلاناً وخَذْلاً: وهو تَرْكُ النُّصْرَة.

والخاذِلُ والخَذُوْل من الظِّباء والبَقَر الوَحْشِيَّةِ: التي تَخْذُل صَواحِباتها في المَرْعى.

وتَخاذَلَ القَومُ: إِذْ اتَدابَرُوا أَي خَذَل بعضُهم بَعْضًا...... والتَّركيب يَدُلُّ على تَركِ الشَّيْء والقُعُودِ عَنهُ، والخاذل: المنهزم.

والتَّخْذِيلُ حَمْلُ الرجل عَلَى خِذْلان صَاحبه، وتَثْبِيطُهُ عَن نُصْرَتِه.

الخَذْل ترك النُّصرة. خَذَله خَذْلاً وخِذْلاناً: ترك نُصْرته وكان يَظنّ به أَن ينصره(١٧٥).

«المعنى المحوري التخلف أو التوقف عن الصحبة المعتادة (لغياب القوة أو الإرادة): ...ومنه: "خَذَل اللهُ العبد: لم يَعْصِمْه من الشُّبَه والعياذ بالله". وأصله أنه تركه فلم يُصْحبه توفيقَه. "وخَذَله: ترك نُصْرته وعونه "أصلها تركه في الشدة ولم يقف معه. {وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ} [آل عمران: ١٦٠]، {وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا} [الفرقان ٢٩] ومن صور هذا ما في [الأنفال: ٤٨] {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا} [الإسراء: ٢٢] لا ناصر لك ولا وليا [قر ١٠/ ٢٣٦]»(١٧٦)

وعليه فيكون الخذلان بترك المعونة وقت الحاجة.

---

١٧٣) جامع الترمذي: (٤ / ٨٤) برقم: (٢٢٢٩) صحيح ابن حبان: (١٦ / ٢٢٠) برقم: (٧٢٣٨)

١٧٤)سنن أبي داود: (٤ / ١٥٧) برقم: (٤٢٥٢) سنن ابن ماجه: (١ / ٧) برقم: (١٠) ، (٥ / ٩٧) برقم: (٣٩٥٢) مسند أحمد: (١٠ / ٥٢٦٨) برقم: (٢٢٨٣٠) المعجم الأوسط: (٨ / ٢٠٠) برقم: (٨٣٩٧)

١٧٥) تهذيب اللغة (٧/ ١٤١) معجم متن اللغة(٢/ ٢٤٢) المحيط في اللغة(٤/ ٣١٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز(٢/ ٥٣١) تاج العروس من جواهر القاموس (٢٨/ ٤٠٠)

١٧٦) المعجم الاشتقاقي المؤصل» (١/ ٥٣٧

ويكون بالوقف ضد من كان ينتظرك أن تقف معه.

وأشد الخذلان وأحقره الوقوف مع العدو ضد الأخ ولو بكلمة.

ومعلوم أن خذلان الأقربين أشد من عداوة الأبعدين، لأن القريب ترجى نصرته والبعيد تنتظر عداوته قال ﷺ (لا يضرهم من خذلهم) وكل ذلك لا يضر أهل الرباط، وهذا وعد النبي الصادق الأمينﷺ حيث قال «لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله».

وإِنَّمَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ لَا يَضُرُّهُمْ كُلَّ الضَّرَرِ، وَقَدْ أَضَرَّ الْكُفَّارَ يَوْمَ أُحُدٍ بِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمَّا كَانَتِ الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى لَمْ يَعُدْ ذَلِكَ ضَرَرٌ عَلَيْهِمْ، مَعَ أَنَّ الْفِئَةَ الْمَوْعُودَةَ لَهُمْ بِالنَّصْرِ هُمُ الْجُيُوشُ الْغَازِيَةُ بِهَا وَلَمْ يُصِبْهُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَى الْيَوْمِ غَضَاضَةٌ وَلَا هَوَانٌ، بَلْ كَانَ لَهُمُ النُّصْرَةُ وَعَلَى عَدُوِّهِمُ الدَّبْرَةُ» (١٧٧).

ورواية الترمذي [من يَخْذُلُهُمْ] بصيغة المضارع تفيد معنى استمرار الخذلان وعدم انقطاعه وفيه نلمح معنى تعدد المخذلين واختلاف مشاربهم وأهدافهم وهذا ما أفادته"من" الموصولة أي لا يضرهم الذي يخذلهم كائناً من كان .

يقول محمود شاكر: "انظروا لكل بلد تنطق فيه العربية، أو يذكر فيها اسم الله مقرونًا باسم محمد ﷺ، تروا حربًا تشن على أهل العربية والإسلام بلا هوادة، وبأوقح الأساليب وأخفاها: أيتها العرب! أيها المسلمون!

إنها الحرب. إنها المذابح! إنها الحالقة (١٧٨) التي أجمعت أمم أوربة وأمريكا أن تستأصل بها قوتكم وتجعلكم عبيدًا أذلاء في أرض الله. إنها الفتن المظلمة التي أطبقت عليكم من كل مكان، فجعلت فيكم رجالا ونساء وخلقًا كثيرًا صاروا عدوًّا لأنفسهم وبلادهم وإخوانهم، جهلا وعنادًا وتقليدًا وسوء رأي.

إنه لم يبتل قوم في تاريخ هذه الدنيا بمثل ما ابتليتم به، فقد مضت القرون وأنتم في غفلة عن عدو قد استفحل أمره واستوت قوته واستمر مريره (١٧٩)، فدخل عليكم بلادكم فاستعبدكم فيها وحاربكم بعلمه وجهلكم، وقوته وضعفكم، واجتماع كلمته وتخاذلكم.

---

١٧٧) إرشاد الساري شرح القسطلاني لصحيح البخاري (٦/ ٧٥) «شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن» (١٢/ ٣٩٦٧)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٤٠٤٧)

١٧٨) الحالقة: المُهْلِكة .

١٧٩) استمر مريره: استحكمت قوته، وأصله من إمرار الحَبْل، وهو فَتْلُه فتلا محكما

فلما أفقتم من الغفوات الطويلة لم تجدوا في أيديكم مالًا ولا سلاحًا ولا علمًا، فليس لكم منذ اليوم إلا الشيء الذي هو أقوى من المال والسلاح والعلم: الإيمان بحقكم، والصبر على لأواء هذه الحرب الضروس. فآمنوا واصبروا، فإن قوة الإيمان وحدها تدمر حصون البغي، وتدفعكم إلى طلب المال والسلاح والعلم، وتطهر قلوبكم من كل ضعف، ولا تأسوا على قتيل في هذه الحرب، فإن كل دم يراق من دمائكم إنما هو غيث تغاثون به يغسل عنكم أدرانكم، ويسقى ثرى جف، فينبت لكم أبطال الوغى وصناديد القتال في كل ميدان من ميادين هذه الحرب» (١٨٠).

ومن الحقائق أن كثير من الكيانات التي كانت ثمرة لسقوط الخلافة وقيام دولة لليهود اجتمعت فيها أسباب السقوط الأصلية والفرعية وما بقائها إلا بجبل ممن كان سبباً في وجودها لمقاصده لا مقاصد ملوكها، وكل لحظة تمر وهي قائمة إنما هي عذاب للمقهورين فوق العذاب، وهذا مؤذن بزلزال مدمر في ليل مظلم.

ومن أسف أن هذه الكيانات التي هي من بني جلدتنا وتتحدث بألسنتنا هي أحرص على بقاء هذا الكيان من أهله الذين يتحدثون عن عقدة زوال كيانهم (لعنة العقد الثامن) وهذا ما سجله كثير من مفكريهم وقادتهم.

جاء هذا الطوفان ليعري هذا الكيان ويظهر عواره وعورته، وعورة من يؤيده ويطبع معه.

وقدر الله ﷻ أن أهل الشام والمرابطون في المقدس المبارك وما حوله هم عذاب الله ينتقم الله بهم من أعدائه عن خُرَيْم بْنَ فَاتِكٍ الْأَسَدِيَّ، يَقُولُ: «أَهْلُ الشَّامِ سَوْطُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، يَنْتَقِمُ بِهِمْ مِمَّنْ يَشَاءُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَحَرَامٌ عَلَى مُنَافِقِيهِمْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَى مُؤْمِنِيهِمْ، وَلَنْ يَمُوتُوا إِلَّا هَمًّا أَوْ غَمًّا أو غَيْظًا أَوْ حُزْنًا» (١٨١).

(سوط الله تعالى) يعني هم عذابه الشديد يصبه على من يشاء من العبيد قال الزمخشري: من المجاز ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣] أي فلما علم أن الضرب بالسوط أشد ألما من غيره عبر به.

---

١٨٠) جمهرة مقالات محمود شاكر (١/ ٤٩٩)

١٨١) "حديث حسن" أخرجه أحمد (٤٩٩/٣، رقم ١٦١٠٩) ، والطبرانى (٢٠٩/٤، رقم ٤١٦٣) قال الهيثمى (٦٠/١٠) رجالهما ثقات. وابن عساكر (٢٨٥/١) وأخرجه أيضًا: ابن حبان فى الثقات (٢٨/٤، ترجمة ١٦٨٩) وانظر تخريجه مفصلا في «موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية» (ص٨٧)

«وحرام) أي ممنوع (على منافقيهم أن يظهروا) أي يغلبوا ظاهرين ظهورهم عليهم ممتنع قال تعالى ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٥١] حقاً علينا (على مؤمنيهم) بل لا يكون الظهور والغلبة إلا للمؤمنين .... وفيه فضيلة لأهل الشام بالغة.

(وحرام)على هؤلاء المنافقين (أن يموتوا إلا همًّا) أي قلقاً (وغما) أي كرباً (وغيظاً) أي غضباً شديداً(وحزنا)أي وموتهم غير متصفين بهذ الصفات ممتنع بل لابد أن يتصفوا بها(١٨٢).

❁❁❁ ❁❁❁❁

[١٨٢])فيض القدير (٣/ ٦٦)والتنوير (٤/ ٢٩٨)السراج المنير شرح الجامع الصغير (٢/ ١٩٦)

الفصل الثاني

لا يساق هذا الفصل بما فيه من مباحث وعناصر للرد على شبهات المخذلين المخذولين والمثبطين فحسب، وإنما يساق لبيان أن " الهلاك " هو بترك الجهاد والرباط والزهد في المقاومة.

وأكثر الأمم عذاباً إن بقيت ومصيرها أن تهلك وهي حية هي أمة فقدت قوتها وزهدت في حقوقها ووثقت في عدوها.

ويصبح الهلاك حتمي عندما تحارب مصلحيها وتحابي مفسديها.

وأما إذا وصلت أمة من الأمم للدرجة التي يكون مالها لعدوها وقوتها على أبنائها فقد تودع منها وليس لله حاجة فيها.

قال ابن الجوزي:«الْهَلَاك وَالْفساد يتقاربان. إِلَّا أَن الْفساد يكون مَعَ بَقَاء الْعين- والهلاك يكون مَعَ بَقَائِهَا وَيكون مَعَ عدمهَا. ويستعار فِي مَوَاضِع يجْتَمع فِيهَا الْفساد والهلاك، كالموت والعدم، وَنقض الْبَيِّنَة، وتعطيل الْمَنَافِع.

وَذكر أهل التَّفْسِير أَن الْهَلَاك فِي الْقُرْآن على أَرْبَعَة أوجه: -

أَحدهَا: الْمَوْت، وَالثَّانِي: الْعَذَاب وَالثَّالِث: الضلال وَالرَّابِع: الْفساد» ([١٨٣]).

وأمة لا تستطيع أن تغيث ملهوفاً أو تنصر مظلوماً، بل تصبح حرباً على المظلوم مع ظالمه هي أمة ميتة، ولو كان ذلك بيد حكامها فإن جماهيرها في عذاب وشقاء.

ويكون وسيلة هؤلاء الحكام لقهر الأمة الإضلال والإفساد وذلك كله إلقاء للأمة في التهلكة، بإفساد دينها وسرقة عقولها وكف يدها عن مقاومة الظلم ومجاهدة المعتدي، بل وظهور طوائف منها ومنهم المتدينين فيها بتسويغ ذلك، وتطويع الجماهير للرضا بالذل والخنوع والاستسلام والخضوع، فيخذلون من يدافع عنهم بل ويصبحون سهاماً للعدو في صدور المجاهدين والمدافعين عنها.

وهم يعلمون أنهم يدافعون عن أشرف المقدسات في أرض البركات ويدافعون عن دينهم وديارهم وأعراضهم وأموالهم وحريتهم ثم يخرج لك المثبطون بألسنة حداد وهم

---

[١٨٣]) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر(ص٦٣٩)

أشحة على الأمة وعلى الخير يحقرون فعلهم يخذلون ويشوهون وهؤلاء هم العدو فاحذروهم.

الخذلان بإثارة شبهات الاستطاعة والعدد والإعداد

وهي شبه كلها تشغيب لا عقل ورائها، ولا منطق ولا قانون أو دليل من شريعة تؤيدها. وما تسمعه من أدلة هي موجودة في الشريعة ولكن استخدمها أهل الأهواء بلي أعناقها بل بكسر أعناق النصوص وافراغها من فاعليتها بوضعها في غير موضعها.

فكانت كلام حق ونصوص صدق استعملها غير أمين ومراده بها الباطل.

ومن ذلك أنهم: يقولون (هم أقل عدداً وعدة فلماذا استفزوا العدو الذي يملك تأييداً دولياً وأسلحة فتاكة ونووية ..؟

كما يقولون: ماذا فعلوا بعد الهجوم "الطوفاني" غير أنهم أصبحوا سبباً في اسشتهاد الآلاف من البشر وهدم الآلاف من البيوت غير المصابين والمشردين ؟.

وشبهة ثالثة: تقول هؤلاء خوارج نقضوا عهداً كان من السلطة الفلسطينة وهي شريكهم في الوطن والقرار ..؟ كما أنهم تجاوزا إذن ولي الأمر وهذا خروج ..؟ .

هذه شبه يثيرها أقوام ينسبون إلى العلم والدعوة ولكن رتبتهم الحقيقية(قُرَّاءٌ مِنْهُمْ) ليكون الخذلان في أكمل صورة، كما جاء في زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا يَزَالُ اَلْجِهَادُ حُلْوًا خَضِرًا مَا مطَرَ اَلْقَطْرُ مِنْ اَلسَّمَاءِ وَسَيأْتِي عَلَى اَلنَّاسِ زَمَانٌ يَقُولُ فِيهِ قُرَّاءٌ مِنْهُمْ: لَيْسَ هَذَا بِزَمَانِ جِهَادٍ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ فَنِعْمَ زَمَانُ اَلْجِهَادِ.

قَالُوا يَا رَسُولَ اَللَّهِ: وَأَحَدٌ يَقُولُ ذَلِكَ ؟

فَقَالَ: "نَعَمْ، مَنْ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اَللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

قَالَ عَبْد الْمَلِكِ: وَهَذَا قَوْلُ مَالِكٍ وَرَأْيُ جَمِيعِ أَصْحَابِهِ لَا يَرَوْنَ اَلْغَزْوَ مَعَهُمْ بَأْسًا»(١٨٤).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍوﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الْأَعَاجِمِ. قِيلَ: وَمَا قُلُوبُ الْأَعَاجِمِ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا، سُنَّتُهُمْ سُنَّةُ الْأَعْرَابِ، مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ رِزْقٍ جَعَلُوهُ فِي الْحَيَوَانِ، يَرَوْنَ الْجِهَادَ ضَرَرًا، وَالصَّدَقَةَ مَغْرَمًا» (١٨٥).

١٨٤) أصول السنة لابن أبي زمنين» (ص٢٩١)(٢٢١)-

١٨٥) رواه: أبو يعلى مرفوعًا، والحارث بن أبي أسامة موقوفًا. قال الحافظ ابن حجر: "وهو أصح". قلت: والموقوف له حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال من قبل الرأي، وإنما يقال عن توقيف(«إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة» (٢/ ٧٩)وصححه الألباني (سلسلة الأحاديث الصحيحة:٢/٧- ٣٣٥٧)

وتهافت هذه الشبهات معلوم لصدورها عن أتباع دول بعينها من طائفة "القراء" وبعض الإعلاميين والنشطاء، وهذه الدول هي هي التي تساهم في حصار المسلمين المحتلة بلادهم وتريد من العدو- المعتدي على المسجد الأقصى وأهله- أن يبيد أهل غزة ويدمر مدينتهم.

يقول الدبلوماسي الأميركي اليهودي السابق دينيس روس في مقال له بصحيفة "نيويورك تايمز" الأميركية: "إسرائيل ليست الوحيدة التي تعتقد أن عليها هزيمة حماس" مضيفا "خلال الأسبوعين الماضيين، عندما تحدثت مع مسؤولين عرب في أنحاء مختلفة من المنطقة أعرفهم منذ فترة طويلة، قال لي كل واحد منهم إنه لا بد من تدمير حماس في غزة.

ونقل عنهم أنه "إذا اعتبرت حماس منتصرة، فإن ذلك سيضفي الشرعية على أيديولوجية الرفض التي تتبناها الجماعة...بل يطلبون "تدمير قطاع غزة على رؤوس ساكنيه" (١٨٦).

ظواهر غريبة تؤيد ما قاله دينيس روس منها: فشل الزعماء العرب في الضغط لإيقاف إطلاق النار وإدخال المساعدات؛ رغم أوراق الضغط القوية التي بأيديهم، ورغم العدوان الصهيوني البربري الذي لم يسبق له مثيل.

وما يصدرُ عن بعض المسؤولين الفلسطينيين والعرب من تصريحات، تقتصر على الجانب الإنساني في قطاع غزة، ولا تشير- بتاتًا- إلى المقاومة الفلسطينية وحقها في مواصلة القتال ضد الاحتلال حتى تحرير أرضها واستعادة حقوقها.

ما نقلته شبكة سي إن إن عن "هاريل شوريف"- كبير الباحثين في مركز "موشيه دايان" لدراسات الشرق الأوسط وإفريقيا في جامعة تل أبيب، حيث يقول: "كنت أتحدث إلى مسؤول في السلطة الفلسطينية ورسالتهم واضحة "تدميرهم، دمرهم، هذه المرة يجب على إسرائيل تدمير حماس، وإلا انتهينا". وأضافَ: "بالطبع، علنًا، يدينون إسرائيل".

---

١٨٦) في مقالٍ في "النيويورك تايمز" الأميركية يوم الجمعة ٢٧/١٠/٢٠٢٣م-
https://www.aljazeera.net/news/presstour/2023/10/29/%D8%AF%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%B3-%D8%B1%D9%88%D8%B3-%D9%82%D8%A7%D8%AF%D8%A9-%D8%B9%D8%B1%D8%A8-%D8%A3%D9%83%D8%AF%D9%88%D8%A7-%D9%84%D9%8A-%D8%A3%D9%86%D9%87-%D9%84%D8%A7-%D8%A8%D8%AF-%D9%85%D9%86

ما نطالعه في بعض وسائل الإعلام العربية الرسمية من تغطيات ومواقف ومعالجات تتناقض مع المواقف الرسمية المعلنة، وتصبّ جام غضبها على المقاومة وحركة حماس، وتحملها مسؤولية ما يعانيه الشعب في قطاع غزة، متناسية تمامًا الاحتلال الصهيوني الجاثم على صدر فلسطين منذ حوالي ٨٠ عامًا، وأنه السبب الحقيقي لمعاناة الشعب الفلسطيني، وما حماس وفصائل المقاومة الفلسطينية الأخرى إلا كيانات سياسية ذات امتدادات شعبية راسخة تقوم بواجبها في دحر الاحتلال، بعد أن فشلت كافة الجهود الدولية في استعادة حقوقه وإقامة دولته على أرضه(١٨٧).

وهذا الشبهات لن نفرد لكل شبهة رد بل إن هذا البحث برمته رد على كل مخذل ومثبط، ولكن للرد على هذه الشبهات نذكر ببعض الأصول المهمة في معركتنا مع اليهود، ومن يواليه من الغرب أو من منافقي العرب.

وما يساق هو تقرير لطبيعة الصراع وبين حقيقته ومنطلقاته وأصوله وهو بهذا المساق كالرد على الشبهات المثارة والتي للأسف لم تخرج من عدو حاقد ولا من قريب جاهل وإنما من مخذل مثبط حمله هواه على الخذلان والتحامل.

<u>(أولاً) أصول إدارة المعركة</u>

(١) التصور القدري للحركة القتالية:

(٢) من حيث طبيعة العداء:

العلاقة بين المسلمين والكفار مرتبطة بطبيعة العداء بينهما كما هي في قدر الله، وهو العداء التقليدي بين العناصر المتقابلة ولقد ذكر النبي ﷺ لتلك العناصر أمثلة عند نزول

[١٨٧] المسؤولون العرب وأحاديث الغرف المغلقة للكاتب الصحفي الأستاذ محمود عبد الهادي موقع الجزيرة بتاريخ ٢٠٢٣/١٠/٣١

https://www.aljazeera.net/opinions/2023/10/31/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%A4%D9%88%D9%84%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8-%D9%88%D8%A3%D8%AD%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D8%AB-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B1%D9%81

الأَمَنَةُ فِي الأَرْضِ بعد توقف الجهاد في آخر الزمان فقال: «حَتَّى تَرْتَعَ الأُسْدُ مَعَ الإِبِلِ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ» (١٨٨).

ومن هنا أصبح القتال سنة باقية للدفع حتى نزول الأمنة على الأرض عند نزول عيسى وهو تفسير قول الله ﷻ:(حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا). حيث جاء في تفسيرها قول مجاهد: حتى ينزل عيسى ابن مريم، وقال ابن كثير: وَكَأَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الدَّجَّالَ» (١٨٩).

وذلك أنه بنزول عيسى ابن مريم ترفع العداوة.

قال الامام أحمد: «عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، أَنَّ سَلَمَةَ بْنَ نُفَيْلٍ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَسَمْتُ (١٩٠) الْخَيْلَ، وَأَلْقَيْتُ السِّلَاحَ، وَوَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا قُلْتُ: لَا قِتَالَ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:"الْآنَ جَاءَ الْقِتَالُ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، يَزْيغُ (١٩١). اللهُ قُلُوبَ أَقْوَامٍ، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، وَيَرْزُقُهُمُ اللهُ مِنْهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ عز وجل وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، أَلَا إِنَّ عُقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ "» (١٩٢).

---

١٨٨) حديث حسن. أخرجه أبو داود ٤٣٢٤ وابن حبان ٦٨١٤ و٦٨٢١ وأحمد ٢/ ٤٠٦ و٤٣٧ والطبري ٧١٤٥ و١٠٨٣٥ من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "الأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ إِخْوَةٌ لِعَلَاّتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ، رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ بَيْنَ مُمَصَّرَيْنِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الإِسْلَامِ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلاّ الإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، وَتَقَعُ الأَمَنَةُ فِي الأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الأُسْدُ مَعَ الإِبِلِ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ لَا تَضُرُّهُمْ، فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى، فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ"، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ»

١٨٩) رواه أبو داود في السنن برقم (٢٤٨٤) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما

١٩٠)وتحتمل الوجهين وصوابه: أَسَمْتُ. قلنا: وهو ما أثبتناه، وهو الموافق لما في مصادر التخريج، فقد جاء عند ابن سعد وابن فانع في "معجم الصحابة" ٢/ ٢٧٧ والطبراني: سُيِّبَت، وجاء عند النسائي: أذال الناس الخيل: وهي بمعنى تركوها. وأسمتُ يعني تركتها تسوم، أي: ترعى .

١٩١) وجاء في «المسند» بلفظ " يَرْفَعُ اللَّهُ قُلُوبَ أَقْوَامٍ، فيقَاتِلُونَهُمْ " كذا في جميع نسخ «المسند» الخطية، وشرحه السندي بقوله: «رفع الله قلوب أقوام عن الإيمان إلى الكفر» وفي بقية المصادر: «يزيغ»، وهو الصواب كما قال الحافظ ابن عساكر بعد أن ساق الحديث من طريق الإمام أحمد«تاريخ دمشق» (١/ ١١٧).

١٩٢) وهو حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده (٢٨/ ١٦٦ ط الرسالة (ح١٦٩٦٥) وأخرجه النسائي (٦/ ٢١٤)، وفي "الكبرى" (٤٤٠١)، والبخاري في "التاريخ الكبير" (٤/ ٧٠)، ويعقوب بن سفيان في "المعرفة" (٢/ ١٧١)، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٢٤٦٠)، والطبراني في "الكبير" (٧/ ٥٢ - ٥٣ رقم ٦٣٥٧، ٦٣٥٨، ٦٣٥٩)، وفي

وعقب الحافظ ابن كثير: «وَهَذَا يُقَوِّي الْقَوْلَ بِعَدَمِ النَّسْخِ.... كَأَنَّهُ شَرَّعَ هَذَا الْحُكْمَ فِي الْحَرْبِ إِلَى أَلَّا يَبْقَى حَرْبٌ» (١٩٣) انتهى.

وفي رواية «سنن النسائي» (٦/ ٢١٤): «أَذَالَ النَّاسُ الْخَيْلَ وَوَضَعُوا السِّلَاحَ».

قال ابن الأثير: «(أذال) الإذالة: الإهانة والابتذال» (١٩٤)

ومن هنا أن ترتبط الحركة القتالية بسنة الله في الدفع وأنها يجب ان نلتزم بالمرحلة القدرية المحددة للدعوة وهي الواردة في قول الله: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾، والحركة القتالية تتوافق مع مرحلة الاستغلاظ فيجب ألا يكون قتال في مرحلة خروج الشطأ والمؤازرة القدرية وانما يكون الامر بكف الأمر بكف الأيدي كما في قوله سبحانه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾، من حيث غاية الهداية وتحقيقا لسنة الدفع من خلال الحركة القتالية يكون الارتباط بين أحكام القتال وغاية الهداية، وذلك باعتبار ان مفهوم الدفع بين الحق والباطل يقتضي الا يكون القتال حركة عسكرية لا تستهدف إلا القتل بل تقتضي ان تكون الحركة العسكرية ذاتها مجالا للدعوة والهداية.

والحركة القتالية للدعوة في ارتباطها بالتصور القدري ترتبط بهدف الهداية باعتباره هدفا أصيلا ذلك ان القتال كعذاب من الله بأيدي المؤمنين يجب ان يراعي فيه استحقاق الهداية بجانب استحقاق العذاب ولقد كانت هذه الحقيقة في غاية الوضوح في غزوة بدر عندما قاتلت الملائكة مع المؤمنين فان سيرة تثبت ان الملائكة بجانب انها قتلت المشركين فإنها أسرت آخرين وأن كل من أسرتهم الملائكة كتب الله لهم الهداية وأسلموا وكان العباس عم النبي ﷺ من أسري الملائكة.

"مسند الشاميين" (١٤١٩)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" (٣/ ٢٧٥)، وابن المرجا في "فضائل بيت المقدس" (ص ٤٣٢)، وابن عساكر في "تاريخه" (١/ ١١٥ - ١١٧)

١٩٣) ينظر: تفسير ابن كثير - ط العلمية (٧/ ٢٨٤)

١٩٤) جامع الأصول (٢/ ٥٧٠)

وقد أوحي الله ﷻ إلى نبيه ﷺ هذا التصرف الملائكي في حصار الطائف: بأن الطائف لن تفتح له بالقتال فقال: سنرحل غدا فطلبت الصحابة القتال فقاتلوا وجرحوا جراحات شديدة فقال: سنرحل غدا فلم يتكلم فابتسم النبي ﷺ وأسلمت طائفة بعدها (١٩٥).

ولكن هذه الحقيقة، سواء كانت ملائكياً أو عملاً نبوياً بوحي من الله ﷻ، لا يمكن للبشر إدراكها بنفس الصورة المباشرة التي فعلتها الملائكة في بدر والنبي ﷺ في الطائف، غير أن الأحكام الشرعية الضابطة للحركة القتالية المتعلقة بالتعامل مع الكفار هي التي تتضمن هذا المفهوم العظيم وبصفة عامة يعلمنا النبي ﷺالموازنة الصحيحة بين غاية الهداية وبين القتال والغنائم وهي حمر النعم الواردة في الحديث: (لئن يهدي الله ربك رجلا واحدا خيرا لكم من حمر النعم) (١٩٦).

ولعل أهم هذه الأحكام هو حث الأسري على الإسلام كما في قوله ﷻ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾، وكذلك قبول استجارة المشرك ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾.

وكذلك العفو عن الكافر إذا تاب قبل أن تصل إليه يد القدرة كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، والالتزام الشرعي العام هو الذي يحقق التوافق بين غاية الهداية وأسلوب القتال وما قدره الله سبحانه في مصائر الخلق فذلك ينتهي إليه سبحانه له الخلق والأمر.

(٢) التصور القدري لحد الاستطاعة القتالي:

واتفاقا مع التصور القدري نفهم معنى العدد والعدة فيكون الشرط فيه بلوغ الاستطاعة وهو قول الله ﷻ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾، ولأجل أن الخيل للقتال وأن القتال باق إلى يوم القيامة فقد عقد الخير في نواصي الخيل إلى يوم

---

١٩٥) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: لَمَّا حَاصَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الطَّائِفَ، فَلَمْ يَنَلْ مِنْهُمْ شَيْئًا، قَالَ: (إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ). فَثَقُلَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: نَذْهَبُ وَلَا نَفْتَحُهُ، وَقَالَ مَرَّةً: (نَقْفُلُ). فَقَالَ: (اغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ). فَغَدَوْا فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ، فَقَالَ: (إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ). فَأَعْجَبَهُمْ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ. وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: فَتَبَسَّمَ»

صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، ج ٥، ص ١٩٨، برقم ٤٣٢٥

١٩٦) أخرجه البخاري في المغازي باب مناقب على بن أبي طالب، ومسلم في(فضائل الصحابة (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد الساعدي).

القيامة: لقول رسول الله ﷺ: (الخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة) (١٩٧) وليس أدل على أن العلاقة بين الخيل والقتال قدرية من أن يأتي جبريل والملائكة لتأييد المسلمين في القتال وهم يركبون الخيل، ولذلك يقول النبي ﷺفي غزوة بدر (هذا جبريل آخذ بعنان فرسه)، ذلك أن الخيل بالنسبة لجبريل لا يمثل سببا ماديا لأنه لجبريل ستمائة جناح تسد الأفق كما وصفه النبي ﷺ في نزول الوحي.

وفي العدد قوم التصور القدري على الإيمان، ومن هنا لم يكن الرسول خائفا الغار ويقول للصديق: (ما بالك باثنين الله ثالثهما)، وكما قال القرآن: (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.

ولكنه في غزوة بدر يخشى الهزيمة ويدعو الله حتى يسقط الرداء من فوق عاتقه.

أما يوم حنين فيعجب المسلمون بكثرتهم وتتجاوز السببية حدودها القدرية، فيهزمون، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾، ويقوم التصور القدري للعدد على الكثرة، وكما نزلت الملائكة في غزوة بدر على الخيل فإنها نزلت بأعداد كثيرة، كما قال الله: ﴿أَنّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَاتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةُ مُسَوِّمِينَ﴾، رغم أن جبريل بمفرده قادر على إهلاك أهل الأرض، ولكنها السببية القدرية للعدد في القتال.

وهناك حكم خاص في العدد تضمنه قول الله ﷺ: (لن يهزم اثنا عشر ألفا من قلة)، ولهذا الحكم وقفة تفسيرية وهو أن بلوغ المسلمين هذا العدد بمستوي الإيمان الصحيح يعني أن الأمة قدرا قد تجاوزت مرحلة الوجود الثابت إلى مرحلة الامتداد التي يؤيد الله فيها مقاتليها، وتلك هي الدلالة القدرية لتأييد هذا العدد والوعد بعدم هزيمته.

غير أن مادية الأسباب والإعداد والعدد والعدة له في التصور القدري ما يعالجها لإثبات طلاقة المشيئة الإلهية وفوقية القدر على مادية الأسباب فيأتي الدعاء وهذا نبينا عليه السلام ومعه الجيش والسيوف مرفوعة والقوة معدة والأسباب مأخوذة بها وما بين هذا والنصر الا

١٩٧) البخاري في الجهاد باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ومسلم في الغمارة رقم (١٧٨٣) من حديث عروة بن الجعد. وأخرجاه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

دعوة البراء «فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: كَمْ مِنْ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ ذِي طِمْرَيْنِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، مِنْهُمُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ.

وَإِنَّ الْبَرَاءَ لَقِيَ زَحْفًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقَالُوا: يَا بَرَاءُ! أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: لَوْ أَقْسَمْتَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّكَ فَأَقْسِمْ عَلَى رَبِّكَ. قَالَ: أُقْسِمُ عليك يا رب لَمَا مَنَحْتَنَا أَكْتَافَهُمْ، فَمُنِحُوا أَكْتَافَهُمْ، ثُمَّ الْتَقَوْا عَلَى قَنْطَرَةِ السُّوسِ، فَأَوْجَعُوا فِي الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: أَقْسِمْ يَا بَرَاءُ عَلَى رَبِّكَ قَالَ: أُقْسِمُ عليك يا رب لما مَنَحْتَنَا أَكْتَافَهُمْ وَقُتِلَ الْبَرَاءُ شَهِيدًا» (١٩٨).

كما أن خطر المفاهيم التي تعالج المادية الاعداد والعدد هو قوله النبي ﷺ : «إِنَّمَا تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ بِضُعَفَائِكُمْ» (١٩٩) وبرغم بلوغ أقصي حد استطاعة للإمكانية المادية، الا ان قدر وجود الأمة المسلمة وامتدادها لا يدخل في حدود تلك الامكانيات لأنه قدر ومشيئة الهية خالصة، ومن هنا كان الواقع القتالي هو واقع التدخل القدري المباشر ومجال الخوارق والكرامات ولذا يقول ابن القيم في قوله تعالى {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى}

فَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي شَأْنِ رَمْيِهِ ﷺ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ بِقَبْضَةٍ مِنَ الْحَصْبَاءِ، فَلَمْ تَدَعْ وَجْهَ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا أَصَابَتْهُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ تِلْكَ الرَّمْيَةَ مِنَ الْبَشَرِ لَا تَبْلُغُ هَذَا الْمَبْلَغَ، فَكَانَ مِنْهُ ﷺ مَبْدَأُ الرَّمْيِ، وَهُوَ الْحَذْفُ، وَمِنَ اللَّهِ ﷻ نِهَايَتُهُ، وَهُوَ الْإِيصَالُ، فَأَضَافَ إِلَيْهِ رَمْيَ الْحَذْفِ الَّذِي هُوَ مَبْدَؤُهُ، وَنَفَى عَنْهُ رَمْيَ الْإِيصَالِ الَّذِي هُوَ نِهَايَتُهُ، وَنَظِيرُ هَذَا: قَوْلُهُ فِي الْآيَةِ نَفْسِهَا {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ} [الأنفال: ١٧] ثُمَّ قَالَ: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} [الأنفال: ١٧] فَأَخْبَرَهُ: أَنَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي تَفَرَّدَ بِقَتْلِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِكُمْ أَنْتُمْ، كَمَا تَفَرَّدَ بِإِيصَالِ الْحَصَى إِلَى أَعْيُنِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِهِ وَلَكِنْ وَجْهُ الْإِشَارَةِ بِالْآيَةِ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَقَامَ أَسْبَابًا ظَاهِرَةً، كَدَفْعِ الْمُشْرِكِينَ، وَتَوَلَّى دَفْعِهِمْ، وَإِهْلَاكِهِمْ

١٩٨) أخرجه الترمذي في المناقب(٣٨٥٤) من طريق ثابت وعلى زيد عن أنس مرفوعا كم من أشعث أغبر ذي طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك وقال الترمذي عقبه: صحيح حسن من هذا الوجه وقد خرج مسلم في صحيحه من حديث أنس أيضا ١٦٧٥ مرفوعا إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرة. /وأبو يعلى (٣٩٨٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٦٧٦)،والحاكم ٣/ ٢٩٢،والبيهقي في شعب الإيمان(١٠٠٠٠)(١٠٠٠١)،ودلائل النبوة(٦/ ٣٦٨): وابن الجوزي في المنتظم ٤/ ٢٣٩)

١٩٩) أخرجه ابو داود في الجهاد ٢٥٩٤ والترمذي في الجهاد ١٧٠٢ والنسائي في الجهاد ايضا ٤٥) ٤٦/ ٦ وهو حديث صحيح ومعناه في البخاري في الجهاد باب من استعان بالضعفاء والصالحين.

بِأَسْبَابٍ بَاطِنَةٍ غَيْرِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَظْهَرُ لِلنَّاسِ، فَكَانَ مَا حَصَلَ مِنَ الْهَزِيمَةِ وَالْقَتْلِ وَالنُّصْرَةِ مُضَافًا إِلَيْهِ وَبِهِ، وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ(٢٠٠)

(٣) القتال عذاب الله:

والذي يؤكد العلاقة بين حقيقة العذاب بالإهلاك والعذاب بالقتال هو أن الاسلوب القدري للعذاب كان الاهلاك ثم انزلت التوراة فكان الاسلوب القدري للعذاب بعد ذلك هو القتال، وهذا تفسير قول الله ﷻ: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).

حيث جاء في التفسير «بَعْدَ إِنْزَالِ التَّوْرَاةِ لَمْ يُعَذِّبْ أُمَّةً بِعَامَّةٍ، بَلْ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُقَاتِلُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ »فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي قَالَ: مَا أَهْلَكَ اللَّهُ قَوْمًا بِعَذَابٍ مِنَ السَّمَاءِ وَلَا مِنَ الْأَرْضِ بَعْدَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، غَيْرَ الْقَرْيَةِ الَّتِي مُسِخُوا قِرَدَةً، أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأولَى} (٢٠١) مما يعني أن العذاب بالقتال هو الأسلوب القدري البديل للعذاب بالإهلاك منذ نزول التوراة حتى قيام الساعة.

والتصور القدري للقتال مبني حقيقة أن القتال هو عذاب الله بأيدي المؤمنين، وهذا هو المعنى الصريح في قوله تعالى: (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ).

وقول الله في ذي القرنين: (أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً)، وبذلك يتوافق القتال مع سنن الاهلاك في الدنيا ويتوافق أيضاً مع عذاب الاخرة بأيدي المؤمنين قتالا مع العذاب بأيدي الملائكة جهنم الغلظة، واليك قول الله ﷻ: (عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)، الذي يجيئ بعده قول الله: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ)، ولعلنا نلاحظ صفة الملائكة بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهذا الوصف في هذا المقام له اهمية بالغة، لان الملائكة وهي اداة تحقيق ارادة الله في عذاب الكفار، لابد ان يتحقق منها الخضوع لأوامر الله ﷻ وتلك صفة لازمة في كل ما أداه محققة لإرادة الله ﷻ ومن هنا

---

(٢٠٠)مدارج السالكين ٣/٤٢٦ ـ ٤٢٧، وانظر التفسير القيم ص٢٨٧ ـ ٢٨٨. وانظر شرح الطحاوية ص٤٩٤ ـ ٤٩٥ وانظر: «زاد المعاد» (٣/ ٢١٣، ٧١٣) و «شفاء العليل» (ص ٥٩). وانظر من كتب شيخ الإسلام: «منهاج السنة» (٣/ ٢١٨)، و «الرد على البكري» (ص ١٤٣)، وكذا «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٣١، ٣٧٥)، (١٥/ ٣٩).

(٢٠١) ابن كثير (٥ / ٤٦٩) تفسير الطبري (٥٠/٢٠)

يجب أن يتوافق المؤمنون مع الملائكة في صفة الخضوع والسمع والطاعة المطلقة لأوامر الله ﷻ كما يتواقفون في صفة الغلظة على الكفار، وهذا ما يرجع بنا إلى مفهوم الالتزام الشرعي في القتال كما في الأحكام القتالية وكما في الآية (وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً)، والآية (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ)، مثلما أن الملائكة غلاظ شداد.

(٤) التوافق القتالي مع سنن الإهلاك:

وبمقتضي التصور للقتال باعتباره عذاباً من الله تعالى بأيدي المؤمنين فإن الحركة القتالية يجب أن ترتكز على سنن الاهلاك، وقد كانت هذه السنن أحكاماً قتالية ثابتة في غزوات النبي ﷺ فكان الغزو صبحاً. وفي هذا يقول النعمان بن مقرن: (غزوت مع النبي ﷺ فكان إذا طلع الفجر أمسك حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قاتل، فإذا انتصف النهار أمسك حتى تزول الشمس، فإذا زالت الشمس قاتل حتى العصر، ثم أمسك حتى يصلي العصر، ثم يقاتل قال: وكان يقاتل عند تهيج رياح النصر ويدعو المؤمنين لجيوشهم في صلاتهم (٢٠٢) هذا وقد جاءت عدة آيات تربط بين الرياح والنصر منها قول الله في سورة الروم: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ). قال النعمان بن مقرن: «شَهِدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺفَكَانَ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ أَوَّلَ النَّهَارِ، أَخَّرَ الْقِتَالَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ، وَتَهُبَّ الرِّيَاحُ، وَيَنْزِلَ النَّصْرُ»(٢٠٣) ولقد بلغ الالتزام بتلك السنة حدا أصبحت به الخيل هي (فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً)، كما في سورة العاديات قال رسول الله ﷺ في فتح خيبر (الله أكبر خربت خيبر إذا نزلنا ساحة قوم فساء صباح المنذرين). توافقا مع قول الله في الإهلاك: (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ)، وهكذا كل آيات العذاب حيث يرتبط وقوع العذاب بالصباح.

---

٢٠٢) انظر: مسند أحمد (٤٤٤) ٤٤٥/ ٥) حديث النعمان بن مقرن.

٢٠٣) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٤٤٤ – ٤٤٥، وأخرجه أبو داود في السنن ٣/ ١١٣، كتاب الجهاد (٩)، باب في أيّ وقتٍ يستحب اللقاء (١١١)، الحديث (٢٦٥٥)، وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ١٦٠، كتاب السير (٢٢)، باب ما جاء في الساعة التي يستحب فيها القتال (٤٦)، الحديث (١٦١٣) واللفظ له وقال: (حديث حسن صحيح). وذكره المنذري في مختصر سنن أبي داود ٤/ ٧، الحديث (٢٥٤٠)، وعزاه للنسائي، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ١١٦، كتاب الجهاد، باب نهي التفرق. . .، وقال: (صحيح على شرط مسلم) ووافقه الذهبي..

وأخيرا ... نذكر ربطاً عاما بين سنن الإهلاك والقتال جاء في كتاب النبوات لابن تيمية قوله: أما عن قصة إبراهيم فإنه لم يذكر أنهم أهلكوا كما ذكر عن غيرهم بل ذكر أنهم ألقوه في النار ليجعلها الله برداً وسلاما وأرادوا به كيدا فجعلهم الله الأسفلين الأخسرين وفي هذا ظهور برهان آياته وأنه أظهره عليهم بالحجة والعلم وأظهره أيضا بالقدرة حيث أذلهم ونصره وهذا من جنس المجاهد الذي هزم عدوه (٢٠٤).

أما قصص إهلاك الأمم مثل قوم نوح وصالح وشعيب ... فهو من جنس المجاهد الذي قتل عدوه حيث تم إهلاكهم والقضاء عليهم نهائياً (٢٠٥).

هلاك العرب في آخر الزمان إلا بقية من أهل الشام

ظهر مما مضى أن سنة الإهلاك للأمم لها صور منها العذاب الذي يستأصلهم وهذا قد مضى، ومنه الهلاك بيد العدو وهذا هو التدافع.

ومنها: الهلاك بترك الإعداد والزهد في الجهاد، والخلود إلى الأرض واستبدال ظهور الخيل بأذناب البقر ما يستدعي الدعة والترف والاسراف في المعاصي وانتشار المظالم والآثام.

وقد ارتبط حديث الطائفة المنصورة بالحديث عن هلاك العرب فعَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ» أَوْ قَالَ:" إِنَّ رَبِّي زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا ، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَلَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً، فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَلَا أُهْلِكُهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَلَا أُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ بِأَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَحَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا، وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ

---

٢٠٤) النبوات لابن تيمية (١/ ٢٠٩)

٢٠٥) قدر الدعوة (٨/ ٤٦/ ٤٧)

أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ - قَالَ ابْنُ عِيسَى:«ظَاهِرِينَ» ثُمَّ اتَّفَقَا - لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»(٢٠٦).

وفي الأحاديث أن العرب تهلك في آخر الزمان، فلا يبقى منهم إلا بقية بالشام، فيرجع الأمر إِلَى تفسير الحديث بأهل الشام، كما روى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "أول الناس هلاكًا فارس ثم العرب من قربها وفي رواية (ثم الغرب) ، ثم أشار بيده قبل الشام: إلا بقية ها هنا »(٢٠٧).

والهلاك هنا ليس الفناء وإنما الوهن بحب الدنيا والصراع عليها وكراهية الموت وترك الجهاد كما جاء عن أبي أيوب ﷺ، قال: " قلنا بيننا بعضنا لبعض سراً من رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت فلو أنا قمنا فيها، فأنزل الله ﷻ في كتابه يرد علينا ما هممنا به {وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} [البقرة: ١٩٥]

فالإلقاء بالأيدي إلى التَّهْلُكةِ: أن نقيم في أموالنا ونصلِحُها وندعَ الجهاد، والنفقة في سبيل الله ﷻ قال أبو عمرانَ: فلم يزل أبو أَيوبَ يُجاهدُ في سبيلِ الله حتى دُفن بالقُسطنطينيةِ. (٢٠٨)

والأحاديث في ذلك نص في فضائل الشام ونصرة مجاهديها وأن لهم أمان من الهلكة ولا يضرهم الخذلان.

والشام التاريخية التي تشمل اليوم - جغرافيا - بلدان سوريا وفلسطين ولبنان والأردن وشمال غرب السعودية وشمال شرق سيناء وجنوب شرق تركيا.. سنجد بأدنى تأمل أن كل بقاعها موضوعة تحت خطر عدوان صهيوني قائم أو قادم، فالحرب قائمة في

---

٢٠٦) أخرجه مسلم من حديث ثوبان ﷺ ٤/ ٢٢١٥، كتاب الفتن (٥٢)، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (٥)، الحديث (١٩/ ٢٨٨٩). والترمذي رقم (٢١٧٧) في الفتن، باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثاً في أمته، أبو داود رقم (٤٢٥٢) في الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها. وزَوَى: معناه جمع. والكنزين هما الذهب والفضة. وقوله: "فيستبيح بيضتهم" أي جماعتهم وأصلهم، والبيضة أيضًا العز والملك. وقوله: "ألا أهلكهم بسَنَة عامّة" أي لا أهلكهم بقحط يَعُمُّهُم، بل إن وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة التي باقي بلاد الإسلام (النووي على مسلم (١٨/ ١٣ - ١٤)

٢٠٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٢٩٦ - ٢٩٧) وفضائل الشام (٣/ ٢٠٥)

٢٠٨) الترمذي رقم (٢٩٧٦) في التفسير، باب ومن سورة البقرة، وأبو داود رقم (٢٥١٢) في الجهاد، باب في قول الله ﷻ {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} ، وإسناده صحيح، وقال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح. وأخرجه ابن جرير رقم (٣١٧٩) و (٣١٨٠) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده ٢ / ١٢، ١٣، وابن عبد الحكم في فتوح مصر: ٢٦٩، ٢٧٠ والحاكم ٢ / ٢٧٥ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي

فلسطين ولبنان وسوريا، ومهدد بها في الأردن وسيناء.. وهي محتملة حتى تاريخ كتابة هذه السطور (إبريل ٢٠٢٥) في تركيا التي يلوحون بحربها إذا تصدرت للدفاع عن أمنها القومي المعرض للخطر في حال استمرار عدم الاستقرار في سوريا..

ومع ذلك فهناك أمل أكيد بإحباط هذا الكيد ..وإن كان يبدو من بعيد ، وهو أن كيان العدوان بدأ بعد طوفان الأقصى يحطم بنفسه جدر الأمان التي شيدتها لحمايته العلمانية العربية، حيث تبدو مقدمات تهاوى الجدر في بقاع الشام الواحدة تلو الأخرى من جراء تداعيات الطوفان الواقعة والمتوقعة، وسيزداد الهوان في كيان العدوان باتساع دوائر الخلاف والشقاق بين قادتهم السياسيين والعسكريين والأمنيين، وهو ما يظنه البعض وهميا ونراه حقيقيا، فحقا{ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ}.. ولأجل هذا وذاك؛ فعاجلا أو آجلا ستشتعل المواجهة بينهم، وتعود إلى حقيقتها بيننا وبينهم، برفع جند الرحمن رايات القرآن لقهر جند الشيطان.

- ومهما كانت المشاهد في بقاع الشام اليوم محزنة ومؤلمة، فإن مجد الإسلام ستسطع شمسه من هناك وفق نصوص الوحي المسلمة، ومنها قول النبي صلى الله عليه وسلم: (عليكم بالشَّامِ، فإنَّها صفوةُ بلادِ اللهِ يُسكِنُها خيرتَه من خلقِه (...) فإنَّ اللهَ تكفَّل لي بالشَّامِ وأهلِه) ([٢٠٩]).

وستظل بلاد الشام أرض المقدسات والبركات، وهي أرض المحشر والمنشر، والأرض التي حفظ الله بها الدين في الفتن الكبرى، وأبقى فيها الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة.

عمران بيت المقدس خراب يثرب

روى أبو داود بسنده: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ»، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِ الَّذِي حَدَّثَهُ، - أَوْ مَنْكِبِهِ - ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ هَاهُنَا»، أَوْ «كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ»، يَعْنِي مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ (٢١٠).

---

[٢٠٩]) رواه أحمد وصححه الالباني في صحيح الترغيب والترهيب ٤/١٠٣

[٢١٠]) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٣٢، ٢٤٥، وأبو داود في السنن ٤/ ٤٨٢، كتاب الملاحم (٣١)، باب في أمارات الملاحم (٣)، الحديث (٤٢٩٤)، والترمذي رقم (٢٢٣٩) في الفتن، باب ما جاء في علامات خروج الدجال، ورواه أيضاً ابن ماجة رقم (٤٠٩٢) في الفتن، باب الملاحم، والحاكم في المستدرك برقم: (٨٢٩٧) بزيادة في آخره وقال: (.. إسناده صحيح على شرط الرجال..) بإسناد موقوف وقال: صحيح ووافقه الذهبي وهو في حكم المرفوع،

قال ابن كثير «وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ وَحَدِيثٌ حَسَنٌ، وَعَلَيْهِ نُورُ الصِّدْقِ وَجَلَالَةُ النُّبُوَّةِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ الْمَدِينَةَ تَخْرَبُ بِالْكُلِّيَّةِ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ عِمَارَةُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سَبَبًا فِي خَرَابِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ; لِأَنَّ النَّاسَ يَرْحَلُونَ مِنْهَا إِلَى الشَّامِ لِأَجْلِ الرِّيفِ وَالرُّخْصِ»(٢١١).

«عُمران بيت المقدس»، بضم العين على إرادة المصدر أو المكان أي بيت المكان الذي جعل فيه الطهارة أو بيت مكان الطهارة والثانية بمعنى المطهر وتطهره إخلاؤه من الأصنام أو الذنوب وإضافته من إضافة الموصوف بصفته بمسجد الجامع.

أي عمارة بيت المقدس باستيلاء الكفار عليه، عِمَارَتُهُ بِكَثْرَةِ الرِّجَالِ وَالْعَقَارِ وَالْمَالِ وكثرة عمارتهم فيها أمارة لخراب يثرب لا بمعنى أنه يتصل به، بل بمعنى أنه يقع عقبه، "ولو" بمهملة ما وكذا الكلام فيما بعده، وهذا أصح إشارة "أنى" جواب ما يقال بين الحديثين تناف، فأشار إلى أن الثاني أرجح إسنادًا فلا يعارضه الأول، وقيل: يمكن أن يكون بين أوّل الملحمة وآخرها ست سنين ويكون بين آخرها وفتح المدينة وفي القسطنطينية مدة قريبة بحيث يكون ذلك مع خروج الرجال في سبعة أشهر. اهـ

ولا يتوهم اتصال جميع هذه الأشياء بل يمكن الفصل الطويل بين علامتين فإن صاحب الشريعة جمع في عدد العلامات (٢١٢)

«(وخروج الملحمة فتح القسطنطينية) أي فتح المسلمين إياها، وقد سلف أنها تفتح بالتكبير وهي الآن مستقر الإسلام ومحل سلطان أهل الإسلام، فهذا إخبار عن أنها يأخذها الكفار ثم يفتحها بعد ذلك أهل الإسلام (وفتح القسطنطينية خروج الدجال) أي أن هذه الأمور تتقارب بعضها من بعض في حدوثه ، وقد ثبت أن الدجال يخرج والمدينة عامرة ويصان أهلها عن فتنته، فكأن المراد هنا أنها تخرب ثم تعاد»(٢١٣)

والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٠/ ٢٢٣، في ترجمة عبد الرحمن بن ثابت الشامي رقم (٥٣٥٦) وحسنه البغوي «مصابيح السنة» (٣/ ٤٨٢) وصححه ابن كثير في «إرشاد الفقيه إلى معرفة أدلة التنبيه» (٢/ ٢٠٤) فقال: «رواهُ أحمدُ، وأبو داودَ بإسنادٍ صحيحٍ» وحسنه الألباني في "صحيح أبي داود" (٣٦٠٩)

[٢١١] البداية والنهاية» (١٩/ ١٠٩ ت التركي):

[٢١٢] فيض القدير» (٤/ ٣٦٠) «فتح الودود في شرح سنن أبي داود» (٤/ ٢٣٤) «العرف الشذي (٣/ ٤٢٤)

[٢١٣] التنوير شرح الجامع الصغير» (٧/ ٣٤٤)

(خَرَابُ يَثْرِبَ) بِفَتْحِ تَحْتِيَّةٍ وَسُكُونِ مُثَلَّثَةٍ وَكَسْرِ رَاءٍ اسْمُ الْمَدِينَةِ الْمُشَرَّفَةِ (عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ) أَيْ سَبَبُ خَرَابِ الْمَدِينَةِ، بمعنى كونه معموراً بتمام بنائه وكثرة سكانه وذلك باستيلاء الكفرة عليه وتعميره هو السبب في خراب المدينة المشرفة.

وَقَالَ القاري: أَيْ وَقْتَ خَرَابِ الْمَدِينَةِ، قِيلَ لِأَنَّ عُمْرَانَهُ بِاسْتِيلَاءِ الْكُفَّارِ

وقَالَ بَعْضُ الشَّارِحِينَ الْمُرَادُ بِعُمْرَانِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ عُمْرَانُهُ بَعْدَ خَرَابِهِ فَإِنَّهُ يُخَرَّبُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ثُمَّ يُعَمِّرُهُ الْكُفَّارُ وَالْأَصَحُّ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْعُمْرَانِ الْكَمَالُ فِي الْعِمَارَةِ أَيْ عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ كَامِلًا مُجَاوِزًا عَنِ الْحَدِّ وَقْتَ خَرَابِ يَثْرِبَ فَإِنَّ بَيْتَ الْمَقْدِسِ لَا يُخَرَّبُ (وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ) أَيْ ظُهُورُ الْحَرْبِ الْعَظِيمِ» (٢١٤)

«(يثرب) قد يؤخذ منه جواز تسمية المدينة يثرب، خلافًا لمن كرهه مستدلا بما روي عنه ﷺأنه قال: «مَنْ قَالَ لِلْمَدِينَةِ يَثْرِبَ، فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ، هِيَ طَابَةُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» (٢١٥).

وأما تسمية الله لها فأجيب عنه بأن إطلاقه عليها باعتبار أنه إخبار عن مقالة الكفار، وذلك أن مكانًا بالمدينة كان لرجل من العمالقة فسماه يثرب. ويثرب مضارع ثرب بفتح الثاء والراء إذا لام وعتب ووبخ، ثم سميت المدينة باسم ذلك المكان، ولهذا جاءت الكراهة عند من قال؛ لأنه من التثريب كما قال تعالى حكاية عن يعقوب: {لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ} [سورة يوسف: آية ٩٢].

قال السهيلي: ثرب بالتشديد مبالغة وتكثير من ثرب بالتخفيف، وأما تسميته ﷺ المدينة هنا (خراب يثرب) يثرب؛ لما فيه من مناسبة ذكر التثريب وهو الحزن واللوم على خرابها، ألا ترى أنها لما كانت عامرة في زمانه ﷺ سماها طابة؛ لطيب المقام فيها في ذلك الوقت، بخلاف أيام خرابها لما شقت الإقامة في الخرب المستهدم سماها يثرب.

---

[٢١٤] عون المعبود وحاشية ابن القيم (١١/ ٢٧٠) الشفا بتعريف حقوق المصطفى محذوف الأسانيد (١/ ٦٧٨)

[٢١٥] أخرجه أحمد ٤/ ٢٨٥ وأبو يعلى ١٦٨٨ وعمر بن شبّة في «تاريخ المدينة» ١/ ١٦٥ وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣/ ٣٠٠ وقال: رواه أحمد، وأبو يعلى، ورجاله ثقات.. قال السندي: قوله: يثرب؛ كُره هذا الاسم، لأن التثريبَ: التوبيخُ، وجاء الفعل في هذا المعنى: ثرب، مخففاً ومشدَّداً، فهو يُنبئ بمادته عن معنىً غيرِ لائق، فلا ينبغي إطلاقُه على بلدة خصَّها الله تعالى نبيَّه ﷺ ، وشرَّفَها به، ثم الحديث ذكره ابنُ الجوزي في "الموضوعات"، وأعلَّه بيزيد بن أبي زياد. قال الحافظ [في "القول المسدد" ص ٦٤]: لم يُصب، فإن يزيد. وإن ضعَّفه بعضهم من قبل حفظه، وبكونه كان يُلَقَّن في آخر عمره، فلا يلزم من ذلك أن يكون كلُّ ما رواه موضوعاً. ثم استشهد له بحديث الصحيحين: "أُمِرْتُ بقرية تأكل القُرى، يقولون: يثرب، وهي. المدينة". انتهى. قلت (القائل السندي): والحديث في المناقب، فالضعف فيه محتمل، والوضع غيرُ لازم، والله تعالى أعلم

فالمعروف أن اسم يثرب قد تغير إلى «المدينة» بعد الإسلام، ولكن إطلاق لفظ يثرب على المدينة في هذا الحديث يكون معناه عودة المدينة لما كانت عليه قبل الهجرة، وخروج الإسلام منها كما دخلها مع الهجرة، ولذلك يعيد الرسول - ﷺ- الاسم القديم إلى المدينة ليتفق اسمها مع حالها دائماً. (٢١٦).

أما الخراب فهو مادي بالهدم والتدمير، ومعنوي بالإفساد والظلم وكثرة المعاصي وانتشار الموبقات.

ومن معاني الفساد: الخراب. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْبَقَرَة: {سعى فِي الأَرْض ليفسد فِيهَا}، وَفِي النَّمْل: {إِذا دخلُوا قَرْيَة أفسدوها}» (٢١٧)

وقد ذكر الواحدي والثعلبي في قوله تعالى «{وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ} قال العباس بن الفضل: يعني الخراب، ومنه قطع الدرهم، وشق الثياب، لا على وجه المصلحة» (٢١٨)

وجمع هذه المعاني وزاد عليها القرطبي فقال في : «قَوْلُهُ تَعَالَى: وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسادَ قَالَ وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: قَطْعُ الدَّرَاهِمِ مِنَ الْفَسَادِ في الأرض. وقال عطاء: إن رجلا كان يُقَالُ لَهُ عَطَاءُ بْنُ مُنَبِّهٍ أَحْرَمَ فِي جُبَّةٍ فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺأَنْ يَنْزِعَهَا. قَالَ قَتَادَةُ قُلْتُ لِعَطَاءٍ: إِنَّا كُنَّا نَسْمَعُ أَنْ يَشُقَّهَا، فَقَالَ عَطَاءٌ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ. قُلْتُ: وَالْآيَةُ بِعُمُومِهَا تَعُمُّ كُلَّ فَسَادٍ كَانَ فِي أَرْضٍ أَوْ مَالٍ أَوْ دِينٍ، وَهُوَ الصَّحِيحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. قِيلَ: مَعْنَى لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ أَيْ لَا يُحِبُّهُ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ، أَوْ لَا يُحِبُّهُ دِينًا. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى لا يأمر به، والله أعلم» (٢١٩)

قال ابن منظور «والتَّخْرِيبُ: الهَدْمُ، والمرادُ بِهِ مَا يُخَرِّبه المُلُوكُ مِن العُمْرانِ، وتَعْمُره مِن الخَرابِ شَهْوةً لَا إِصْلَاحًا، ويَدْخُل فِيهِ مَا يَعْمَلُه المُتْرَفُون مِن تَخْريبِ المَساكِنِ العامِرةِ لِغَيْرِ ضرورةٍ وإِنْشاءِ عِمارَتِها..والخُرْبةُ والخَرْبةُ والخُرْبُ والخَرَبُ: الفسادُ فِي الدِّين» (٢٢٠) قال كعب الأحبار لأبي هريرة ﷺ: في التوراة من يظلم يخرب بيته. قال أبو

---

٢١٦) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٧/ ٩٤) علامات الساعة.. دراسة تحليلية رفاعي سرور (ص: ١٣٣)

٢١٧) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر» (ص٤٧١)

٢١٨) التفسير البسيط» (٤/ ٧٩) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٥/ ٢٩٤): ذكره القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" ٣/ ١٨

٢١٩) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن(٣/ ١٨)

٢٢٠) لسان العرب» (١/ ٣٤٧)

هريرة: وذلك في كتاب الله تعالى {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا} (النمل: ٥٢) فالظلم أدعى شيء إلى سلب النعم وحلول النقم»(٢٢١).

«أن عمران بيت المقدس، الذي جاء ذكره في حديث معاذ بن جبل ﷺ، ليس هو بتضخيم البناء وزخرفته وتنظيمه على الأشكال الحديثة كما توهمه المصنف، وإنما عمرانه بظهور الإيمان وطاعة الله تعالى فيه؛ وإزالة الشرك والبدع وسائر المنكرات منه، وهذا لم يكن إلى الآن، وسيكون ذلك فيما بعد إذا كانت الخلافة في الأرض المقدسة قبل خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام كما في حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ في ذكر الدجال، وفيه: فقالت أم شريك بنت أبي العكر: يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال «هم قليل، وجلهم يومئذ ببيت المقدس، وإمامهم رجل صالح. فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم عليه السلام فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى ليقدم عيسى يصلي، فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له: تقدم فصل فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم ...» الحديث. رواه ابن ماجه.

وروى الإمام أحمد وأبو داود والبخاري في تاريخه والحاكم في مستدركه عن عبد الله بن حوالة الأزدي رضي الله عنه قال: وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي - أو على هامتي- ثم قال: «يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك» قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تلخيصه.

وقد قال الله تعالى: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله). وقال تعالى (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها). وفي هاتين الآيتين دليل على أن العمارة في الحقيقة إنما هي بالإيمان وإعلاء كلمة الله. وأن الخراب كل الخراب بضد ذلك.

ويدل على ذلك أيضاً حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا يبقى من القرآن إلا رسمه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، علماؤهم شر من تحت أديم السماء، من عندهم تخرج الفتنة

---

٢٢١) سراج الملوك(ص١٥٠)

وفيهم تعود» رواه البيهقي في «شعب الإيمان»، وذكره الإمام أحمد في كتاب الصلاة مختصراً.

وذكر الإمام أحمد أيضاً عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال توشك القرى أن تخرب وهي عامرة، قيل: وكيف تخرب وهي عامرة؟ قال: إذا علا فجارها أبرارها، وساد القبيلة منافقها. ورواه أبو موسى المديني في كتاب «دولة الأشرار».

وإذا علم هذا فاليهود لم يعمروا بيت المقدس كما زعمه المصنف، وإنما هم مخربون له، ولا زالوا جادين في تخريبه حتى تنزل الخلافة فيه وتطهره منهم ومن إخوانهم من المشركين والمنافقين» (٢٢٢)

ومع دلالة اللغة لمعنى الخراب وهو الافساد الذي هو أعم من كونه تهديم ليعم الخراب بالإفساد ليشمل خراب الأرواح والأجساد، فقد أظهرت لنا الأيام أن الخراب هو الظلم وفتح أبواب الشهوات والشبهات ونشر الالحاد وإظهاره وشيوع الموبقات وقد راجت في بلاد الحجاز والحرمين تحت دعاوى الحرية والإصلاح والتطوير، وبلغ الفساد ذروته بأنك لا تجد من ينصح هؤلاء بأنهم يفسدون، وهذا نذير شؤم إذا لم يجد الظالم من يحجزه ولا يجد المفسد من ينصحه ويأمره وينهاه قال تعالى{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ} [البقرة: ١١، ١٢]

وقال تعالى: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} [هود: ١١٦، ١١٧]

وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "إذا رأيتم أُمتي تَهَابُ الظالم أن تقول له: إنك أنت ظالم، فقد تُوُدِّعَ منهم"» (٢٢٣)

---

٢٢٢) إيضاح المحجة في الرد على صاحب طنجة» (ص٨٠)

٢٢٣) أخرجه أحمد في " المسند " ٢/ ١٦٣ من طريق ابن نمير، و٢/ ١٩٠ من طريق سفيان، والبزار (٣٣٠٣) من طريق عبد الرحمن بن محمد المحاربي، ثلاثتهم عن الحسن بن عمرو، عن محمد بن مسلم، عن عبد الله بن عمرو. وقال الهيثمي في "المجمع" ٧/ ٢٦٢: ورجاله رجال الصحيح. وأخرجه البزار أيضاً (٣٣٠٢) من طريق عُبيد الله بن عبد الله الربعي، حدثنا الحسن بن عمرو، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو . ذكره المنذري في "الترغيب" (٣/ ١٧٢) وعزاه للحاكم وقال: قال الحاكم: صحيح الإسناد وذكره السيوطي في "الجامع الصغير" (رقم ٦٢٧) ونسبه

وقوله: "فقد تودع منهم " بضم التاء والواو وكسر الدال المشددة المهملة، من التوديع. قال البيهقي:" قال أحمد: والمعنى في هذا أنهم إذا خافوا على أنفسهم من هذا القول فتركوه، كانوا مما هو أشد منه، وأعظم من القول والعمل أخوف، وكانوا إلى أن يدعوا جهاد المشركين خوفًا على أنفسهم وأموالهم أقرب، وإذا صاروا كذلك فقد تودع منهم واستوى وجودهم وعدمهم.

وقال غيره: معنى (تودع منهم) أي أستريح منهم، وخذلوا فخلى بينهم وبين المعاصي أو تحفظ منهم، وتوقوا كما يتوقى من شرار الناس. والله أعلم» (٢٢٤)

قال الزمخشري في:" أي استريح منهم وخذلوا وخلي بينهم وبن ما يرتكبون من المعاصي، وهو من المجاز؛ لأن المعتني بإصلاح شأن الرجل إذا يئس من صلاحه تركه ونفض منه يده واستراح من معاناة النصب في استصلاحه، ويجوز أن يكون من قولهم تودعت الشيء: أي صنعته في ميدع أي فقد صاروا بحيث يتحفظ منهم ويتصون كما يتوقى شرار الناس (٢٢٥). وقال المناوي:" قال القاضي: أصله من التوديع وهو الترك، وحاصله أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمارة الخذلان وغضب الرحمن (٢٢٦).

وقال الإمام الغزالي:" لكن الأمر بالمعروف مع الولاة وهو التعريف والوعظ، وأما المنع بالقهر فليس للأحاد؛ لأنه يحرك فتنة ويهيج شرا. وأما الفحش في القول ك: يا ظالم ويا من لا يخاف الله" فإن تعدى شره للغير امتنع، وإن لم يخف إلا على نفسه جاز، بل ندب، فقد كانت عادة السلف الصالح التصريح بالإنكار والتعرض للإنكار (٢٢٧) انتهى.

لأحمد والطبراني والحاكم والمؤلف في "الشعب". وأورده الهيثمي في "المجمع" (٧/ ٢٦٧) وقال: رواه أحمد والبزار بإسنادين ورجال أحد إسنادي البزار رجال الصحيح وكذلك رجال أحمد.

وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (١٠/ ٣٠)

٢٢٤) شعب الإيمان (١٠/ ٤٧ ط الرشد) وكذا قال الحليمي في "المنهاج" (٣/ ٣١٦) الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - ابن داود الحنبلي» (ص١٥٤)

٢٢٥) الفائق" (٤/ ٥٠)

٢٢٦) فيض القدير" (١/ ٣٥٤ رقم ٦٢٧)

٢٢٧) الإحياء (١٢/ ٣٣٧)

«وإن علة العالم الإسلامي هو الرضا بالحياة الدنيا والاطمئنان بها، والارتياح إلى الأوضاع الفاسدة والهدوء الزائد في الحياة، فلا يقلقه فساد، ولا يزعجه انحراف، ولا يهيجه منكر، ولا يهمه غير مسائل الطعام واللباس» (٢٢٨).

ومن عجيب هذا الحديث بهذا الاسناد («إذا رأيتم أُمتي تَهَابُ الظالم أن تقول له: إنك أنت ظالم، فقد تُوُدِّعَ منهم») أنه جاء في المسند وغيره بعده مباشرة «قال رسول الله ﷺ: "يكون في أُمّتي خَسْف ومَسْخ وقذف» (٢٢٩).

وقد رأينا عياناً هذا التلازم بين شيوع الظلم والفساد وعدم قدرة العلماء على الانكار والنصح حتى ولو كان على سبيل العموم.

والارتباط بين ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووقوع الخسف والمسخ والقذف ارتباط عجيب حيث أن تعطل الإنكار على الظالم والمفسد، يقطع عنهم العون الإلهي والتأييد الرباني على صلاح الحال قاله السندي (٢٣٠).

وكما قال الفيروزآبادي: «أَى أَسْلِمُوا إِلى ما استحقُّوه من المنكر عليهم، وتُرِكُوا وما استَحبُّوه من المعاصي حتى يُكْثِرُوا منها فيَستوجِبُوا العقوبةَ» (٢٣١).

وعند شيوع المنكرات الموبقات وتوقف النصح والإصلاح تنزل العقوبات فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ:"يَبِيتُ قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَلَهْو، فَيُصْبِحُونَ وَقَدْ مُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ، وَلَيُصِيبَنَّهُمْ خَسْفٌ، وَمَسْخٌ، وَقَذْفٌ، حَتَّى يُصْبِحَ النَّاسُ، فَيَقُولُونَ: خَسَفَ اللهُ اللَّيْلَةَ بِبَنِي فُلَانٍ، وَخُسِفَ اللَّيْلَةَ بِدَارِ فُلَانٍ، وَلَيُرْسِلَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ حَاصِبًا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ، كَمَا أَرْسَلَ عَلَى قَوْمِ لُوطٍ عَلَى قَبَائِلَ فِيهَا، وَعَلَى دُورٍ فِيهَا كَمَا أُرْسِلَتْ عَلَى قَوْمِ لُوطٍ، وَلَيُرْسِلَنَّ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ، الَّتِي أَهْلَكَتْ قَوْمَ عَادٍ عَلَى قَبَائِلَ، وَعَلَى دُورٍ فِيهَا، بِشُرْبِهِمُ الْخَمْرَ، وَأَكْلِهِمُ الرِّبَا، وَاتِّخَاذِهِمُ الْقَيْنَاتِ، وَلِبْسِهِمُ الْحَرِيرَ، وَقَطْعِهِمُ الرَّحِمَ " (٢٣٢).

---

٢٢٨) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص٢٣٥)

٢٢٩) مسند أحمد» (٦/ ٨٦ ت أحمد شاكر) وجامع المسانيد لابن الجوزي (٤/ ٤٢١)

٢٣٠) مسند أحمد» (١١/ ٣٩١ ط الرسالة)

٢٣١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٥/ ١٨٨)

٢٣٢) أخرجه الحاكم في "المستدرك" ٤/ ٥٦٠، وأحمد في "المسند" ٥/ ٣٢٩، والطيالسي في "مسنده" ١/ ١٥٥ (١١٣٧) بسند حسن.

فشرب الخمر والرتع في الشهوات وغناء القينات وهي (الأمة المغنية) وأكل الربا ولبس الحرير كلها موبقات تؤدي إلى قطع الأرحام والانشغال عن قضايا الأمة وترك معونة من يريد العون بل وخذلانهم وهذا بحده موجب للخذلان ونزول العذاب.

فكيف يكون الحال إذا أصبح هؤلاء المترفون سلماً للأعداء وحرباً على أمتهم، تأييداً عدوهم وخذلاناً لأهليهم قال تعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ} [محمد:٢٢، ٢٣] ...؟

وهذا حال من خذل أبناء أمته أن يخذله الله بأن يمسخهم ويخسف بهم ويقذف عليهم ألواناً من عذابه ...نعوذ بالله من غضبه وعذاب وشر عقابه.

وفي الأثر عن لُقْمَانُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ أَمْرِكَ؟ قَالَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهَا قُصُورُ الشَّامِ (٢٣٣).

قال ابن كثير: «وَتَخْصِيصُ الشَّامِ بِظُهُورِ نُورِهِ إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِقْرَارِ دِينِهِ وَثُبُوتِهِ بِبِلَادِ الشَّامِ، وَلِهَذَا تَكُونُ الشَّامُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مَعْقِلًا لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَبِهَا يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِذَا نَزَلَ بِدِمَشْقَ بِالْمَنَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ الْبَيْضَاءِ مِنْهَا. وَلِهَذَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ" (٢٣٤). وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٢٣٥): "وَهُمْ بِالشَّامِ"» (٢٣٦)

قال ابن تيمية: «وَالنَّبِيُّ ﷺ مَيَّزَ أَهْلَ الشَّامِ بِالْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ دَائِمًا إلَى آخِرِ الدَّهْرِ، وَبِأَنَّ الطَّائِفَةَ الْمَنْصُورَةَ فِيهِمْ إلَى آخِرِ الدَّهْرِ ، فَهُوَ إخْبَارٌ عَنْ أَمْرٍ دَائِمٍ مُسْتَمِرٍّ فِيهِمْ مَعَ الْكَثْرَةِ وَالْقُوَّةِ وَهَذَا الْوَصْفُ لَيْسَ لِغَيْرِ الشَّامِ مِنْ أَرْضِ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّ الْحِجَازَ - الَّتِي هِيَ أَصْلُ

---

٢٣٣) في «المسند» ٤: ١٢٧- ١٢٨، والطبري ١: ٤٣٥، والحاكم في «المستدرك» ٢: ٦٠٠، وصحّحه وأقرّه الذهبي. وصحّحه الشيخ أحمد شاكر أيضا في تعليقه على تفسير الطبري». والحديث بنحوه رواه الإمام أحمد أيضا في «المسند» ٥: ٢٦٢ من الحديث أبي أمامة ﷺقال: قلت: يا نبيّ الله ما كان أول بدء أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشام

٢٣٤) هذا لفظ حديث ثوبان في صحيح مسلم برقم (١٩٢٠) ورواه أيضا بنحوه من حديث معاوية برقم (١٠٣٧) وهو في صحيح البخاري برقم (٧٤٦٠) من حديث معاوية ﷺ برقم (٧٤٥٩) من حديث المغيرة ﷺ .

٢٣٥) صحيح البخاري برقم (٧٤٦٠) من حديث معاذ رضي الله عنه

٢٣٦) تفسير ابن كثير - ت السلامة» (١/ ٤٤٤)

الْإِيمَانِ نَقَصَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ: مِنْهَا الْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ وَالنَّصْرُ وَالْجِهَادُ وَكَذَلِكَ الْيَمَنُ وَالْعِرَاقُ وَالْمَشْرِقُ. وَأَمَّا الشَّامُ فَلَمْ يَزَلْ فِيهَا الْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ وَمَنْ يُقَاتِلُ عَلَيْهِ مَنْصُورًا مُؤَيَّدًا فِي كُلِّ وَقْتٍ» (٢٣٧).

وقال العلامة ابن رجب الحنبلي فقال: «إن الله -تعالى- جعل البلدة الحرام مبدأ لخلقه وأمره؛ فأول ما خلق من الأرض مكان البيت، ومنه دُحيتِ الأرض وهو أول مسجد وضع عَلَى وجه الأرض لعِبَادَةِ الله -تعالى- وتوحيده، وفيه ابتدأت رسالة خاتم النبيين ﷺ، وأنزل الكتاب المبين، وجعل الشام منتهى الخلق والأمر، ففي آخر الزمان يستقر الإيمان وأهله بالشام، وهي أرض المحشر والنشر للأنام» (٢٣٨).

فالعبرة ليست بالمكان والزمان بقدر ما هي متعلقة بأفعال المكلفين فيهما ولعل هذا من أسرار الخطاب الإلهي للبشر عامة ولبني إسرائيل على وجه الخصوص {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا} [الإسراء: ٧].

فهذا خطاب خلاصته ذهاب ملك بني إسرائيل وعلوهم بمعاصيهم وإساءتهم، وهذا بتمكين المؤمنين وتعمير المسجد المبارك، وفي المقابل المعاصي تخرب (طيبة) التي هي رمز لمنطلق الدعوة وموطنه وحرز الإيمان وأرزه لتصبح يثرب المنهي عن التسمية بها لدلاتها على التثريب وهو الحزن واللوم على خرابها، وعندها يشق الإقامة في الخرب المستهدم.

وهذا يعني عودة المدينة لما كانت عليه قبل الهجرة، وخروج الإسلام منها كما دخلها مع الهجرة ولعله يكون مرحلة الخبث التي قدر الله لطيبة أن تنفيه فيما بعد.

فالأحداث الجارية تؤكد أن بيت المقدس سيعمر.

لأن مقاصد الشريعة على مرتبتين: قصد الشارع وقصد المكلف وحظه من الدنيا.

والمراد من التدافع الذي هو قصد الشارع هو عمران بيوت الله وأن يذكر فيها اسمه ﷻ فالنصر وسيلة لا غاية في نفسه وإلا صار علوا في الأرض، وانتقال التدافع بأرض بيت المقدس لتعمر بيوت الله ويذكر فيها اسمه ﷻ ولكي يكون الأمر خالصاً لله موافقا لمراده

٢٣٧) مجموع الفتاوى (٤/٤٤٩)

٢٣٨) فضائل الشام» (٣/ ١٧٩)

وهذا ستسبقه أهوال عظام، وتقدم له أثمان غالية وهو ما يقع ويجرى وسيظل يجرى حتى يعمر بيت المقدس.

فالعمران هنا بذكر الله والتكبير والتهليل والحمد والثناء على الله والصلاة والسلام على رسول الله، وهذا هو غالب كلام أهل غزة وهو فاتحة خير وليس البناء قال تعالى : {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٧) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨) أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [التوبة: ١٧ - ٢٠] .

يرون الجهاد ضرارًا

حري بمن عاش للشهوات والملذات وقد امتلأ عقله وقلبه بالشبهات وأُشرب الفتن من هواه حتى صار معجب برأيه ولا يطيع إلا هواه حري بهؤلاء أن يرون الجهاد ضرراً وأن زماننا لَيْسَ بِزَمَانِ جِهَادٍ، والصدقة مغرمًا وما ذلك إلا لأثر المعاصي وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو مناط الخير فإذا ذهب مناط الخيرية لم يبق إلا الشر والسوء والعقاب ونزول العذاب.

وقد مر بنا ما نقله العلامة البيهقي عن الإمام أحمد: والمعنى في هذا أنهم إذا خافوا على أنفسهم من هذا القول فتركوه، كانوا مما هو أشد منه، وأعظم من القول والعمل أخوف، وكانوا إلى أن يدعوا جهاد المشركين خوفًا على أنفسهم وأموالهم أقرب، وإذا صاروا كذلك فقد تودع منهم واستوى وجودهم وعدمهم. (٢٣٩).

وعَنْ عَبْد الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا يَزَالُ اَلْجِهَادُ حُلْوًا خَضِرًا مَا مَطَرَ اَلْقَطْرُ مِنْ اَلسَّمَاءِ وَسَيَأْتِي عَلَى اَلنَّاسِ زَمَانٌ يَقُولُ فِيهِ قُرَّاءٌ مِنْهُمْ: لَيْسَ هَذَا بِزَمَانِ جِهَادٍ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ فَنِعْمَ زَمَانُ اَلْجِهَادِ.

---

٢٣٩) شعب الإيمان» (١٠/ ٤٧ ط الرشد) وكذا قال الحليمي في "المنهاج" (٣/ ٣١٦) الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - ابن داود الحنبلي» (ص١٥٤)

قَالُوا يَا رَسُولَ اَللَّهِ: وَأَحَدٌ يَقُولُ ذَلِكَ؟

فَقَالَ: "نَعَمْ، مَنْ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اَللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

قَالَ عَبْد الْمَلِكِ:وَهَذَا قَوْلُ مَالِكٍ وَرَأْيُ جَمِيعِ أَصْحَابِهِ لَا يَرَوْنَ اَلْغَزْوَ مَعَهُمْ بَأْسًا» (٢٤٠).

وقال ابن أبي زمنين: روى سحنون عن ابن القاسم أنه قال: بلغني أن مالكاً كان يكره جهاد الروم مع هؤلاء الولاة، فلما كان زمان مرعش وصنعت الروم ما صنعت رجع عن قوله وقال: لا بأس بالجهاد معهم، وأنه لو ترك الجهاد معهم لكان ضررا على أهل الإسلام.

قال محمد -هو ابن أبي زمنين-: وهذا الذي رجع إليه مالك هو الذي عليه أئمة المسلمين وجماعتهم. قال ابن حبيب: سمعت أهل العلم يقولون: لا بأس بالجهاد مع الولاة وإن لم يضعوا الخمس موضعه، وإن لم يوفوا بعهد إن عاهدوا وإن عملوا ما عملوا، ولو جاز للناس ترك الغزو معهم لسوء حالهم لاستذل الإسلام وتخرمت أطرافه، واستبيح حريمه، ولعلا الشرك وأهله. اهـ ذكره فيما جاء في الجهاد مع ولاة السوء» (٢٤١) .

قال أبو الحسن التسولي المالكي: «اعلم: أن العدوّ الكافر دمّره الله إما أن يكون طالباً، أو مطلوباً. فالجهاد في الثاني: فرض كفاية، قال ابن النحاس: (جهاد الكفار في بلادهم فرض كفاية باتفاق العلماء).

وقال ابن عرفة: (حاصل أنقال المذهب: أنه فرض كفاية، على قادر عليه، لم ينزل به عدوّ الدين، ولم يبلغه نزوله بمن عجز عن رفعه من مسلم أو ذمي.

ثم قال: وفرض الكفاية، حرام عموم تركه فمن ثم قال سَحنون: ومع كونه فرض كفاية لا ينبغي أن يعطل الإمام الجهاد) (٢٤٢)اهـ. أي: يحرم أن يتركه الإمام في جميع السنين لغير عذر، قال الإمام القاضي عبد الوهاب: «لا يجوز للإمام تركه لهدنة، إلاّ لعذر»

---

٢٤٠) أصول السنة لابن أبي زمنين» (ص٢٩١)(٢٢١) السنن الواردة في الفتن للداني (٣/ ٧٥١):«(٣٧١» وأخرجه بلفظ قريب ابن عساكر (٣٤٧/٤٣) عن أنس وضعفه. و أورده المتقي الهندي في "كنز العمال": ١٠٧٤٢، نحوه

٢٤١) قدوة الغازي ص٢٦ ، وانظر : العتيق مصنف جامع لفتاوى أصحاب النبي ﷺ (٣٣/ ٣٧٩)

٢٤٢) المختصر الفقهي لابن عرفة (٣/ ٧)

(٢٤٣). وقال اللّخمي: (هو فرض على كل إمام كانت رعيّته تجاور العدوّ) (٢٤٤) أي: في كل عام مرة.

وقال أبو عمر- في كافيه-، والقرطبي في تفسيره- وغيرهما: (فرض على الإمام: إغزاء طائفة إلى العدوّ كل سنة مرة، يخرج معهم بنفسه، أو يولّي عليهم من يثق به .... إلخ.

وذكر الدمياطي، وابن النحاس، وغيرهما: (أن ترك الجهاد في جميع السنين، والإعراض عنه، والسكون إلى الدنيا خروج من الدين.

واحتجّوا له، بما روي: «عَنِ ابْنِ عُمَرَ، ﵄ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ» (٢٤٥).

قالوا: ومعنى الحديث: أن الناس إذا تركوا الجهاد، وأقبلوا على الزراعة ونحوها، سلّط الله عليهم العدوّ، - لعدم تأهبهم له- ولعدم استعدادهم لنزوله-، لرضاهم بما هم فيه من الأسباب، فأعطاهم ذلاًّ، وهو: أنهم لا يتخلّصون من عدوّهم، حتى يرجعوا إلى ما هو واجب عليهم، من جهاد الكفار، والإغلاظ عليهم، وإقامة الدين، ونصرة الإسلام.

وقد دل قوله ﷺ "حتى ترجعوا إلى دينكم": على أن ترك الجهاد، والإعراض عنه، خروج من الدين، ومفارقة له، وكفى به ذنباً وإثماً. اهـ.

فالمخاطب في هذا الحديث الكريم، وغيره، هم: الأئمة، فمعناه: إذا ترك الأئمة الناس، يتبايعون بالعينة، ويتبعون أذناب البقر ... إلخ.

---

٢٤٣) التلقين في الفقة المالكي(١/ ٩١):«كتاب الجهاد ... الجهاد من فروض الكفاية وقد يتعين في بعض الأوقات على من يفاجئه العدو ولا يجوز تركه إلى الهدنة إلا من عذر ولا يكف عنهم إلا بأن يسلموا أو يدخلوا في ذمتنا ويؤدوا الجزية في دارنا وينبغي أن يدعوا قبل قتالهم إلا أن يعاجلونا وتجوز النكاية في العدو بكل ما يقدر عليه من إحراق الأراضي الزروع والعلوفات وقطع النخل والشجر وعقر الدواب وإخراب البلاد ولا تمس النحل إلا أن تكون من الكثرة والاجتماع يؤثر إتلافها»

٢٤٤) نقله المواق في "التاج والإكليل فى شرح مختصر خليل": ٣/ ٣٤٦"باب: "الجهاد". والحطاب فى "مواهب الجليل في شرح مختصر خليل": ٣/ ٣٤٧، "باب الجهاد"

٢٤٥) أخرجه أبو داود في "سننه" أنظر: عون المعبود في شرح سنن أبي داود: ٩/ ٣٣٥، "كتاب البيوع" "باب: النهي عن العينة"، عن نافع عن ابن عمر. والبيهقي في "سننه": ٥/ ٣١٦، "كتاب البيوع" "باب: ما ورد في كراهية التبايع بالعينة". وأورده الزيلعي في "نصب الراية": ٤/ ١٧. والمتقي الهندي في "منتخب كنز العمال": ٢/ ٢٦٣. والشوكاني في "نيل الأوطار": ٥/ ٢٠٦، وقال: (رواه أحمد وأبو داود، وأخرجه أيضاً- الطبراني وابن القطان وصحّحه، وقال الحافظ- في بلوغ المرام- ورجاله ثقات). وقد صحّحه الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة": ١/ ١٥

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الْأَعَاجِمِ. قِيلَ: وَمَا قُلُوبُ الْأَعَاجِمِ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا، سُنَّتُهُمْ سُنَّةُ الْأَعْرَابِ، مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ رِزْقٍ جَعَلُوهُ فِي الْحَيَوَانِ، يَرَوْنَ الْجِهَادَ ضَرَرًا، وَالصَّدَقَةَ مَغْرَمًا» (٢٤٦).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ أَدَّى إِلَى اللَّهِ جَمِيعَ طَاعَتِهِ وَأَدَّى الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِ لا تَقْصِيرَ دُونَهُ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ»، قِيلَ: وَمَنْ يَدَعُ الْجِهَادَ بَعْدَ الَّذِي سَمِعَ مِنْكَ؟ قَالَ: " مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا، قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَقُولُونَ: «لا جِهَادَ» قَدْ عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّي عَهْدًا لَنْ يُخْلِفَنِيهِ، أَيْ عَبْدٌ لَقِيَنِي وَهُوَ يَرَى ذَلِكَ، إِنِّي مُعَذِّبُهُ عَذَابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ "(٢٤٧).

«فانظروا- أيّدكم الله-!: إلى هذا الوعيد الفظيع، وبالجملة: إنما تجوز المهادنة مع كون الجهاد فرض كفاية، بأن يكون العدوّ مطلوباً في أرضه، ومع ذلك قالوا: (إنما تجوز لمصلحة) من استعداد، وإقامة جيش، ونحو ذلك، مما يراه الإمام من المصالح التي يحتال فيها لعدوّه)

قالوا: (ويستحب: أن لا تزيد المهادنة على أربعة أشهر) كما في "خليل" ، وغيره (٢٤٨).

وأوضح هذه المسألة العلامة أبو المعالي الجويني في باب المهادنة فقال: «إذا أراد الإمام أن يهادن جمعاً من الكفار، نُظر: فإن لم يكن بالمسلمين ضعف، فله أن يهادن الكفار أربعة أشهر، وهي مدّة التسييح، قال الله تعالى: {فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ}[التوبة: ٢]، والذي قطع به الأصحاب أنه لا يجوز تبليغ مدة المهادنة سنة؛ فإنها مدة الجزية، فلا يجوز الكف عن الكفار في مدة الجزية من غير جزية، وذكروا قولين

---

٢٤٦) رواه: أبو يعلى مرفوعًا، والحارث بن أبي أسامة موقوفًا. قال الحافظ ابن حجر: "وهو أصح". قلت: والموقوف له حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال من قبل الرأي، وإنما يقال عن توقيف («إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة» (٢/ ٧٩) وصححه الألباني (سلسلة الأحاديث الصحيحة:٢/٧- ٣٣٥٧)

٢٤٧) «قدوة الغازي» (ص٢٥): «٩٤» وأخرجه: الصيداوي في "معجم شيوخه": ٣٦٦ قال: حدثنا مظفر بن محمد، قال: حدثنا أحمد بن إسحاق الخشاب، قال: حدثنا معمر بن مخلد السروجي، قال: حدثنا القاسم بن بهرام، عن قتادة، عن أنس بن مالك، فذكره، وأورده المتقي الهندي في "منتخب كنزل العمال": ٢/ ٢٦٨ - ٢٦٩، مختصراً، وعزاه للديلمي عن أنس، وعنه أخرجه ابن عساكر في الأربعون في الحث على الجهاد (ص٧٩).

٢٤٨) لوامع الدرر في هتك أستار المختصر (٥/ ٥٤٥) قال الموّاق: (قال ابن شاس: استحبّ الشيخ أبو عمر ألا تكون المدة أكثر من أربعة أشهر إلاّ مع العجز). (التاج والإكليل لمختصر خليل: ٣/ ٣٨٦)

في جواز المهادنة أكثرَ من أربعة أشهر وأقلَّ من سنة: أحدهما - أن المهادنة تصحّ لقصور مدتها عن أمد الجزية، فأشبهت المهادنة على أربعة أشهر.

والثاني - أنها لا تصحّ؛ فإن الأربعة الأشهر منصوص عليها في كتاب الله تعالى، فاتبعناها، ولم نزد عليها» (٢٤٩)

وكيف يطوّل في الهدنة سكوناً للراحة، من تدبّر قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: ٢٤] ونحوها من الآيات!؟.

قال في "الكشاف ": (قوله تعالى: {بِأَمْرِهِ} أي: عقوبته عاجلة أو آجلة قال: وهي آية شديدة لا ترى أشد منها ... إلخ) ما تقدّم من كلامه فيها مع غيرها.

وقال ابن النحاس: (في هذه الآية من التهديد، والتحذير، والتخويف، لمن ترك الجهاد رغبة عنه وسكوناً إلى ما هو فيه من الأهل والمال، ما فيه كفاية، فاعتبروا يا أولي الأبصار) اهـ.

وقد قالوا: (إن الإمام مع الرعية، كالنفس مع صاحبها، إن لم يشغلها شغلته).

فالإمام: إن لم يشغل الرعية بأمور الجهاد، شغلته بالقيام عليه، وبعدم امتثال أوامره، كما أن النفس: إن لم يشغلها صاحبها بالعبادة والطاعة لربّها، شغلته بالمعاصي، وكفران النعم التي أسبلت عليها.

قال القرطبي «وَمِنَ الْجِهَادِ أَيْضًا مَا هُوَ نَافِلَةٌ وَهُوَ إِخْرَاجُ الْإِمَامِ طَائِفَةً بَعْدَ طَائِفَةٍ وَبَعْثُ السَّرَايَا فِي أَوْقَاتِ الْغِرَّةِ وَعِنْدَ إِمْكَانِ الْفُرْصَةِ وَالْإِرْصَادِ لَهُمْ بِالرِّبَاطِ فِي مَوْضِعِ الْخَوْفِ وَإِظْهَارِ الْقُوَّةِ. فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَصْنَعُ الْوَاحِدُ إِذَا قَصَّرَ الْجَمِيعُ، وَهِيَ: الْخَامِسَةُ- قِيلَ لَهُ: يَعْمِدُ إِلَى أَسِيرٍ وَاحِدٍ فَيَفْدِيهِ، فَإِنَّهُ إِذَا فَدَى الْوَاحِدَ فَقَدْ أَدَّى فِي الْوَاحِدِ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَلْزَمُهُ فِي الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الْأَغْنِيَاءَ لَوِ اقْتَسَمُوا فِدَاءَ الْأُسَارَى مَا أَدَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَّا أَقَلَّ مِنْ دِرْهَمٍ.

---

٢٤٩) نهاية المطلب في دراية المذهب (١٨/ ٧٦)

وَيَغْزُو بِنَفْسِهِ إِنْ قَدَرَ وَإِلَّا جَهَّزَ غَازِيًا. قَالَ ﷺ : (مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا) (٢٥٠). وَذَلِكَ لِأَنَّ مَكَانَهُ لَا يُغْنِي وَمَالَهُ لَا يَكْفِي» (٢٥١)

ثم لا يخفى: أن ما وقع لتلك الأقطار، حتى صار لهم العدوّ يقطع لهم البحار، ويتّبعهم في الفيافي والقفار، والمسلمون أمامه "كأولاد الجراد"، هذا يتقدّم أمام الآخر سالكين نهج الفرار، إلاّ من طول المهادنة في تلك الأوطان، وعدم ممارسة القتال وشدّة الامتحان، فسكنوا إلى الراحة، واشتغلوا بالتكسّب وأموال الزراعة، وصار عدوّهم يتحيّل لهم بأدنى التحيلات، فيفشي أخباراً في أجناس الكفّار من اليهود وغيرهم، أنه يريد ثغور المسلمين، وأنه مريد الخروج منها، أو أنه يريد الصلح ونحو ذلك، وذلك كلّه: مكيدة، لعلمه: بأن ذلك يصل للمسلمين، فتسكن نفسهم إليه، فينتهز فيهم فرصته، وإذا رآهم لقتاله اجتمعوا كفّ عن خروجه لهم حتى يتفرّقوا لطلب ما به تطبّعوا لعلمه: أنه لا صبر لهم عليه، وأنه ليس بيد أميرهم رزق يرشدهم إليه، ولا لهم مغيث من أمراء الآفاق يعينهم عليه، فإذا تفرّقوا دهمهم بما من الجيوش لديه

قال "ابن عرفة": (كرّه علماؤنا المهادنة على أن يعطينا أهل الحرب مالاً كل عام، «وَلَقَد طلب الطاغية ذَلِك إِلَى عبد الله هَارُون يَعْنِي الرشيد على أَن يعطوه مائَة ألف دِينَار كل عَام فَشَاور الْفُقَهَاء فَقَالُوا لَهُ الثغور الْيَوْم عامرة فِيهَا أهل البصائر بالقتال أَكْثَرهم نازعون من الْبلدَانِ إِن انْقَطع عَنْهُم الْجِهَاد تفرقُوا وخلت الثغور لِلْعَدو وَالَّذِي يُصِيب أهل الثغور مِنْهُم أَكثر من مائَة ألف فسرّ بذَلِك وصوبه وَرجع إِلَيْهِ» (٢٥٢) اهـ.

فانظروا- أيّدكم الله-!: كيف احتال العدوّ، وسمح باعطاء المال، لأجل أن يتفرّق من الثغور أهل البصائر بالقتال، ويسكن الناس إلى الراحة، فلا يقدرون على مقاومته بعد ذلك لعدم ممارستهم للقتال؟!.

---

٢٥٠) أخرجه البخاري في "صحيحه" "أنظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ٦/ ٤٩. "كتاب الجهاد" "باب: فضل من جهّز غازياً أو خلفه بخير"، عن زيد بن خالد، وزاد عليه: "ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا". ومسلم في "صحيحه": ٣/ ١٥٠٧، "كتاب: الامارة" "باب: فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره

٢٥١) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (٨/ ١٥٢)

٢٥٢) النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات (٣/٣٤٠) عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة(١/ ٣٣٣) وتحبير المختصر وهو الشرح الوسط لبهرام على مختصر خليل (٢/ ٥١٧) بدائع السلك في طبائع الملك (٢/ ٥٨)

وانظروا: كيف كرّه العلماء تلك المهادنة مع أخذ المال من العدوّ، مع وجود العدّة والعدد، فكيف بها مع عدم ذلك كلّه؟! ٢.

هذا كله: في حكم المهادنة إن كان العدوّ مطلوباً في أرضه.

وأما ان كان العدوّ طالباً- كما في تلك الناحية وغيرها من الأقطار-: فقال في "المعيار": (لا يجوز الصلح والهدنة بحال، وإن وقع وجب نقضه، لأن العدوّ حيث نزل أو قارب النزول فالجهاد متعيّن، وترك الجهاد المتعيّن ممتنع، فالصلح - المذكور-: ممتنع، لأنه تعود على العدوّ- أهلكه الله- مصلحته، وعلى المسلمين مفسدته، وإن تخيّلت فيه مصلحة، فهي للعدوّ أعظم من وجوه مكملة، فإنه يتحصّن في تلك المدّة، ويكثر من آلات الحرب والعدّة، فيتعذّر على المسلمين الاستنقاذ، ويصعب عليهم تحصيل المراد- فالصلح المذكور إن وقع مصلحة للعدوّ ومفسدة على الإسلام- فلا يكون له في نفس الأمر انبرام- فيجب نقضه، لأنه بمقتضى الشرع غير منبرم، فحكمه غير لازم عند كل من حقّق أصول الشريعة) اهـ باختصار (٢٥٣)، وفيه كفاية.

قلت: وكيف يصح الصلح والهدنة من العدوّ الطالب للمسلمين النازل بأرضهم؟!، والله ﷻيقول: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ....} [التوبة: ٧]، فهو استفهام بمعنى: الإنكار والاستبعاد، لأن يكون لهم عهد ولا ينكثوه- مع وغرة صدورهم- يعنى: محال أن يثبت لهؤلاء عهد، فلا تطمعوا في ذلك، ولا تحدثوا به أنفسكم.

ثم قال تعالى: {كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ} [التوبة: ٨] أي: عهداً؟!، (أي: حالهم وشيمتهم أنهم: إن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم قرابة، ولا حلفاء ولا عهداً) قاله: غير واحد من المفسرين (٢٥٤).

والصلح الوارد عنه ﷺ في الحديبية إنما: هو منه إليهم، لأنهم مطلوبون وقتئذ، لا منهم إليه، فحيث ظهر عليهمﷺ وطالبهم في أراضيهم جاز صلحه لمصلحة.

---

٢٥٣) نظر: الونشريسي في "المعيار": ٢/ ٢٠٨، "مجاهدون يغيرون على أطراف مراكز العدوّ الذي صالحه السلطان"

٢٥٤) انظر: البيضاوي في "تفسيره":١٩١.١، والزمخشري في "الكشاف": ٢/ ٢٤٩- ٢٥٠. والقرطبي في "الجامع لأحكام القرآن": ٨/ ٧٩

ولا شكّ: أن العدوّ الكافر النازل بأرض الإسلام- وأخذ لهم الثغور، والأمصار- قد ظهر عليهم، فكيف يرقب عهده، وتسكن النفس إليه وكيف يكون للمغلوب على غلابه الكافر عهد وميثاق؟!.

ولهذا قال الإمام الحافظ أبو العباس الونشريسي ﷺ في "معياره"، أثناء جواب له، ما نصّه: (كيف يثق بهم عند قوتهم وظهورهم، وكثرة عددهم، ووفور عُددهم اعتماداً على وفائهم بعهودهم في شريعتهم، ونحن لا نقبل شهادتهم بالإضافة إليهم فضلاً عن قبولها بالإضافة إلينا، فكيف يعتمد على زعمهم بالوفاء!؟) (٢٥٥) اهـ الغرض منه.

ومعناه: أن العهد أعلى مراتبه أن يكون شهادة، ونحن لا نقبل شهادة بعضهم على بعض، فكيف نقبلها على المسلمين، ونعتمد على زعمهم وعهدهم بالوفاء؟

فهذا خرق: للإجماع، والكتاب، والسنة بلا نزاع، قال تعالى- مخبراً عن دوام معاداة الكفار للمؤمنين- وانهم لا ينفكّون عنها- بقوله: {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} [البقرة: ٢١٧].

وإنما جاز الصلح والهدنة: إذا كانوا مطلوبين في أراضيهم، لأن الغلبة والظفر حينئذ للمؤمنين، فالعهد حينئذ منا إليهم، لا منهم إلينا، فالمؤمنون هم الموفون بالعهود، ومع ذلك قالوا: (إنما يجوز لمصلحة ... كما مرّ).

وكيف تميل النفس، وتسكن لعهودهم مع نهي الشارع عنها؟!، وأيضاً مهما أرادوا نقضها تسبّبوا وطلبوا من المؤمنين أمراً لا يمكن المؤمنين أن يسمحوا به، وإن هم سمحوا به انتقلوا إلى طلب ما هو أعلى منه، وهكذا إلى أن تحصل الإبابة من المسلمين فيحتجّون عليهم.

وكيف يكون للمغلوب على غالبه عهد ويشرط؟

-[تنبيه!]-: إذا نزل عدوّ الدين بأرض الإسلام، أو قريباً منها مريداً الدخول إليها، فإن الجهاد فرض عين على أهل ذلك البلد، وعلى إمامهم، شيوخاً وشبّاناً، أحراراً، أو عبيداً،

(٢٥٥) قاله الونشريسي في "معياره ": ٢/ ١٤٠، أثناء جواب عن سؤال وجّهه له الفقيه القاضي "أبو عبد الله بن قطية" عن رجل من أهل "مربلّة" معروف بالفضل والدين تخلف عن الهجرة مع أهل بلده ليبحث عن أخ له فقد قبل في قتال العدوّ بأرض الحرب كما أنه كان عوناً للمسلمين الذمّيين حيث سكناه ولمن جاورهم يتكلّم عنهم مع حكّام النصارى فيما يعرض لهم معهم من نوائب الدهر، فهل يرخص له من الإقامة معهم تحت حكم الملّة الكافرة؟ أو لا يرخص؟، فأجاب بذلك بعد أن نقل ما روي عن "عمر بن عبد العزيز" أنه نهى عن الإقامة بجزيرة الأندلس.

بل وإن على امرأة إن كانت لها قوّة، ولا يتوقف قتالهم للعدوّ النازل على مشورة الإمام، ولا سيّما إن بعد منهم، بل وإن لم يكن لهم إمام تعيّن عليهم مدافعته ونصب الإمام، فإن لم يقدر- أهل ذك البلد- مع إمامهم، على مقاومة العدوّ، تعيّن على أقرب الأئمة إليهم، وعلى رعيّته أن يعينوهم، فإن لم تكن فيهم كفاية ومقاومة- أيضاً- وجب: على من والاهم، وهكذا حتى يأتي الوجوب منسحباً على جميع المسلمين »(٢٥٦).

فظهر من هذا أن: «ترك الجهاد والاعراض عنه والسكون إلى الدنيا خروج من الدين وكفى بهذا اثماً وذنبا مبيناً.

كما يلزم من تركه فساد كثير بترك إعلاء كلمة الله والذب عن الإسلام والمسلمين ولذلك عاجلهم على ذلك العقوبة في الدنيا فمن أصر جمع له بين عقوبة الدنيا والآخرة، ومن رجع سلم وفاز بالجنة» (٢٥٧).

قال في مشارع الأشواق:" عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال: وقد خطب الناس بعد وفاة رسول الله - ﷺ- بعام فقام وقد خنقته العبرة فقال أيها الناس إني سمعت رسول - ﷺ- عام أول في هذا الشهر على هذا المنبر وهو يقول: "ما ترك قوم الجهاد في سبيل الله إلا أذلهم الله وما ترك قوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا عمهم الله بعقاب"، ورواه الطبراني بإسناد حسن باختصار ولفظه قال: "ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب".

وخرج ابن عساكر بإسناده عن مجالد عن الشعبي قال: لما بويع أبو بكر الصديق صعد المنبر فذكر الحديث وقال فيه: "ولا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالفقر".

فإن قلت: نرى الناس قد أعرضوا عن الجهاد والأغنياء فيهم كثير؟ ...

فالجواب أن الغني هو: كما صح في الحديث: ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى القلب(٢٥٨)والفقر فقر القلب، والذي نشاهده من الناس لما أعرضوا عن الجهاد والغنائم وأقبلوا على الاكتساب من الجهات المختلفة من مباح وغيره سلط الله عليهم فقر قلب وشدّة حرص وغلبة شح، فمنعوا كثيرا من الحقوق الواجبة وتناولوا كثيرا من

---

٢٥٦) أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد(ص٢٦٤)

٢٥٧) روح البيان (٣/ ٤٦٦) فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب (٦/ ٦٨٥)

٢٥٨) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ-قال: "ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس ". فتح الباري، كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس: ١١/ ٢٧١. العرض: متاع الدنيا وحطامها. النهاية لابن الأثير: ٢١٤/ ٣.

الحرام كالمكوس(٢٥٩) ونحوها وصار القليل من الدنيا عندهم خطيرا جليلا وأذلهم الحرص والطمع فقل أن تجد منهم أحدا إلا وقد استولت عليه الذلة لمن يرى أن رزقه يأتي من جهته واستعبده له الطمع والخوف من فواته ولو كان غنيا لكان حرا فهو في الحقيقة وإن كان ذا ثروة فهو فقير، وإن كان في ظاهره عزيزا فالذل قد استولى على قلبه وسكن فيه وليس عند من يرتزق من سيفه شيء من ذلك لأن رزقه من الغنيمة مأخوذ بالسيف ليس لأحد غير الله فيه منة ، ولما كانت الغنيمة حلالاً محضاً ليس فيها شبهة كانت سبباً في تنوير القلب وطرد ظلمات الشح والبخل والحرص من ساحته، فصاحب الغنيمة وإن كان فقير اليد فهو غني النفس، وإن كان دِثَارُه الظاهر الذل والمسكنة فشعاره الباطن العز والعظمة كما وصفهم الله تعالى بقوله:{أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} [المائدة: ٥٤].

وأما من اكتسب من الشبه وأذله الطمع للخلق فهو وإن كان عزيزا في الظاهر فقلبه بأنواع الذل عامر، وإن كان في الظاهر غنياً بما جمع، فهو في الباطن فقير بالحرص والطمع، وتأبى المكاسب الدنية، إلا أن تورث هذه الأخلاق الردية، {وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [البقرة: ٢١٣] (٢٦٠)

ومن عجيب أن هذه الأحكام عن الجهاد والصلح والعهود مع الكفار المعتدين لا تجدها تناقش أو تنشر أو تدرس في مدراسنا ومعاهدنا وجامعاتنا وتم طمسها.

والأعجب أن من بني جلدتنا من رضي وتابع كل من يروج للسلام مع عدو صائل معتدي يستولي على بلادنا ويعتدي على أرضنا بالهدم والاستيلاء والتخريب وينتهك حرماتنا ويتخذ من نسائنا أسرى (محبوسات) هتك للحرمات وتعدي على كل المسلمات.

فنجد من يرضى ويتابع ويروج لضلالة (السلام) المذِل والذي بلا سقف وإنما هو سلام أبدي أو تطبيع وتعامل مع عدو تطاول على الله ورسوله وعلى مقدساتنا واعتدى على حريمنا وحرماتنا.

والذي يروج لهذا هم طوائف ممن أصبحت ولايتهم للذين كفروا وولائهم لأعداء أمتنا.

---

٢٥٩) هي الضرائب التي كانت تأخذها العشارون، تاج العروس للزبيدي: ٤/ ٢٤٩.

٢٦٠) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام (ص٣٢)

وقد جاءت آيات القرآن الكريم وأحاديث سنة سيد المرسلين لتأكيد عقيدة الولاء والبراء وأنها أوثق عرى الإيمان بالحب في الله والبغض في الله.

وهؤلاء لأنهم سلم للأعداء وحرباً على أهليهم فيرون الجهاد ضررا يضاهئون قول الدين كفروا فتشابهت قلوبهم.

تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا

من أخطر الأمراض في أي أمة من الأمم مرض التشابه الذي يحمل صاحبه على موافقة أهل الكفر والباطل واستحسان أفعالهم وأقوالهم والإعجاب بها تبنيها وزخرفتها والدفاع عنها ونشرها، فهو داء قبيح في التصور والعنت والضلال والكذب والزور والفجور وصاحبه يصبح عونا للظالم في طغيانه وإفساده وتعاوناً على الإثم والعدوان وإغراءً للعدو باستمرار عدوانه مع خذلان المستضعفين والمظلومين.

قال تعالى: {يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [التوبة: ٣٠]

أَيْ: يُشَابِهُونَ وَيُحَاكُونَ فِيهِ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا

{كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} (البقرة: ١١٨).

فبين هؤلاء وهؤلاء شبه في الطبيعة، وشبه في التصور، وشبه في الضلال: «تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ» فلا فضل لليهود على المشركين. وهم متشابهو القلوب في التصور والعنت والضلال (٢٦١).

إنهم طائفة الشر وحماة الفساد والمدافعين عن الظلم والاستبداد ناصبوا أبناء أمتهم العداء وسلم منهم الأعداء.

فعَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ - أَوْ مِنَ الْإِسْلَامِ - كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ» (٢٦٢)

---

٢٦١) في ظلال القرآن (١/ ٣١٠)

٢٦٢) مسند أبي داود الطيالسي (١/ ٣٥٩)

«يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ»

وكما قال «عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال:" إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَاسًا إِنِّي لَأَعْرِفُ صِفَتَهُمْ فِي هَؤُلَاءِ، وَيَقُولُونَ الْحَقَّ بِأَلْسِنَتِهِمْ لَا يُجَاوِزُ هَذَا مِنْهُمْ - وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ - مِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ»(٢٦٣).

إنهم: «يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَلَاقِيمَهُمْ» (٢٦٤)و«لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ» (٢٦٥)و«لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ» (٢٦٦). لا يجاوز حناجرهم: كناية عن عدم القبول والرد عن مقام الوصول. أي لا يصعد عنها إلى السماء، ولا يقبله الله منهم. وهو دليل على أنهم غير مؤمنين؛ لأن الإيمان محلُّه القلب، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ لِكَوْنِهِ لَا تَفْقَهُهُ قُلُوبُهُمْ وَيَحْمِلُونَهُ عَلَى غَيْرِ الْمُرَادِ بِهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّ تِلَاوَتَهُمْ لَا تَرْتَفِعُ إِلَى اللَّهِ لأنها لغيره والْقِرَاءَة إذا كَانَت لغير الله لا تقبل» (٢٦٧).

«وعن سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)»(٢٦٨).

يقول ابن هُبَيْرَة (ت٥٦٠ هـ): «وفيه أن قراءة القرآن مع اختلال العقيدة غير زاكية ولا حامية صاحبها من سخط الله ﷻ ، وأن ذلك قمن جدير أن يكون في حدثاء الأسنان، وعند سفهاء الأحلام، وأنه يكثر في أخر الزمان، وأنهم يمرقون من الدين كما يمرق

٢٦٣) المدونة (١/ ٥٣٠)

٢٦٤) مسند أحمد (٣٣/ ٤٥١)

٢٦٥) مسند الحميدي (٢/ ٣٤٤)

٢٦٦) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٥٧)

٢٦٧) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٦١٨) ومصابيح الجامع (٧/ ٢٣٤) و(انظر: المرقاة) (٤/ ١٥٠٥) بتصرف

٢٦٨) متفق عليه: رواه البخاري (١٢/ ٢٨٣) ٨٨ - كتاب استتابة المرتدين ٦ - باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم. مسلم (٢/ ٧٤٦) ١٢ - كتاب الزكاة ٤٨ - باب التحريض على قتل الخوارج. أبو داود (٤/ ٢٤٤) كتاب السنة- باب في قتال الخوارج

السهم من الرمية، يعني ﷺ أن مروقهم من الدين بعد نكاية منهم فيه، كما أن السهم يمرق من الرمية بعد نكاية منه فيها، وكما أن السهم إذا مرق من الرمية لا يتعلق من الرمية إلا بدمها وقرنها، كذلك هم لا يفعلون من الدين إلا بما أكسبهم مذمة وسوء قاله» (٢٦٩).

لقد أظلنا زمان نجد فيه العدو ينتظر صدور تصريحات ضد أبناء أمتنا وتهون من شأن جهادهم من ثلة تدثرت بالدين ونطقت بالنصوص وعند صدورها يتلقفها العدو وينشرها ليتخذ منها دليلاً على شرعية عدوانه ومستنداً له في احتلاله واعانة له في المحافل الدولية في وقت وجدنا يهود يقفون ضد العدوان بل وملاحدة ومن مذاهب ومشارب مختلفة أعمارهم مختلفة كجنسياتهم في ظاهرة عالمية كالطوفان الذي بدأ مع الطائفة الظاهرة على الحق.

أفيكون أهل الكفرة والملاحدة وأهل الفن والغناء والرياضة أصحاب موقف من الاحتلال والظلم والعدوان وفي المقابل يكون أدعياء العلم عوناً للمعتدي الظالم على المظلوم المحاصر ...؟

وغالب هذه الطوائف يستخدمون السب والقذف والتكفير والتبديع مع من يخالفهم وقد ورد عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّهُ قَالَ: «الْمُرْجِئَةُ يَهُودُ الْقِبْلَةِ» وكان يحدث به عن ابن فضيل، فيقول: «المرء حيث يهوى قلبه »(٢٧٠)ومعناه: هم كاليهود في صفاتهم، غير أنهم لا يزالون من أهل القبلة فما من عدو إلا ظاهروه، ولا فاسق إلا حالفوه، ولا ظالم إلا أعانوه ولا داع للخير إلا حاربوه، وهم أهل شتم وسب وقذف لا يتورعون عن عرض ولا يمسكون ألسنتهم من انتقاص وسلب وقد روي عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الْأَعْوَرِ، قَالَ : أَتَيْتُ إِبْرَاهِيمَ، فَقُلْتُ: إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ: قَدْ تَابَعْتَ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيَّ عَلَى رَأْيِهِ. قَالَ: فَضَحِكَ، وَقَالَ: «تَرَانِي مُرْجِئًا سَبَّابًا؟ وَمَا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقِبْلَةِ أَضَلُّ عِنْدِي مِنَ الْمُرْجِئَةِ» (٢٧١).

وهذه محن وفتن تموج كموج البحر مع العداوة الخارجية وهي تحتاج معرفة وبصيرة بالأعداء وترتيبهم وطرق مواجهتهم.

---

٢٦٩) الإفصاح عن معاني الصحاح (١/ ٢٦٢)

٢٧٠) أصول الاعتقاد(٥/ ١٠٦١/١٨٠٩) والسنة لعبد الله (٩٧) الإبانة الكبرى-ابن بطة (٢/ ٨٨٦) سؤالات البرذعي لأبي زرعة الرازي (ص١١٤ ت الأزهري)

٢٧١) شرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين (ص٢٦)

يقول علي عزت بيجوفيتش ﵀:"كنت أسهر يوميًا مع جاري الكرواتي ولدي صديق ولده، وابنتينا وزوجتينا يقضين ساعات بالطهو والتسوق كعائلة واحدة فلما هجم الصرب على البوسنة ١٩٩٢ فتحول جاري الكرواتي لشيطان يريد طردي من بيتي وحرق أهلي إن مأساة البوسنة رغم وحشيتها علمتني أهم قواعد ديننا وهي الولاء والبراء".

معركة الولاء والبراء

البراء من الكفار والمشركين من أكثر الأدلة وأوضحها وأبينها بعد التوحيد: قال الشيخ حمد بن عتيق: «فأما معاداة الكفار والمشركين فاعلم أن الله ﷻ قد أوجب ذلك، وأكد إيجابه، وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد، وتحريم ضده» (٢٧٢).

وأدلّة الولاء والبراء لا يُمكن التشكيك فيها، لأنها معتقدٌ يقيني لارتباطه بأصل الإيمان بل إن أدلّته أكثر من أن تحصى، خاصةً إذا أدخلنا في أدلّته كل ما دلّ عليه من منطوق ومفهوم. ولذلك فقد تعاضَدَ في إثبات هذا المعتقد أدلةٌ متكاثرة من: الكتاب، والسنة، والإجماع.

وبالنظر في أدّلة الكتاب والسنّة وُجد أن معتقد الولاء والبراء يرجع إلى معنيين اثنين بالتحديد، هما: الحُبُّ والنُّصْرةُ في الولاء، وضِدُّهما في البراء. وهذا يتسق مع معانيهما في اللغة.

وعلى هذا فالولاء شرعاً، هو: حُبُّ الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعِه المسلمين، ونُصْرةُ الله تعالى ورسولِه ودينِ الإسلام وأتباعِه المسلمين.

والبراء هو:بُغْضُ الطواغيت التي تُعبَدُ من دون الله تعالى(من الأصنام الماديّة والمعنويّة: كالأهواء والآراء ، وبُغْضُ الكفر (بجميع ملله) وأتباعِه الكافرين، ومعاداة ذلك كُلِّه.

وبذلك نعلم، أننا عندما نقول: إن ركني الولاء والبراء هما: الحب والنصرة في الولاء، والبغض والعداوة في البراء، فنحن نعني بالنصرة وبالعداوة هنا النصرة القلبيّةَ والعداوةَ

---

٢٧٢) النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك (ضمن مجموعة التوحيد) ص ٣٦٣ ، نقلا عن معجم التوحيد (٣/ ٥٥٢)

القلبيّة، أي تمنّي انتصار الإسلام وأهله وتمنّي اندحار الكفر وأهله. أمّا النصرة العملية والعداوة العمليّة فهما ثمرةٌ لذلك المعتقد، لا بُدّ من ظهورها على الجوارح» (٢٧٣).

وعلى أساس الانتماء الصحيح للإسلام يكون الولاء الذي يمنع التشبه بغير المسلمين، حتى لا يختلط الدين في أفهام الناس، وتكون المفاصلة التي تمنع المداهنة والمساومة في الدين وعلى الدين.

والولاء لا يكون إلا لله تعالى ولرسوله ﷺ، وللمؤمنين قال ﷻ:(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) [المائدة:٥٥].

فالولاء للمؤمنين يكون بمحبتهم لإيمانهم، ونصرتهم، والنصح لهم، والدعاء لهم، والسلام عليهم، وزيارة مريضهم، وتشييع ميتهم، وإعانتهم، والرحمة بهم، وغير ذلك.

والبراءة من الكفار تكون ببغضهم – ديناً – ومفارقتهم، وعدم الركون إليهم، أو الإعجاب بهم، والحذر من التشبه بهم، وتحقيق مخالفتهم شرعاً، وجهادهم بالمال واللسان والسنان، ونحو ذلك من مقتضيات العداوة في الله (٢٧٤).

فالولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراء والمعادة لمن عاداهم ولما عاداهم هو الحد الفاصل بين الايمان والكفر وهو الميزان الحقيقي لصدق الانتماء وهو برهان الإيمان.

من خصائص الإسلام تميزه في جميع شرائعه وأحكامه وتميز المسلم وتفرده بخصائص الإسلام يبدأ من عقيدة التوحيد التي تقدم البراءة من الطاغوت وبعدها تعلن التوحيد والاستسلام لله وحده ليتم له الإيمان بالله، وهذا تمييز شمل العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق كما يشمل اللباس والهيئة والطعام.

فشهادة التوحيد أصلها (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله) «يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله، والتقرب إليه بما يحبه، ولا تمكن محبته إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة (لا إله إلا الله) وهي ملة إبراهيم الخليل عليه السلام وسائر الأنبياء والمرسلين صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين).

---

٢٧٣) الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة حاتم بن عارف بن ناصر الشريف العوني (ص٣) الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

٢٧٤)انظر: تفصيل ذلك في رسالة (أوثق عرى الإيمان) لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (ص٤٩ – ٥١)، وكتاب ((الولاء والبراء)) لمحمد القحطاني، و((الموالاة والمعاداة)) لمحماس الجلعود.

أما شقها الثاني (محمد رسول الله) فمعناه تجريد متابعته ﷺ فيما أمر والانتهاء عما نهى عنه وزجر، ومن هنا كانت (لا إله إلا الله) ولاء وبراء، نفياً وإثباتاً، ولاء لله ولدينه وكتابه وسنة نبيه وعباده الصالحين.

وبراء من كل طاغوت عبد من دون الله: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى } [سورة البقرة:٢٥٦](٢٧٥)

ويقول ابن القيم :«وَالطَّاغُوتُ: كُلُّ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ؛ فَطَاغُوتُ كُلِّ قَوْمٍ مِنْ يَتَحَاكَمُونَ إلَيْهِ غَيْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، أَوْ يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَوْ يَتْبَعُونَهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنْ اللَّهِ، أَوْ يُطِيعُونَهُ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ طَاعَةٌ لِلَّهِ؛ فَهَذِهِ طَوَاغِيتُ الْعَالَمِ إذَا تَأَمَّلْتَهَا وَتَأَمَّلْتَ أَحْوَالَ النَّاسِ مَعَهَا رَأَيْت أَكْثَرَهُمْ عَدَلُوا مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ إلَى عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَعَنْ التَّحَاكُمِ إلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ إلَى التَّحَاكُمِ إلَى الطَّاغُوتِ، وَعَنْ طَاعَتِهِ وَمُتَابَعَةِ رَسُولِهِ إلَى طَاعَةِ الطَّاغُوتِ وَمُتَابَعَتِهِ، وَهَؤُلَاءِ لَمْ يَسْلُكُوا طَرِيقَ النَّاجِينَ الْفَائِزِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ-وَهُمْ الصَّحَابَةُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ- وَلَا قَصَدُوا قَصْدَهُمْ، بَلْ خَالَفُوهُمْ فِي الطَّرِيقِ وَالْقَصْدِ مَعًا»(٢٧٦).

يقول العلامة ماجد عرسان الكيلاني رحمه الله: "الولاية" مصطلح قرآني تردد في مئات المواضع من القرآن والسنة، ومعناه: القيام بأمور الآخرين كلها. و"الولي" هو القائم بأمور غيره من الأمة المسلمة في الميادين المتفرعة عن عناصر: الإيمان، والهجرة، والجهاد والرسالة، والإيواء والنصرة بالطريقة التي أمر الله. أي إن -الولاية- مصطلح اجتماعي يعني ولاء الفرد المسلم للأفكار، التي جاءت بها الرسالة الإسلامية أكثر من ولائه لنفسه. وتجسيد هذا الولاء من خلال الإسهام -مع المسلمين الآخرين- في تحويل الأفكار المذكورة إلى تطبيقات عملية تتمثل في عناصر الإيمان، والهجرة، والجهاد والرسالة، والإيواء، والنصرة بين الأفراد الذين يشتركون في الإيمان بالله تعالى ورسله. فالولاية -إذن- هي هيمنة روح الشعور بالمسئولية في السلوك والعلاقات والحاجات وقيام الأفراد والمؤسسات، والجماعات برعاية شئون بعضهم بعضا في

---

٢٧٥) مجموع الفتاوى (٣٢/٢٨)

٢٧٦) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٤٠ ط العلمية)

ميادين الاجتماع، والسياسة والاقتصاد والزراعة، والصناعة والفكر والثقافة والتوجيه، والتعليم والحرب والسلام والأمن والخطر، وغير ذلك.

فالمؤمن ولاؤه يدور في فلك "أفكار" الرسالة، وتحريره من صنمية الولاء الأعمى لـ"أشخاص" الحاكمين و"أشياء" المترفين، وهو ما تفعله المؤسسات البوليسية، والعسكرية التي توجهها التربية العسكرية الحديثة -خاصة في أقطار العالم الثالث- ولا يكون من ثمارها إلا الرهق، والإرهاب للأمم والمجتمعات في الداخل، والعجز المذل أمام العدوان النازل بها من خارج.

فالولاية هي المحصلة النهائية لتفاعل العناصر المكونة للأمة المسلمة: والثمرة التناصر والتناصح والموالاة كما دل على ذلك قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [الأنفال: ٧٢].

وفي حالة صحة الأمة تستمد عناصر الإيمان، والهجرة والمهجر، والجهاد والرسالة، والإيواء، والنصرة، والولاية محتوياتها من أفكار "الرسالة" الإلهية، وتستثمر في سبيل تطبيقات الرسالة ونشرها.

ونتيجة لذلك تصبح معادلة تكوين الأمة كالتالي: الأمة = أفكار الرسالة "أفراد مؤمنون + هجرة ومهجر + جهاد + إيواء +نصرة" = أفراد مؤمنون بالرسالة + هجرة ومهجر لأفكار الرسالة + جهاد في سبيل الرسالة + إيواء حملة الرسالة + نصرة الرسالة.

والنتيجة العملية لهذا التكوين هي -الولاية أو الولاء للأمة. وهذا الولاء هو مظهر صحة الأمة وعافيتها (٢٧٧).

وضد العافية المرض المفضي للهلكة وأول عرض يدل على مرض الأمة وضعفها هو مرض "التشابه" أو التشبه وهو ظاهرة ومرض يفتك بالقلب فيصرفه عن الإيمان في أخص ركن من أركانه وهو الولاء لله ليكون في أخطر مراحل الهلكة والسقوط حينما لا يكفر بالطاغوت فيتشبه بالظلمة يقول بقولهم ويرضى بفعلهم بل ويستحنه ويفرح به.

---

٢٧٧) أهداف التربية الإسلامية (ص٣٢٦، ٣٤١، ٣٧٤)

والتَّشَبه في معناه اللُّغَوي، فهو مأخوذ من: (الشِّبْه والشَّبه والشَّبيه) (٢٧٨) وتعني: (المماثلة من جهة الكيفية، كاللون والطعم، كالعدالة والظلم)(٢٧٩)، ومن ذلك قوله تعالى: {تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ}[البقرة: ١١٨] قال الراغب:(أي في الغَيِّ والجَهالَةِ)، وفي (التشبه)، معنى زائد على المماثلة وهو (المحاكاة والتقليد) (٢٨٠).

وأما التشبه المنهي عنه فإنه: (مماثلة الكافرين بشتى أصنافهم في عقائدهم، أو عباداتهم أو عاداتهم، أو في أنماط السلوك التي هي من خصائصهم) (٢٨١).

وهنا لابد من التفريق بين أمرين اتسم بهما تميُّز الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ، وانطبعت عليهما شخصية الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ في علاقتها بِغَيرها مِنْ أَهل الكتابِ وأَهْلِ الجاهِلِيَّةِ، الأَمر الأول ما يوجبه الإسلام من البراء من أولئك والحذر منهم والنهي عن التشبه بهم، فيما يتصل بعقيدة الإسلام وشريعته وهديه، والأمر الآخر صلات البر وحسن المعاملة، والبعد عن ظلمهم، أو الاعتداء عليهم، وهو جانب شهد لها المنصفون به، وبما اتسمت به حضاراتها وثقافتها من التسامح معهم، والبر بهم، والإحسان إليهم عبر التاريخ تحقيقًا لقول الحق تبارك وتعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة: ٨] وقول الرسول -ﷺ-: "إنّي لم أبعث لعانًا وإنما بُعثتُ رحمة" (٢٨٢)، وقول الله -جلَّ وعلا- {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧].

---

٢٧٨) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: مادة (شبه)، انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة (شبه).

٢٧٩) الراغب الأصفهاني: المرجع السابق نفسه: مادة (شبه)، وانظر: محمد عبد الرؤوف المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف (معجم لغوي مصطلحي)، مادة (الشبْه والشَّبيه)، تحقيق: محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى: (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م)، عن دار الفكر، دمشق.

٢٨٠) انظر: بطرس البستاني: محيط المحيط (قاموس مطول في اللُّغة العربية)، (٢/ ١٧٥٠)، طبعة (١٨٧٠ م)، بيروت،

٢٨١) ناصر عبد الكريم العقل: من تشبه بقوم فهو منهم ص: (٧)، مرجع سابق، وانظر: ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٦٤ - ٦٩)، بتحقيق: محمد حامد الفقي، مرجع سابق، قد جعل لهذا عنوانًا جانبيًا وهو (قطعت الشريعة المشابهة في الجهات والأوقات أو الهيئات)، انظر المرجع السابق نفسه ص: (٦٤).

٢٨٢) أخرجه مسلم: (٤/ ٢٠٠٧)، كتاب البر والصلة والآداب، باب: (٢٤)، الحديث رقم: (٢٥٩٩)، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

سيرة النبي وسنته ﷺ في التحذير من مرض التشبه:

جاء في الحديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» (٢٨٣)وفي الصحيحين عن أنس، عن النبي ﷺقال: [المرءُ معَ من أحَبّ] (٢٨٤).

فقوله: (من تشبه بقوم) هذا عام في الخلق والخلق والشعار، وإذ كان الشعار أظهر في التشبه(٢٨٥) وقال ابن كثير «فَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى النَّهْيِ الشَّدِيدِ وَالتَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ عَلَى التَّشَبُّهِ بِالْكُفَّارِ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَلِبَاسِهِمْ وَأَعْيَادِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمُ التِي لم تشرع لنا ولا نقر عليها»(٢٨٦) وقال ابن تيمية «وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة: ٥١]»(٢٨٧).

ومن عجيب أن هذه اللفظة «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» جاءت في الحديث المشهور والذي رواه الإمام أحمد من حديث «ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» (٢٨٨).

---

٢٨٣) جزء من حديث أخرجه ابن أبي شيبة (١٩٧٤٧) و(٣٣٦٨٧) وعبد بن حميد (٨٤٨)، وأحمد في المسند ٩/ ١٢٣ (٥١١٤) و٩/ ١٢٦ (٥١١٥)، وأبو داود (٤٠٣١)، وغيره وأورده الحافظ ابن حجر في الفتح ١٠/ ٢٧١ وقال: أخرجه أبو داود بإسناد حسن.

٢٨٤) حديث صحيح. رواه أحمد والشيخان، ورواه أكثر أهل السنن. انظر صحيح الجامع (٦٥٦٥)

٢٨٥) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٩/ ٢٩٠١)

٢٨٦) تفسير ابن كثير (١/ ٢٥٧)

٢٨٧) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٧٠)

٢٨٨) مسند أحمد (٩/ ١٢٣ ط الرسالة) ح(٥١١٤) ذكره البخاري تعليقًا ٦/ ٦٣ في الجهاد: باب قيل في الرماح. قال الحافظ في "الفتح": هو طرف من حديث أخرجه أحمد من طريق أبي منيب عن ابن عمر بلفظ: "بعثت بين يدي الساعة مع السيف، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم"، وفي الإسناد عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان مختلف في توثيقه، وله شاهد مرسل بإسناد حسن أخرجه ابن أبي شيبة من طريق الأوزاعي عن سعيد بن جبلة عن النبي صلى الله عليه وسلم بتمامه فهو حسن . قال في فتح الباري(١٠/ ٢٧٤) ذكره الإمام البخاري«مُعَلَّقًا فِي كِتَابِ الْجِهَادِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عمرو، وَصَلَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا

ولعلّة ما ذكرت هذه اللفظة ولعلها تشير إلى أهمية تنقية الصف حال الجهاد والإقبال على المعارك التي يحمل فيها سيف العدل لنشر التوحيد ورمح رد العدوان وكف الظلم وكف يد الظالم وقمع الفساد لئلا يكون في صف المؤمنين من يتشبه بالعدو.

وهذا أمر مهم وواجب محتم ألا يتبع أهل الإسلام في رباطهم وجهادهم مخذل مغرم بعدوه منسلخ من أحكام دينه مع خيانته واحتقاره لقومه فيتشبه بالعدو (والمغلوب مولع بتقليد الغالب) حتى في الخطأ كما قال قرر ابن خلدون .

وهنا نلمح رابط بين طائفة المغلوبين المولعين بعدوهم الغالب والمذل لهم والمتشبهين والمثبطين، وبين أعداء الأمة والدين حيث أنهم يتكئون هم وأهل الكفر والعناد على هذا الحديث لترويج الشبهات حول الإسلام لربطه بالعدوان والتطرف فطاروا بهذا الحديث، بل وتبجحوا بكثرة ذكره حتى اشتهرت شبهته وعرفت باسم (انتشار الإسلام بحد السيف).

ولكن أي انتشار للإسلام بحد السيف في أمة هي أكثر الأمم في عدد اللاجئين وعدد القتلى والجرحى والمشردين، خلال ما يزيد على قرنين من الزمان، تنتقل المذابح من بلد إلى أخرى ومن قارة إلى أخرى والمفعول به في الجميع وفي كل الأحوال هم المسلمون، والفاعل هم أعداء الأمة والراضي هم المقلدون والمتشبهون الذي يضاهئون قول الذين كفروا.

بل والقانون الدولي "فاعل" ضد المسلمين و"معطل" عند حقوقهم وجمعيات الحقوق وجماعاتها ناطقة ضد الإسلام والمسلمين ولا تسمع لها همسا فهم صمٌ وبكمٌ وعميٌ عند حقوق أهل الإسلام.

وكأن هذه اللفظة في هذا الحديث مقصودة وهي تشير إلى ما نراه واقعاً عند منازلة العدو فإننا نرى طوائف من المسارعين فيهم والمعوقين لأهل الإصلاح والجهاد والرباط يقولون بقول العدو ويرددون شبهاته ضد المجاهدين المدافعين عن مقدسات الأمة وديارهم وأموالهم وأعراضهم.

بل إن هؤلاء زادوا عن أسلافهم "المنافقين المعوقين " بأنهم صاروا أسبق من عدوهم في شحن الشبهات ونشر الشائعات وتثبيط الهمم بتخذيل المؤمنين وموالاة الكافرين

ومخاصة ومنازعة ومعاندة وخذلان إخوانهم وبني جلدتهم ممن يدافعون عن الأمة ويدفعون الكفر والعدوان والباطل والفساد والظلم والشر.

وصاروا سلماً لأعداء الأمة حرباً على الأمة بل أصبحوا مع العدو المجرم الغاصب يحسنون أفعاله ويدافعون عنه وهم أذلة على الكافرين أعزة على المؤمنين وأصبحوا يقاتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.

علامات استفهام وتعجب

ومن عجيب أمر طائفة المنافقين المخذلين أن من يتصدر للحديث هم من ينسب إلى "العلم والدعوة" وذلك بدفاعهم عن العدو وتفسيقهم لأهل الرباط الذين وصف النبي ﷺ مكانهم وأفعالهم، وأفعال من يناوئهم ويخذلهم، فعرفنا به صفة أهل الرباط وأهل التثبيط وأهل المقاومة والمجاهدة من أهل القعود الذين أثاروا شبهات حكاها القرآن لتشملهم كما شملت من سبقهم ومن يأتي بعدهم وهذه آيات القرآن ما عليك إلا تلاوتها وتدبر معانيها لترى المواقف وأحكامها وأهلها قال تعالى (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ(١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٦٨) وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) [آل عمران: ١٦٦].

فانظر إلى قوله تعالى (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا) وقارن ذلك بما يقوله دعاة التطبيع ومروجي كذبة السلام والتعايش والذي أثبتت "السنون الخداعات" أنها دعاوى الوهم والكذب والفجور في مدة تقارب المائة عام كلها قتل

وتهجير واعتقال وهدم ونفي وابعاد واستيلاء واحتلال ودماء وأشلاء وحصار وتجويع ونهب وسلب.

ولو كان أهل الرباط في الشام وفلسطين وغزة غير مسلمين لوجب علينا نصرتهم لأنهم مظلومون وقع عليهم احتلال وعدوان وظلم لا ينكره أحد ولم ولن ينكره أحد.

فكيف وهم مسلمون وقع عليهم الاحتلال والتشريد والهدم والإخراج من ديارهم بالقوة ويقتلون ويعتقلون ويطاردون ...؟ بل كيف نتركهم وهم في أرض المحشر والمنشر أرض الرباط أولى القلبلتين وثالث الحرمين، الأرض التي باركها الله وما حولها ...؟ ثم منذ متى تحرر الأوطان بالقعود وطاعة من يوالي أعداء الله ويعادي أولياء الله...؟.

وجهاد أهل الرباط في غزة جهاد شرعي مقطوع به اجتمعت فيه دوافع قتال العدو التي حكاها القرآن (بأنهم ظلموا) (أخرجنا من ديارنا وأبانائنا) وفي الحديث (جاء يريد أخذ مالي قال لا تعطيه ارأيت إن قاتلني قال فقاتله..)الحديث

ومن البلية أن نسوق أدلة لنثبت وجوب الجهاد ضد اليهود لأناس يتحدثون بالقرآن والسنة ، ومما يجعل الحليم حيران أنه على مدى عقود نجد مئات من الكتب والرسائل العلمية وآلاف من الخطب والدروس والمقالات موضوعها " الولاء والبراء "وعندما جد الجد وجدنا طائفة من بني جلدتنا يتحدثون بألسنتنا(دعاة على أبواب جهنم) كان لهم سهم في هذه الكتب والدروس والخطب أصبحوا بين رجلين إما مثبط أو ساكت وهو بارد القلب، وكما قال ابن القيم رحمه الله :"ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله ﷺ، وبما كان عليه هو وأصحابه رأى أن أكثر من يشار إليهم بالدين هم أقل الناس دينًا. وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنة رسوله ﷺ يرغب عنها، وهو بارد القلب، وساكت اللسان شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم، فلا مبالاة بما جرى على الدين، وخيارهم المتحزن المتلمظ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل، وتبذل وجد، واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه، وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله، ومقت الله لهم قد بلوا

في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب؛ فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل(٢٨٩).

ومن أسف أن هؤلاء تعدوا حدود الله وتجرؤوا على دينه لتسويغ الطغيان والظلم والخيانة والتماس أدلة لها من الشرع الشريف والله ﷻ أمرنا بالطهارة قبل مس المصحف فالتمس هؤلاء الأدلة بقلوب مدنسة بالطغيان والذلة والخوف من الناس وخشيتهم أشد من خوف الله، وهذه قلوب ملوثة بالخوف من الخلق وحب الدنيا وكراهية الموت فلا تحسن الاجتهاد في الدليل وإنما تحسن الانبطاح الذليل.

وهؤلاء المعوقين يطالبون الأمة بالسكوت على قتل إخواننا وتدنيس مقدساتنا طاعة للطغاة ويستدلون بآيات القرآن على الطغيان والخذلان بجعل الولاء والبراء للطغاة ومن رضيهم وتابعهم، وهو من أصول الإيمان بالله وكماله بالبراءة من الكفر والفسوق والعصيان والظلم والفساد والطغيان.

وما أجمل تلك العبارة التي سطرها أبو الوفاء بن عقيل (ت٥١٣ هـ) قائلاً: «إِذَا أَرَدْت أَنْ تَعْلَمَ مَحَلَّ الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الزَّمَانِ فَلَا تَنْظُرْ إلَى زِحَامِهِمْ فِي أَبْوَابِ الْجَوَامِعِ، وَلَا ضَجِيجِهِمْ فِي الْمَوْقِفِ بِلَبَّيْكَ، وَإِنَّمَا انْظُرْ إلَى مُوَاطَأَتِهِمْ أَعْدَاءَ الشَّرِيعَةِ...وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى بُرُودَةِ الدِّينِ فِي الْقَلْبِ» (٢٩٠).

وبالرغم من كل هذا تجد طائفة انسلخت من دينها وتولت قوما غضب الله عليهم فأصبحوا يضاهئون قول الذين كفروا لأنهم تشابهت قلوبهم، بل أصبح المغضوب عليهم يأتمون بهم وينتظرون تصريحاتهم ليقولوا بقولهم ويرددوا شبهاتهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

مرض تشابه القلوب :

ومرض التشابه يحمل صاحبه على موافقة أهل الكفر والباطل واستحسان أفعالهم وأقوالهم والإعجاب بها تبنيها وزخرفتها والدفاع عنها ونشرها.

---

٢٨٩) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ١٢١ ط العلمية)

٢٩٠) الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٢٣٧)

فهو داء قبيح في التصور والعنت والضلال والكذب والزور والفجور وصاحبه يصبح عونا للظالم في طغيانه وإفساده وتعاوناً على الإثم والعدوان وإغراءً للعدو باستمرار عدوانه مع خذلان المستضعفين والمظلومين.

فهو مرض خطره عظيم وأثره فادح فهو من ناحية محاربة للأمة ووقوف في صف أعدائها وتكثير لثواد أهل الكفر والظلم والباطل .

وهو من أخطر الأساليب في محاولة الإسقاط الاجتماعي للدعوة الإسلامية، بتحريض العناصر الفاسدة على التشبه بالمظهر الإسلامي مع تحريفه، بحيث تسقط مهابة هذا المظهر من نفوس الناس، ويضيع تقديرهم لسماتهم وشكلهم.

ولذا كانت دراسة حالة التشبه من الناحية النفسية دراسة مباشرة لمفهوم الولاء ..

فالتشبه حالة تنشأ في نفس إنسان تجاه إنسان آخر دفعه إلى ذلك الانبهار به، وتمنى أن يكون له نفس مكانته، فإنه عندئذ يحاول التوحد مع شخصيته ولكنه لا يملك في محاولته إلا الصورة والمظهر، ولقد كان لهذه الظاهرة وجوداً تاريخياً واسعاً في تاريخ الدعوة الإسلامية حتى آخر مراحلها(٢٩١).

ثم ينتقل هذا المرض ليغزو الفريسة الضعيفة المريضة المولعة بتقليد مفترسها والمعجبة بكل قبيح من أفعال طاغوتها المعادي لها ، وهو في كل مراحل ظلمه يعلم أن الأمة تهزم من داخلها وأن هدم البنيان من أساسه ومن داخله فيستخدمهم وهو يحتقرهم ويعملون له وهو لا يعرفهم.

وقد سئل أحد هؤلاء المجرمين سُئِلَ من هو أحقر رجل واجهته خلال الحرب ؟ فكان جوابه :" الرجل الذي أعانني على احتلال بلده".

والمريض بالتشابه ترك عقله وقلبه للاحتلال والاختلال والاعتلال لمن يدنسها بعقيدة دنيئة ويغذيها بالخروج على الدين والأخلاق والقيم واللغة تركوا عقيدتهم وأصول دينهم ولم يلتفتوا لقبح أفعالهم فقد تشابهت قلوبهم!

وعلماء السوء الذين ينهون الناس عن قتال العدو المعتدي المفسد، ويسمُّون كبيرة القعود عن الجهاد "مقاومة سلمية"، أو الذين يقولون إنَّ قتال اليهود المعتدين دمار

---

٢٩١) التصور السياسي للحركة الإسلامية (١١/ ١٦) في النفس والدعوة (٣٢/ ٢٩)

وهلاك، ومحرقة وفتنة، تشابهت قلوبهم مع قلوب أسلافهم، الذين قال الله فيهم: {وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ}.
وقد يظن أن المصابون بداء التشابه يفعلون ذلك رغبة بالإغراء بالمال أو المناصب، أو رهبة بالضغوط والتخويف وهذا يحدث لكن هناك طائفة من هؤلاء المرضي يحاربون أمتهم تبرعاً ويشقون عصى وحدتها تطوعاً ويثبطون الناس بغير طلب ولا ترغيب أو ترهيب، وقد ذكر ابن الجوزي ﷺ عند تفسير قوله تعالى (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ)(سورة الأعراف ١٧٥) قول «السدي عن أشياخه أن بلعم أتى إلى قومه متبرّعاً، ...»(٢٩٢).
فهؤلاء المجرمون أهل الزيغ مرضى الخيانة والدنية يتبرعون بالخيانة ويتطوعون بالعمالة والتاريخ شاهد على أن هؤلاء أموات وهم أحياء فلا شرفاً حازوا ولا مكانة ولا قيمة وإنما يذكرون بالسوء واللعنات وتطوى صفحتهم السوداء بالخزي والعار والذل والمهانة والله لا يهدي كيد الخائنين.

أسوء مرض وأسوء مرضى

تشابهت ألفاظ بعض المارقين اليوم مع ألفاظ كثير من الطواغيت الكفرة وكثير من أقوال أهل النفاق ، وهذا التشابه ليس عبثا أو محض صدفة، بل هو ترجمة لما في القلوب من السوء والموافقة، قال تعالى {كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} (البقرة: ١١٨)، فالله ﷻ قال {كذلك قال الذين من قبلهم} والسياق يقتضي أن يُقال "تشابهت أقوالهم" ولكن الله ﷻ حكم على القلوب بالتشابه لتشابه الأقوال، وهذه إشارة في غاية الحكمة من الحكيم العليم سبحانه الذي يعلم ما تخفي الصدور ويعلم ما خلق وهو اللطيف الخبير مقلب القلوب والأبصار.
ومن المفارقات في أمر " التشابه" أنه صادر من شخصيات دينية تمثل كيانات معروفة سكتت عن الظلم في الداخل (ظلم الحكام) بدعائهم ما يشبه "العصمة للولاة"بل أوصلوهم إلى مراتب من الألوهية بأنهم لا يسألون عما يفعلوا، كما وتريد هذه الطائفة -المنسوبة إلى العلم والتدين - من الناس أن يسكتوا عن ظلم العدو الخارج ويستسلموا

٢٩٢) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١٧٠)

له بلا مدافعة أو مقاومة أو مجاهدة، وقد وجدوا في سعة الشريعة وكثرة نصوصها ما اغراهم بالتلبيس على الناس والتدليس وافتراء الكذب على شريعة رب الناس.

ولو أن هذه التصريحات الصادرة عن هؤلاء المثبطين صدرت عن مسئول رسمي في منطقتنا لقامت الدنيا عليه ولم تقعد، بل لو أنها صدرت عن فنان أو مغني أو لاعب كرة لعاقبه الناس بالمقاطعة مع الانكار والاستهجان وقد حدث.

لكن أن يصدر هذا عمن يظن بهم أنهم حماة الشريعة والدعاة لحماية مقاصدها (حفظ الدين والنفس والعرض والمال والعقل) فهذا هو البهتان العظيم والإفك المبين والمؤامرة التي يقودها طواغيت أكثروا في الأرض الفساد.

ولا يعرف ابعاد هذه المؤامرة إلا بأن نقارن بين المساحة المتروكة لهؤلاء والمساحة التي يحرم منها غيرهم من الدعاة وهي المساحة التي ابتعد عنها وتجنبها أهل الفن والرياضة ومشاهير التأثير.

والواقع يدل على أنهم تبنوا مقولات أهل النفاق والتثبيط القديمة والتي ذكرها القرآن، كما تبنوا خطاب الأعداء وروجوا له، بل وأحيانا تقدموا على الأعداء حتى أصبح العدو يصدر من كلامهم ويستشهد بمقولاتهم ومواقفهم وينشرها ويتبناها ويروج لها ويبني عليها.

وانظر إلى ما حكاه القرآن عنهم في قوله تعالى:{وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ(١٦٦)وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[آل عمران: ١٦٦ - ١٦٨].

وتدبر هذا البيان القرآني لحالهم ورصد أقوالهم ومواقفهم في قوله تعالى:{وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا(٧٥) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦)أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا

أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧)أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا }[النساء: ٧٥ - ٧٩]

لو نظرت لهذا البيان لوجدتهم يتهمون من يدافعون عن الدين والمقدسات والعرض والأرض بأنهم هم سبب البلاء (وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ). والله أعلم بأحوالهم {قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا(١٨)أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}[الأحزاب: ١٨، ١٩]

فهذه بعض مقولاتهم التي ترددت قديما ويرددونها حديثا في قالب ديني مغلف بطاعة(ولي الأمر) والتي لم ترد هكذا مفردة في القرآنوالتي تفتح باب الاستبداد والظلم والطاغوتية يذكرونها مقطوعة الصلة عن طاعة الله ورسوله .

والذي جاء في القرآن جاء بصيغة الجمع المعبر عن الشورى الموصولة بالأمة والمقرونة والتابعة لطاعة الله ورسوله {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [النساء: ٥٩]

ما أشرنا إليه هو خطاب التثبيط والنفاق وأما خطاب المضاهاة والتشابه مع الذين كفروا فدونك وسائل التواصل والمواقع الإخبارية فهي تخبرك باستشهاد الاعلام العبري بمقالات ولقاءات أناس من بني جلدتنا يتحدثون بألسنتنا يهاجمون من وقع عليهم الاحتلال ومن دُمرت بيوتهم في سقطة أخلاقية سحيقة بلغت من الحضيض أنهم يشوهون ويهاجمون ويتطاولون على شعب دمر العدو ٨٠٪ من البيوت واقتحم المستشفيات وقتل المرضى وهو يحاصرهم منذ ١٧ سبعة عشر عاماً ويحتل أرضهم

منذ أكثر من سبعين عاماً وعدد من استشهد في هذه الحرب حتى الآن يقارب الأربعين ألفاً عدا الإصابات وأكثرهم من النساء والأطفال .

فأي خسة يصدر عنها هؤلاء وهم {يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [التوبة: ٣٠]

جاء في مقال للكاتب الإسرائيلي زلغي خان في صحيفة تايمز أوف إسرائيل باللغة الإنكليزية، بعنوان (هل "المدخلية" صديقة دولة إسرائيل؟) اعتبر فيه المحلل العبري: السلفية المدخلية كنز تكتيكي واستراتيجي للأهداف الإسرائيلية، والمدخلية تعد مدرسة فكرية إسلامية غامضة؛ مؤيدة لتطبيع العلاقات مع إسرائيل، أكثر حتى من الأحزاب السياسية العلمانية والقومية والليبرالية.

ويقول الكاتب: "من الثابت أن المدخلية هي تيار الفكر الإسلامي الأكثر ملاءمة للأهداف والغايات التكتيكية والعملياتية والاستراتيجية لدولة إسرائيل. وليس لدى هذه المجموعة أي مشاكل مع تطبيع العلاقات مع دولة إسرائيل، كما ليس لديها أي مشاكل مع الدول العربية التي تبيع وتشتري مع إسرائيل، وبالتالي تعزيز الاقتصاد الإسرائيلي، وتأمين مصالحها في جميع أنحاء العالم الإسلامي وحتى خارجه. ومن المثير للصدمة أنه يروِّج علنا لفكرة إخراج جميع الفلسطينيين من الضفة الغربية وغزة، كما أنه يضفي الشرعية على سلطة دولة إسرائيل الحديثة وسلطتها على جميع الأراضي التي تعتبر أراضٍ فلسطينية من قبل التيار الإشكالي سياسيا من نوع منظمات الشبيهة بالإخوان المسلمين". هذا نص كلامه.

ثم يختتم الكاتب مقالته في صحيفة التايمز أوف إسرائيل بأفضلية المداخلة لسببين: -

أولاً: يساعدون الحكومات على قمع الإسلاميين ونشر القيم الليبرالية العلمانية في الأراضي الإسلامية..

ثانياً: يساعدون الحكومات على التحالف مع إسرائيل ويدعمونها في تنفيذ عمليات الإبادة الجماعية.. ويؤكد حرفيا أن المداخلة يؤيدون التهجير القسري لجميع الفلسطينيين عن أراضيهم. (٢٩٣).

وهناك معهد "إسلامي" في جامعة تل أبيب، بإشراف مباشر من الموساد الإسرائيلي لتخريج دعاة وخطباء وعلماء مؤثرين، بغية تأجيج الفتن والخلافات بين المسلمين، والتلبيس عليهم باستخدام خطاب ديني شاذ.

ومن تتبع المقالات والمقولات في المقاطع المصورة لكثير من المثبطين المرجفين فسيعلم خطورة هؤلاء وإفسادهم لمفهوم الولاء والبراء وشقهم لوحدة الصف وتفريقهم للأمة، وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل وإعانتهم على المنكر والظلم في داخل الأمة، وسكوتهم مع تثبيط الأمة عن مجاهدة العدو المغتصب المدنس للمقدسات تحت ذرائع هي الوهم بعينه وحجج ما أنزل الله بها من سلطان.

ومن شبهاتهم الحديث عن العدد والعدة وقد غفلوا عن قوله تعالى {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ٢٤٩].

كما غفلوا عن أحداث التاريخ في معارك الإسلام الكبرى والفاضلة والتي لم يكن فيها الإسلام يوماً أكثر عددا أو عدة فمثلا نجد في حروب الردة كان جيش المسلمين يقارب الثلاث عشر ألفاً في مقابلة جيش مسيلمة الكذاب وهو يزيد على مائة ألف وقبلها في بدر ومؤتة والأحزاب وغيرها.

وقد انضم إلى هؤلاء جماعة من الملاحدة والليبراليين والعلمانيين يرددون شبهات ويصرحون بها بكل وقاحة وفجور مثل إنكارهم المعراج وادعائهم أن المسجد الأقصى ليس هو المقصود وإنما مسجد غيره.

لهم شبهات كثيرة ليس الغرض من اثارتها إلا إدانة المظلومين المحاصرين المعتدى عليهم والمحتلة ديارهم بل -الديار المقدسة- والتي يرتبط بها عقائد كثيرة يجب الإيمان بها والعمل بموجباتها .

---

٢٩٣) نشرت صحيفة (THE TIMES OF ISRAEL) على صفحات عددها الصادر في التاسع والعشرين من ديسمبر ٢٠٢٣ مقالة بقلم: دانيال حقيقتجوي، بعنوان: (المداخلة أصدقاء إسرائيل). والمقالة منشورة حتى الآن على الشبكة الدولية بعنوان: Madkhalis are the friends of Israel

لقد أصبح هؤلاء المرضى أعواناً لكل ظالم وجنوداً في جيوش أعداء الأمة ضد أمتهم، يثبتون أركان الفساد ويحافظون على مكاسب أهل الكفر أعداء الأمة.

وتعدى الأمر إلى تثبيط الداخل وتثبيت أركان الفساد ومعونة أهل الكفر بالذلة والانبطاح لخدمتهم مع توقفهم عن الدعوة إلى الإسلام وتبليغها لغير المسلمين بل توقفوا عن نشر العلم إلا ما كان تفريقاً للمؤمنين وتصنيفاً لهم مع تبديعهم وتفسيقهم واهدار دمائهم مع ما يصاحب ذلك من تشويه ومحاولة الإسقاط الاجتماعي للدعوة الإسلامية فهو صد عن سبيل الله في الداخل والخارج انهم قطاع طرق كما قال ابن القيم رحمه الله: «علماءُ السَّوْءِ جلسوا على بابِ الجنَّةِ يدعونَ إليها الناسَ بأقوالِهِم ويَدْعونَهُم إلى النار بأفعالِهِم؛ فكلَّما قَالتْ أقوالُهُم للناس: هَلُمُّوا! قالتْ أفعالُهُم: لا تَسْمَعوا منهم! فلو كان ما دَعَوْا إليه حقًّا كانوا أولَ المستجيبين له! فهم في الصورة أدِلَّاءُ وفي الحقيقةِ قُطَّاعُ الطريق»(٢٩٤).

بل هؤلاء أسوء من قطاع الطرق لأنهم ساءت منهم الأقوال والأفعال وأصبحوا دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها وهم أعوان لكل من حارب الله ورسوله. في وجودهم تعطلت الدعوة وشوهت معالمها وانتشر بين العالمين الخوف من الإسلام وبغض المتدينين، وفي عهدهم نقصت أرض الإسلام ولم يزد إلا العدوان عليها واغتصابها والعدوان على أهلها وانتشر الفساد في البلاد والمشقة على العباد.

مع سكوتهم عن التطاول على الدين وعلى أحكامه وشرائعه ونصوصه فجمعوا بين الشرين سكوت في موضع الكلام وكلام لا يصح في موضع السكوت وهم أذلة مع كل أحد يحارب الدين وأعزة على الدعاة والعلماء الصادقين المصلحين وسلاح فتاك في صدور المستضعفين.

أصبح العدو ينتظر صدور تصريحاتهم ضد إخوانهم بتهوين جهادهم -وتستهين باعتداءات المحتل- من ثلة تدثرت بالدين ونطقت بالنصوص وعند صدورها يتلقفها العدو وينشرها ليتخذ منها دليلاً على شرعية عدوانه ومستنداً له في احتلاله واعانة له في المحافل الدولية في وقت وجدنا يهود يقفون ضد العدوان بل وملاحدة ومن مذاهب

---

٢٩٤) الفوائد لابن القيم (ص٨٥)

ومشارب مختلفة أعمارهم مختلفة كجنسياتهم في ظاهرة عالمية كالطوفان الذي بدأ مع الطائفة الظاهرة على الحق.

أفيكون أهل الكفرة والملاحدة وأهل الفن والغناء والرياضة أصحاب مواقف من الاحتلال والظلم والعدوان، وفي المقابل يكون أدعياء العلم عوناً للمعتدي الظالم على المظلوم المحاصر ...؟

سبحانك ربي هذا بهتان عظيم وإفك مبين لا ينطق عليه إلا وصف النبي ﷺ «يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ - أَوْ مِنَ الْإِسْلَامِ - كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»

وعن أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ كَأَنَّ هَذَا مِنْهُمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ، يَخْرُجُونَ حَتَّى يَخْرُجَ آخِرُهُمْ مَعَ الْمَسِيحِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ» (٢٩٥).

وعن عَبْد اللهِ بْن عَمْرٍو رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: (يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا قُطِعَ قَرْنٌ نَشَأَ قَرْنٌ ، حَتَّى يَخْرُجَ فِي بَقِيَّتِهِمُ الدَّجَّالُ)(٢٩٦)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"قَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ يَخْرُجُونَ إِلَى زَمَنِ الدَّجَّالِ. وسيستمر وجودها إلى آخر الزمان، غير أنها تظهر فترة بعد فترة، وكلما ظهرت طائفة منهم قُطعت، وانتهى أمرها، ثم تظهر طائفة أخرى ... وهكذا، حتى يخرج الدجال في آخرهم. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وقصدوا- أي الخوارج- بلاد العراق وخراسان، فتفرقوا فيها بأبدانهم وأديانهم ومذاهبهم ومسالكهم المختلفة المنتشرة، التي لا تنضبط ولا تنحصر؛ لأنها مفرعة على الجهل، وقوة النفوس، والاعتقاد الفاسد. (٢٩٧)»

لقد حرك عدوان اليهود كل سكان المعمورة بل وصحح نظرة الناس جميعا تجاه قضية الاحتلال، وعرف الناس حقارة اليهود وبشاعتهم ولكن زهد هؤلاء المجرمين (المارقين

---

٢٩٥) مسند أبي داود الطيالسي» (١/ ٣٥٩) (٢/ ٢٣٨)

٢٩٦) رواه أحمد (٦٩٥٢) والحاكم (٨٥٥٨) وصححه الشيخ أحمد شاكر.

٢٩٧) البداية والنهاية (٨/ ٣٣٧)

الدعاة على أبواب جهنم) في كل ذلك وزهدوا في قدسية المكان وشرف الرباط والجهاد وزهدوا في نصوص القرآن والسنة لأنها صادرة من قلوب مريضة واعتقادات فاسدة.

ويا ليتهم سكتوا بل زادوا بعد الانسلاخ من الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين أنهم صاروا أبواق زور وفجور هداهم إليه الكذب ففي وقت يعترف فيه قتلة الأنبياء بخسائرهم في العتاد والعدة والجنود وخسائرهم في الاقتصاد وخسائرهم في الدعاية المكذوبة التي أيقظت الناس من بعد غفلة تجد هؤلاء الذين يوادون من حاد الله ورسوله وينصرونه يروجون أن أهل الرباط خسروا وأنهم سبب في الدمار والخراب وازهاق الأرواح وترويج أن زعماء الرباط يحتمون بالمدنيين ويعيشون عيشة الرغد بل ورموا أهل الرباط -الظاهرين على الحق – بأنهم أصحاب عقائد فاسدة ومنهجهم فاسد ووصل بالبعض من هؤلاء المرضى الحمقى بأن حكموا بردة من وعدنا الله بنصرتهم وبشرنا رسوله الكريم بأنهم لا يضرهم من خذلهم .

وحديث الطائفة الظاهرة على الحق المتواتر والذي رواه ما يزيد على سبعة عشر صحابيا أشار فيه النبي ﷺ إلى أفعال هؤلاء ووصفها مرة " بالخذلان "، ووصفهم أخرى بالمناوأة وثالثة بالمعادة ورابعة بالمخالفة وهذه الألفاظ تشير إلى أن المخالف والمعادي والخاذل والمناوئ يقع من القريب الذي ترجى منه النصرة.

ونحن نثق في وعد الله ﷻ ووعد رسوله ﷺ وأن هؤلاء المرابطون المجاهدون لن يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ولا من ناوئهم حتى يأتي أمر الله.

تثبيت للمؤمنين وانتكاس المثبطين

يقولون: "التاريخ يعيد نفسه"، فأحداث التاريخ تتكرر وتتشابه إلى حد كبير؛ لأن وراءها سنناً ثابتة تحركها.

وأفعال المجرمين والمفسدين والمنافقين تتكرر، لأنهم يتغيرون ويتكررون ويهلكون يكررون تجربة شيطانية واحدة هي تجربة إبليس نفسه الممتدة مع الزمن، وهذا سر الغفلة التي يقع فيها أهل الإجرام لا يعتبرون بمن سبقهم لأن معلمهم استحوذ عليهم فأنسهم ذكر الله، حتى أنساهم أنفسهم فكتبت عليهم الحسرة والذلة والمسكنة ودائماً هم الخاسرون.

والقرآن الكريم أشار إلى تشابه المواقف والأقوال والأعمال، نتيجة لتشابه الأفكار والتصورات التي تصدر عنها، وفي هذا جاء قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}.

وقال تعالى عن مشركي قريش: {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم مِّنَ رَسُولٍ إلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ. أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ}. أي: إن هذا الاشتراك والتشابه في الموقف من الرسل، بين الأولين والآخرين، والمسارعة إلى الاتهام بالسحر أو الجنون، لم ينشأ نتيجة تواصٍ بين هؤلاء وأولئك، بل السبب أنهم جميعاً طغاة ظالمون، فلما تشابهوا في السبب، وهو الطغيان، تشابهوا في النتيجة.

ومن عرف التاريخ وسنن الله فيه، وكان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، تعلّم من أخطاء الآخرين، وكان له بهم عظة، فالسعيد من وعظ بغيره، واقتبس مِمَّا عندهم من خير، فالحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق بها.

ذلك أنه ما من بلاء كان فيما سبق من الزمان إلا وهو موجود اليوم في وضوح تام، فلكل قوم وارث، والقواعد التي ينطلق منها أعداء الإسلام قديماً وحديثاً في الكيد والمكر والتآمر وإثارة الشبهات في القديم تكاد أن تكون هي نفسها شبهات المعاصرين.

وصدق الله العظيم إذ يقول: {كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ} (البقرة:١١٨)

وتاريخ الدعوة الإسلامية تحدثنا عن مرض التشابه ونتائجه المثيرة للتوتر وشق الصف والتشويش على سير أهل الحق من المرابطين والمجاهدين والعلماء الدعاة الناصحين، وأنه مصدر تثبيت وقوة لا مصدر إزعاج وتشتيت وهو دليل على صدق الدعوة واستقامة الطريق قال ﷻ في تثبيت النبي ﷺ-: {ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك} [فصلت: ٤٣]. وقال تعالى: {كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم}. أي: أشبهت قلوب مشركي العرب قلوب من تقدمهم في الكفر والعناد وسيكون هذا التشابه لمن يأتي بعدهم.

ومن هذا ما أخبر به الله ﷻ عن الذين لا يعلمون المعرضين عما جاءت به الرسل، المعارضين لهم أنهم إذا جاءتهم حسنة أي: خصب وكثرة أموال، وتوفر أولاد وصحة،

قالوا: { هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ } وأنهم إن أصابتهم سيئة أي: جدب وفقر، ومرض وموت أولاد وأحباب قالوا: { هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ } أي: بسبب ما جئتنا به يا محمد، تطيروا برسول الله ﷺ كما تطير أمثالهم برسل الله، كما أخبر الله عن قوم فرعون أنهم قالوا لموسى { فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ }، وقال قوم صالح: { قالوا اطَّيَّرْنا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ } .

وقال قوم ياسين لرسلهم: {إِنَّا تَطَيَّرْنا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ} الآية. فلما تشابهت قلوبهم بالكفر تشابهت أقوالهم وأعمالهم. وهكذا كل من نسب حصول الشر أو زوال الخير لما جاءت به الرسل أو لبعضه فهو داخل في هذا الذم الوخيم. (٢٩٨).

قال الرازي:«ولئنَّ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ تَتَشَابَهُ أَقْوَالُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ»(٢٩٩)ثبت الله نبيه ببيان حالهم وحصن الأمة ببيان هذا التثبيت، وقال ابن عاشور : «ويجوز أن تكون «وجُمْلَةُ تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ تَقْرِيرٌ لِمَعْنَى قالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ، أَيْ كَانَتْ عُقُولُهُمْ مُتَشابِهَةً فِي الْأَفْنِ وَسُوءِ النَّظَرِ فَلِذَا اتَّحَدُوا فِي الْمَقَالَةِ. فَالْقُلُوبُ هُنَا بِمَعْنَى الْعُقُولِ. وَقَوْلُهُ تَشابَهَتْ صِيغَةٌ مِنْ صِيَغِ التَّشْبِيهِ وَهِيَ أَقْوَى فِيهِ مِنْ حُرُوفِهِ وَأَقْرَبُ بِالتَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ....وَفِي هَذَا الْكَلَامِ تَسْلِيَةٌ للنبي ﷺ بِأَنَّ مَا لَقِيَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِثْلُ مَا لَاقَاهُ الرُّسُلُ قَبْلَهُ وَلِذَلِكَ أُرْدِفَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِقَوْلِهِ: إِنَّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ[الْبَقَرَة: ١١٩] الْآيَةَ»(٣٠٠).

ومن أعظم التثبيت أن تتمايز الصفوف فتعرف عدوك من صديقك وتعرف بها هؤلاء الذين ما كان لهم أن يكونوا جنود نصر ولا أهل عزة وتمكين بل هم قبيل من الأعداء الذين انسلخوا من الدين والشرف وتقلبوا في ظلمات النفاق والكفر فأصبحوا من المغضوب عليهم والضالين لأنهم منهم وتشابهت قلوبهم قال تعالى : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى

---

٢٩٨) تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن (ص١٨٨)

٢٩٩) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٤/ ٢٨)

٣٠٠) التحرير والتنوير (١/ ٦٨٩) وما بعدها بتصرف

مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ} [المائدة: ٥١ - ٥٣]

وختاماً: {وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١)} [المَائدة: ٨١].

العمل الصالح بإغاظةِ الأعداءِ والنيل منهم

ابتليت الأمة بشراذم من المثبطين فلا هم جاهدوا ولا هم أعانوا من يجاهد، ولا هم سكتوا عنه بل كان التثبيط في كل ما من سبيله أن يكون عوناً لمن يدافع عن الدين والمقدسات والنفوس والعرض والأرض، فذهبوا بالتخذيل إلى كل موطن تحتاج الأمة فيه إلى النصرة وللأسف كثروا سواد أعداء الأمة فكان عدواً مع العدو.

ومن هذه المواطن المقاطعة الاقتصادية، فيرون فيها ضرراً لأنها بغير إذن ولي الأمر .

قال الإمام أحمد:«كل مَا كَانَ فِيهِ ترهيبا لِلْعَدو وغيظا لَهُم فَإِن فِي ذَلِك أجْرِ يَقُول الله تَعَالَى: {وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [التوبة: ١٢٠]}»(٣٠١).

وعلق ابن بطال على هذه الآية فقال: «فهو عام في جميع ما ينالون ولما كانت نفوسهم وأموالهم سواء في استحلالنا إياهم ثم جاز قتلهم إذا لم يتمكن من أسرهم كذلك يجوز إتلاف أموالهم التي يتقوون بها»(٣٠٢).

فكل «ما كان فيه وهنًا للعدو جاز لنا فعله، وإن كنا نرجو الظفر بها بعد طول؛ لما فيه من إبطاء الظفر بهم، وقد انقطع الحرب عن بني النضير وجلوا بغير قتال، فقسم رسول الله ﷺ ما سوى الرباع من أموالهم، وبقيت الرباع خالصة لرسول الله ﷺ، وهي التي ولي العباس وعلي، دفعها إليهما عمر» (٣٠٣).

وكل وسيلة يكون فيها غيظاً للأعداء فيجب التماسها قال ابن عثيمين: «فتحلية السيف من إغاظة للعدو، ولهذا جازت الخيلاء في الحرب، وجاز لباس الحرير في الحرب،

(٣٠١) مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله(ص٢٥١)

(٣٠٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/ ١٨٢)

(٣٠٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح(١٨/ ٢٠٩)

وكل شيء يغيظ الكفار فإن الإنسان له فيه أجر، ومفسدة الكبر ولبس الحرير يقابلها مصلحة إغاظة الأعداء، قال الله تعالى: {وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ} [التوبة: ١٢٠].

وقال تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ} [الفتح: ٢٩] فدل ذلك على أن إغاظة الكفار مرادة لله عز وجل وأن فيها أجراً» (٣٠٤)

قال الطاهر بن عاشور :«وَمَعْنَى: كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ أَنْ يُكْتَبَ لَهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ تِلْكَ الْأَعْمَالِ عَمَلٌ صَالِحٌ، أَيْ جَعَلَ اللَّهُ كُلَّ عَمَلٍ مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ عَمَلًا صَالِحًا وَإِنْ لَمْ يَقْصِدْ بِهِ عَامِلُوهُ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ فَإِنَّ تِلْكَ الْأَعْمَالَ تَصْدُرُ عَنْ أَصْحَابِهَا وَهُمْ ذَاهِلُونَ فِي غَالِبِ الْأَزْمَانِ أَوْ جَمِيعِهَا عَنِ الْغَايَةِ مِنْهَا فَلَيْسَتْ لَهُمْ نِيَّاتٌ بِالتَّقَرُّبِ بِهَا إِلَى اللَّهِ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِفَضْلِهِ جَعَلَهَا لَهُمْ قُرُبَاتٍ بِاعْتِبَارِ شَرَفِ الْغَايَةِ مِنْهَا. وَذَلِكَ بِأَنْ جَعَلَ لَهُمْ عَلَيْهَا ثَوَابًا كَمَا جَعَلَ لِلْأَعْمَالِ الْمَقْصُودِ بِهَا الْقُرْبَةُ، كَمَا وَرَدَ أَنَّ نَوْمَ الصَّائِمِ عِبَادَةٌ.

وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى التَّذْيِيلُ الَّذِي أَفَادَ التَّعْلِيلَ بِقَوْلِهِ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ. وَدَلَّ هَذَا التَّذْيِيلُ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا بِتِلْكَ الْأَعْمَالِ مُحْسِنِينَ فَدَخَلُوا فِي عُمُومِ قَضِيَّةِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ بِوَجْه الإيجاز» (٣٠٥).

الإغاظة الاقتصادية بالمقاطعة

الاقتصاد أحد أهم أدوات الصراع بين أهل الحق وأعدائهم من أهل الباطل، وهو ينسجم تمام الانسجام مع العقيدة الإسلامية والأخلاق المحمدية.

فالتجارة والتسوق والمعاملات المالية من أوسع ساحات الصراع، فأول حرب معلنة على الرسول ﷺ والإسلام كانت اقتصادية.

وقد اهتم النبي ﷺ بالسوق عند قدومه للمدينة، ولعله كان مرافقاً لبناء المسجد وفي المدة التي رتب فيها النبي ﷺ دولته المباركة، وقد كانت عداوة اللعين كعب بن الأشرف

---

٣٠٤) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٦/ ١١٤)

٣٠٥) التحرير والتنوير (١١/ ٥٧)

ظاهرة في جميع المجالات وخاصة في الجانب الاقتصادي، حتى أنه خرب سوقاً أقامه النبي ﷺ وهدمه وما زال اللعين ساعياً في التخريب والإفساد حتى قتل لعنه الله وأبعده، وقد كانت أحد أهداف هذا السوق إغاظة أعداء الله.

روى ابن شبة في تاريخه: عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ:" لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺأَنْ يَجْعَلَ لِلْمَدِينَةِ سُوقًا أَتَى سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ (٣٠٦)، ثُمَّ جَاءَ سُوقَ الْمَدِينَةِ فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ: «هَذَا سُوقُكُمْ، فَلَا يُضَيَّقُ، وَلَا يُؤْخَذُ فِيهِ خَرَاجٌ» (٣٠٧)

عن أَبِي أَسِيدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، ذَهَبَ إِلَى سُوقِ النَّبِيطِ (٣٠٨)، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «لَيْسَ هَذَا لَكُمْ بِسُوقٍ»، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى سُوقٍ فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «لَيْسَ هَذَا لَكُمْ بِسُوقٍ»، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى هَذَا السُّوقِ فَطَافَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سُوقُكُمْ، فَلَا يُنْتَقَصَنَّ، وَلَا يُضْرَبَنَّ عَلَيْهِ خَرَاجٌ" (٣٠٩)

قوله: «فلا ينتقص» أي لا يبطلن هذا السوق، بل يدوم لكم.

قوله: «ولا يضربن عليه خراج» بأن يقال: كل من يبيع ويشترى فيه فعليه كذا. (٣١٠).

---

٣٠٦)قينقاع: اسم شعب من اليهود- لعنهم الله- الذين كانوا اغتصبوا أرض المدينة، فطردهم الله منها والله قادر على طردهم من القبلة الأولى- بيت المقدس- يضاف إليهم سوق كان بالمدينة، ويقال: سوق بني قينقاع، وهو في عوالي المدينة.» المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص٢٢٨) «سوق بني قينقاع: كانت سوقا عظيمة في الجاهلية في المدينة، يقوم في السنة مرارا، في جنوب المدينة أو عاليتها. وسوق المدينة: السوق التي عيّنها رسول الله ﷺ في المدينة، وهي في المكان الذي أصبح يسمى المناخة من مسجد الغمامة(المصلى) جنوبا، حتى باب الشامي شمالا.» المعالم الأثيرة (ص١٤٤) قلت وفي هذا السوق اليوم مكتبة الملك عبد العزيز، والنفق غربيّ المسجد النبوي.

٣٠٧) تاريخ المدينة لابن شبة (١/ ٣٠٤)

٣٠٨) «سوق النّبط: المضاف إليه بفتح النون والباء: سوق كانت موجودة بالمدينة المنورة منذ العصر الجاهلي، وكانت تقوم مرة في العام، والنبط: الواحد نبطي، ونباطي بتثليث النون، والجمع أنباط؛ ونبيط: قوم من العجم كانوا ينزلون بين العراقيين فسموا نبطا، لاستنباطهم ما يخرج من الأرض، ثم استعمل في أخلاط الناس وعوامهم، ومنه يقال: كلمة نبطيّة، أي: عاميّة. ولا علاقة لهم بدولة الأنباط المعروفة. ويبدو أن هؤلاء كانوا يفدون إلى المدينة فيبيعون ما يجلبون، فأضيفت السوق إليهم، واستمرّ حتى صدر الإسلام لما ورد من ذكرها في السيرة النبوية، حيث ابتاع رسول الله بعض لقاحه من هذه السوق.» المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص١٤٥)

٣٠٩) أخرجه ابن ماجة في (السنن): ٢/ ٧٥١، كتاب التجارات، باب (٤٠) الأسواق ودخولها، حديث رقم (٢٢٣٣) وإمتاع الأسماع (٩/ ٣٦٣) قال في (الزوائد): رواة إسناده ضعاف.

٣١٠) إمتاع الأسماع (٩/ ٣٦٣)

وروى ابن شبة أيضاً عن صالح بن كيسان قال: ضرب رسول الله ﷺ قبة في موضع بقيع الزبير (٣١١) فقال: هذا سوقكم. فأقبل كعب بن الأشرف فدخلها وقطع أطنابها (٣١٢)، فقال رسول الله ﷺ : لا جرم لأنقلنّها إلى موضع هو أغيظ له من هذا، فنقلها إلى موضع سوق المدينة، ثم قال: هذا سوقكم، لا تتحجروا، ولا يضرب عليه الخراج (٣١٣).

وروى ابن زبالة عن عباس بن سهل عن أبيه أن النبي ﷺ أتى بني ساعدة فقال: إني قد جئتكم في حاجة تعطوني مكان مقابركم فأجعلها سوقا، وكانت مقابرهم ما حازت دار

---

٣١١) البقيع من الأرض: المكان المتسع الذي به شجر أو أصولها، وفي المدينة عدة مواضع بهذا الاسم. الأول: بقيع الغرقد، وإذا أطلق فهو المراد، وهو موضع بظاهر المدينة، وهو مقبرة أهلها، سمي بذلك لأنه كان به شجر الغرقد. الثاني: بقيع الخيل وكان عند دار زيد بن ثابت. الثالث: بقيع الزبير: وهو أيضًا بالمدينة كان فيه دور ومنازل. الرابع: بقيع الخبخبة، موضع بنواحي المدينة، له ذكر في "سنن أبي داود" (٣٠٨٧). بقيع الزبير: يجاور لمنازل بني غنم وشرقي منازل بني زريق وإلى جانبه في المشرق البقال، ولعل الرحبة التي بحارة الخدام بطريق بقيع الغرقد منه (وفاء الوفا ٢:٢٦٤ ط. الآداب) والبقيع هو الموضع تكون فيه أروم الشجر من ضروب شتى (مراصد الاطلاع ١:٢١٣). وفي «التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة» (ص٢٠٦): «بقيع الزبير: كان يقع ما بين البقيع والمسجد في الناحية الجنوبية الشرقية في حارة كانت تعرف باسم الرستمية التي كانت امتدادًا لحارة الأغوات، وقد دخلت كل هذه الناحية في توسعة المسجد النبوي أو فنائه الجنوبي الشرقي.» وفيه أيضاً: «ورَوى أن النبي ﷺ صلى في بقيع الزبير ركعات صلاة الضحى، فقال له أصحابه: إن هذه لصلاةٌ ما كنتَ تُصليها! فقال: إنها لصلاة رَغَب ورَهَب، فلا تَدعوها.» وذكره السمهودي في وفاء الوفا ص٨٦٩. / وبقيع الزبير: استقطع النبي ﷺ الزبير قطعة من سوق المدينة، وهو يجاور منازل بني غنم وشرقي منازل بني زريق، وإلى جانبه في المشرق البقال وفيه الدور والمنازل كدار عروة ومصعب ابنا الزبير. ولعل الرحبة التي بحارة الخدم بطريق بقيع الغرقد منه. انظر: ياقوت: معجم البلدان ١/ ٤٧٤، السمهودي: وفاء الوفا ٤/ ١١٥٣. وفي «المغانم المطابة (٢/ ٦٧٧):«بَقّال- بفتح الموحدة، وتشديد القاف-: موضع بالمدينة. قال الزبير بن بَكّار في ذكر طلحة بن عبد الرحمن القرشي من ولد البَخْتَري ابن هشام: وكان في صحابة أبي العباس السَّفّاح، قال: وداره بالمدينة إلى جنب بَقيع الزُّبير بالبَقّال» وفي تاريخ بغداد ٩/ ٣٤٧: (البقال: موضع)، وذكر السمهودي في الوفا ٤/ ١١٥٢ أن قبور أمهات المؤمنين من خوخة بيته-يعني الزبير- إلى الزقاق الذي يخرج على البَقّال، وأن دار أبي رافع التي أخذها من سعد بالبَقّال مجاورة لسقيفة محمد بن زيد ابن- زين العابدين-علي بن حسين بالبقيع، وأن مشهد إسماعيل بن جعفر هو دار زين العابدين علي بن حسين، قال: (فالبَقّال هناك).

٣١٢) أطنابها: الأطناب جمع طنب، وهي ما يشد به البيت من الحبال بين الأرض والطرائق،:: لسان العرب (١/ ٥٦١).

٣١٣)روى ابن شبة عقب قصة كعب بن الأشرف المتقدمة في سوق المدينة لما أراد النبي ﷺ أن يتخذ موضع بقيع الزبير سوقا أنه لما قتل كعب استقطع الزبير النبي ﷺ البقيع فقطعه، فهو بقيع الزبير، ففيه من الدور للزبير دار عروة، ثم في شرقيها دار للمنذر بن الزبير إلى زقاق عروة، وفيه دار مصعب بن الزبير التي على يسارك إذا أردت بني مازن، وفيه دار آل عكاشة بن مصعب على باب الزقاق الذي يخرج بك إلى دار نفيس بن محمد، يعني مولى بني المعلى في بني زريق، وفيه دار آل عبد الله بن الزبير ممدودة إلى دار أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ، وفيه بيت نافع الزبيري الذي بمفترق الطرق، وكل هذا صدقة من الزبير على ولده.» وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٤/ ٣٣)

ابن أبي ذئب إلى دار زيد بن ثابت، فأعطاه بعض القوم، ومنعه بعضهم، وقالوا: مقابرنا ومخرج نسائنا، ثم تلاوموا فلحقوه وأعطوه إياه، فجعله سوقا.» ([٣١٤]).

«وقد عُنِي الإسلام بالسوق عناية ظاهرة؛ ففي أول قدوم الرسول ﷺ إلى المدينة كان فيهم من يبخس في الكيل، ويبدو أنهم قد تعلموا هذه الأفعال من اليهود، فأنزل الله سبحانه وتعالى [وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ] [المطففين: ١]

فأحسنوا الكيل بعد ذلك، وعندما استقر الرسول ﷺ في المدينة وفرغ من بناء المسجد، التفت إلى مكان البيع والشراء السوق فوجدها في بني قينقاع حي من أحياء اليهود وكانوا على سجيتهم من أكل السحت والسعي وراء

الكسب من أي باب، فكانوا يضربون على الناس فيها الخراج، ويؤجرون لهم الأماكن، فمضى الرسول ﷺإلى مكان فسيح وضرب فيه برجله، وقال: (هذا سوقكم؛ فلا ينتقص، ولا يضرب عليه خراج) وأقام السوق؛ وخُصِّصَ لكل سلعة مكان: للتمر مكان، وللقمح مكان، وللإبل مكان، وللغنم مكان، وكأني بسعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وأحدهما يعرض على الآخر نصف ماله ونصف داره فيتعفف عبد الرحمن من ذلك، ويشكر لأخيه هذا الفعل، ويدعو له بالخير والبركة، ويقول له: (دلني على السوق؛ فإني أعرف التجارة).

وارتاد المسلمون الأسواق بعدها في جو من الطمأنينة؛ حيث لا غش ولا استغلال ولا احتكار، وتميز من يومها صنف جديد من الناس، وفُتحت لهم أبواب الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء: إنهم التجار الصادقون.

السوق يأتي إذاً في المرتبة الثانية بعد المسجد في حياة المسلم؛ فالمسجد موضع للتعامل مع الله وحده كما ورد في كتابه العزيز: [وَأَنَّ المَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً] [الجن: ١٨] وأما السوق فهي موضع للتعامل مع الناس ومع الله سبحانه وتعالى، إذا اتّبعت أوامره واجتُنبت نواهيه وخلصت النوايا، وهنا تحضرني مقالة عطاء رحمه الله: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف تشتري وتبيع، وتصلي وتصوم، وتنكح وتطلق.. إلخ، وإذا كان صح عن الرسول ﷺقوله: (..وأبغض البقاع إلى الله تعالى

[٣١٤]) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٢/ ٢٥٧)

الأسواق) فلِما يقع فيها من ظلم وغش وأيمان كاذبة، لكنا قد نستطيع أن نحوِّل أسواقنا إلى محاريب للعبادة بإقامة العدل فيها والرحمة والتسامح!!

وفي السعي لإقامة مجتمع إسلامي نظيف تقوم دعائمه على العدل والرحمة، ينبغي أن نتعامل مع آداب السوق وأحكامه كما نتعامل مع آداب المسجد وأحكامه، وإلا فسيظل بيننا وبين تحقيق هدفنا مسافات طويلة بل وستزداد هذه المسافات مع مرور الأيام.» (٣١٥)

ويلاحظ أن النبي ﷺ كان يراقب الأسواق بنفسه وقد طلب بعض الصحابة من الرسول ﷺ أن يسعر للناس، ولكن الرسول امتنع من ذلك، فقد مر النبي ﷺ برجل يبيع طعاما في السوق بسعر أرفع (٣١٦) من سعر السوق فقال: «تبيع في سوقنا بسعر هو أرفع من سعرنا؟!» قال: نعم يا رسول الله. قال: «صبرا واحتسابا؟» قال: نعم يا رسول الله. قال: «أبشروا فإن الجالب إلى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله، وإن المحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله» (٣١٧).

واستطاع المسلمون بحسن تعاملهم أن يحوّلوا الناس من سوق اليهود إلى سوقهم مما جعل كعب بن الأشرف اليهودي (ت ٣ هـ) يدخل إلى سوق المسلمين ويقطع أطنابها، فقال رسول الله ﷺ : «لا جرم لأنقلنّها إلى موضع هو أغيظ له من هذا» فنقلها من موضع بقيع الزبير إلى سوق المدينة» (٣١٨).

ولعل هذا الأسلوب التهجمي الصارم الذي اتبعه كعب ابن الأشرف (ت٣هـ) كان في أوائل أشهر الهجرة حيث لا يزال لليهود نفوذ قوي، ويلاحظ أيضا أن كعب بن الأشرف شعر أن مصالح اليهود الاقتصادية قد أصبحت في خطر نتيجة منافسة السوق الجديد.

---

٣١٥) السوق.. آدابه وأحكامه بقلم: محمد علي حيدة «مجلة البيان» (١٢٤/ ٤٦)

٣١٦) أرفع: أي أقل من سعر السوق.

٣١٧) السمهودي، وفاء الوفا (١/ ٥٤٦).

٣١٨) السمهودي، وفاء الوفا (١/ ٥٣٩، ٥٤٠). ويبدو أن هذا التصرف وغيره من التصرفات العدائية جعلت النبي ﷺ باغتيال كعب بن الأشرف (سنة ٣ هـ) وبالفعل تم اغتياله من قبل صحابة النبي ﷺ. انظر: ابن هشام، السيرة (٢/١٥١).

لقد كان هذا التصرف من كعب- من يهود قينقاع- حافزا للنبي ﷺ بأن يفكر جديّا بطرد اليهود من المدينة، وكان بنو قينقاع أول من طرد ([٣١٩]) وبعدها استطاع النبي ﷺ أن يمسك بزمام الاقتصاد المدني ويوجهه الوجهة الإسلامية الخالية من كل استغلال وجشع.

وكان من أعظم الإجراءات الإدارية التي قام بها الرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة القيام بكتابة دستور المدينة الذي ينظم العلاقات بين سكانها، ويعد ذلك ([٣٢٠]).

ومما سبق نعلم أن الإغاظة الاقتصادية للعدو تكون بأمور:

الأول: بناء نظام الاقتصاد على العقيدة والأخلاق الإسلامية وضبطها بضوابط الشرع وعدم المشقة على الناس بفرض الضرائب أو العنت عليهم بكثرة القيود أو تكبيلهم بعقود الربا وغيره من العقود المحرمة.

الثاني: المقاطعة الاقتصادية للعدو بعدم التعامل معه بعقد العقود في تجارة الجملة وبعد شراء منتجاته المنتشرة في الأسواق لأن في ذلك أعانة للعدو على الأمة وتقوية له، كما أن فيه إغاظة يؤجر المسلم عليها عند تحقيقها.

الثالث: تشجيع الصناعة والإنتاج في البلاد الإسلامية بما يتيح الاستقلالية والتحرر من قرار العدو وإملاءاته وما يصبح ذلك من توفير فرص عمل واستغلال لطاقات عظيمة من الأيدي العاملة واستثمار الخامات واستعمار الأرض لمرضاة الله تعظيماً للخالق ورحمة بالخلق.

---

[٣١٩]) صالح أحمد العلي، إدارة الحجاز في العهود الإسلامية الأولى، مجلة الأبحاث، بيروت، الجزء (٢١) أذار، (١٩٦٨ م)، (ص ٣١، ٣٢).

[٣٢٠]) الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (ص٨٠)

الإعداد نيل من العدو وإغاظة له:

يقول التسولي:" فالإمام يرغبهم في الإعداد للجهاد ويرسخ فيهم قوله تعالى {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ} فإن للقلّة النصر، وللكثرة الرعب، فالكثرة أبداً يلزمها الإعجاب، وفي الإعجاب الهلاك) قال تعالى: {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ...}.

ومن كانت هذه نيّته، وفني مملكته في الاستعداد والتدريب....، حصلت له ولهم مزية الجهاد- ولم ترعهم الكتائب الوافرة- وإن كانوا هم أقل عدداً- بل هم مجاهدون، وإن ماتوا قبل ملاقاة العدوّ، لأنهم على نيّته "وإنما الأعمال بالنيات ".

فسعدوا- والله-! وكفى بمزية الجهاد مزية، إذ لا يدركها أحد ولو استمرّ في، العبادة ألف سنة، لأنّه: أعزّ دين الإسلام، ومشى على نهجه ﷺ وقام بأوامر الله أحسن قيام، وبالغ في إعلاء كلمات الله مبالغة الأبرار الكرام.

قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ} ٢. ثم قال: {وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ ...} ٣.

وإن هو أهمل ذلك الاستعداد، وترك رعيّته على ما هم عليه من الافتخار باللّباس، والانهماك في المآكل والازدراد، والاشتغال بزينة يحلّى بها نحر وجيد ، والتنافس فيما لا يغني في الشدائد ولا يفيد، حتى تداعت الصلبان محيلة عليهم وعليه، وتحركت الطواغيت من كل جهة إليهم وإليه: فقد تلّه [٣٢١] الشيطان للجبين، وخسر الدنيا والآخرة- ذلك هو الخسران المبين-فلا هو ولا هم مفلحون في الدنيا بغلبة عدوّهم ، ولا هو ولا هم مفلحون في الآخرة بالنجاة من عذاب ربّهم، للحوق ما تقدّم من الوعيد الفظيع إليهم، وذلك دأب اللهﷻ مع من أهمل أوامره، ورضي في الدنيا بالدون، وأمن مكر الله {فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} ٣ للجبين، وخسر الدنيا والآخرة- ذلك هو الخسران المبين(فلا هو ولا هم مفلحون في الدنيا بغلبة عدوّهم)، ولا هو ولا هم مفلحون في الآخرة بالنجاة من عذاب ربّهم، للحوق ما تقدّم من الوعيد الفظيع

٣٢١)أي: صرعه، فهو: متلول وتليل، أو ألقاه على عنقه وخدّه. (ترتيب القاموس المحيط: ١/ ٣١٤)

إليهم، وذلك دأب الله ﷻ مع من أهمل أوامره، ورضي في الدنيا بالدون، وأمن مكر الله {فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ}.

فاعتبروا- يا أولي الأبصار-: فإن الذهول عمّا وقع بأهل البلاد والقواعد غريب، وتفكّروا في منابرها التي كان يعلو فيها واعظ وخطيب، وفي مساجدها المتعدّدة الصفوف، كيف استولى عليها الكافر المريب ؟، وكيف أخذ الله فيها بذنب المترفين المعرضين عن الأوامر بالاستعداد من دونهم!؟، وعاقب الجمهور لمّا أغمضوا عن الاستعداد وممارسة القتال عيونهم، فساءت بالغفلة عنه عقبى جميعهم، وذهبت النقمات بعاصيهم، ومن داهن في أمره من مطيعهم، قال تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً}!.

فاستعدوا-أيّدكم الله-!: فإن ترك أوامر الله- التي من جملتها الاستعداد، والتدريب مع الحروب- مؤذنة بالبوار، وذريعة لأن تصبحوا مضغة في لهوات الكفار، وانتصروا لدين الله غاية الانتصار، وتوجّهوا إلى الله تعالى بالتضرع والانكسار، وإلاّ فقد تعيّن في الدنيا والآخرة حدّ الخسار.

فإن من ظهر عليه عدوّ دينه، وهو عن أوامر الله مصروف، وعلى الحطام المسلوب عنه ملهوف، لم تقم له بعد ذلك قائمة، قال تعالى: {إِنْ تَنْصُرُوا الله يَنْصُرْكُمْ} ٦. [قال]: {كَيْفَ وَإِنْ يَظْهرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً} ٧.

فمن استعدّ لعدوّه الكافر في الفسحة والمهلة وجد منفعة العدّة، ومن تقرّب إلى الله باتّباع أوامره- بالاستعداد وغيره- وجده في الشدة. والعاقل من لا يغترّ في الحروب بالسلم مع عدوّه بطول المدة، فإن الدهر يتقلّب، ويبلي الجدّة، ويستوعب العدّة» (٣٢٢)

ومن الإعداد الاهتمام بالحصون والخنادق والأنفاق وكل ما من شأنه أن ينال من العدو

قال الشيخ السعدي: «وبالجملة فالبنايات للقصور والحصون والدور وغيرها من الأبنية: إما أن تتخذ مساكن للحاجة إليها، والحاجات تتنوع وتختلف، فهذا النوع من الأمور المباحة، وقد يتوسل به بالنية الصالحة إلى الخير.

٣٢٢) أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد (ص٢٥٢)

وإما أن تكون البنايات حصونا واقية لشرور الأعداء، وثغورا تحفظ بها البلاد ونحوها مما ينفع المسلمين، ويقيهم الشر، فهذا النوع يدخل في الجهاد في سبيل الله، وهو داخل في الأمر باتخاذ الحذر من الأعداء.

وإما أن يكون للفخر والخيلاء والبطش بعباد الله وتبذير الأموال التي يتعين صرفها في طرق نافعة، فهذا النوع هو المذموم الذي أنكره الله على عاد وغيرهم» (٣٢٣).

ويلحق بما سبق المقاطعة التجارية لبضائع ومنتجات العدو وكل من يواليه أو يعينه وحتى الاحتجاجات والمظاهرات مما يمثل ضغطاً على صناع القرار في الغرب هو من النيل الذي أمر الله به، حتى ولو قام به غير المسلم فعلى المسلم الذي لم يتمكن من الجهاد والرباط أن يعينهم.

وهنا نلفت النظر إلى معنى مهم في الجهاد الذي هو ارتباط لمحبة الله ورسوله وطاعة لله ورسوله، وأنه هو سبيل الأسوة الحسنة في رسول الله ﷺ وأصلها.

❁❁❁ ❁❁❁❁

٣٢٣) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن» (١/ ١٩٤)

الفصل الثالث

الأسوة الحسنة في رسول اللهﷺ أصلها في الجهاد

إن توحيد الله أصل الأصول لكل خير، وقسيم توحيد الله اتباع رسولهﷺ والتأسي به وطاعته، وإذا كان التوحيد هو إفراد الله ﷻ بالعبادة والنفي والبراءة من كل معبود دونه، فإن التوقير والاتباع والنصرة لرسوله الله ﷺ تكون بجعل القدوة والأسوة الحسنة فيهﷺ. والآيات القرآنية التي أوجبت طاعته ﷺ واتباعه وعدم مخالفة أمره تزيد على الأربعين آية قال الإمام أحمد ﵀ :«نظرت في المصحف فوجدت فيه طاعة رسول الله ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعًا"، ثم جعل يتلو: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣]، وجعل يكررها، ويقول: "وما الفتنة؟ الشرك، لعله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ فيهلكه"، وجعل يتلو هذه الآية: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} [النساء: ٦٥]» (٣٢٤).

وقال الآجري: «فَرَضَ الله على الخلق طاعته ﷺفي نيّفٍ وثلاثين موضعًا من كتابه ﷻ»(٣٢٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد ذكرَ الله طاعة الرسول ﷺ وأتباعَهُ في نحوٍ من أربعين موضعًا من القرآن كقوله تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}، وقال أيضًا: «وقد أمر الله بطاعة رسول الله ﷺ في أكثر من ثلاثين موضعًا من القرآن، وقرن طاعته بطاعته، وقرن بين مخالفته ومخالفته، كما قرن بين اسمه واسمه، فلا يذكر الله إلا وذكر معه» (٣٢٦).

الآيات الآمرة بطاعة النبي ﷺ ارتبطت بالجهاد

وهذا أمر يجب التنبه له بوضع هذه الآيات في موضعها اللائق بها وتصحيح المفاهيم نحوها، فإن من يتأسى بالنبي ﷺ ويلزم سنته وطاعته يجب عليه أن يعلم ارتباطها بالجهاد والحركة والسعي ومحاربة الطغيان والظلم والفساد.

---

٣٢٤) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٦١) وطبقات الحنابلة (١/ ٩٧ - ٩٨) الصارم المسلول،لابن تيمية (ص ٥٦)

٣٢٥) الشريعة (١/ ٤١١).

٣٢٦) مجموع الفتاوى (١/ ٤) (١٩/ ١٠٣).

وسنة النبي ﷺ هي الحكمة، وهي وحي من الله ﷻ {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: ٣، ٤] وأكد ذلك ﷺ بقوله: «أَلا إِنّي أُوتِيتُ القُرآنَ ومِثلَهُ مَعَهُ» (٣٢٧).

ومثلما كان جمع القرآن في عهد الصديق أبو بكر ﷺ وفي عهد ذا النورين عثمان بن عفان ﷺ بسبب الجهاد، فإن إيجاب طاعة الرسول ﷺ وعدم مخالفة أمره واتباعه والتأسي والاقتداء به كان في مواطن الجهاد.

وكذلك أكرم الله تعالى الأمة بأحكام التيمم وقصر الصلاة في السفر في أثناء الغزو والجهاد.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:« بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» (٣٢٨).

إن الآيات الواردة في الأمر بطاعة النبي ﷺ واتباعه والاقتداء به جاءت في مواطن متعددة من القرآن الكريم. واتصفت تلك الآيات بتنوع أساليبها وتعدد صيغها مع اتحادها جميعها في الأمر بالاقتداء بالنبي ﷺ وطاعته في جميع ما جاء به من شرائع وأحكام من عند الله ﷻ، وهذا تقسيم للآيات على حسب ما اتحدت به في السياق على النحو التالي:

-

أ ـ الآيات التي جاء فيها الأمر بطاعته ﷺ.

ب ـ الآيات التي جاء فيها الأمر باتباعه والتأسي به والأخذ بما شرعه

ج - الآيات التي جاء فيها وجوب التسليم لحكمه والانقياد له (٣٢٩).

---

٣٢٧) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٣٠- ١٣١) وغيره من حديث المقدام بن معدي كرب. وهو حديث صحيح

٣٢٨) رواه أحمد ٢/ ٥٠ و٩٢، وسنده حسن، وجَوّد إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في "الاقتضاء"(ص٣٩)، وصححه الحافظ العراقي في "تخريج الإحياء "وحسنه الحافظ في "الفتح" ١٠/ ٣٢، وصحح إسناده أحمد محمد شاكر في المسند، ٢/ ٥٠، ٩٢، برقم ٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧، من حديث ابن عمر ﷺ، وأخرجه البخاري، ٥٦- كتاب الجهاد، ٨٨ - باب ما قيل في الرماح، ذكره معلقا، فقال: ويذكر عن ابن عمر عن النبي ﷺ، فذكره وليس فيه: "ومن تشبه بقوم فهو منهم". حديث (٢٩١٤) ورجاله ثقات غير عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، مختلف في توثيقه. قال الحافظ في الفتح (٩٦/٦): وله شاهد مرسل بإسناد حسن أخرجه ابن أبي شيبة من طريق الأوزاعي، عن سعيد بن جبلة، عن النبي ﷺ.

٣٢٩) حث الأتباع على تجريد الاتباع (ص١٧٩)

وهنا نتحدث عن صيغة واحدة تنوع ورودها وهي صيغة (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) و(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ) وأشباهها ونظائرها ومثل قوله (اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ) ومثل قوله (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) وقوله قوله تعالى «{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} نجد هذه الصيغ الصريحة الموجبة لطاعة النبي ﷺ قد وردت فيما يزيد على ست وعشرين موضعاً في القرآن الكريم بخلاف صيغ أخرى المجال لا يتسع لسردها منها:

(سبع مواضع) في سور (النساء وآل عمران) وكلها في معرض الجهاد والحديث عن غزوة بدر وغزوة أحد.

و(موضعين) في سورتي المائدة والأعراف، في معرض الحديث عن أهل الكتاب في المائدة وفي الأعراف عند الحديث عن اليهود.

وفي سورة الأنفال (ثلاث) مواضع وهي السورة التي تحدثت عن غزة بدر والغنائم.

وفي سورة التوبة (في موضع) واحد، وكان نزولها بعد غزوة تبوك في ذي القعدة أو ذي الحجّة سنة (٥٩).. وفيها نبذ العهود للمشركين جميعهم الذين لم يفوا بعهودهم» (٣٣٠).

وفي سورة النور (في موضع واحد) وقد «نزلت سورة النور بعد سورة الحشر، ونزلت سورة الحشر بين صلح الحديبية وغزوة تبوك» (٣٣١) مرجع الناس من غزوة بنى المصطلق وقال أهل الإفك ما قالوا، وأنزل الله تعالى فى ذلك براءة عائشة أم المؤمنين ما أنزل» (٣٣٢).

وفي الأحزاب (٤ مرات) عن ابن عباس أنه قال: نزلت سورة الأحزاب بالمدينة» (٣٣٣) بعد غزوتي «بنى قريظة، والخندق» (٣٣٤).

---

٣٣٠) الموسوعة القرآنية خصائص السور» (٣/ ٢٣٧) المقدمات الأساسية في علوم القرآن(ص٧٥)

٣٣١) الموسوعة القرآنية خصائص السور (٦/ ٧٥)

٣٣٢) جوامع السيرة (ص١٦٣) راجع الآيات ١١- ١٥ من سورة النور وفيها براءة أم المؤمنين عائشة

٣٣٣) انظر: الإتقان ١/ ٢٣ زاد المسير ٦/ ٣٤٧، روح المعاني ٢١/ ١٤٢ الجامع ١٤/ ١٣ الدر ٥/ ١٧٩

٣٣٤) البدء والتاريخ» (٤/ ٢٢٠)

وفي سورة محمد (موضع) «وسميت أيضًا سورة القتال؛ لبيان أحكام قتال الكفار فيها في أثناء المعارك وبعد انتهائها: {فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ} (٣٣٥) وفي سورة الفتح في(موضعين) وهي التي نزلت فِي صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ والبشرى بفتح مكة.

بخلاف سورة الحجرات والمجادلة، نزلت سورة «الحجرات» بعد سورة المجادلة ونزولها بعد سورة «المنافقون»، والتي نزلت بعد غزوة بني المصطلق، في السنة الخامسة من الهجرة فيكون نزول سورة «المجادلة»، فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك (٣٣٦).

وفي سورة التغابن جاء الأمر بطاعة النبي ﷺ في موضعين قال عطاء بن يسار: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد، وكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورققوه وقالوا: إلى من تدعنا؟ فيرق ويقيم؛ فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ} بحملهم إياكم على المعصية، وترك الطاعة {فَاحْذَرُوهُم} أن تقبلوا منهم {وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا} فلا تعاقبوهم على خلافهم، وتثبيطهم إياكم {فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (٣٣٧).

وهذه هي الآيات التي تجمع بين الايمان والطاعة والجهاد والتربية {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٢) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) }[التغابن: ١١ - ١٨].

---

٣٣٥) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٥) تفسير حدائق الروح والريحان (٢٧/ ١٢٠)

٣٣٦) الموسوعة القرآنية (٩/ ١٦٧) و(٨/ ٢٢٥)

٣٣٧) أخرجه ابن إسحاق كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٦/ ٣٤٢، والطبري في "جامع البيان" ٢٨/ ١٢٥، والبغوي في "معالم التنزيل" ٨/ ١٤٣ عن عطاء بن يسار فقط. وشيخ ابن إسحاق في هذا الإسناد مبهم.

ولكن أخرجه النحاس في "الناسخ والمنسوخ" ٢/ ٣١٦، ٣/ ١٢٢ بسند قال عنه السيوطي في "الإتقان" ١/ ٥٠: وإسناده جيد.

وهنا نسلط الضوء على آية واحدة لو لم ينزل غيرها في وجوب طاعة النبيﷺ واتباعه لكفت ووفت ولكنه فضل الله ﷻ.

وهي قوله تعالى {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} فقد جاءت بعدما أخبر تعالى عن أهل النفاق وما وقع منهم من الأحوال التي هي غاية في الدناءة، في قوله «قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاّ قَلِيلاً (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً(١٩) يَحْسَبُونَ الْأَحْزابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الْأَعْرابِ يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ وَلَوْ كانُوا فِيكُمْ ما قاتَلُوا إِلاّ قَلِيلاً (٢٠) »

وانظر إلى مفردات " معوقين " واغراءات القعود " هلم إلينا " وسوء الأفعال وحدة التثبيط والخذلان " أشحة عليكم" و "سلقوكم بألسنة حداد" و" أشحة على الخير " لتعلم مدى إجرام هؤلاء الذين يؤذون المؤمنين بالتخذيل والتثبيط وهم من بني جلدتهم ويتحدثون بألسنتهم.

{سَلَقُوكُمْ} وحيدة في القرآن مادة وصيغة.

وأما "حِداد" فوحيدة الصيغة، وجاء من المادة "حديد" ست مرات و"حدود الله" ثلاث عشرة مرة، كما جاء الفعل "حادَّ" ماضياً مرة، ومضارعاً مرتين.

وملحظ الحِدَّة والعنف واضح في: ألسنة حداد، وفي لجج المحادة ولَدَد الجدل. . . وفي الحديد ظاهرة القوة، وفي حدود الله ما يعطيها قوة الإلزام والحُرمة.

والسؤال فيما يبدو، متعلق بكلمة {سَلَقُوكُمْ} وتفسير السلق بالطعن باللسان احتراز يغني عنه التصريح {بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ} فيأخذ السلق دلالته على التجريح والطعن، من أصل مادته في سلق الشيء بالماء الحار. وقال الفراء في معنى الآية آذوكم في الأمن، وفي حديث "ليس منا من سلق أو حلق" قال ابن الأثير: أي رفع صوته عند المصيبة، وقيل هو ان تصك المرأة وجهها وتمرشه، والأول أصح. (النهاية)

وفي القاموس: سلقه بالكلام أذاه، واللحَم عن العظم: التحاه، وفلاناً: طعنه، والبردُ النباتَ: أحرقه، وفلاناً بالسوط: نزع جلده، وشيئاً بالماء الحار: أذهب شَعره ووبره.

والمسلاق في الشاهد من قول الأعشى، أخذ السلقُ فيه كونهَ باللسان، من لفظ * الخاطب * أي الخطيب. وكل هذا من الاستعمال المجازي للمادة، منقولاً إليه من أصل استعماله في السلْق بالماء الحار. والله أعلم. (٣٣٨)

فالشحّ: البخل بما في الوسع مما ينفع الغير وعُدّيَ بِعَلَى: لتضمُّنِهِ معنى الاعتداءِ لما في الشُّحّ من الظلم والحرمانِ والقسوةِ، فهم أشحةٌ بالمال والجهدِ، يمنعون كلَّ ما في وسعهم بذلَه، بُخلاً منهم وحقدًا على المسلمين وخذلانا لهم.

«وَالشح أَصْلُهُ: عَدَمُ بَذْلِ الْمَالِ، وَيُسْتَعْمَلُ مَجَازًا فِي مَنْعِ الْمَقْدُورِ مِنَ النَّصْرِ أَوِ الْإِعَانَةِ وَالْمَعْنَى: يَمْنَعُونَكُمْ مَا فِي وُسْعِهِمْ مِنَ الْمَالِ أَوِ الْمَعُونَةِ، أَيْ: إِذَا حَضَرُوا الْبَأْسَ مَنَعُوا فَائِدَتَهُمْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَاعُوا وَمِنْ ذَلِكَ شُحُّهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَكُلِّ مَا يُشَحُّ بِهِ.

وهم أيضاً أَشِحَّةً فِي الظَّاهِرِ، أَيْ يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ يَخَافُونَ عَلَيْكُمُ الْهَلَاكَ فَيَصُدُّونكُمْ عَنِ الْقِتَالِ وَيُحَسِّنُونَ إِلَيْكُمُ الرُّجُوعَ عَنِ الْقِتَالِ» (٣٣٩). و«الخير يعني الظَّفر في القتال، وذلك قوله في سورة الأَحزاب: {وَرَدَّ الله الذين كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْراً} يعني لم يصيبوا ظفرا ولا غنيمة. وقال: {أَشِحَّةً عَلَى الخير}. والخير القتال» (٣٤٠).

قال الزمخشري: «أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ في وقت الحرب أضناء بكم، يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف (يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ) في تلك الحالة كما ينظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولو إذا بك، فإذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة: نقلوا ذلك الشحّ وتلك الضنة والرفرفة عليكم إلى الخير-وهو المال والغنيمة-ونسوا تلك الحالة الأولى، واجترءوا عليكم وضربوكم بألسنتهم وقالوا: وفروا قسمتنا فإنا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم، وبمكاننا غلبتم عدوّكم وبنا نصرتم عليه. ونصب أَشِحَّةً على الحال أو على الذمّ. وقرئ: أشحة، بالرفع. وصلقوكم بالصاد.

فإن قلت: هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الإحباط؟ قلت: لا ولكنه تعلم لمن عسى يظن أنّ الإيمان باللسان إيمان وإن لم يوطئه القلب، وأن ما يعمل المنافق من

---

٣٣٨) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق (ص: ٤١٠)

٣٣٩) التحرير والتنوير (٢١/ ٢٩٦) البيان القرآني للسيرة النبوية دراسة منهجية (ص: ٦٦)

٣٤٠) التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه (ص١٧٦)

الأعمال يجدي عليه، فبين أنّ إيمانه ليس بإيمان، وأنّ كل عمل يوجد منه باطل. وفيه بعث على إتقان المكلف أساس أمره وهو الإيمان الصحيح، وتنبيه على أن الأعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير أساس، وأنها مما يذهب عند الله هباء منثورا. فإن قلت: ما معنى قوله وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً وكل شيء عليه يسير؟ قلت: معناه: أن أعمالهم حقيقة بالإحباط، تدعو إليه الدواعي، ولا يصرف عنه صارف» (٣٤١) قال صاحب الظلال «فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ».. وهي صورة شاخصة، واضحة الملامح، متحركة الجوارح، وهي في الوقت ذاته مضحكة، تثير السخرية من هذا الصنف الجبان، الذي تنطق أوصاله وجوارحه في لحظة الخوف بالجبن المرتعش الخوار! وأشد إثارة للسخرية صورتهم بعد أن يذهب الخوف ويجيء الأمن: «فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ».. فخرجوا من الجحور، وارتفعت أصواتهم بعد الارتعاش، وانتفخت أوداجهم بالعظمة، ونفشوا بعد الانزواء، وادعوا في غير حياء ما شاء لهم الادعاء، من البلاء في القتال والفضل في الأعمال، والشجاعة والاستبسال.. ثم هم: «أَشِحَّةً عَلَى الخير". فلا يبذلون للخير شيئاً من طاقتهم وجهدهم وأموالهم وأنفسهم مع كل ذلك الادعاء العريض وكل ذلك التبجح وطول اللسان! وهذا النموذج من الناس لا ينقطع في جيل ولا في قبيل. فهو موجود دائما. وهو شجاع فصيح بارز حيثما كان هناك أمن ورخاء. وهو جبان صامت منزو حيثما كان هناك شدة وخوف. وهو شحيح بخيل على الخير وأهل الخير، لا ينالهم منهم إلا سلاطة اللسان! «أُولئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ».. فهذه هي العلة الأولى. العلة أن قلوبهم لم تخالطها بشاشة الإيمان ولم تهتد بنوره، ولم تسلك منهجه. «فَأَحْبَطَ اللَّهُ أعمالهم". ولم ينجحوا لأن عنصر النجاح الأصيل ليس هناك. «وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً».. وليس هنالك عسير على الله، وكان أمر الله مفعولا.. (٣٤٢) يقول الدكتور عبد العظيم المطعني ﷺ:" فهم عند الخوف رعاديد تضطرب نفوسهم اضطراباً يظهر أثره على العيون، فتدور في مكانها، لقد بلغ الخوف مداه.

---

٣٤١) تفسير الكشاف - ومعه الانتصاف ومشاهد الإنصاف والكافي الشاف» (٣/ ٥٣٠)

٣٤٢) في ظلال القرآن (٨/ ٤٨)

حتى إن حالهم هذه تشبه حال المحتضر عندما يأتيه الخطر من كل مكان، ويستسلم بكل ما فيه من ضعف للقدر المحتوم بكل ما فيه من قوة باطشة وسلطان عظيم - فليست هناك حالة معروفة للخوف أفزع من حالة المحتضر-لذلك لم يرض القرآن لهم مثلاً في ضعفهم وجبنهم. إلا أن يمثل لهم بتلك الحال التي لا يجهلها أحد (٣٤٣).

ويبلغ القرآن قمة التأثير ونهاية الإبداع حينما يصور حال المعوقين عن الجهاد وما يدور في قلوبهم من الفزع والقلق والاضطراب فيقول: {قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً. أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً..}

فالصورة الأولى في الآيات صورة المعوقين عن الجهاد الفزعين من المضي إليه، الذين لا يريدون أن يتحملوا نصيبا من أعبائه فهم ذو نفوس قلقة مضطربة يتنازعها عاملان أساسيان، أولهما هو الخوف الذي يسيطر عليهم من المآل الفظيع المحدق بهم لو انكشف أمرهم، وبانت سرائرهم، ومن هنا فهم يرتعدون في حركاتهم.. وثانيهما هو الوصول إلى غاية التثبيط عن واجب الجهاد وهو عامل أقل شأناً في واقعهم من العامل الأول لأنهم حينما ينادون حقيقة إلى الجهاد تترجرج أحداقهم في محاجرها دليلاً على تقلصات نفوسهم من شدة الخوف..

والصورة الثانية هي صورة من يعالج سكرات الموت، يتنازع نفسه المال المظلم والخوف العميق من الجزاء المحتوم، دون أن تكون عنده القوة أو الإرادة التي يعتمد عليها في موقفه. أليست صورة المشبه به موحية كل الإيحاء بما كان عليه أولئك المعوقون للجهاد من ضعف في الإرادة وخيبة في المآل؟ (٣٤٤)

وأطالت الآيات في الحديث عن هذه العوامل التي تفت في عضد الجيش الإسلامي، والتي كانت خليقة أن تنزل به أقسى الهزائم، وتلك هي المعوقون والمنافقون، وكأنه بذلك يريد أن يتدبر هؤلاء موقفهم، وأن يروا قدرة الله التي جلبت النصر وحدها، من

---

٣٤٣) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (٢/ ٢٢٠)

٣٤٤) نظرات في التمثيل البلاغي (ص: ٢٣)

غير أن يشترك المسلمون في قتال، فلعل في ذلك تطهيرا لقلوبهم، وسببا لعودتهم إلى الطريق السوي، وخير السبل، وقد تحدث القرآن طويلا عما يعتلج في نفوسهم، وما يبثونه من أسباب الهزيمة في صفوف المسلمين، وحكى معتقداتهم ورد عليها في حزم. فكان حديث القرآن عن هذه الغزوة حديث المصلح الذي يضع هدف إصلاح نفوس الأفراد وتطهير الجماعة من أسباب ضعفها وخذلانها.

وإلى هذا يهدف القرآن حين يتحدث عن الغزوات، يعنى بالنهوض بالفرد، فتطهر نفسه، ويؤمن بالله أعمق الإيمان وأصدقه، وبالجماعة فتتلافى وسائل نقصها، وتتخلص مما يقعد بها دون الوصول إلى غايتها من النصر المؤزر والاستقرار والأمن، يرفق في سبيل ذلك حينا، ويقسو حينا آخر. (٣٤٥)

يقول الله تعالى: (وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِراراً) الأحزاب: ١٣.

وتصوير البيوت عورة مكشوفة للأعداء وفيها الأطفال والنساء، يؤثر في النفوس ويزيد في التخذيل والتثبيط، ولكن الله يكشف ما وراء ذلك من حقيقة نفوس المنافقين من حبّ للفرار من المعركة وهزيمة المسلمين.

ثم ترسم الصورة ملامح المنافقين، وتكشف عن جبنهم ونقضهم للعهد يقول تعالى:(وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الْأَدْبارَ وَكانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلًا) الأحزاب: ١٥.

فالمنافقون في الحرب جبناء، وفي السلم، متكبّرون، سليطو اللسان:(أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ، أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ) الأحزاب: ١٩.

ونلاحظ هنا صورتين متناقضتين لهم، صورة نفسية مجسمة في حركة حسية، وهي دوران العيون من شدة الخوف والفزع، ثم قورنت هذه الحركة بحركة العيون عند سكرات الموت، لرسم منتهى الفزع وذروة الخوف، واعتماد الصورة على الفعل المضارع تَدُورُ يجعلها حاضرة شاخصة، وكأننا نرى حركة العيون وهي تدور يمينا

(٣٤٥) من بلاغة القرآن (ص: ٢٤٨)

وشمالا، بحركة مثيرة للسخرية والضحك، وهي حركة مشابهة لحركة العيون عند الموت، عند ما يفقد الإنسان السيطرة على أعصابه، فيظهر ما في نفسه من خوف على عينيه دفعة واحدة، فتدور في حركة سريعة مضحكة.

ولكنّ هؤلاء الجبناء تتغير صورتهم بانجلاء الخطر، وشعورهم بالأمان، فيبدؤون بالادعاء والانتفاخ، وهنا تبرز صورة أخرى حسية تتمثل في سلاطة اللسان، وهي صورة تعتمد على الحركة أيضا بشدة وعنف. وهذه الصورة الحسية، تعبر عن الحقد والكراهية، ومرض النفوس.

وصورة أخرى للمنافقين، تعبر عن جبنهم الشديد، وهي قوله: يَحْسَبُونَ الْأَحْزابَ لَمْ يَذْهَبُوا) (الأحزاب: ٢٠).

فقد ظلّوا خائفين حتى بعد هزيمة الأحزاب، لأنهم ما زالوا لا يصدقون بهزيمة الأحزاب، فهم يرتعشون بخوف وفزع، ويا لها من صورة ساخرة مضحكة لهؤلاء الجبناء، الذين يستمر فزعهم حتى بعد انجلاء الخطر.

ويتواصل تصوير المنافقين بصور عدة، زيادة في إيضاح طبيعتهم الجبانة يقول تعالى:(وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الْأَعْرابِ يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ) الأحزاب: ٢٠.

وصورتهم هنا وهم قاعدون في البادية بعيدا عن المعركة، يتلقفون الأخبار، تتواصل مع الصور الأخرى لهم، وتترابط ضمن نظام العلاقات التصويرية لكشف حقيقة هذا النموذج الجبان المتحالف مع المشركين واليهود ضد المسلمين (٣٤٦).

وتبقى هذه الاستعارة آخاذة البلاغة والدلالة، فتصور هؤلاء على هيئة المسعورين، وكأنهم ينفثون نارا من أفواههم، أو يضرمونكم بألسنتهم اضرماً، ووقاحة وحباً في المال والغنيمة (٣٤٧)

فهذا النص الكريم يصوّر عن طريق رصد الحركة نظرات المنافقين الذين اعتراهم الرعب الشديد، ذلك الرعب الذي جعل أبصارهم تحدّق إلى الرسول ﷺ وجعل محاجرهم تستدير في عيونهم خوفاً وفزعاً، مثلهم في ذلك كالذي يكون في حال

---

[٣٤٦] وظيفة الصورة الفنية في القرآن (ص: ٢٤٧)

[٣٤٧] الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم (ص: ١٧٥)

الاحتضار فيُعاني من آلام النزع أشدَّها، ويذوق من سكرات الموت أمرَّها، و"يبدو الصدق الفني الواقعي في هذا التشبيه، لأن أدق ما يميز الخائف حركات عينيه، إذ إنه قد يتحكم في أي عضو من أعضائه، وكل حركة من حركات جسمه، بحيث لا يجعل للخوف مجالاً للظهور، لكن شيئاً معيناً لا يمكنه التحكم فيه مهما بلغت قوة أعصابه، ألا وهو حركة العينين، فلا بُدَّ أن تظهر فيهما انفعالاته ورعبه" ، وممّا يلفت النظر في صياغة التعبير هو أن النص أسند الدوران إلى الأعين {تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ} ليلقي في خيال القارئ أن العين كلها تدور لا الأحداق فقط، وفي ذلك إشارة إلى شدة الحركة وكثرة الدوران، ثم إن النص استخدم الفعل (تدور) للدلالة على تلك الحركة المقصودة من بين طائفة من البدائل المُتاحة في هذا المجال، لأن هذا الفعل يدل على استمرارية الحركة وتتابعها على الدوام(٣٤٨).

هذا مع جبنهم ورعبهم وخوفهم الذي هو دليل على ضعف إيمانهم، إن لم يكن دليل على ذهاب الإيمان من قلوبهم.

ومناسبته للجهاد مناسبة تامة تتناسب مع كل عصر مهما تطورت وسائله وأدواته وهو حديث عن النفاق وما يلازمه من جبن وخور مع العدو، وشدة وحدة مع أبناء الأمة في لحظة حرجة يطل فيها النفاق بوجه كالح يمتلئ رعباً خوفاً من التضحية والبذل وهو يتناقض مع قوله تعالى {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} [المائدة: ٥٤] ليصبحوا أعزة على المؤمنين بألسنة حداد أشحة على الخير وأذلة على الكافرين بهذا الجبن .

فالجهاد هو السنة ...والأسوة في رسول الله ﷺ واتباعه أصله في الجهاد ورد المعتدي والوقوف في وجه الظالم، وتحمل الأذى في سبيل الله في النفس أو المصاب في الغير.

ومع أن هذا هو الأصل فالعبرة فيها بعموم لفظها ليعم تأسى الناس به ﷺ في الإيمان والإسلام وكثير من الأحكام، وفي عموم الأفعال.

قال نجم الدين الطوفي :"واعلم أن الاستدلال بهذه الآية على التأسي مبني على أن الآية في نفسها عامة، ثم على أن الاعتبار في العام بعموم لفظه لا بخصوص سببه؛ لأن هذه الآية إنما وردت على سبب خاص، وهو اعتزال المنافقين القتال في غزوة الأحزاب مع مباشرة النبي ﷺ لها، فقيل لهم: هلا تأسيتم برسول الله في لقاء العدو، فلقد كان لكم فيه

٣٤٨) تصوير الانفعالات النفسية في القرآن الكريم (ص: ٢٠)

أسوة، ألا تراه يقول: {يَحْسَبُونَ الْأَحْزابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الْأَعْرابِ يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ وَلَوْ كانُوا فِيكُمْ ما قاتَلُوا إِلاّ قَلِيلاً (٢٠) لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً} (٢١) [الأحزاب: ٢٠ - ٢١] (٣٤٩)

وعامة أهل التفسير على أن معنى قوله تعالى «{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} إنما هو في الجهاد أصالة وفي باقي الأمور بالتبع حيث إنه ﷺ حضر الجهاد بنفسه الكريمة، وباشر موقف الحرب، وهو الشريف الكامل، والبطل الباسل «قال مقاتل بن سليمان: {لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} أن كُسرت رباعيته، وجُرح فوق حاجبه، وقُتل عمُّه حمزة، وآساكم بنفسه في مواطن الحرب والشدة {لمن كانَ يَرْجُو اللَّهَ واليَوْمَ الآخِرَ وذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} يعني: لمن كان يخشى الله ﷻ، ويخشى البعث الذي فيه جزاء الأعمال»(٣٥٠).

فهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي التَّأَسِّي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ؛ قدوة حسنة، وسنة صالحة، لأنه كان أسبقهم في الحرب، وَتَصْبِرُوا عَلَى مَا يُصِيبُكُمْ كَمَا فَعَلَ هُوَ، بأَنْ تَنْصُرُوا دِينَ اللَّهِ وَتُؤَازِرُوا الرَّسُولَ وَلَا تَتَخَلَّفُوا عَنْهُ، فَوَاسَاكُمْ مَعَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ، في مواطن الحرب، فَافْعَلُوا أَنْتُمْ كَذَلِكَ أَيْضًا وَاسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فباشروا معه القتال، وَلِهَذَا أُمِرَ النَّاسُ بِالتَّأَسِّي بِالنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، فِي صَبْرِهِ وَمُصَابَرَتِهِ وَمُرَابَطَتِهِ وَمُجَاهَدَتِهِ وَانْتِظَارِهِ الْفَرَجَ مِنْ رَبِّهِ، ﷻ، دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى لِلَّذِينَ تَقَلَّقُوا وَتَضَجَّرُوا وَتَزَلْزَلُوا وَاضْطَرَبُوا فِي أَمْرِهِمْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ:{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} أَيْ: هَلَّا اقْتَدَيْتُمْ بِهِ وَتَأَسَّيْتُمْ بِشَمَائِلِهِ؟ وَلِهَذَا قَالَ: {لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (٣٥١).

قال الشيخ السعدي:" {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} حيث حضر الهيجاء بنفسه الكريمة، وباشر موقف الحرب، وهو الشريف الكامل، والبطل الباسل، فكيف

٣٤٩) الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية (ص٥٠٤) بتصرف

٣٥٠) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٨٣) موسوعة التفسير المأثور (١٧/ ٧١٢)

٣٥١) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٣٥) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩١) الكشف والبيان (٨/ ٢٢) وانظر تفسير القرطبي (١٤/ ١٥٥) البحر المحيط (٨/ ٤٦٦) الجواهر الحسان (٤/ ٣٤٠) تفسير الماتريدي (٨/ ٣٦٧) وبحر العلوم (٣/ ٥٣) تفسير البغوي (٦/ ٣٣٦) تفسير العز بن عبد السلام (٢/ ٥٦٦) التيسير في التفسير (١٢/ ١٥٨) تفسير الألوسي (١١/ ٢٧٥)

تشحون بأنفسكم، عن أمر جاد رسول الله ﷺ ، بنفسه فيه؟ " فَتأَسَّوْا به في هذا الأمر وغيره (٣٥٢).

فهذه الآية نزلت بمناسبة غزوة الأحزاب حيث تميز رسول الله ﷺ عن جميع الصحابة بشجاعته حين خافوا، وقوته حين ضعفوا. فكان ذكر الآية في غزوة الأحزاب دليلاً في ذاته على قياسية نفس رسول الله ﷺ حتى قال رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب:" من يأتيني بخبر القوم وأضمن له الجنة " فلا يقوم أحد. حتى قال:" قم يا حذيفة "، فقام وهو يقول: والله لولا سماني ما قمت. (٣٥٣) فالآيات تقرر خوف أصحاب رسول الله ﷺ وثباته هو. (٣٥٤).

والأصل الثاني المشهور في سنته واتباعه والتأسي به وطاعته هي قول الله ﷻ: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر: ٧]

وهذه الآية نزلت في الغنائم، وعمَّت سائر الأشياء، فدخل فيها ما أَمر به وسَنَّه ﷺ، وما نهى عنه بالسُّنة، فلا يجوز مخالفته عليه السلام في شيء من أوامره، إلا ما خُصَّ عليه من الخبر، مما لم يتفق المسلمون على إيجابه لا بكتاب ولا سنة، فإنه ﷺ قال في هذا الجنس الذي هذا صفته: "فخذوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فانتهوا"، وقد نزلتْ هذه السورةُ والآياتُ في بني النَّضيرِ حينَ أجلاهُم رسولُ الله ﷺ»(٣٥٥).

إن الآيات الآمرة بطاعة النبي ﷺ والموجبة لاتباعه والتأسي به أكثرها إن لم يكن جلها نزلت في أثناء الجهاد والغزو وهي عامة بلفظها وإن نزلت على سبب خاص وذلك «من خَصَائِصه ﷺ حيث أَن الله تَعَالَى فرض طَاعَته على الْعَالم فرضاً مُطلقًا لَا شَرط فِيهِ وَلَا إستثناء فَقَالَ {وَمَا آتَاكُم الرَّسُول فَخُذُوهُ وَمَا نهاكم عَنهُ فَانْتَهوا} وَقَالَ {من يطع الرَّسُول فقد أطَاع الله} وَإِن الله تَعَالَى أوجب على النَّاس التأسي بِهِ قولا وفعلا مُطلقًا بِلَا إستثناء

٣٥٢) تفسير السعدي (ص٦٦١)

٣٥٣) أخرجه مسلم في (الجهاد / بـ غزوة الأحزاب / ١٧٨٨) من حديث حذيفة.

٣٥٤) في النفس والدعوة (ص: ٥)

٣٥٥) أحكام القرآن لبكر بن العلاء (٢/ ٥٠٢) والصارم المسلول (ص١٨٦) تيسير البيان لأحكام القرآن (٤/ ٢١٥)

فَقَالَ {لقد كَانَ لكم فِي رَسُول الله أُسْوَة حَسَنَة} وَاسْتثنى فِي التأسي بخليله فَقَالَ لقد كَانَ لكم أُسْوَة حَسَنَة فِي إِبْرَاهِيم إِلَى أَن قَالَ {إِلَّا قَول إِبْرَاهِيم لِأَبِيهِ}(٣٥٦)».

هذا فليست سنة النبي ﷺ ترفاً ولا خلوداً إلى الأرض واتباعاً للأهواء، وليست كذلك تشدقاً وثرثرة ، بل إن اتباع الصادق الأمين وطاعته والتزام سنته شرف لا يحوزه أهل الأهواء والبدع ومرضى النفوس ممن يتطاولون على أهل الإسلام ويؤذونهم ويدعون أهل الأوثان ويسالمونهم ، فمن يوالي أعداء الله بموافقته لهم في مواقفهم فهو منهم ، ومن يكثر سواد الظلمة والفاسدين فليس من الله في شيء، وهؤلاء كما قال ابن عقيل الحنبلي :«إذَا أَرَدْت أَنْ تَعْلَمَ مَحَلَّ الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الزَّمَانِ فَلَا تَنْظُرْ إلَى زِحَامِهِمْ فِي أَبْوَابِ الْجَوَامِعِ، وَلَا ضَجِيجِهِمْ فِي الْمَوْقِفِ بِلَبَّيْكَ، وَإِنَّمَا اُنْظُرْ إلَى مُوَاطَأَتِهِمْ أَعْدَاءَ الشَّرِيعَةِ»(٣٥٧).

ولهذا قال ابن حزم «وَلَا إِثْم بَعْدَ الْكُفْرِ أَعْظَمُ مِنْ إِثْمِ مَنْ نَهَى عَنْ جِهَادِ الْكُفَّارِ وَأَمَرَ بِإِسْلَامِ حَرِيمِ الْمُسْلِمِينَ إلَيْهِمْ» (٣٥٨).

وقال الإمام محمد عبده «فَالْقِتَالُ لِحِمَايَةِ الْحَقِيقَةِ كَالْقِتَالِ لِحِمَايَةِ الْحَقّ كُلِّهِ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ» (٣٥٩).

ذكر الله ﷻ الخير مقترنا بالجهاد لما كتب القتال على المؤمنين وهو كريه للنفوس كراهية طبع، قَالَ تَعَالَى:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾[البقرة: ٢١٦].فَالْقِتَالُ كَرِيهٌ لِلنُّفُوسِ، لِأَنَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمُقَاتِلِ وَبَيْنَ طُمَأْنِينَتِهِ وَلَذَّاتِهِ وَنَوْمِهِ وَطَعَامِهِ وَأَهْلِهِ وَبَيْتِهِ، وَيُلْجِئُ الْإِنْسَانَ إِلَى عَدَاوَةِ مَنْ كَانَ صَاحِبَهُ وَيُعَرِّضُهُ لِخَطَرِ الْهَلَاكِ أَوْ أَلَمِ الْجِرَاحِ، وَلَكِنَّ فِيهِ دَفْعَ الْمَذَلَّةِ الْحَاصِلَةِ مِنْ غَلَبَةِ الرِّجَالِ وَاسْتِضْعَافِهِمْ، وَفِي الْحَدِيثِ «لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ فَإِذَا لَقِيتُمْ فَاصْبِرُوا»، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْقِتَالَ مِنَ الضَّرُورَاتِ الَّتِي لَا يُحِبُّهَا النَّاسُ إِلَّا إِذَا كَانَ تَرْكُهَا يُفْضِي إِلَى ضُرٍّ عَظِيمٍ. (٣٦٠).

---

٣٥٦) الخصائص الكبرى (٢/ ٣٤٢)

٣٥٧) الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٢٣٧) الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(ص٤٣٢)

٣٥٨) المحلى بالآثار (٥/ ٣٥٢)

(٣٥٩) تفسير المنار (٢/ ٣٦٥)

٣٦٠) التحرير والتنوير (٢/ ٣٢٠)

وإن ألزم الأحوال في التأسي به وطاعته واتباعه ما كان في الحال الذي نزلت بسببه الآيات وهو حال الجهاد الذي جعله الرسولﷺ ذروة سنام الإسلام وحقيقته ومقصده تعظيم الخالق والرحمة بالخلق بقمع الظلمة لتكون كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم.

بعد هذا البيان القرآني الواضح نجد أناساً من بني جلدتنا يرون الجهاد ضرراً فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الْأَعَاجِمِ. قِيلَ: وَمَا قُلُوبُ الْأَعَاجِمِ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا، سُنَّتُهُمْ سُنَّةُ الْأَعْرَابِ، مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ رِزْقٍ جَعَلُوهُ فِي الْحَيَوَانِ، يَرَوْنَ الْجِهَادَ ضَرَرًا، وَالصَّدَقَةَ مَغْرَمًا» (٣٦١).

ومعنى الحيوان مبالغة في الحياة، كما قيل للموت الكثير موتان (٣٦٢)

وقوله (مغرما) أي: يشق عليهم أداؤها، بحيث يعدون إخراجها غرامة يغرمونها ومصيبة يصابونها اهـ من (٣٦٣).

وقال المناوي في شرح حديث آخر: (قلوب الأعاجم) أي قلوبهم بعيدة من الخلاق مملوءة من الرياء والنفاق (وألسنتهم ألسنة العرب) متشدقون متفصحون متفيهقون يتلونون في المذاهب ويروغون كالثعالب، قال الأحنف: لأن أبتلى بألف جموح لجوج أحب إلى من ابتلى بمتلون (٣٦٤).

وهذه بعض من الآيات الكريمة التي أمرت بطاعة الرسول ﷺ واتباعه وعدم مخالفة أمره في مواطن الجهاد وتوجيهاتها وأوامرها التي اختلطت بالغزوات وما نزل في شأنها نذكر ما تيسر منها-لئلا يطول بنا البحث- وابحث عن نظيراتها تجدها قرنت اتباع النبي ﷺ في كل ما أمرنا به وأولها في الجهاد بالنفس والمال.

قال تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢٤) بَلَى إِنْ

٣٦١) رواه: أبو يعلى مرفوعًا، والحارث بن أبي أسامة موقوفًا. قال الحافظ ابن حجر: "وهو أصح". قلت: والموقوف له حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال من قبل الرأي، وإنما يقال عن توقيف («إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة» (٢/ ٧٩) وصححه الألباني (سلسلة الأحاديث الصحيحة:٢/٧- ٣٣٥٧)

٣٦٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٣ / ٦

٣٦٣) فيض القدير ١ / ٥٢٥

٣٦٤) فيض القدير (٢/ ١٤٩)

تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦) لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (١٢٧) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) } [آل عمران: ١٢٣ - ١٣٢]

وقال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الأنفال: ١]

وقال تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨) إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[الأنفال: ٤٦- ٤٩]

وقال تعالى: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النور: ٥٤ - ٥٦]

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ(٣٤) فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ}[محمد: ٣٣ - ٣٥]

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٦) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١) } [المجادلة: ١٢]

ونختم بهذه اللفتة من السنة وهي تثبت ما أثبته القرآن من صحيح البخاري:

وهي لفتة تتفق على ما ذكرنا من كون الطاعة لرسول الله ﷺ واتباعه وعدم مخالفة أمره وجعل الأسوة الحسنة فيه وحده ﷺ وآخذ ما جاءنا عنه وما آتانا والانتهاء عما نهانا.

فنجد أن صحيح الإمام البخاري لما ساق كتاب الجهاد وجدنا أنه:" يتضمن أكبر عدد من الأبواب (١٩٩) باب، وكثرة أبواب الكتاب هي التي تعطي الفرصة الكاملة لإظهار هذه المنهجية، ولا يزيد على كتاب الجهاد كتاب آخر إلا كتاب التفسير؛ ولكن كتاب التفسير مرتبط بترتيب سور القرآن وترتيب آيات السورة الواحدة ...

مما لا يمكن معه الإظهار المطلوب للمنهجية.

واقتران السِّيَر بالجهاد له معنى إنساني ضخم؛ ذلك لأن السيرة الذاتية للصحابة لا تخرج عن الجهاد، كما أن بداية الكتاب بذكر فضل الجهاد يتفق مع القاعدة الثابتة في ذكر فضل الشيء قبل معناه، وقد صنَّف البخاري كتابين:

الكتاب الأول: الجهاد، والثاني: المغازي، وإن كان الموضوع واحدًا إلا أن هذا الموضوع الواحد له جانبان؛ لكل كتاب جانب؛ فالجهاد والسير يعالج الجانب الإنساني،

بينما يعالج كتاب المغازي الجانب التاريخي؛ ولذلك جاء كتاب الجهاد معالجة كاملة لتكوين المسلم المجاهد.

فلما كانت الأحكام الفقهية هي الضابطة لواقع المسلمين.. امتلأ هذا الواقع بقضية الجهاد، وأصبحت معظم الشواهد والأدلة الفقهية مستدعاة من هذه القضية (٣٦٥).

هذه المعالجة لا تتم ولا يظهر أثرها إلا بمعرفة أصناف أعداء الأمة وهذا تمهيد للحديث عن هذه الأصناف وتلازمها عبر التاريخ ليكون الامتداد تاريخي زمني وإنساني تكويني يحدد مسار المسلم في الحياة ومسار الجهاد فلا يكون في موضع غير موضعه فيفوت مقاصد الشريعة ويكون فسادا وخراباً في الأرض.

ولا يغيب عن آيات الجهاد الحديث عن المنافقين لما لهم من أثر عن المعارك الكبرى والفاصلة، وهذا ما تشير إليه آيات متعددة منها قوله تعالى:﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجاوِرُونَكَ فِيها إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة الأحزاب:٦٠)

الآية احتوت أوصاف ثلاث فئات، ولقد ذكر المنافقون ومرضى القلوب في آيات عديدة منها ما جاء في السور التي سبق تفسيرها وشرحنا مدى أمرهم، والمرجفون يأتي ذكرهم هنا لأول مرة. والراجح أنهم الذين يبثون شوائع السوء وروح الهزيمة ويثبطون الهمم... وما يقومون به من أعمال الضرر والشرّ والأذى فيكون ديدن واحدة هو الإرجاف وواحدة هو الاستهتار بالقيم والأعراض وواحدة هو الرياء والخداع والوقوف من النبي والإسلام والمسلمين موقف التربّص....

فالإنذار هو بصدد ما كان يبدو من الفئات المذكورة فيها من سوء أدب وذوق وبذاءة وأذى وكيد ودسّ وولوغ في الأعراض وإثارة الريب والفتنة سواء أكان في حقّ الله ورسوله أم في حقّ المؤمنين والمؤمنات..

ولقد احتوت الآيات حكماً قرآنياً موكولاً تنفيذه للنبي ﷺ بتأديب هذه الفئات إذا لم تنته عن أذاها وإرجافها بعد الإنذار وهو الطرد وإهدار الدم والقتل دون هوادة وتسامح. واحتوت بالتبعية توطيدا لسلطان النبيﷺ وإيذانا باستعمال القوة والصرامة بحقها...هناك آيات كثيرة في سور عديدة يجيء ترتيبها بعد هذه السورة تدل على أن النبيﷺ قد وسّع

---

(٣٦٥) علم الحديث منظور إعجازي (ص: ٢٠٠، ٢٨٥)

صدره وحلمه لهم مع ما تكررت حكاية القرآن عنهم من مواقف الدسّ والتشكيك والتعطيل والتثبيط وإشاعة الفاحشة والقلق والخوف بين المسلمين في مختلف الظروف بل مع ما ذكرته إحدى آيات التوبة من أنهم (قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إيمانهم)[٧٤] ومع ما أمرته إحدى آيات هذه السورة وإحدى آيات سورة التحريم من مجاهدتهم والإغلاظ عليهم هم والكفار سواء: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ التوبة [٧٣] ، والتحريم [٩] وأنه ظلّ على هذه الخطة إلى آخر حياته»(٣٦٦).

ومن غايات التكرار تقرير المفاهيم والمبادئ وتأكيد الحكم الشرع لخطورة متعلقه.

«أمَرَ اللَّهُ نبيَّه بجهادِ الكفارِ والمُنافِقينَ؛ وذلك أنَّهم أشدُّ أعداءِ الأُمَّةِ؛ فالكفارُ مِن خارجِها، والمُنافِقونَ مِن داخِلِها» (٣٦٧).

وبهذا تبين لنا أن المنافقين من أسوأ أنواع الكفار، ومصيرهم في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، لأنهم زادوا على كفرهم، الكذب والمراوغة والخداع للمؤمنين، مع موالاتهم للكافرين، ولذلك فصل القرآن الحديث حولهم وحول صفاتهم لكيلا يقع المؤمنون في حبائلهم وخداعهم.

والقرآن يقرر أن من تمام خلقه ﷺ جهاد الكفار والمنافقين والغلظة معهم والإغلاظ عليهم، وهو السر في وصف النبي ﷺ بالعظمة في أخلاقه، والمعهود أن يوصف بالكريم فيقال "كريم الأخلاق ولا يقال عظيم الأخلاق.

وهذه لطيفة كان أول من أشار إليها-حسب اطلاعي- الحليمي البخاري الجرجاني، أبو عبد الله (ت٤٠٣هـ) في قوله تعالى {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤] حيث قال: «قال الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} أي عظيم القدر، لا يكون مثله إلا للأنبياء. والأغلب أن الخلق توصف بالكريم دون العظيم، لكن الوصف بالكريم يراد به الثناء على صاحبه بالسماحة والديانة.

ولم يكن خلق رسول الله ﷺ مقصورًا على هذا، بل كان رحيمًا بالمؤمنين، رفيقًا بأولياء الله أجمعين، غليظًا على الكافرين شديدًا على المخالفين.

---

(٣٦٦) التفسير الحديث (٧/ ٤٢١،٤٢٢) بتصرف

(٣٦٧) التفسير والبيان لأحكام القرآن (٤/ ٢١٧٤)

لا يغضب لنفسه ولكن يغضب لربه أشد الغضب حتى ينتقم له.
وكان مهيبًا في صدور الأعداء منصورًا بالرعب ينهزم العدو منه مسيرة شهر فرقا منه.
فلم يكن من حقه أن يقتصر في وصف خلقه على الكريم بل كان الوصف العظيم أولى به ليدخل فيه الإنعام والانتقام معاً، والغلظ والشدة جميعا، ويعلم أنه لم يكن ينصرف راجي خير منه بيأس ولا يسلم له عدو من بأس» (٣٦٨)
وهذا كلام نفيس جداً؛ لأن الشدة على الكافرين، والغلظة عليهم، هي من أكمل الأخلاق وأعظمها؛ لأن مكارم الأخلاق تقتضي وضع الحق في نصابه والسير على شرع الله ومنهاجه، ومن كفر بالله تعالى كان من حق الله على عباده أن يعيدوه إلى الرشد والصواب، رحمة به أولاً، وإعادة له إلى الفطرة التي خُلق عليها ثانياً، وذلك هو ما تقتضيه الحكمة العقلية والفطرة الإنسانية، ولذلك مدحت العرب من يستعمل الأخلاق في مواطنها من رحمة ورهبة، وقسوة ورأفة.. فقالوا:
فَقَسَا لِيزْدَجِرُوا وَمَنْ يكُ حازمًا ... فَلْيَقْسُ أحيْانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ
وقالوا أيضاً:
فوضْع الندى في موضِع السيفِ بالعُلا ... مُضرٌ كوضْعِ السيفِ في موضع النّدى (٣٦٩)
وجملة القول: إن البيان القرآني والممارسة العملية في السنة والسيرة النبوية أثبتت أن الأسوة والقدوة في رسول الله ﷺ كانت في أشد الأمور وأشقها وهو الجهاد "ذروة سنام الإسلام " تنبيهاً بذلك على أنه من باب أولى اتباعه وطاعته ﷺ فيما وراء ذلك من سائر الشرائع والأحكام.
فمن أحبه تأسى به في موطن الجهاد والتضحية والإيثار وهي الأخص والأعلى والأشق، وأطاعه في جميع الأحكام الشرعية والأخلاق النبوية وهي الأعم والأيسر وذلك من تمام المحبة والإيمان.

---

٣٦٨) المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ٧٣)

٣٦٩) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (٧١/١) للدكتور: الحداد أحمد بن عبد العزيز بن قاسم، نشر : دار الغرب الإسلامي : بيروت سنة : ١٩٩٩م

المقاومة والجهاد إحياء للدعوة وتجديد للإيمان.

العودة للجهاد تجديد للإيمان

الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام وهو الدين الذي وعدنا الرسولﷺ إذا عدنا إليه بالعزة والمهابة والتمكين وإذا تركناه سلط الله علينا ذلاً لا ينزعه الله حتى نعود إلى ديننا الذي هو الجهاد.

ومرتبة المجاهدين بعد النبيين والصديقين ومع الصالحين وحسن أولئك رفيقاً وفضائله لا تحصى ونصوصه لا تستقصي.

يقول الشيخ السعدي ﷺ: «حثنا القرآن على الجهاد في سبيل الله تارة بالترغيب في فضله وثوابه، وتارة بالترهيب من عقوبة تركه، وتارة بالإخبار أنه لا ينفع القاعدين قعودُهم، وتارة بتسهيل الطريق في ذلك وقصرها.

فهو ذروة سنام الدين به يحفظ ويتسع، وينصر الحق ويخذل الباطل. قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا} وهم الذين هاجروا في سبيل الله، وجاهدوا أعداءهم، وبذلوا مجهودهم في اتباع مرضاته، {لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} أي: الطرق الموصلة إلينا، وذلك لأنهم محسنون.

{وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} بالعون والنصر والهداية. دل هذا، على أن أحرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد، وعلى أن من أحسن فيما أمر به أعانه الله ويسر له أسباب الهداية، وعلى أن من جد واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية، خارجة عن مدرك اجتهاده، وتيسر له أمر العلم، فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نَوْعَي الجهاد، الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق، وهو الجهاد بالقول واللسان، للكفار والمنافقين، والجهاد على تعليم أمور الدين، وعلى رد نزاع المخالفين للحق، ولو كانوا من المسلمين.

والجهاد في سبيل الله، هو لإعلاء كلمة الله، وابتغاء مرضاة الله والعمل بمقتضى هذا، من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه، فإن هذا هو الجهاد في سبيله وهو من أعظم ما

يتقرب به المتقربون إلى ربهم ويبتغون به رضاه، وإنفاق ما تيسر من الأموال في ذلك المطلوب (٣٧٠).

والجهاد في سبيل الله ماض إلى يوم القيامة مع البر والفاجر، وذروة سنام الدين، ويكون بالعلم والحجة، وبالسلاح، وهو فرض على كل مسلم أن يدافع عن الدين بكل ممكن ومستطاع.

وقد عاب النبي ﷺ على من وضع السلاح، واستبعد أن يكون هناك جهاد بعد أن وضعت الحرب أوزارها.

عن سلمة بن نفيل رضي الله عنه قال: «كنت جالساً عند رسول الله ﷺ فقال رجل: يا رسول الله! أذال الناس الخيل، ووضعوا السلاح، قالوا: لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها. فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه وقال: كذبوا، الآن جاء القتال، ولا تزال من أمتي أمة يقاتلون حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وهو يوحى إلي أني مقبوض غير ملبث، وأنتم تتبعوني، ألا فلا يضرب بعضكم رقاب بعض، وعقر دار المؤمنين الشام» (٣٧١).

فأفاد هذا الحديث استمراريَّة القتال مع العدو حتى قيام الساعة، وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا. فَيَقُولُ: لا؛ إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الأُمَّةَ» (٣٧٢).

ففعل (لا تزال) في الحديثين يفيد الاستمراريَّة، وفعل (يقاتلون) يفيد التجديد، كما أفاد حديث عروة البارقي رضي الله عنه في البخاري أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الأَجْرُ وَالْمَغْنَمِ». وهذا المعنى استنبط منه البخاري رحمه الله هذا فقال: باب الجهاد ماض مع البر والفاجر (٣٧٣).

---

٣٧٠) تيسير الكريم الرحمن (ص١٨٨، ٣٣٢، ٦٣٦، ٨٥٥)

٣٧١) رواه أحمد في المسند، ٢١٥/٢١٤/٤، ورواه النسائي في كتاب الخيل.

٣٧٢) انظر: كتاب الإمارة، باب ٣٤ رقم ٣٥٤٧.

٣٧٣) انظر: كتاب الجهاد، باب الجهاد ماض مع البر والفاجر، ٦/ ٥٦، رقم ٢٨٥٢.

ولما شرح ابن حجر ﷺهذا الحديث قال: «وفيه أيضاً بشرى ببقاء الإسلام وأهله إلى يوم القيامة؛ لأن مِنْ لازِمِ بقاء الجهاد بقاء المجاهدين، وهم المسلمون، وهو مثل الحديث الآخر:» لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق». الحديث (٣٧٤).

يقول السرخسي ﷺ :«فاستقر الأمر على فرضيّة الجهاد، وهو فرض قائم إلى قيام الساعة، قال النبي ﷺ:«الجهاد ماض منذ بعثني الله تعالى إلى أن يقاتل آخر عصابة من أمتي الدجال» (٣٧٥) ويقول ابن الهمام ﷺ:«ولا شك أن إجماع الأمة أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة لم ينسخ، فلا يتصور نسخه بعد النبي ﷺ »(٣٧٦).

ويقول الخرقي ﷺ: «والجهاد فرض على الكفاية إذا قام به قوم سقط عن الباقين» فيفهم من كلامه أنه إذا لم يقم به قوم فينتقل حكمه من الكفاية إلى العينيَّة، وقد فسر ابن قدامة الكفاية فقال: «معنى فرض الكفاية الذي إن لم يقم به من يكفي أثم الناس كلهم، وإن قام به من يكفي سقط عن سائر الناس؛ فالخطاب في ابتدائه يتناول الجميع، كفرض الأعيان، ثم يختلفان في أن فرض الكفاية يسقط بفعل بعض الناس له، وفرض الأعيان لا يسقط عن أحد بفعل غيره، والجهاد من فروض الكفايات في قول عامة أهل العلم» ثم قال: «ومعنى الكفاية في الجهاد أن ينهض قوم يكفون في قتالهم، إمّا أن يكونوا جنداً لهم دواوين من أجل ذلك، أو يكونوا قد أعدوا أنفسهم له تبرعاً بحيث إذا قصدهم العدو حصلت المنعة بهم، ويكون في الثغور من يدفع العدو عنها، ويبعث في كل سنة جيش يغيرون على العدو في بلادهم» (٣٧٧)

وذكر "الدمياطي" في "كتاب الجهاد"-، "وابن النحاس"، وغيرهما: (أن ترك الجهاد في جميع السنين، والإعراض عنه، والسكون إلى الدنيا خروج من الدين.

---

٣٧٤) فتح الباري، ٥٦/٦.

٣٧٥) المبسوط، ٣/٢/١٠.

٣٧٦) «فتح القدير للكمال ابن الهمام وتكملته ط الحلبي» (٥/ ٤٣٩)

٣٧٧) المغني، ١٣/ ٦ ٨، الطبعة المحققة. انظر واقع العالم الإسلامي (١ - ٢) د. أحمد بن عبد الله الزهراني، «مجلة البيان» (العدد١٧٣/) المحرم - ١٤٢٣هـ أبريل - ٢٠٠٢م (السنة: ١٧)

واحتجّوا له، بما روي: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ» (٣٧٨)

قالوا: ومعنى الحديث: أن الناس إذا تركوا الجهاد، وأقبلوا على الزراعة ونحوها، سلّط الله عليهم العدوّ، - لعدم تأهبهم له- ولعدم استعدادهم لنزوله-، لرضاهم بما هم فيه من الأسباب، فأعطاهم ذلاًّ، وهو: أنهم لا يتخلّصون من عدوّهم، حتى يرجعوا إلى ما هو واجب عليهم، من جهاد الكفار، والإغلاظ عليهم، وإقامة الدين، ونصرة الإسلام. اهـ.

فالمخاطب في هذا الحديث الكريم، وغيره، هم: الأئمة، ومعناه: إذا ترك الأئمة الناس، يتبايعون بالعينة، ويتبعون أذناب البقر ... إلخ، فظهر من هذا أن:«ترك الجهاد والاعراض عنه والسكون إلى الدنيا خروج من الدين وكفى بهذا اثماً وذنبا مبيناً.

كما يلزم من تركه فساد كثير بترك إعلاء كلمة الله والذب عن الإسلام والمسلمين، ولذلك عاجلهم على ذلك العقوبة في الدنيا فمن أصر جمع له بين عقوبة الدنيا والآخرة، ومن رجع سلم وفاز بالجنة» (٣٧٩).

قوله (ورضيتم بالزرع) أي بالزراعة التي نهى النبي ﷺ عنها، ورضيتم به بدلاً عن الجهاد، ويحتمل أن يراد بهذا الحديث الاشتغال بالزرع في زمان يتعين عليه الجهاد، والخروج إليه لظهور العدو ونحو ذلك، ويدل على ذلك قوله بعده: (وتركتم الجهاد) الذي تعين عليكم فعله.

(سلط الله عليهم ذلّا) بِضَم الذَّال الْمُعْجَمَة وَكسرهَا ضعفا واستهانة وصغارًا ومسكنة (لا ينزعه) عنكم. يشبه أن يكون الذل هنا هو الخراج الذي يؤدوه كل سنة لملاك الأرض،

---

٣٧٨) أخرجه أبو داود في "سننه" بإسناده، وقال: (حسن). نظر: عون المعبود في شرح سنن أبي داود: ٩/ ٣٣٥، "كتاب البيوع" "باب: النهي عن العينة"، عن نافع عن ابن عمر. والبيهقي في "سننه": ٥/ ٣١٦، "كتاب البيوع" "باب: ما ورد في كراهية التبايع بالعينة". وأورده الزيلعي في "نصب الراية": ٤/ ١٧.

والمتقي الهندي في "منتخب كنز العمال": ٢/ ٢٦٣. والشوكاني في "نيل الأوطار": ٥/ ٢٠٦، وقال: (رواه أحمد وأبو داود، وأخرجه أيضاً- الطبراني وابن القطان وصحّحه، وقال الحافظ- في بلوغ المرام- ورجاله ثقات). وقد صحّحه الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة": ١/ ١٥

٣٧٩) روح البيان (٣/ ٤٦٦) فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب (٦/ ٦٨٥)

فيصير عليهم كالجزية التي يدفعها اليهود كل سنة، وأهل الذل في الزراعة أن اليهود لما فتحت خيبر أخذوها ببعض ما يخرج منها كل سنة، فهو أول مخابرة جرت في الإسلام.

وسبب هذا الذل-والله أعلم-أنهم لما تركوا الجهاد في سبيل الله الذي فيه عز الإسلام وإظهاره على كل دين؛ عاملهم الله بنقيضه، وهو المذلة حين تركوا ما فيه عز الإسلام والركوب على الخيل التي ظهورها عز بل هي أعز مكان، واشتغلوا بالمشي خلف أذناب البقر والسكة التي هي سبب الذل.

وقد فقه هذه الآثار لترك الجهاد الفاروق عمر ﷺ فجعل الجزية على من اتبع أذناب البقر فروى عنه أنه كتب: «من زرع زرعًا واتبع أذناب البقر ورضي بذلك وأقر به جعلت عليه الجزية».

قال مكحول: إِنَّ المسلمين لما قدموا الشام ذكر لهم زرع الحولة فزرعوا، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ﷺفبعث إِلَى زرعهم وقد ابيضَّ وأدرك فحرقه بالنار، ثم كتب إليهم: إِنَّ الله جعل أرزاق هذه الأمة في أسنة رماحها، وتحت أزجتها (٣٨٠)، فَإِذَا زرعوا كانوا كالناس (٣٨١).

(لا ينزعه) أي: لا يرفعه عنكم كما في رواية ابن القطان (حتى ترجعوا إلى دينكم) أي: إلى ما فيه قوام دينكم من الاشتغال بالمكاسب؛ لأن صاحب الدرهم إذا تمكن من الربح الكبير بواسطة المعاملة بالعينة، خف عليه اكتساب وجه المعيشة، فلا يكاد يتحمل مشقة التكسب والتجارة والصناعات الشاقة، وذلك يفضي إلى انقطاع منافع الخلق.

ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجارات، وتقلب المال في أيدي ملاكه الذي هو سبب للبركة.

والربا ومسألة العينة تفضي إلى انقطاع منافع الخلق والحرف والصنائع التي هي من فروض الكفايات، وكذلك الاشتغال بالزراعة يفضي إلى ترك الجهاد الذي هو سببٌ لعز الإسلام واتساع الأرزاق على الصحابة ﷺ .

وفي الحديث: «جعل رزقي تحت ظل رمحي» (٣٨٢)

---

(٣٨٠) أزجتها: الزج: الحديدة التي تركب فى أسفل الرمح. "اللسان" (٢/ ٢٨٥)

(٣٨١) الحكم الجديرة بالإذاعة» (١/ ٢٤١ ضمن مجموع رسائل ابن رجب)

(٣٨٢) علقه البخاري قبل حديث (٢٩١٤) بصيغة التمريض، ووصله أحمد ٢/ ٥٠ من حديث ابن عمر

قوله ﷺ: «وأخذتم أذناب البقر» كنايةٌ عن الاشتغالِ عن الجهادِ بالحرْثِ، والرِّضَا بالزرعِ كنايةٌ عن كونهِ قدْ صارَ همَّهم ونهمتهم، وتسليطُ اللهِ كنايةٌ عنْ جعْلِهم أذلاء بالتسليطِ لما في ذلكَ منَ الغلبةِ والقهْرِ. وقولُه: حتَّى ترجعُوا إلى دينكِم، أي ترجعوا إلى الاشتغالِ بأعمالِ الدِّين، وفي هذه العبارةِ زجر بالغٌ، وتقريعٌ شديدٌ حتَّى جعلَ ذلكَ بمنزلةِ الرِّدة، وفيه الحثُّ على الجهادِ.

وفي الحديث أيضا وهو لفظ الحاكم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن طالت بك مدة يوشك أن ترى قوما يغدون في سخط الله ويروحون في لعنته في أيديهم مثل أذناب البقر».

وفي صحيح مسلم وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس» الحديث، وهذا الحديث من معجزات النبوة فقد وقع ما أخبر به ﷺ فأما أصحاب السياط فهم غلمان والي الشرط ونحوه.

ومعنى الحديث: أن الناس إذا تركوا الجهاد وأقبلوا على الزرع ونحوه تسلط عليهم العدو لعدم تأهبهم له واستعدادهم لنزوله ورضاهم بما هم فيه من الأسباب فأولاهم ذلا وهوانا لا يتخلصون منه حتى يرجعوا إلى ما هو واجب عليهم من جهاد الكفار والإغلاظ عليهم وإقامة الدين ونصرة الإسلام وأهله وإعلاء كلمة الله وإذلال الكفر وأهله.

ودلّ قوله ﷺ:«حتى ترجعوا إلى دينكم»، أَي إِلَى الاهتمام بِأُمُور دينكُمْ جعل ذَلِك بِمَنْزِلَة الرِّدَّة وَالْخُرُوج عَن الدّين، وأظهر ذلك في هذا القالب البديع دلالة على الزجر البالغ والتقريع الهائل، لمزيد الزّجر والتهويل، على أن ترك الجهاد والإعراض عنه والسكون إلى الدنيا خروج عن الدين ومفارقة له وكفى به ذنبا وإثما مبينا، فيه إشارة إلى أن من فعل العينة وترك الجهاد فقد خرج من الدين، وهذا دليل قوي لمن حرم العينة ولذلك اختاره بعض الشافعية وقال أوصانا الشافعي باتباع الحديث إذا صح بخلاف مذهبه.

وفيه: جعل الجهاد هو الدين وأن الذلة لازمة لمن تركه، فإذا ترك قوم الجهاد فتح الله عليهم باب ذلة فلا يغلقه حتى يراجعوا ما تركوه، وفي جمعه ﷺ بين الزرع والاشتغال

به وبين هذا النوع من البيوع نكتة شريفة هي الإشارة إلى أن (المتعلقين) بالزرع هم الذين يلابسون هذا النوع من البيع ويضطرون إليه وهو مشاهد معلوم.

وفي قوله: «حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ» ، زجر بليغ لأنه نزل الوقوع في هذه الأمور منزلة الخروج من الدين وبذلك تمسك من قال بتحريم العينة.

وقيل: إن دلالة الحديث على التحريم غير واضحة، لأن قرن العينة بالأخذ بأذناب البقر والاشتغال بالزرع وذلك غير محرم وتوعد عليه بالذل وهو لا يدل على التحريم، ولكنه لا يخفى ما في دلالة الاقتران من الضعف.

ولا نسلم أن التوعد بالذل لا يدل على التحريم، لأن طلب أسباب العزة الدينية وتجنب أسباب الذلة المنافية للدين واجبان على كل مؤمن.

وقد توعد على ذلك بإنزال البلاء، وهو لا يكون إلا لذنب شديد، وجعل الفاعل لذلك بمنزلة الخارج من الدين المرتد على عقبه، وصرحت عائشة بأنه من المحبطات للجهاد مع رسول الله ﷺ كما في الحديث السالف، وذلك إنما هو شأن الكبائر» (٣٨٣).

روى الترمذي بإسنادٍ صحيح أن رجلاً من المسلمين حمل على صف الروم حتى دخل بينهم، فصاح المسلمون وقالوا: سبحان الله، يلقي بيده إلى التهلكة! فقام أبو أيوب فقال: يا أيها الناس إنكم تتأولون هذا التأويل، وإنما نزلت هذِه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سرًّا دون رسول الله ﷺ : إن أموالنا ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها. فأنزل الله على نبيه ما يرد علينا {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} وكانت التهلكة أموالنا وإصلاحها وترك الغزو، فما زال أبو أيوب شاخصًا في الغزو حتى دفن بأرض الكفر.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في قوله تعالى: {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.

---

٣٨٣) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام (ص: ٣١) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٤/ ٣٨١) فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب (٦/ ٦٨٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٨٤) فيض القدير (١/ ٣١٤) التنوير شرح الجامع الصغير (١/ ٦١٧) البدر التمام شرح بلوغ المرام (٦/ ١٨٨) فتح الودود في شرح سنن أبي داود (٣/ ٥٧٠) أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد (ص٢٦٦) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٥/ ١٠٣) نيل الأوطار (١٠/ ١٩٩)

يأمر تعالى عباده بالنفقة في سبيله، وهو إخراج الأموال في الطرق الموصلة إلى الله، وهي كل طرق الخير، من صدقة على مسكين، أو قريب، أو إنفاق على من تجب مؤنته. وأعظم ذلك وأول ما دخل في ذلك الإنفاق في الجهاد في سبيل الله، فإن النفقة فيه جهاد بالمال، وهو فرض كالجهاد بالبدن، وفيها من المصالح العظيمة، الإعانة على تقوية المسلمين، وعلى توهية الشرك وأهله، وعلى إقامة دين الله وإعزازه، فالجهاد في سبيل الله لا يقوم إلا على ساق النفقة، فالنفقة له كالروح، لا يمكن وجوده بدونها، وفي ترك الإنفاق في سبيل الله، إبطال للجهاد، وتسليط للأعداء، وشدة تكالبهم، فيكون قوله تعالى: {وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} كالتعليل لذلك، والإلقاء باليد إلى التهلكة يرجع إلى أمرين: ترك ما أمر به العبد، إذا كان تركه موجبا أو مقاربا لهلاك البدن أو الروح، وفعل ما هو سبب موصل إلى تلف النفس أو الروح، فيدخل تحت ذلك أمور كثيرة، فمن ذلك، ترك الجهاد في سبيل الله، أو النفقة فيه، الموجب لتسلط الأعداء، ومن ذلك تغرير الإنسان بنفسه في مقاتلة أو سفر مخوف، أو محل مسبعة أو حيات، أو يصعد شجرا أو بنيانا خطرا، أو يدخل تحت شيء فيه خطر ونحو ذلك، فهذا ونحوه، ممن ألقى بيده إلى التهلكة.

ومن الإلقاء باليد إلى التهلكة الإقامة على معاصي الله، واليأس من التوبة، ومنها ترك ما أمر الله به من الفرائض، التي في تركها هلاك للروح والدين.

ولما كانت النفقة في سبيل الله نوعا من أنواع الإحسان، أمر بالإحسان عموما فقال: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان، لأنه لم يقيده بشيء دون شيء، فيدخل فيه الإحسان بالمال كما تقدم.

ويدخل فيه الإحسان بالجاه، بالشفاعات ونحو ذلك، ويدخل في ذلك، الإحسان بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع، ويدخل في ذلك قضاء حوائج الناس، من تفريج كرباتهم وإزالة شداتهم، وعيادة مرضاهم، وتشييع جنائزهم، وإرشاد ضالهم، وإعانة من يعمل عملا والعمل لمن لا يحسن العمل ونحو ذلك، مما هو من الإحسان الذي أمر الله به، ويدخل في الإحسان أيضا، الإحسان في عبادة الله تعالى، وهو كما ذكر النبي ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك».

فمن اتصف بهذه الصفات، كان من الذين قال الله فيهم: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} وكان الله معه يسدده ويرشده ويعينه على كل أموره» (٣٨٤).

يقول حسن البيطار ﷺ:«أَوَ ما علمتم أنَّ أعداءكم -دمَّرهم الله- باحثون عليكم؟ مشتغلون بكل حيلة في نيل الوصل إليكم؟ وقد جمعوا من العَدَد والعُدَد، وأرسلوا جواسيسهم وعيونهم في كل بلد؛ ليخبروهم بما أنتم عليه من التهاون والغفلة؟!

وأن عُدَّتكم بالنسبة إلى عدتهم في غاية الضعف والقلَّة، و {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ٢٤٩]

أَوَمَا بلغكم بما وقع لأهل الجزائر (٣٨٥) وما حولها من المسلمين من الكَفَرة والمعاندين: من إذلال دين سيِّد المرسلين، وأخذ عباد الله المؤمنين؟ فلمَّا عرفوا جميع أحوالكم وما أنتم عليه من عدم احتفالكم بهم واشتغالكم؛ طمعوا لا بلَّغ الله لهم أملًا وقيل المراد، وأجمعوا بدَّد الله شملهم فيما بلغنا عنهم على الخروج لهذه البلاد، والاستيلاء على أموال العباد.

مع أنه بلغنا أيضًا أن من استولوا عليه فهو في الجهد العظيم والعذاب الأليم، قد أُبدلوا بعد العزِّ والفرح غمًّا وحُزنًا، واستولى عليهم الكرب والقرح حِسًّا ومعنًى، قد وُثِّقوا بالسلاسل والحديد، وهم كل يوم في عذاب شديد، وصاروا من جملة المماليك والعبيد. كانوا بالأمس أغنياء آمنين، فأصبحوا فقراء خائفين؛ انتُهبت أموالهم، وتغيَّرت أحوالهم، وفُرِّقت عنهم نساؤهم، وأُخذت منهم بناتهم وأبناؤهم، وصار الكفرة يتنافسون في بيعهم في الأثمان، وجعلوا يفرقونهم في سائر البلدان، ويريدون أن يفتنوهم عن دينهم، ويفسدوا عليهم قوَّة يقينهم.

فما هذه الغفلة عن إخوانكم يا معشر المسلمين؟ وهم منتظرون لكم في كل وقت وحين؛ لا يشبعون من طعام، ولا يجدون راحة في المنام.

فما حال مَن يَبيتُ في السلاسل مغلولًا؟! وبالقيود والأغلال معقولاً؟!

---

٣٨٤) تيسير الكريم الرحمن (ص٩٠)

٣٨٥) هذا قبل قرنين وأما ما تلاه من اجرام فحدث ولا حرج في فلسطين والشام والعراق والحجاز ومصر وليبيا وبلاد الأفغان والهند والشيشان والبوسنة والهرسك والسودان وتركستان وبورما.

لا يستخدمونهم إلاّ بالانتهار والضرب، والشتم القبيح واللطم والسب؛ لا تُدركهم عليهم شفقة ولا رحمة، ولا يُبالون بما كلفوهم في ذلك من كربٍ أو نقمة؛ دموعهم على الوَجَنَات سائلة، وأحزانهم متوالية غير زائلة؛ لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، ولا يقدرون على شيء من الأسباب سرًّا ولا جهرًا، إلاّ البكاء والنَّحيب، والتضرُّع للسميع المجيب، العالِم بأحوالهم، القادر على خلاصهم من أغلالهم وأنكالهم.

فيا لها من حُرقةٍ ما أعظمها في القلوب، ويا لها من حسرةٍ يكاد القلب من سماع حكايتها يذوب؛ لا يغفل عنها إلاّ من عَمِيتْ بصيرته وعظمت جريرته» (٣٨٦).

الجهاد والرباط والمدافعة والمقاومة تجديد للإيمان ونشر لدعوة الإسلام

بهذا ظهر جلياً أن الهلكة في ترك الجهاد، ومن ترك الجهاد كتب الله عليه الذلة والصغار وتسلط عليه الأراذل مما يكون سبباً في فوات مقاصد الشرع بحفظ الدين والنفس والعرض والمال والعقل، وهو فساد كبير لهذا جعله النبي ﷺ هو الدين فقال (حتى ترجعوا إلى دينكم) لأنه به يحفظ الدين وكأنه يقول لكي تحفظوا دينكم جاهدوا الكفار والمنافقين.

بل إن الجهاد والرباط تجديد للإيمان والعمل الصالح والأخلاق الحسنة النبيلة الفاضل والبعد عن دنيا الحياة إلى معالي الدنيا والآخرة.

والجهاد والرباط باب للعمل والاستعداد والاعداد ومجاهدة النفس والترفع بها عن كل قبيح والتحلي بكل خلق فاضل، وفي تاريخ الإسلام رأينا أهل المجاهدة ضربوا الأمثال في الصدق والوفاء والأمانة والرحمة والحلم والزهد والحب والإيثار والصبر والجلد والجود وإقامة العدل والشعور بالمسئولية.

وترك الجدل والشحناء وفساد ذات البين ومجانبة الكذب والنفاق والكبر والبغي والبعد عن التنافس على الدنيا والكيد والإثم والعدوان.

ولقد كانت الصورة المنقولة لأحوال أهل غزة من محبتهم لآبائهم وأبنائهم وتعاونهم مع إخوانهم وجيرانهم مع الرضا عند الفقد والحمد والاسترجاع.

وظهور أخلاق الرحمة بتوقير الكبير والرأفة والرحمة به وبالصغير أثر بالغ على ربوع العالم الذى نهبت المادية الشيطانية روحه وسلبته إنسانيته.

(٣٨٦) إرشاد العباد في فضل الجهاد (ص٢٧) وما بعدها

فكانت رؤية الولد يقبل يد أمه بعد سنوات من الاعتقال سبب في إسلام البعض، وكان تقبيل الفتاة الصغيرة وهي شهيدة قتلت بيد الغدر، باب للتعرف على الإسلام والتحول نحو دراسته ومعرفة أخلاقه.

وإزالة تراكمات على روح مقبورة في مادية حيوانية جعلت كبار رجالات دينهم يزوجون الرجل بالرجل ويعاقبون من يعترض على ذلك.

يقول مصطفى مشهور ﷺ:" والمجاهد يحتاج الى زاد من الإيمان وتقوى الله تعينه في كل مراحل الجهاد، زاد يدفعه الى المسارعة في الاستجابة الى داعى الجهاد دون تردد فلا يثاقل الى الأرض وزاد يعينه على الثبات والإقدام عند الزحف ومجالدة الأعداء دون تفكير في أن يوليهم دبره، وزاد تخلص به نيته من كل شائبة أو أغراض دنيوية كي يفوز بالشهادة الصادقة فتكون نيته أن تكون كلمة الله هي العليا.

ومع ذلك فالجهاد في سبيل الله أيضاً مصدر للزاد، فالمسلم حينما يعيش في جو الجهاد التهيؤ والإعداد له يرتفع ويسمو عن دنايا الأرض ومطالب الجسد و الشهوات ومغريات الدنيا وتسمو روحه ويشرئب بعنقه يتنسم ريح الجنة وما فيها من نعيم، وفي هذا السمو و الترقي و التخلص من جواذب الأرض زاد أي زاد.

المجاهد يقدم على الجهاد لتحقيق النصر والتمكين لدين الله لتسعد البشرية كلها بما يحققه هذا الدين لها من كل أسباب الخير وليجنبها شرور الشرك والضلال ... وهذه الاهتمامات الكبيرة تجعل من صاحبها شخصية لها شأنها ودورها بالمقارنة بأولئك الذين يشغلون أنفسهم ومطالب أجسادهم ولا يفكرون إلا في سفاسف الأمور وفى ذلك ارتقاء وبناء لشخصية المسلم.

الذي يقدم على الجهاد يطمع في رضوان الله والفوز بالنصر أو الشهادة ولا يعقل لمن كان هذا هو حاله أن يبقى في قلبه بغض أو حقد لإخوانه المسلمين ولا يفكر في أن يرتكب إثماً أو يؤذى أحداً أو يغتصب حقوق غيره أو أي شيء يغضب الله تعالى، كيف ذلك وهو على موعد في ساحة القتال والاستشهاد في سبيل الله، وفى هذا التطهر والمجاهدة زاد ينفع ويسمو به، ولو لم يفز بالشهادة في عاجل أمره.

الذى يقدم على الجهاد في سبيل الله يقاوم نزغات الشيطان الذى يريد أن يقعده ويثبط همته حيث يزين له الراحة و الدعة و الزوج والأولاد وما قد يتعرضون له من متاعب

ومن يخلفه فيهم بعده الى غير ذلك من وساوس الشيطان ، وفى هذه المقاومة و المجالدة لنزغات الشيطان تقوية للإرادة وحصانة ، فإيثار ما عند الله على كل هذه الأغراض الدنيوية و التوكل على الله والاعتماد عليه وأنه الصاحب في السفر و الخليفة في الأهل و المال و الولد ، كل ذلك ترويض للنفس وتقوية للإرادة وبناء للشخصية المسلمة على أساس من التقوى وفى ذلك زاد كبير .

لابد للمجاهد أن يأخذ بأسباب القوة : { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال: ٦٠] و القوة لا تقتصر على قوة السلاح و العتاد ولكنها تشمل أيضاً قوة العقيدة ، والإيمان وقوة الوحدة والرابطة وقوة العلم و المال وكل أسباب القوة ، وفى تحقيق ذلك زاد للمؤمن ، وكما يؤخذ بأسباب القوة عليه أن يتخلص من كل أسباب الضعف أو الشعور به ،كضعف الإرادة بالهم و الحزن ، وضعف الإنتاج بالعجز والكسل ، وضعف القلب و المال بالجبن و البخل ، وضعف العزة و الكرامة بالدين و القهر ، والرسول الكريم ﷺ يرشدنا بهذا الدعاء الجامع للتخلص من هذه الأسباب :«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ.» وفى التخلص من أسباب الضعف زاد.

ما أجدر كل أخ مسلم عقد النية على الجهاد أن يخلو الى كتاب الله تعالى ويقرؤه ويقف عند الآيات التي تتصل بالجهاد من قريب أو بعيد، فإن التهيؤ النفسي للجهاد سيجعله يتذوق هذه الآيات تذوقاً جديداً عميقاً وسيخرج من هذه التلاوة بزاد كبير وعبر ودروس كلمات يسترشد بها في كل مراحل الجهاد.

وفى قصة طالوت و الملأ من بنى إسرائيل في سورة البقرة و المراحل التي مروا بها والتصفيات التي تعرضوا لها حتى وصلت تلك الفئة التي صبرت وثبتت ولجأت الى الله تسأله الثبات و النصر ، وتحقق لها النصر بإذن الله : {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا

صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } [البقرة: ٢٤٩ - ٢٥١].

الشعور النفس الذى يخامر المجاهد حينما يرى انتفاش الباطل واستعلائه وتترسه بأسباب القوة الأرضية، وتفوقه في العدد و العدة، وتهديده ووعيده لأهل الحق مما يرهب الناس ، أما المؤمنين الذين يعلمون أن النصر من عند الله وأن القوة لله جميعاً فيزيدهم هذا الوعيد إيماناً مصداقاً لقول الله تعالى:{ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ *إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[آل عمران: ١٧٣، ١٧٥] } .

وهكذا في جو الجهاد يزادا الإيمان بخلاف فترات العافية ، يعلمنا القرآن أن من أهم أسباب النصر ذكر الله و الصبر وعدم الوهن والاستكانة و البعد عن المعاصي وسؤال المغفرة من الذنب و تثبيت الله للمجاهدين : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[الأنفال:٤٥]:{وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ *فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[آل عمران: ١٤٦ - ١٤٨] } فيعلم المجاهدون أن معصيتهم لله أخطر عليهم من عدوهم فيتحرزون من المعاصي أكثر من تحرزهم من عدوهم وفى ذلك زاد كبير .

إن الجهاد في سبيل الله يحتم على المجاهدين أن يكونوا متحابين متآخين مترابطين وكيف يتصور أن يكون في قلوبهم ما يشوب هذا الحب ويضعف هذه الصلة القوية و الرابطة المتينة وكل منهم معرَّض أن يلقى الله شهيداً ، وإن أي تخلٍ منه عن أخيه قد يسلمه وأخاه الى الأعداء ، فلابد من الحب و الثقة والالتحام الشديد : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} [الصف: ٤] وهكذا نرى أن الجهاد يقوى الرابطة بين المسلمين ويدعم معانى الأخوة فى الله التى أدناها سلامة الصدر

وأعلاها مرتبة الإيثار ، والسيرة العطرة تحكى لنا صوراً رائعة من هذا الحب والإيثار بين صحابة رسول الله ﷺ.

الجهاد يكشف المنافقين وأساليب تثبيطهم للمؤمنين وكيف يتحصن المؤمن منهم ومن توهينهم للصف، وما أروع سورة التوبة في فضحهم وفضح أساليبهم ولذلك سميت الكاشفة أو الفاضحة مما يلزم المجاهد أن يعاود قراءتها قراءة دراسة متأنية ليأخذ العبرة والحصانة وفى ذلك زاد كثير، وعلى سبيل المثال هذه الآيات الكريمة: {وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} [التوبة: ٨١]

وقال تعالى: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} [التوبة: ٤٧].

إن أعداء المسلمين يتداعون علينا كما تداعى الأكلة الى قصعتها كما حدثنا رسولنا الكريم ﷺولن يمتنع الطعام على آكليه ما دام شهياً ليناً سهل الابتلاع، ولكنهم سيرفضونه حينما يصير علقماً لا يستسيغونه أو شوكة تقف في حلوقهم فيخشون الاقتراب منه ولن يكون ذلك إلا إذا تخلصنا من كل معاني الغثائية والوهن والضعف وآثرنا ما عند الله وجعلنا الشهادة في سبيل الله أسمى أمنية في حياتنا حينما يقذف الله في قلوب أعدائنا الرعب والمهابة منا.

والمجاهد يستفيد من الحرب و القتال دروساً كثيرة كالجندية و السمع و الطاعة وكذلك الخروج من حوله وقوته الى حول الله وقوته ، وإن كيد الشيطان ضعيف وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله وغير ذلك من المعاني التي هي بمثابة قوة وزاد لصاحبها على الطريق ، كما أن القتال في الإسلام له آداب وحدود تتخلله الرحمة رغم قسوة الموقف فلا مثلة ولا سرقة ولا انتهاب للأموال ولا انتهاك للحرمات ففي حديث بريدة ﷺ قال : (كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر الأمير على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً) رواه مسلم (٣٨٧).

إن الشهيد هو قلب التاريخ النابض بالحياة. وكما يَهب القلب الحياة والدم للشرايين اليابسة، تكون الشهادة دماً يجري في شرايين مجتمع يسرع نحو الموت ويفقد أبناؤه

٣٨٧) زاد على الطريق مصطفى مشهور (ص: ٩١، وما بعدها)

الثقة والإيمان بالقيم، مجتمع آثر الاستسلام وتناسى المسؤولية والإيمان بالإنسان وتلاشت حيويته وحركته وتجمد إبداعه..

إن "الشهادة" تعطي مثل هذا المجتمع دماً وولادة وحركة جديدة، وأكبر معاجز الشهادة هي إيصال الحياة والدماء إلى الأجزاء الميتة من ذلك المجتمع من أجل ولادة جيل جديد وإيمان جديد!!

ان الشهادة هي الشيء الذي يتغلغل في أعماق التاريخ لتكون قدوة لمن يأتي ويريد أن يكون وهي إدانة لهذا العصر الذي يمضي بصمت، ثم أنها الطريق الوحيد وشكل المقاومة الوحيد وعلامة الحضور والدفاع عن العدل والصدق والحق " كما يقول على شريعتي

(*) المعنى الحضاري للجهاد: الجهاد يعكس مفهوم -الأمن الإسلامي- الذي يركز على إيصال الرسالة، وتبليغها إلى الآخرين بغية توفير الأمن الفكري والمادي والنفسي لبقاء النوع البشري ورقيه. ذلك إن مصدر الخطر على بقاء النوع البشري ورقيه -حسب التصور الإسلامي- يكمن في "القيم" التي تكفر -أي تحجب وتخفي- قوانين الخلق في النشأة والمصير، وتقتصر على نوازع التمتع بالحياة وشهواتها، ومن هذا -الكفر- تتشوه جميع أشكال الاعتقاد والشعور، والممارسات في ميادين السلوك والاجتماع والعلاقات حتى إذا ظهر أهل الكفر في الأرض أشاعوا الفتن، والمظالم السياسية والمفاسد الاجتماعية، وردوا شبكة العلاقات الاجتماعية إلى عهود الغاب والهمجية والتخلف.

ولذلك كان طلب بذل النفس لمحاربة قيم الكفر ومؤسساته وممثليه، وبذل المال لنشر قيم الرسالة الإسلامية، وإقامة مؤسساتها والإنفاق على العاملين والدارسين فيها حتى يتحقق التفوق للقيم الإسلامية، فيشيع السلام ويكون الدين كله لله.

وهذا المفهوم الإسلامي للأمن، والسلام يختلف تمام الاختلاف عن مفهوم الأمن القومي الذي ترفع لواءه المجتمعات المعاصرة، وتتخذه ذريعة للممارسة مختلف أشكال العدوان ضد بعضها البعض.

وتعريف الجهاد-بالشكل المذكور-، يجعل ترجمة هذا -المصطلح- إلى اللغات الأخرى أمرا صعبا وضارا. فهو صعب؛ لأنه لا يوجد ما يقابله في اللغات الأخرى، وهو

ضار؛ لأن الترجمة تشوه معناه كما حدث لترجمته إلى اللغة الإنكليزية التي أطلقت عليه اسم -الحرب المقدسة Holy War- حيث عممت مظهرا واحدا من مظاهر الجهاد، وطمست بقية المظاهر.

ولا بد هنا من الإشارة إلى أثر تراث ما قبل الإسلام في تطبيقات الجهاد عند الشعوب الإسلامية. فالعربي فهم المظهر المرادف لثقافة الغزو الذي كانت القبائل العربية تمارسه قبل الإسلام.

والمسلم الباكستاني جذبه المظهر النفسي المشابه لثقافة التقشف الهندوسي، التي كان عليها في جاهليته.

وهذا كله من سوء التأويل الذي تتسبب به الموروثات الثقافية السابقة، إذا لم تقم التربية بدورها في الجهاد التربوي الذي يستهدف تزكية مناهج الفهم والتطبيق (٣٨٨).

وتبلغ الإرادة درجة النضج حين يصبح الفرد مستعدا لبذل النفس، والمال في سبيل المثل الأعلى. ويشير القرآن إلى هذه الحالة من الاستعداد في مواضع كثيرة جدا، كذلك تدل وقائع التربية النبوية على أن الرسول ﷺ كان يشترطها ويجعلها شارة الإيمان وصدقه.

والإنسان عنده ميل فطري إلى أن يضحي بنفسه، وماله في سبيل المثل الأعلى، بل إن هذه التضحية هي أمر راسخ في فطرة الإنسان وجزء من وجوده، وما تعظيم الشجاعة عند البشر إلا تقدير لقيمة التضحية في سبيل المثل الأعلى، ولذلك جعل الجهاد أفضل الأعمال.

والتربية الإسلامية لا تجيز هذه التضحية في سبيل -مثل سوء- يحط بالنوع الإنساني ويثقل ميزان الشر. ومن هنا كان التنديد بالقتال في سبيل مثل الجاهلية، وميتات العصبية والانتحار. ومثله التنديد بالذين يفقدون إرادة التضحية في سبيل المثل الأعلى، ويحرصون على أية حياة ولو كانت حياة الهوان والاستضعاف.

ولكن نمو الإرادة ونضجها يحتاجان إلى شروط معينة، وأي خلل في هذه الشروط ينعكس آثاره سلبيا على الإرادة التي يراد تنميتها. أما هذه الشروط فهي:

---

[٣٨٨] أهداف التربية الإسلامية (ص: ٢٤٨)

أولا: أن تنمو لدى الفرد القدرات العقلية، وتزكو أساليب التفكير وخطواته التي عرضت في تربية وظيفة والعقل.

ثانيا: توفير البيئة التي تسهل للفرد أن يعيش تطبيقات المثل الأعلى ويمارسها.

ثالثا: الاستمرار في عرض المثل الأعلى على الفرد حتى درجة الرسوخ، والإحاطة بالكليات والجزئيات.

رابعًا: اقتناع الفرد بحاجته إلى المثل الأعلى المعروف، وبأضرار "مثل السوء" الذي يعارضه ويتنافى معه.

خامسا: تحرير الفرد من الموروثات الاجتماعية والثقافية التي تخالف المثل الأعلى المعروض.

فالجهاد عملية جراحية لاستئصال الأعضاء البشرية الفاسدة، حتى لا ينتشر فساد إرادتها إلى بقية البشر، وحتى تكسر الحواجز أمام المثل الأعلى الذي تريد هذه التربية أن تعرضه على عقول الأفراد الذين لم يروه (٣٨٩).

(*) الجهاد هو دوران "الأشخاص والأشياء" في فلك "أفكار" الرسالة وتطبيقاتها:

والتطبيق العملي للدوران المذكور هو أن يكون "الولاء" للرسالة هو محور الأنشطة التي تكرس خلالها طاقات الأشخاص، ومقدرات الأشياء في الأمة في سبيل تطبيق "أفكار" الرسالة في الداخل ونشرها في الخارج. وبذلك تصبح "أفكار" الرسالة هي غايات الحياة بينما يشكل جهاد الأشخاص، وبذل الأشياء في هذ الجهاد دور الوسائل العامة لتحقيق هذه الغاية.

وبتعبير آخر "يخلف أشخاص الأمة" الرسول في نصرة "أفكار" الرسالة فتظهر -الخلافة- وتحدد مواقع الأفراد، ووظائفهم طبقا لدرجة قدرتهم على "خلافة" الرسول في "فقه" أفكار الرسالة، وتطبيقاتها والإخلاص في حملها. وتطابق مواقف "الخلفاء" مع نموذج الرسول في الفقه، والتطبيق يؤهل خلافتهم لتوصف بأنها خلافة راشدة. وتتفاوت سعة "الخلافة" بتفاوت مسئوليات الأفراد حيث تبدأ من مسئولية الفرد في أسرته، أو متجره أو وظيفته حتى تبلغ أقصى سعتها في -الخليفة الحاكم- الذي يدير السياسة ويصرف

---

[٣٨٩]) أهداف التربية الإسلامية (ص: ١٢٨،١٣٦)

الأمور العامة. وهذا التجانس بين قمة الخلافة وقواعدها هو بعض ما تعنيه القاعدة الإسلامية القائلة: "كما تكونون يول عليكم"(٣٩٠).

وفي حالة الصحة تستمد عناصر الأمة: أي عناصر الإيمان، والهجرة والمهجر، والجهاد والرسالة، والإيواء، والنصرة، والولاية محتوياتها من أفكار "الرسالة" الإلهية، وتستثمر في سبيل تطبيقات الرسالة ونشرها (٣٩١).

(*) الجهاد نبالة الغايات وصوابيه الأهداف:

فالمدرسة العسكرية المسلمة مؤسسة تربي عقل الجندي وإرادته على أن الجهاد في سبيل الله معناه إقامة القسط بين الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الفتن والفساد الكبير. أما المدارس العسكرية الأخرى فغايتها تحقيق شهوات النفس في المال والجاه، لدى الأفراد الأقوياء والطوائف والأمم التي ما زال تراثها ملوثا بالمقولة الإبليسية: ((أنا خير منه))، وما تفرزه من شهوة التسلط والاستضعاف.

اما الاكثرية فان اقتال عندها مجرد وظيفة يمارسها الجندي مقابل أجر معين ولذلك تجده مجرداً من الاخلاق والعواطف الانسانية والارادة النبيلة يقاتل ولا يدري لماذا يقاتل؟ انه يقاتل فقط لإرضاء قياداته التي تدفع له الاجر وهذه هي السمة الغالبة لجيوش الاستعمار الحديث ومدرسته العسكرية.

والأصول العسكرية في القرآن والسنة، هدفها تربية جيوش واعية، قلوبها مستنيرة، وإرادتها مخلصة، أشداء على الأعداء، رحماء بالأمة، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخشون لومة لائم (٣٩٢).

فالجهاد علو على الأنانية الفردية وتعظيم النفس بالغرور والكبر، وهو كذلك علو على الآبائية وصنم العصبية القبلية ودخول للفرد في مجموع الأمة، وهو علو على التراب من أجل إحياء المكان والزمان بالهدف السامي وهو تعظيم الخالق والرحمة بالخلق.

ويلاحظ أن التوجيه إلى ولاية المؤمنين لله، ونصرته كان في الفترة المكية بينما كان التبشير بولاية الله للمؤمنين، ونصرتهم في الفترة المدنية. وهذا يعني أن تربية المؤمنين

---

٣٩٠) ابن تيمية، الفتاوى، كتاب قتال أهل البغي، (٣٥/ ٢٠)

٣٩١) أهداف التربية الإسلامية (ص: ٣٧٤)

٣٩٢) مؤسسات التربية الإسلامية (ص:٨٤، ٨٧)

على ولاية الله ونصرته يجب أن تسبق تربيتهم على توقع ولاية الله لهم، وأن تكون شرطاً مسبقاً لها، ثم صيانة هذا الولاء من الانحسار إلى دائرة "الأشخاص" بأطوارها المختلفة التي مرت حتى لا تتعرض الأمة للمرض، وصيانته من الانحسار إلى دائرة "الأشياء" حتى لا تتعرض الأمة للوفاة!!(٣٩٣).

يقول محمد عبد الله دراز ﷺ:" إن الله إنما يكتب نصره لأمة لم تفرط في حقها، ولم تستسلم لعدوها، ولم تفقد ثقتها بنفسها، ولم تنس إيمانها بربها، وكذلك برهنت أمتنا على أنها كانت خليقة بنصر الله لها إذ أثبتت أنها تملك من هذه الخصائص الغالية ما كان شجاً في حلوق حسادها، وغيظاً في صدور أعدائها"(٣٩٤)

والجهاد شيوع للأخلاق الفاضلة وقطع لكثير من الشهوات التي تقود إلى الموبقات وقبيل "طوفان الأقصى" كان الحديث يدور حول المثلية والنسوية وشيوع الإلحاد، وبعدها أصبح الحديث يدور حول الصبر وعدم قبول الظلم والبحث عن هذا الدين الذي يجعل الناس تصبر على القتل والجرحات وتعلو فوق مطالب عموم الناس.

وتنتشر الأخبار عن مشاهير دخلوا في دين الله لما رأوا انتصارات المرابطين والمجاهدين وعلو على الآلام والجراحات وتمسك بالدين والدفاع عن المقدسات والمظلومين وأخلاق فاضلة مع أسرى عدو لا عهد له ولا ذمة.

وأما الانغماس في الشهوات، وانتشار روح المنافسة والصراع فهو عمل الأمة الميتة التي تتصف بإيثار الدنيا وانحصار وانحسار عنصر الجهاد، والنصرة في الصراع من أجل حطام الدنيا والانغماس في شهواتها. وهو ما يشير إليه قوله -ﷺ: " .... فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ» ... (٣٩٥).

٣٩٣) أهداف التربية الإسلامية (ص: ٤٥٠)

٣٩٤) نخبة الأزهار ص ٢٢٨

٣٩٥) الحديث أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد في المسند وغيرهم. انظر: فتح الباري، كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة، مع أهل الحرب (٦ / ٢٥٨)، حديث رقم (٣١٥٨) ، وكتاب المغازي، الباب (١٢) (٧ / ٣١٩ - ٣٢٠) ، حديث رقم (٤٠١٥) ؛ وصحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق الحديث رقم (٢٩٦١) (٤ / ٢٢٧٣) ، وسنن الترمذي -كتاب صفة القيامة - الباب (٢٨) ، ج٤ حديث رقم (٢٤٦١) ، وقال فيه الترمذي: " هذا حديث حسن صحيح "؛ وسنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة المال، حديث رقم (٣٩٩٧) (٢ / ١٣٢٥) ؛ ومسند أحمد (٤ / ١٣٧- ٣٢٧) وانظر: أهداف التربية الإسلامية (ص: ٤٢٥)

ولقد أصبح التفكير في هموم أبناء الأمة والتألم من أجل هؤلاء الذين وقع عليهم الحصار والقتل مجدد للإيمان وموقظ للولاء لله ولرسوله وللمؤمنين :" لإن الامتداد الحقيقي للأمة المسلمة في التاريخ هو امتداد فكري لا مكان لعصبيات الدم فيه، وهذا ما توجه إليه الآيات التي رسمت الخطوط العريضة لهذا البحث، وذلك عند قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

ف"المؤمنون"، المهاجرون، المجاهدون -حسب المفاهيم التي مرت في هذا البحث- هم الامتداد الحقيقي للأمة المسلمة "من بعد" عصر النبوة، وليسوا ذرية الدم المتحللين من تكاليف "الإيمان"، الرافضين "هجرة" قيم العصبية والآبائية، المضيعين لـ "الرسالة"، الناكصين عن "الجهاد" في سبيلها.

ويلاحظ أن الآية أوردت ثلاثة من العناصر المكونة للأمة المسلمة كصفات مميزة لامتداد هذه الأمة عبر التاريخ. وهذه الصفات هي: الإيمان، والهجرة، والجهاد ويضاف إليها الإيواء، والنصرة. (٣٩٦).

ولقد أصبحت هذه الأهداف متحققة بعد يقظة وعي الأمة وسعيها بل بدأت تتسع دائرتها حتى أصبحت المقاومة (الرباط والجهاد) سبيلاً لدخول الناس في دين الله أفواجاً.

وعادت حركة المجتمعات المسلمة لمحاولة تجاوز الشعور بحمل هم أهل الحصار وتأييد أهل الجهاد والرباط = المقاومة، وتعدى ذلك لتمني مكانهم اعجاباً بهم وتأييداً لهم، وشعور بحقيقة "أمة الجسد الواحد" والتي مهمتها ومقصدها إخراج الناس من الظلمات إلى النور ورفع الظلم عن الخلق تعظيماً للخالق الحق ﷻ

وتمكنت حركة الجهاد والرباط =المقاومة من شق طريقها إلى قلوب غير المسلمين ليبحثوا عن الإيمان ويدخلوا في الإسلام بلا جهود دعاة ولا مؤسسات دعوة في مجتمعات سحقتها المادية ودمرتها الشهوة فنادوا بالمثلية والنسوية وفراغ روحي قتل في غالب البشر كل شيء إلا الشهوة.

---

٣٩٦) أهداف التربية الإسلامية (ص: ٤٥٠) بتصرف.

ولا نستبعد انحسار نسب الانتحار عالمياً وانخفاض معدل الجريمة في هذه الفترة بالنسبة إلى غيرها.

وذلك سببه التغييرات العالمية الكبيرة التي أحدثتها المجازر والمحارق الإسرائيلية على غزة (بعد طوفان الأقصى)، والصمود الأسطوري الذي أظهره شعبها وتمسكه بحقوقه وتشبثه بأرضه، وهو جزء من الصراع الإنساني بين الحق والباطل، وأصبح الدعم واجبُ جميعِ أصحاب الضمائر.

وقد بدا الدعم في الغرب للقضية الفلسطينية على المستوى الشعبي أكثر انتشارا من أي وقت مضى. وشهدنا تحركات شبابية تصل لمجلس الشيوخ الأميركي، وتحاصر وزير الخارجية بالهتافات والشعارات، وتلاحق غيره من السياسيين الغربيين احتجاجا على مواقفهم المؤيدة لحرب الإبادة الإسرائيلية على القطاع وساكنيه.

ساهمت معركة طوفان الأقصى إلى فتح باب الهجرة العكسية من إسرائيل كنتيجة مباشرة لفقدان الأمن الإسرائيلي وتراجع أداء الاقتصاد، وتفاقم أزمة الانقسام الداخلي بإسرائيل، وارتفاع معدلات البطالة نتيجة توقف المنشآت الصناعية والسياحية والخدمية وخروج بعضها عن العمل جزئيًا أو بشكل تام، بجانب زيادة معدلات الجريمة والانتحار والإحباط واليأس بسبب الفشل الأمني والعسكري الإسرائيلي في إدارة الأزمة الراهنة.

وكشفت عملية "طوفان الأقصى" النقاب عن نشوء ظاهرة النزوح الداخلي للمستوطنين الهاربين من مناطق غلاف غزة، وما ينجم عنها من آثار اقتصادية واجتماعية ونفسية في شريحة واسعة من المستوطنين. حيث أعلن الجيش الإسرائيلي أن ٥٠٠ ألف نزحوا داخل إسرائيل، وهم مستوطنون مهاجرون في الأصل، فيما أخليت مدينة سديروت بالكامل، وهي تضم نحو (٢٠) ألف مستوطن، كما يتم إخلاء المستوطنات القريبة من الحدود الشمالية مع لبنان (اختلالات معيشية) لها ما بعدها.

وأثار طوفان الأقصى أسئلة كثيرة لدى الضمير الشعبي العربي، تحمل في طياتها إجاباتها في كثير من الأحيان من مثل: هل هذا هو جيش إسرائيل الأخلاقي الذي لا يقهر؟.

ثم إذا كانت العسكرية الإسرائيلية عاجزة عن حسم معركة مع قطاع محاصر منذ سنوات، فماذا كانت تفعل الجيوش العربية في حروبها السابقة مع إسرائيل؟

ولماذا كانت ولا تزال صفقات التسليح التي كلفت الدول العربية ميزانيات فلكية، إذا كانت جيوشها أضعف من أن ترد عدوا وأقل من أن تنصر حقا؟.

وما جدوى التطبيع مع كيان شديد التوحش لا يأبه بقانون إنساني ولا دولي في حسم خلافاته وتصفية حساباته؟

كان تفجر الغضب الشعب الغربي واحدا من أهم نتائج ما حدث في قطاع غزة من مجازر ومحارق ودمار، وعلى الرغم من أن المواقف الرسمية الغربية كانت في مجملها منحازة للموقف الإسرائيلي الوالغ في الدماء والقتل، فإن المظاهرات الحاشدة وغير المسبوقة في عواصم ومدن غربية كبرى دفعت بالعديد من السياسيين الغربيين لمراجعة مواقفهم وحساباتهم (٣٩٧).

وهذا بدوره يعود على الوعي والعقل الجمعي ليحدد موقفه من هؤلاء الحكام الذين "يطبعون" ويتولون كياناً منحط الأخلاق وتحكمه عنصرية بغيضة لا يعترف لا بالدين ولا يقيم وزن للأخلاق ولا يعبأ بالقانون الدولي ولا الأعراف الإنسانية.

وهذا في حد ذاته خطوة مهمة لنعرف السر وراء الحديث الدائم والمتكرر في القرآن عن المنافقين واليهود وتلازم ذكرهما من أول يوم للهجرة المحمدية وحتى لحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى.

وبدا واضحاً أن الشعوب في واد وغالب الحكام العرب في واد آخر وهذه تعتبر آخر مرحلة من مراحل الحكم الجبري القهري، والأمر كما قال مالك بن نبي:«أما اليوم فالمعركة من الداخل وبين جدران القلعة، بين أولئك الذين يريدون الدفاع عن القلعة والذين يريدون تسليمها إلى الأفكار الأجنبية» (٣٩٨).

---

٣٩٧) مقال "تغييرات عملية طوفان الأقصى العالمية والبناء عليها"، ياسر سعد الدين بتاريخ ٢٠٢٣/١١/٢٦م موقع الجزيرة.

https://www.aljazeera.net/news/humanrights/2023/11/26/%D8%B9%D9%85%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%B7%D9%88%D9%81%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%82%D8%B5%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%86%D8%A7%D8%A1

٣٩٨) مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي(ص١٠٩)

وقد زاد الوعي وراج سوق الأسئلة (هؤلاء محاصرون ويبتكرون ويصنعون وهؤلاء يشترون ولا يدافعون ولا يساعدون من يدافع بل يتعاونون مع المحتل ويريدون الإجهاز على فكرة المقاومة في بعدها الديني والأخلاقي بعد سنوات من طمس مصطلحات الجهاد والرباط والتوجس من مفاهيم الثورة والتغيير.

واعتقد جازماً أن هؤلاء تجاوزتهم الأمة حتى ولو كانوا جاثمين على صدرها وعلى أبناء الأمة المصلحين التفكير في سؤال وماذا بعد ...؟ وذلك بإعداد واستعداد.

قال الإمام محمد البشير الإبراهيمي ﵀:" أيها المسلمون: لا تظنوا أن الدعاء وحده يرد الاعتداء، إن مادة دعا يدعو، لا تنسخ مادة عدا يعدو؛ وإنما ينسخها أعد يعد، واستعد يستعد، فأعدوا واستعدوا تزدهر أيامكم، وتظهر أمجادكم (٣٩٩).

وأصبحت وسائل التواصل هي وسائل للتواصي بالحق والتواصي بالمرحمة.

وكثير من الشباب الغربي مصاب بالدهشة ممّا رآه في الفيديوهات من صبر الثكالى والأرامل وحوقلة الآباء واسترجاعهم أمام أشلاء أبنائهم.. والسبب هو أنّ الغرب يعيش أزمة " معنى الحياة" منذ القرن التاسع عشر.. وأمام فاجعة العدمية، وفشل الحلول الواهمة للفلاسفة الملاحدة، مثل إرادة القوة عند نيتشه والتصالح مع المأساة الوجوديّة عن كامو، وغيرها تحوّل كثير من الناس عن طلب معنى الحياة meaning of life إلى طلب وسائل البقاء على الحياة means of life.. ولكن لا بدّ أن تصحو الناس المخدّرة بطلب استبقاء الأنفاس وإشباع النهمات الماديّة عند لحظات الوعي العقلي أو الأزمات النفسية الصادمة، لتسأل عن سبب حقيقي من الممكن أن يعيش الإنسان لأجله.. **ذاك "السبب" الذي لم يجده الشباب الغربي -المرفّه ماديًا- في بيئته، وجده في الصابرين من أهل غزّة .**

إنّ الأمر أكبر من (إرادة الحياة) وابتسامة "سيزيف" الراضي برفع الصخرة إلى الأبد، بلا أمل (في أسطورة سيزيف عند كامو).. إنّه طلب رضوان الله في الدارين.. فمن قطع حبل الإيمان المدود، تلقّفته مشانق العدميّة ..وهذه هي الحقيقة مشرقة من تحت ركام الهدم في غزّة..

---

(٣٩٩)آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٣/ ٤٧٠)

إننا أمام "طوفان" دعوي وأخلاقي وتجديدي وإحيائي هز البشرية هزاً -عنيفاً أو لطيفاً- في كل مكان على اختلاف الأوطان والمذاهب التي يعتنقها الناس ومع اختلاف اللغات والألوان، فأعاد بعض الناس إلى فطرتهم وحرك فيهم الخير والإنكار للظلم ومنهم من خطا خطوات واسعة نحو دين الله فطرة الله التي فطر الناس عليها.

وتعجب من هؤلاء الذين أصبحوا (أشحة على الخير) ممن هم من بني جلدتنا ويتحدثون بألسنتنا ممن يهاجمون ويشوهون هؤلاء الأبطال الذين يسيرون على أقدامهم حاملي أرواحهم لتكون كلمة الله هي العليا وليرفعوا الظلم عن أهليهم والدنس عن مقدساتهم.

ولو كان هؤلاء كفرة لا يؤمنون لوجب علينا الوقوف معهم في مقاومة المحتل فكيف وهم يدافعون عن مهبط وحي الله وأرض المحشر والمنشر وأرض الإسراء؟

ولو كان هؤلاء يقاتلون من أجل أسير في سجون المحتل لوجب على الأمة كلها الجهاد ووجب كذلك إعانة من يقاوم ويقاتل لفك أسير من أسرى المسلمين يقول حسن البيطار: «ولو أَسَرَّ الكفار مُسلمًا فيجب النهوض إليهم -لخلاصِهِ إنْ توقعناه ولو على نُدور- وجوبَ عَيْنٍ كدخولهم دارنا، بل أولى؛ لأنَّ حُرمة المسلم أعظم» (٤٠٠)

وهذا باب من أبواب تجديد الإيمان يميز الله به بين المؤمنين والمنافقين بين من ولائهم لله ولرسوله وللمؤمنين وبين من أصبحوا دعاة على أبواب جهنم يصدون عن سبيل الله ولا يدفعون عن مظلوم ولايتهم للشيطان وأعداء الحق والعدل والخير أعداء الدين ممن تسلطوا على الخلق من الكفرة الطواغيت والفجرة الظلمة.

لقد كانت المقاومة تجديد للإيمان بحفظ مقدسات وثروات وتراث الأمة، وبالغيرة على القرآن والرسول ومساجد يذكر فيها اسم الله، ولقطع ألسنة المتطاولين على الله ﷻ والمتجرئين على الرسولﷺ والشريعة والمدنسين لحرم الله المقدس.

بدأ العالم بكل طوائفه وأطيافه ينتبه لخطر الأفعى اليهودية ونكابتها في الاقتصاد بأكل السحت، وبسقوطها الأخلاقي بنشر الرذائل الفكرية والخلقية والوقوف وراء الموبقات بل وكل ما ينزل بالبشرية للحضيض.

بدأ الناس يتذكرون آنانية هؤلاء وحبهم للدنيا وكراهيتهم للموت وعنصريتهم لجنسهم واحتقارهم لسائر الخلق.

---

(٤٠٠) إرشاد العباد في فضل الجهاد» (ص٢٢) بتصرف

وهذا الوعي في مدة تزيد على شهرين دمرت عمل عقود كانت مليئة بالكذب والزور والبهتان والتشويه والرذائل والموبقات والفساد في ربوع العالم، سنوات خداعات صدروا لنا صور أبطال اللعب والفن الذين يعبثون بدين الناس وأخلقهم وقد زيفوا كل المعاني الجميلة وشوهوا كل فضيلة.

هؤلاء الذين وصفهم الله بكل نقصية: {كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [المائدة: ٦٤]

هم أهل الخراب والتخريب والافساد والكذب والسحت والتزوير والتشفي بقتل الناس والاستخفاف بسفك دمائهم

لقد كان الطوفان فتحاً جديداً لقلوب وعقول كانت مغلقة يغلفها حُجُب من الكذب والتزوير، وستصبح آثار هذا الطوفان وهذا الجهاد وهذه المقاومة فاتحة لخير قادم للبشر جميعاً أقله كف أيدي هؤلاء المفسدين والوقوف في وجه بهتانهم وضلالهم وإفسادهم.

وأما هؤلاء الذين يتحدثون بألسنتنا ومن بني جلدتنا مؤيدين لعدونا هؤلاء {شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ} [الأنفال: ٢٢، ٢٣].

وقال الله فيهم{ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ * وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ *} [التوبة: ٤٤ - ٤٧]

الجهاد دعوة دعاتها المرابطون

يتفق العقلاء على أن الممارسة الصحيحة هي باب للتأسي والاتباع، والبشر دائماً بفطرتهم يملون للأشياء العظيمة وخاصة في جانبها الفكري وأثرها في الواقع، يعجبون بها ويقلدونها بل ويصبحون من مؤيديها ،ويصل بهم الأمر حتى يصبحوا من دعاتها وهذا ما حدث بالفعل بعد طوفان الأقصى وهو ما يشير إليه قوله ﷺ «**لا يزال الله يُزيغ**

قلوب أقوام تقاتلونهم ويرزقكم الله، ﷻ ، منهم»(٤٠١) «يمِيل الله تَعَالَى قُلُوب أَقوام إِلَيْهِم ليعيونهم على الْقِتَال ويرق الله تَعَالَى أُولَئِكَ الأقوامَ المعيَّنين من هَؤُلَاءِ الْأمة بِسَبَب إِحْسَان هَؤُلَاءِ إِلَى أُولَئِكَ فَالْمُرَاد بالأمة الرؤساء وبالأقوام الِاتِّبَاع ،وعَلى الأول الْمُرَاد بالأمة المجاهدون من الْمُؤمنِينَ وبالأقوام الْكَفَرَة وَالله تَعَالَى أعلم(٤٠٢).

وهذا ما نراه فنجد احتجاجات واسعة على الحرب مؤثرة على قرارات كثير من الدول مع المقاطعة وجمع المساعدات بل وكثيراً ما رأينا أطباء وصحفيين ومشاهير يقفون مع هؤلاء المحاصرين ويساهمون في قوافل طبية وإغاثية وما ذلك إلا تحقيقاً للوعد وخبر الصدق منه ﷺ بميل قلوب هؤلاء الأقوام ويكونون سبباً في رزقهم ونصرتهم.

الجانب الآخر لحرب غزة؟ دخول الناس في دين الله أفواجا

هذا حوار بين الأستاذ أحمد منصور مع عبد الله بن منصور رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا، ومما قاله أحمد منصور:" سألته عن تأثير حرب غزة على مسلمي فرنسا في ظل الانحياز الأعمى لإسرائيل من قبل الرئيس الفرنسي ماكرون والنفوذ اليهودي القوي في فرنسا ودوره في صناعة الاسلاموفوبيا؟ فحدثني عن التشريعات التي صدرت خلال ٢٤ ساعة بعد ٧ اكتوبر والتي تجرم كل شيء يتعلق بفلسطين في فرنسا بدءا من رفع العلم وحتى التلفظ باسم حركة حماس رغم أن قادة إسرائيل يقولون "حماس" ليل نهار، ثم التغير الذي طرأ بعد أسبوعين من الحرب على المجتمع الفرنسي وبعض السياسيين في ظل جرائم إسرائيل غير المسبوقة في غزة.

لكن ما لفت نظري في حديثه هو كلامه عن النظرة الإيجابية للإسلام في فرنسا والغرب عموما رغم المليارات التي أنفقت، والحملات القوية التي نظمت طيلة العقود الماضية للتخويف من الإسلام وتشويه صورته وصناعة ما يسمى "الاسلاموفوبيا" فقد مسح أهل غزة كثيرا من هذا وأظهروا صورة ناصعة مشرقة للإسلام من خلال آلاف مقاطع الفيديو التي ظهرت لهم وتم تداولها وترجمت للغات كثيرة على مستوى العالم، وهم يحتسبون بصبر ويقين ورضا ما جرى لهم عند الله، كما أن الصورة الناصعة التي لم يراها العالم

٤٠١) الطبقات الكبير» (٩/ ٤٣١ ط الخانجي)

٤٠٢) حاشية السندي على سنن النسائي (٦/ ٢١٤)

من قبل للتعامل مع الأسرى الاسرائيليين أبهرت العالم ،وقد دفع هذا كثير من الغربيين للبحث في الإسلام وقراءة القرآن ثم دخول الناس في دين الله أفواجا، وهنا يقول بن منصور : **"لم نشهد في فرنسا طيلة ٤٠ عاما إقبالا على الدخول في الإسلام لاسيما من فئة الشباب والفتيان الفرنسيين كما نراه الآن منذ حرب غزة، فقد ارتفعت الأعداد الرسمية للمسلمين الجدد من ٨٠ في اليوم إلى ٤٠٠ الآن في بعض الأحيان ولا يقل العدد عن ثلاثمائة مسلم فرنسي جديد كل يوم"** وهذا يعني وفقا لكلام بن منصور ان عدد من دخلوا الإسلام في فرنسا وحدها على أقل تقدير منذ اندلاع طوفان الأقصى وخلال ما يقرب من شهرين حوالي ٢٠ الفاً أغلبهم من الشباب، وقس على ذلك بنسب متقاربة في عشرات من الدول الغربية، وحينما قلت لابن منصور هل سألتموهم لماذا تريدون الدخول في الإسلام؟ قال نعم أغلبهم كانوا يقولون:" **إن الصبر والرضا واليقين والشعور بالطمأنينة والأمان والسلام الذي وجدناه في أهل غزة رغم فداحة مصابهم وفقدانهم لعائلاتهم وأحبابهم وبيوتهم وأموالهم جعلنا نسأل عن السر وراء هذا فوجدناه في الإسلام والقرآن، فقلنا ما هذا الدين العظيم الذي يملأ قلوب الناس وحياتهم بهذا اليقين والأمان والسلام الذي نفتقده في حياتنا ؟فقرأنا عن الإسلام واقتنعنا بالقرآن وقررنا أن ندخل في هذا الدين ".**

وحينما سألته عن أعمارهم قال :" معظمهم شباب وكثيرون منهم فتيان لكن الفتيات أكثر، ونحن لا نمنح شهادة الإسلام لمن دون الثامنة عشرة حسب القانون إلا بحضور الأبوين وموافقتهم ،وما نتعجب له هو أن الأبوين يأتيان في بعض الاحيان بصحبة أبنائهن ويوقعن بالموافقة على دخول أبنائهم في الإسلام ،"قلت له: وما فائدة الشهادة في بلد علماني؟ قال :"مهمة لتطبيق احكام الإسلام الشرعية على المسلم في كل شيء حتى الوفاة والميراث" **قلت له ما هي أغرب حالة مرت عليك؟ قال فتاة في الثامنة عشرة سألتها عن سبب دخولها في الإسلام فقالت :أحضرت القرآن مترجما وقلت سأقرأ فيه لأتعرف على هذا الإله الذي انزل هذا الكتاب وهذه السكينة على قلوب هؤلاء الناس، وحينما بدأت القراءة لم أكمل ولكني توقفت وبكيت وانهمرت دموعي بشكل لم يحدث من قبل،وقلت هذا هو الإله العظيم الذي أريد أن أعبده وقررت أن أدخل الإسلام .**

وفتاة خرى قالت لي: لقد شاهدت أمّا فقدت أبناءها الخمسة وبدلا من أن تلطم وجهها وتصرخ وتبكي وجدتها صابرة وتقول: لقد سبقوني إلى الجنة، وغيرها ... وغيرها...

فقلت هؤلاء ليسوا بشرا، فكيف أصبحوا كذلك حتى أصبح مثلهم فعرفت أن دين الإسلام وراء ذلك اليقين فقررت أن أدخل هذا الدين ".

وما حدثني عنه عبد الله بن منصور -وحديثه عن فرنسا فقط ونماذج محدودة- قرأته في عشرات التقارير المترجمة عن الصحف الغربية خلال الفترة الماضية ،وشاهدت كثيرا من الفيديوهات والمقاطع المنتشرة على مواقع التواصل الاجتماعي لاسيما تطبيق "تيك توك" لمراهقين وفتيان وفتيات غربيين لاسيما في الولايات المتحدة يؤكدون على ما ذكره بن منصور وأنهم يبحثون في هذا الدين العظيم ،و لعل هذا مع التعاطف مع فلسطين وغزة ما دفع أمريكا والاتحاد الأوروبي لفرض قيود صارمة على تطبيق "تيك توك "مع مطالبة مشرعين أمريكيين بحظره .(٤٠٣).

وهذه سيدة أمريكية معجبة بصبر المسلمين فتقول: "لا أعتقد أن المسلمين يهتمون للنتيجة لطالما يفعلون الشيء الصحيح، ولا أظن أن غير المسلمين سيفهون هذا السلوك".

وهذه شابة أمريكية اسمها (آبي هافيز) تقول: "فتحت القرآن لأعرف من أين يستلهم الفلسطينيون تلك القوة؟ كيف تحتضن أم جثمان صغيرها وتقول: إنا لله وإنا إليه راجعون؟ كأم أذهلني ذلك!".

وهذه ثالثة تقول:" تعرفت على الإسلام وعرفت لماذا لا يريد الغرب دخول الناس في الإسلام؟

لأن الناس إذا اختاروا أن يكونوا مسلمين ستختفي صناعة الكحول التي تبلغ قيمتها ١.٦ تريليون دولار / وستختفي ٥٠٠ مليار دولار من القمار.

وستختفي ٥٠ مليار من أرباح المواد الإباحية، وتختفي هوليود

وستنتهي القروض القائمة على الربا الذي هو عماد البنوك العالمية.

إنه انتحار اقتصادي أن يصبح الجميع مسلمون.

---

٤٠٣) الجانب الآخر لحرب غزة؟ دخول الناس في دين الله أفواجا بقلم: احمد منصور: المقال على الرابط التالي
https://ahmedmansour.com/2023/12/02/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%A7%D9%86%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%A2%D8%AE%D8%B1-%D9%84%D9%80%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%BA%D8%B2%D8%A9/

لأنك ما دمت مسلماً فإن طموحاتك مناهضة للاستهلاكية ويعزز أسلوب الحياة المنضبط.

فأنت ما دمت منضبطاً يصبح من الصعب شراؤك أو السيطرة عليك.

ولهذه الأسباب تعمل وسائل الاعلام الغربية ليلاً ونهاراً لبرمجة أطفالكم ليفقدوهم الإحساس بالخجل ويصبحوا عبيد الشهوات والرغبات.

وعندها يسهل السيطرة عليهم وتحقيق الربح منهم وحائط الصد أمام هذه الأيديولوجية البشعة والمتوحشة في العالم هو الإسلام.

لذلك يكرهون الإسلام ولا يريدون للناس أن يعرفوا الإسلام ولا أن يصبحوا مسلمين لأن عالمهم المتوحش الشيطاني سينتهي ...

وثالث ورابع وخامسة وسادسة.

وبعد هذا الطوفان سنشهد طوفان دخول لغير المسلمين في الإسلام وعودة الشباب المسلم للالتزام بالإسلام لا باعتباره علاقة شخصية بين العبد وربه فقط، بل باعتباره عملاً جماعياً للدفاع عن الأمة ومقدساتها.

وباعتباره عمارة للأرواح التي خربها شياطين الإنس والجن بالمثلية والإباحية والانغماس في متع الحياة التي أصبح مآلها إما الإلحاد أو الانتحار أو العيش في أمراض نفسية ووساوس تعمي عين صاحبها عن الدنيا والآخرة فيخسرهما معاً.

وقد وجد كثير من الناس هزة نفسية حركت كوامن الخير فيهم وعساها أن تقودهم للإيمان بالله الواحد الأحد وعندها لعلنا نقارب معرفة إجابة سؤال العلامة أبي الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ...؟.

المقاومة تجديد للإيمان وقيام بالدعوة

ما لا يعلمه البعض أن فعل المقاومة الذي نشاهده ليل نهار على وسائل التواصل، يقف حائط صد منيع أمام موجة إلحاد عارمة، والخبرات السابقة في العقد الأخير تخبرنا أن موجات الظلم والقتل العنيفة تدفع بقطاع كبير من الناس للإلحاد، إذ يخرج سؤال شيطاني مفاده: أين الله (سبحانه وتقدس) من هذا؟

أما مع المقاومة ورؤية الحق يناضل في ساحة المعركة، فإن كيد الشيطان يضعف تأثيره.

خاصة وأن أهل الرباط والجهاد وشعب المقاومة يقابل ذلك بالرضا والصبر ويعتبره ثمن للحرية وتحرير المقدسات.

والشيطان يرقب المعركة، ويكيد كيده، ولا ينجو في مثل هذه الأوقات إلا لمن تحصن بالإيمان.

ونجد لكلمة "الحمد لله" التي يقولها أهل غزة سحراً ودليل لقوة إيمانهم وصبرهم بعد فقد ذويهم ما يبهر العالم كله وخاصة الغرب، لأن حياة الترف والشهوة بلا عقل ولا قلب، وهذا يدفع الكثير منهم إلى قراءة القرآن واعتناق الإسلام.

بعد هذه الحرب هناك فتح كبير قديم وإعلاء كلمة الله ستكون في أقطار الأرض، ورباط ومقاومة وصبر ورضا أهل غزة كلها أسباب غيرت نظرة الغرب عن الإسلام والمسلمين.

تبدلت كلمة الرب وأصبحت " الله أكبر" لماذا الله أكبر وليس الرب!؟.

هذه الكلمة، "الله" وليس "الرب"، باتت تستحوذ على عقول وقلوب الداخلين في الإسلام في الغرب والعالم، ويرددونها في غياب تام لكلمة "الرب"، بعد "طوفان الأقصى".

فهي كلمة معجزة لغوياً، فلا تقبل الصرف ولا التثنية ولا الجمع.

ولو تم انتزاع حروفها حرفا تلو حرف؛ فستظل تحتفظ بدلالتها على وحدانية الله. لذلك نقول دائما: الله أكبر.

وهذه خطوة للتوحيد ومقياس لا خلل فيه على تغيير قادم لتكون كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم.

الطائفة المنصورة وتجديد أمر الدين للأمة والدعوة للعالم

لقد كان طوفان الأقصى وجهاد المرابطين ومثابرة أهل غزة وصبرهم تجديد لإيمان الأمة وصلة لأرحامها بعد قطيعة، أيقظت طوائف من الناس للبحث عن الحقيقة والتعرف على الإسلام ولسان حالهم لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا نغفل عن القوم البهت.

ولما ظهر أن الطوفان، من حيث كونه تجريفاً للشر المطلق، هو السبيل الذي يوصّل إلى التحرر الأمثل، فقد لزم أن تكون "المقاومة الطوفانية" حركة تحرر للإنسان عامة أو تحرير للعالم كله، حتى ولو بدت في الظاهر حركة تحرر لشعب مخصوص أو حركة تحرير لأرض مخصوصة، إذ المقاوم الطوفاني إنما هو الإنسان في صراعه مع الشر؛

ويؤيد ذلك التفاف العالم حول قضيته، ولا يرجع هذا الالتفاف، كما شاع بين جمهور السياسيين، إلى تعاطي العالم للرواية الفلسطينية للأحداث بقدر ما يرجع إلى كون هذه المقاومة أعادت بقوة الإنسان، حيثما كان، إلى فطرته الأولى، أي أعادته إلى القيم الأصيلة التي تنطوي عليها روحه، بدليل سرعة هذا الالتفاف حول قضيته وانخراط الفتيان فيه بكثرة، إذ الفتى يكون أقرب من سواه إلى الفطرة، فيسهل إحياؤها فيه(٤٠٤).كما يقول أستاذنا طه عبد الرحمن.

والتجديد حركة فكرية تكون بعد سعي مستظل بتوحيد الله على رجاء توفيقه وتأييده، يقوم بها فرد أو جماعة أو بلد ينبهون الناس ويزيلون الشبهات والالتباس وتصبح بعد ذلك هزة فكرية ونفسية وقلبية توقظ الوعي ويصاحب ذلك سعي يوقف الظلم ويجمد الطغيان قبل القضاء عليه فإن الظالم أجبن ما يكون إذا وجد من يحجزه ويواجه.

يقول الكواكبي: "والزَّمَان لا يضن علينا بِرِجَال ينبهون النَّاس ويرفعون الالتباس يفكرون بحزم ويعملون بعزم، وَلَا ينفكون حَتَّى ينالوا مَا يقصدون، فينالون حمداً كثيرا وفخراً كَبِيرا وَأَجرا عَظِيما..... وإن الإسلام معرض بالتمادي لأنواع من التشويش وَالْفساد وخيانات، وَلَكِن لَا يفقد من أَهله حكماء ذَوي نشاط وعزم واجتهاد وجهاد، ينبهون النَّاس ويرفعون الالتباس؛ ويتحملون فِي سَبِيل ذَلِك مَا يتحملون من المشاق لإعلاء كلمة الله، وخدمَة لأفكارهم السامية، ويفدون مَا عز وَهَان حفظا لشرفهم، الْقَائِم بشرف قَومهمْ، بل حفظاً لحياتهم وحياة قَومهمْ من أَن يصبحوا أَمْوَاتًا متحركين فِي أَيدي أَقوام آخَرين"(٤٠٥).

---

٤٠٤) الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن للجزيرة نت: "المقاومة الطوفانية" حركة تحرر للإنسان والعالم/ موقع الجزيرة على هذا الرابط
https://www.aljazeera.net/culture/2023/12/16/%d8%a7%d9%84%d9%81%d9%8a%d9%84%d8%b3%d9%88%d9%81-%d8%a7%d9%84%d9%85%d8%ba%d8%b1%d8%a8%d9%8a-%d8%b7%d9%87-%d8%b9%d8%a8%d8%af-%d8%a7%d9%84%d8%b1%d8%ad%d9%85%d9%86
وهذا رابط الحلقة الحوارية معه : https://www.youtube.com/watch?v=0MF_mN7oQ3Q&t=1s

٤٠٥) أم القرى (ص: ٤٦) بتصرف وزيادة.

نحن على موعد مع هذا الحديث في أقرب الآجال فاستبشروا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺأنه قال: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)(٤٠٦)

فما يقع به التجديد هو المجدد وربما كان رجل أو رجال يحدثون حدثاً عظيماً يهز الناس ويردهم لفطرتهم، ويجعل الارتباط بالدين أقرب ما كان عليه يوم نزل، وربما جرى على يد عدو، ومن الخطأ حصر المجدد في رجل واحد أو جماعة واحدة فالأمر أوسع من هذا والقصد حصول التجديد لأنه قدري ووعد إلهي.

و(مَنْ) في الحديث، وفى لغة العرب عامة تدل على الجمع، كما تدل على المفرد، وهي هنا تدل على الجمع كذلك، فمن يجدد الدين في كل قرن ليس بالضرورة فرداً معيناً، بل جماعة من الناس، قد يكون منهم العلماء، ومنهم الولاة، ومنهم القواد، ومنهم المربون. . وقد يكونون في بلد واحد، وقد يكونون في عدد من البلاد، وقد يعمل كل منهم وحده في مجاله، وقد يتعاونون فيما بينهم فيما يشبه الرابطة أو الجمعية، وقد يكون تجديد بعضهم في مجال الدعوة والثقافة، وآخر أو آخرين في مجال الفقه، وجماعة في مجال التربية والتكوين، وغيرهم في مجال الإصلاح الاجتماعي، وفئة أخرى في المجال الاقتصادي، وخامسة في المجال السياسي. ولا مانع من تعدد هذه المجالات واختلاف ألوان العمل والتجديد، على أن يكون اختلاف تنوع وتخصص، لا اختلاف تضاد وتناقض، أعني: أن يكون هناك تكامل وتناسق وتعاون بين هذه الأنواع المختلفة من العمل، بحيث يكمل بعضها بعضاً، ويشد بعضا أزر بعض لا أن ينكر بعضها على الآخر، أو يعوق بعضها بعضاً فيؤدي ذلك إلى ضعفها جميعاً وقوة أعدائها (٤٠٧).

وقد ربط العلامة ابن حجر ﷺ بين حديث التجديد وحديث الطائفة المنصورة فقال (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأَمَةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا) وذكر حديث الطائفة المنصورة ونقل ما قَالَه النَّوَوِيُّ: "يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الطَّائِفَةُ جَمَاعَةً مُتَعَدِّدَةً مِنْ أَنْوَاعِ الْمُؤْمِنِينَ. مَا بَيْنَ شُجَاعٍ وَبَصِيرٍ بِالْحَرْبِ وَفَقِيهٍ وَمُحَدِّثٍ وَمُفَسِّرٍ وَقَائِمٍ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَزَاهِدٍ وَعَابِدٍ، وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونُوا مُجْتَمَعِينَ فِي بَلَدٍ وَاحِدٍ، بَلْ يَجُوزُ

---

٤٠٦) رواه أبو داود (رقم/٤٢٩١) وصححه السخاوي في "المقاصد الحسنة" (١٤٩)، والألباني في "السلسلة الصحيحة" (رقم/٥٩٩)

٤٠٧) من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا (ص: ٣٩)

اجْتِمَاعُهُمْ فِي قُطْرٍ وَاحِدٍ وَافْتِرَاقُهُمْ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَجْتَمِعُوا فِي الْبَلَدِ الْوَاحِدِ وَأَنْ يَكُونُوا فِي بَعْضٍ مِنْهُ دُونَ بَعْضٍ، وَيَجُوزُ إِخْلَاءُ الْأَرْضِ كُلِّهَا مِنْ بَعْضِهِمْ أَوَّلًا فَأَوَّلًا إِلَى أَنْ لَا يَبْقَى إِلَّا فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ بِبَلَدٍ وَاحِدٍ فَإِذَا انْقَرَضُوا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ، انْتَهَى مُلَخَّصًا مَعَ زِيَادَةٍ فِيهِ".

ثم عقب بقوله :" وَنَظِيرُ مَا نَبَّهَ عَلَيْهِ مَا حَمَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ حَدِيثَ:(إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا(٤٠٨) أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ فِي رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ وَاحِدٌ فَقَطْ بَلْ يَكُونُ الْأَمْرُ فِيهِ كَمَا ذَكَرَ فِي الطَّائِفَةِ وَهُوَ مُتَّجَهٌ، فَإِنَّ اجْتِمَاعَ الصِّفَاتِ الْمُحْتَاجِ إِلَى تَجْدِيدِهَا لَا يَنْحَصِرُ فِي نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ، وَلَا يَلْزَمُ أَنَّ جَمِيعَ خِصَالِ الْخَيْرِ كُلِّهَا فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ، إِلَّا أَنْ يُدَّعَى ذَلِكَ فِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَإِنَّهُ كَانَ الْقَائِمَ بِالْأَمْرِ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ الْأُولَى بِاتِّصَافِهِ بِجَمِيعِ صِفَاتِ الْخَيْرِ وَتَقَدُّمِهِ فِيهَا ; وَمِنْ ثَمَّ أَطْلَقَ أَحْمَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَحْمِلُونَ الْحَدِيثَ عَلَيْهِ، وَأَمَّا مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ فَالشَّافِعِيُّ وَإِنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِالصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الْقَائِمَ بِأَمْرِ الْجِهَادِ وَالْحُكْمِ بِالْعَدْلِ، فَعَلَى هَذَا كُلُّ مَنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ رَأْسِ الْمِائَةِ هُوَ الْمُرَادُ سَوَاءٌ تَعَدَّدَ أَمْ لَا»(٤٠٩).

وتبعهم الصنعاني في شرح حديث التجديد بما هو قريب من كلام النووي والذي نقله ابن حجر في حديث الطائفة في كون المجدد والطائفة جائز أن يكونوا أفراد أو جماعات مفترقون أو مجتمعون في بلد أو بلدان، وجائز أن يكونوا فقهاء أو علماء حديث أو قراء أو وعاظ أو زهاد أو ولاة أمر فقال ﷺ:«وأجود ما يحمل عليه الحديث ما قاله ابن الأثير ونقله عنه المصنف أيضًا حيث قال: وذهب بعض العلماء إلى أن الأولى أن يحمل الحديث على العموم فإن قوله: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من

---

٤٠٨)قال السيوطي :«أفردت في شرح هذا الحديث تأليفًا مستقلًّا سمّيته: "التنبيه بمن يبعثه الله على رأس كلّ مائة"، وأنا ألخّص فوائده هنا فأقول: هذا الحديث اتّفق الحفّاظ على تصحيحه، منهم الحاكم في المستدرك، والبيهقي في المدخل، وممّن نصّ على صحّته من المتأخّرين الحافظ أبو الفضل بن حجر، وقد لهج المتقدّمون بذكر هذا الحديث، فأخرج الحاكم في المستدرك عقب رواية هذا الحديث عن ابن وهب عن يونس عن الزهري قال: فلمّا كان في رأس المائة منّ الله على هذه الأمّة بعمر بن عبد العزيز، قال الحافظ ابن حجر: وهذا يشعر بأنّ الحديث كان مشهورًا في ذلك العصر، ففيه تقوية لسنده مع أنّه قويّ لثقة رجاله. انتهى» مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود (٣/ ١٠٦١)

٤٠٩) فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٢٩٥ ط السلفية)

يجدد لها أمر دينها" لا يلزم فيه أن يكون المبعوث رجلًا واحداً بل قد يكون واحدًا وقد يكون أكثر منه، فإن انتفاع الأمة بالفقهاء وإن كان انتفاعًا عامًا في أمور الدين فإن انتفاعهم بغيرهم أيضاً كبير مثل أولي الأمر وأصحاب الحديث والقراء والوعاظ، وأصحاب الطبقات من الزهاد يتفع بشيء ولا ينتفع بالآخر ، إذ الأصل في حفظ الدين حفظ قانون الرئاسة وبث العدل والتناصف الذي به تحقن الدماء ويتمكن من إقامة قانون الشرع، وهذه وظيفة أولي الأمر.

وكذلك أصحاب الحديث ينفعون بضبط الأحاديث التي هي أدلة الشرع، والوعاظ ينفعون بالمواعظ والحث على لزوم التقوى ولزوم الزهد في الدنيا، وكل أحد ينفع بما لم ينفع به الآخر، فالأحسن والأجدر أن يكون الحديث إشارة إلى حدوث جماعة من الأكابر المشهورين على رأس كل مائة سنة يجددون للناس دينهم ويحفظونه عليهم في أقطار الأرض قال: لكن ينبغي أن يكون المبعوث رجلاً مشهورًا معروفاً مشارًا إليه من كل فن من هذه الفنون فإذا حمل تأويل هذا الحديث على هذا الوجه كان أولى وأشبه بالحكمة قال وقد كان قبل المائة أيضًا من يقوم بأمور الدين وإنما المراد بالذكر من انقضت المائة وهو عالم مشهور مشار إليه. انتهى كلام ابن الأثير ومثله قال الحافظ ابن كثير في البداية.

وختم بقوله:" ويتعين حمل الحديث على ما قاله ابن الأثير ومن تبعه فإن قطر الإِسلام قد اتسع نطاقه فلا يقوم واحد بتجديد الدين في كل قطر ثم إنه ليس أمر الدين دائرًا على العلم فقط بل دورانه على الجهاد أكثر ، فتجديد الدين شامل لغير العلماء وهم لا شك من أنفع الناس في تجديد الدين ثم إنه لا يبعد أيضًا تعدد أفراد المجددين في كل قطر من الأقطار بل في كل قرية من القرى لا سيما والحديث أتى بكلمة "من" العامة وليس مقصورًا على بطن من البطون ولا شك أن آل الرسول في جميع الأقطار فيهم أئمة العلم والجهاد والزهد وغيره» (٤١٠).

وانظر إلى تعقيبه **(فإن قطر الإسلام قد اتسع نطاقه فلا يقوم واحد بتجديد الدين فى كل قطر ثم إنه ليس أمر الدين دائرًا على العلم فقط بل دورانه على الجهاد أكثر)**

[٤١٠] التنوير شرح الجامع الصغير» (٣/ ٣٧٠)

فهو يرجح أنهم أهل جهاد ودفاع عن الحرمات وقد يكون أمر الطائفة جامع لكل هذه الأوصاف والتخصصات وعندها كما جمعت الطائفة بين العلم والجهاد وبين الوعي والسعي فجمع الله عليها فضل التجديد مع فضل الظهور على الحق وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وممن ذكر هذه الطائفة وتنوع أفرادها وانتشارها وارتباطها بتجديد الدين الشيخ حمود بن عبد الله التويجري ﷺحيث قال: «فأما في زماننا وما قبله؛ فهذه الطائفة متفرقة في أقطار الأرض كما يشهد له الواقع من حال هذه الأمة منذ فتحت الأمصار في عهد الخلفاء الراشدين إلى اليوم، وتكثر في بعض الأماكن أحيانا، ويعظم شأنها، ويظهر أمرها؛ ببركة الدعوة إلى الله تعالى وتجديد الدين» (٤١١).

أصبح صبر أهل غزة وشجاعة المقاومة محط سؤال عام وعالمي عن سبب هذا الصمود وتلك الشجاعة..؟

وأصبح جهاد المرابطين ومقومتهم دعوة عالمية لسائر البشر فجمعوا بين الجهاد والدعوة والشجاعة والأخلاق والصبر والقوة.

وقدوتهم في ذلك النبيين والصديقين والشهداء والصالحين عبر تاريخ دين الله منذ أن خلق الله البشر وأوحى إليهم دينه وشرائعه.

فإن الغلام في قصة أصحاب الأخدود مثال واضح عن التضحية في سبيل الدعوة من فرد واحد يقول للملك الطاغية: «إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي. فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ. فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ. فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ، قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ. فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ، وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ اقْتَحِمْ. فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ

(٤١١) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (١/ ٣٣٤)

وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ، اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ» (٤١٢).

لم يكن الغلام منتحراً ولا متهوراً ولا ملقياً لنفسه بيده في التهلكة، ولكن جاد بنفسه لله ليكون استشهاده دعوة لدين الله، وفي لحظتها دخل الناس في دين الله أفواجاً، فغضب الطاغوت من علو الحق فعذب بالنار أتباع الحق ولم يبق منهم أحداً.

وراوي هذا الحديث هو صهيب الروميﷺ الذي كان مستضعفًا في مكة، وأراد أن يهاجر مع الرسول ﷺ فلم يتمكن فحاول الفرار بعد الهجرة، فعلم المشركون بخبره فتعقبوه فلما اقتربوا منه قالوا له: جئتنا فقيرًا فاغتنيت عندنا فهل تريد أن تذهب بهذا المال إلى محمد؟ فقال لهم: إذا أخبرتكم عن مكان المال تتركوني؟ قالوا: نعم، فدلهم على مكان المال، فتركوه، فذهب إلى رسول الله وأخبره فقال له:"ربح البيع، ربح البيع"(٤١٣).

وقد روى خباب بن الأرتﷺ جزءًا من هذا الحديث عن رسول اللهﷺ وهو الذي ذكر فيه العذاب الذي تعرض له أصحاب الدعوة والشق بالمناشير كما في القصة، ويكفي لمعرفة خباب أن يكون هو الناطق برجاء كل المستضعفين حيث يقول: «أتيت النبي وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت ألا تدعو الله لنا؟».. وفي رواية «ألا تستنصر لنا» (٤١٤).

وبذكر رسول الله ﷺ لهذين الحديثين معًا ودائمًا.. يتحقق بُعدان أساسيان لقضية واحدة وهي قضية العلاقة بين العدد والفاعلية القدرية للعدد.

فإن القلة المحققة لفاعليتها بتجردها من حولها وقوّتها إلى حول الله وقوّته وهو مضمون هذا الحديث حيث لم يتجاوز أصحاب الدعوة فيه ثلاثة أفراد (الراهب والغلام والجليس) (٤١٥)، كانوا هم سبب نشر الدعوة وقفوا في وجه الطاغوت "الكفر والظلم " فكان وقوفهم في سبيل الله ضد من يستعبد الناس ويجعل نفسه نداً لله.

---

[٤١٢]) صحيح مسلم / كتاب الزهد / ٧٣/ ٣٠٠٥) والترمذي (كتاب التفسير / ٣٣٤٠) وأحمد (ح / ٢٣٩٨٦)

[٤١٣]) أخرجه الحاكم (٣٩٨/ ٣) والطبراني (٣٤٨/ ٤) وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

[٤١٤]) رواه البخاري في باب (ما لقي النبي ﷺ وآله وأصحابه من المشركين بمكة) ص (٣١٥/ ١٢) في كتاب الإكراه باب "من اختار القتل والضرب والهوان على الكفر".

[٤١٥]) مقدمة أصحاب الأخدود للشيخ رفاعي سرور رحمه الله

وطاغوت جعل من نفسه إله واستعبد الناس لك أن تتصور حجم المظالم وأنواعها التي يوقعها وهو بهذا الضلال ...؟.

والقرآن الكريم وسنة سيد المرسلين وأحداث التاريخ حافلة بسجل كله عزة وفخر ونصر وتمكين لطوائف قليلة غلبت ومكنها الله باصطفائها وتأييده وتمكين لهم قال تعالى: {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ٢٤٩]

وانظر إلى عدد أصحاب النبيﷺ معه في غزوة بدر وفي الخندق وفي مؤتة وفي فتح مكة وغيرها.

وانظر إلى أعداد الصحابة في حروب الردة وفي القادسية.

وانظر إلى أعداد المجاهدين من المسلمين في عين جالوت وفي حطين، وفي الأندلس وبلاد المغرب، وفي الهند ، في عصور الدولة الأموية والعباسية ودولة المماليك والدولة العثمانية ودولة الإسلام في الأندلس، وفي غيرها تخبرك كلها أن المعارك الفاصلة والحاسمة في التاريخ كانت القلة المؤمنة تغلب الكثرة الكافرة وكما قال تعالى: {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ٢٤٩].

إنها فاعلية الإيمان وفاعلية إرادة الخير والحق لتكون كلمة الله هي العليا.

فلا عتاد ولا عدة وإنما إعداد بالمستطاع وتوكل على الله وثقة في نصره.

وفي وصية عمر بن الخطاب ﷺ لجنده: إنما ينصر الله تبارك وتعالى المسلمين بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم، فإذا استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا بالقوة، وإن لم ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، واعلموا أنه عليكم في مسيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله (٤١٦).

[٤١٦]) أورده ابن عبد ربه في "العقد الفريد" (١/ ١١٩)، ولم أقف على من أخرجه مسندًا، وهو في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ٣٠٣) :«عن رجل من قريش: أن عمر بن عبد العزيز عهد إلى بعض عماله: عليك بتقوى الله في كل حال ينزل بك، فإن تقوى الله أفضل العدة، وأبلغ المكيدة، وأقوى القوة، ولا تكن في شيء من عداوة عدوك أشد احتراسا لنفسك ومن معك من معاصي الله، فإن الذنوب أخوف عندي على الناس من مكيدة عدوهم وإنما نعادي عدونا ونستنصر عليهم بمعصيتهم، ولولا ذلك لم تكن لنا قوة بهم، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا قوتنا كقوتهم، فإن لا ننصر عليهم بمقتنا لا نغلبهم بقوتنا، ولا تكونن لعداوة أحد من الناس أحذر منكم لذنوبكم ولا أشد تعاهدا منكم لذنوبكم، واعلموا أن عليكم ملائكة الله حفظة عليكم يعلمون ما تفعلون في مسيركم ومنازلكم، فاستحيوا منهم وأحسنوا صحابتهم، ولا تؤذوهم بمعاصي الله، وأنتم زعمتم في سبيل الله. ولا تقولوا أن عدونا شر

هذه سنة الله تبارك وتعالى في نصر أوليائه وهزيمة أعدائه.

وغرس الأمة متجدد العطاء بقدر الله تعالى، يتوافق فيه شأن الدعوة مع سنن الله في الزرع، بداية من عملية الإنبات وحتى الاستواء.

يقول الشيخ رفاعي سرور: "موضوعية البعد القدري للتصور السياسي تتمثل بصورة نهائية في الوصول بالدعوة من مرحلة الاستضعاف وخشية الاختطاف إلى مرحلة التمكين والعالمية، إذ إن تجاوز الدعوة لجميع مراحلها لا يمكن أن يتحقق إلا بصورة قدرية.

ولعل حادثة أصحاب الفيل التي حفظ الله بها البيت تهيئة لظروف الدعوة؛ ولعل الصراع بين الروم والفرس الذي أجهد الدولتين تحقيقًا لتلك التهيئة.. دليل على هذا البعد.

كما قال ﷻ: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح: ٢٩].

يقول الإمام القرطبي: «هذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب النبي ﷺ، يعني أنهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون، فكان النبي ﷺ حين بدأ بالدعاء إلى دينه ضعيفًا، فأجابه الواحد بعد الواحد، حتى قوي أمره، كالزرع يبدو بعد البذر ضعيفًا، فيقوى حالا بعد حال، حتى يغلظ نباته وأفراخه، فكان هذا من أصح مثل وأقوى بيان» (٤١٧).

فنلاحظ من كلام القرطبي توافق الدعوة مع سنن في الزرع، حيث تبدأ عملية الإنبات بفعل إلهي بحت لا دخل لبشر فيه: بإرسال الرسول أو بعث المجددين كما قال سبحانه: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} [الواقعة:٦٣ - ٦٤].

منا، ولن ينصروا علينا وإن أذنبنا، فكم من قوم قد سلط - أو سخط - عليهم بأشر منهم لذنوبهم، وسلوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه العون على عدوكم، نسأل الله ذلك لنا ولكم، وأرفق بمن معك في مسيرهم فلا تجشمهم مسيرا يتعبهم، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم، حتى يلقوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم ولا كراعهم، فإنكم تسيرون إلى عدو مقيم جام الأنفس والكراع، وإلا ترفقوا بأنفسكم وكراعكم في مسيركم يكن لعدوكم فضل في القوة عليكم في إقامتهم في جمام الانفس والكراع، والله المستعان.»

(٤١٧) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٢٩٥)

ثم يليه إخراج الشطء، ثم المؤازرة، فالاستغلاظ، فالاستواء.. يقول الزمخشري في الكشاف: «وعن عكرمة: أخرج شطأه بأبي بكر، فآزره بعمر، فاستغلظ بعثمان، فاستوى على سوقه بعليّ، وهذا مثل ضربه الله لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوي واستحكم، لأنّ النبي ﷺ قام وحده، ثم قوّاه الله بمن آمن معه، كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها، حتى يعجب الزرّاع"(٤١٨).

ومن المهم أن نلاحظ أن إرسال رسول جديد كان مرتبطًا إلى حد كبير بافتقاد أثر الرسالة السابقة، فموسى ﷺ جاء إلى بني إسرائيل قبل أن تدرس فيهم معالم دين إبراهيم، تحت وطئت القهر الفرعوني.. كما جاء عيسى ﷺ مظهرًا لحقائق التوراة التي حرفها بنو إسرائيل، ومجددًا لمعالم الدين، وعندما طمست تعاليم عيسى، وحُرِّف التوراة والإنجيل، اقترب ظهور محمد ﷺ ورسالته الخاتمة..

ولأن هذا الدين هو آخر رسالات الله لأهل الأرض، وأجل هذه الأمة ممتد إلى قيام الساعة.. فقد جعل الله له من الخصائص التي تمنع تحريفه وزواله بالكلية..

ومن أهمها: حفظ الكتاب والسنة بقدر الله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩] وهو ما يكفل حفظ المرجع الأساسي لبقاء الأمة.

وإرسال المجددين على رأس كل مائة عام؛ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا».

وخاصية حفظ الأمة من الاجتماع على ضلالة؛ قال رسول الله ﷺ:(إن الله قد أجار أمتي ن تجتمع على ضلالة» (٤١٩)..

[٤١٨]) تفسير الكشاف - ومعه الانتصاف ومشاهد الإنصاف والكافي الشاف (٤/ ٣٤٨)

[٤١٩]) التصور السياسي للحركة الإسلامية (١١/ ٣١) المسيح بن مريم.. تصور سلفي (ص: ٢٧٧)

الفصل الرابع

خطر اليهود والمنافقين في تاريخ الإسلام

قراءة في مقال قديم (الفتنة الكبرى)

للعلامة أبو فهر محمود شاكر

هذه سلسلة مقالات للعلامة أبو فهر محمود شاكر -رحمه الله- وهي بعنوان الفتنة الكبرى (٤٢٠) كانت للرد على كتاب طه حسين والذي يحمل نفس هذا العنوان.

وقد كانت النقطة الجوهرية والمحورية في الرد هي: التأكيد على ما نفاه طه حسين من دور اليهود عامة ودور عبد الله ابن سبأ الذي يعرف (بابن السوداء) على وجه الخصوص، وأن طه حسين متبع ومروج لأقوال المستشرقين الذي وصل بهم الحال إلى العبث بكتب التراث لطمس وإخفاء دور اليهود وابن السوداء ابن سبأ.

وقد عدد العلامة محمود شاكر خمسة أمور للنقاش والرد ثم ختمها بقوله: «ولكن بقي شيء واحد أحب أيضًا أن يتاح لي يومًا ما أن أعرفه، وهو: هل كان في نص البلاذري قديمًا ذكر عبد الله بن سبأ اليهودي ثم سقط أو أسقط من الكتاب؟ وهذا لا يتاح لي إلا إذا وقفت على نسخة قديمة وثيقة من كتاب أنساب الأشراف، فإن هذه النسخة التي بين أيدينا إنما طبعت في أورشليم، وطبعها رجل من طغاة الصهيونية، وقدم لها مقدمة لم تكتب لا بالعربية ولا بالإنجليزية بل باللغة العبرية! وليأذن لنا الدكتور أن نشك أكبر الشك في ذمة هذا اليهودي الصهيوني الذي طبع الكتاب في مطابع الصهيونية في أورشليم» (٤٢١).

---

٤٢٠) الرسالة، السنة (١٦)(العدد ٧٦١)،فبراير ١٩٤٨،ص:١٣٤– ١٣٨/،و(العدد ٧٦٣)، فبراير١٩٤٨،ص١٩٣–١٩٦/،و(العدد ٧٦٥)،مارس١٩٤٨،ص٣٥٤ – ٢٥٧..وهي موجودة في جمهرة مقالاته، وقد جمعتها في مكان واحد مع تصرف يسير وتقديم وتأخير .

٤٢١) جمهرة مقالات محمود شاكر (١/ ٥٢٠) قال الكاتب اليهودي (يئير عميكام): في كل مدرسة تعنى بالاستشراق، ضابط كبير من سلاح المخابرات لتوجيه دراسات الاستشراق. وقال بن غوريون: يندر أن تجد أكاديمياً أو إسرائيلياً في إسرائيل لم يتثقف على أيدي الموساد، أو من خلال منظمات الإرهاب..... وأما تحقيق كتاب (أنساب الأشراف

ولا يخفى دور اليهود في تزوير الحقائق حتى وصلت أيديهم إلى العبث بالتراث الإسلامي بنشره مشوهاً ناقصاً، أو بتزييف الحقائق وقلبها وهي عدوى التحريف التي سرت في دمائهم، وحري بمن حرف الكتب التي أنزلها الله أن يحرف كل ما يقف ضد طغيانه وضلاله وإفساده.

ونسوق لك ما ذكره العلامة محمود شاكر من حقيقة واضحة مؤيدة بآيات القرآن وأحدث سيرة النبي ﷺ وأحداث تاريخية تؤكد على حقيقة لا تتغير عبر التاريخ وهي أن اليهود أهل كيد ومكر وكذب وتزوير وإفساد وتخريب وظلم: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } [المائدة: ٦٤]

وأن أثر كيدهم ومكرهم لا يظهر ولا يعلو إلا في وجود أهل النفاق ، وهما طائفتان أعلنتا الحرب على الإسلام من يوم أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وهم من مكروا وسعوا ودبروا حوادث الردة وحروبها ، ومقتل الخليفة سيدنا عثمان ﷺ وحروب الجمل وصفين واغتيال الفاروق عمر ﷺ وسيدنا علي ﷺ ثم لو عرجت على أحداث التاريخ في الأندلس ومحاكم التفتيش والتتار وتخريب بلاد الإسلام وسقوط بغداد والحملات الصليبية وحملات الاحتلال وسقوط الخلافة والفساد الأخلاقي والتعامل الربوي لوجدت وراء كل ذلك قوم لعنهم الله وجعل منهم القردة والخنازير، وفي القديم قتلوا الأنبياء وقتلوا الذين يأمرون بالقسط من الناس وفي عصرنا اغتيال الكفاءات العلمية في العالم كله من تحت أيديهم .

للبلاذري) فقد ارتبط بالمستشرق:" جوزيف هوروفستش: اشتغل في مدرسة عليكرة الإسلامية في الهند، وقدم رسالة الدكتوراه في كتاب (المغازي) للواقدي وحقق جزأين من طبقات ابن سعد (وهما في غزوات النبيﷺ). وهو عضو مجلس إدارة الجامعة العبرية عند التأسيس، اقترح نشر كتاب (أنساب الأشراف للبلاذري) وقد نشر المجلد الرابع والخامس بتحقيق اثنين من اليهود، له بحوث منها: (الجنة في القرآن) وبحث بعنوان: (أسماء الأعلام اليهود ومشتقاتها في القرآن). نقلا عن مقال (هيمنة مراكز الأبحاث الصهيونية، جهاد العايش آل عملة) مجلة البيان (ع٢٩٦) ربيع الثاني ١٤٣٣ هـ / مارس ٢٠١٢ م.

وهذه أمثله وأما تفصيل ذلك فالمقام لا يحتمله.

وكما قال أديب العربية مصطفى صادق الرافعي عن عداوة اليهود في قول الله تعالى: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ} [المائدة: ٨٢] فهو لن يكون العدو للإسلام دون أن يكون الأشد في هذه العداوة، ولن يكون فيها الأشد حتى يفعل بها الأفاعيل المنكرة» (٤٢٢).

والآن مع ما كتبه العلامة محمود شاكر عن:

(الفتنة الكبرى خطر اليهود والمنافقين في تاريخ الإسلام)

إن أخبار المنافقين والآيات التي نزلت فيهم، كانت كلها في المدينة لا في مكة، وذلك دليل على أن النفاق كان حيث تكون يهود، وأن "الأعراب" لم يذكروا إلا في السور المدنية مقرونًا بالنفاق والمنافقين، وأن قول الله تعالى في سورة براءة {الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا} نزلت في بني أسد وغطفان، وهم كانوا حلفاء يهود في الجاهلية وفي زمان الإسلام، ولم يكن كل هذا المكر والكيد والإيقاع عملا جاء عفو الخاطر من يهود، ولا كان مأتاه من إساءة لحقتهم من حلفائهم الأوس والخزرج من المؤمنين غير المنافقين، بل هو شر انطوت عليه يهود لا يزايلهم ولو أحسن المسلمون إليهم، وهو حقد وضغينة وكفر وعدوان على أهل هذا الدين، وهم كما وصفهم الله أشد الناس عداوة للذين آمنوا بمحمد صلوات الله عليه.

ودليل ذلك أن رجالا كثيرًا من الأوس والخزرج كانوا يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فكانوا يصافونهم المودة بهذه الأسباب، ويستنصحونهم في أمورهم دون أن يشكوا فيهم أو يتوجسوا منهم خيفة. فأنزل الله في محكم كتابه ينهاهم عن فعل ذلك: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}. وهؤلاء "الذين قالوا آمنا" هم الذين نزلت فيهم

(٤٢٢) وحي القلم (٢/ ١٨٥)

الآية السابقة قبل هذه في سورة آل عمران: {وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}.

وهذه الآية وسبب نزولها يدل دلالة صريحة على أن أهل الإسلام الأول، كانوا لا يزالون يعدون الحلف بينهم وبين يهود حلفًا صادقًا لا غش فيه، وأن يهود كانت تظهر المودة وتخفي أشد العداوة وأشد الغيظ على هؤلاء الذين آمنوا بمحمد ﷺ، وأنهم كانوا يتخافتون بهذه العداوة، وأنهم كانوا يخدعون هؤلاء المؤمنين بإظهار الإيمان وإبطان الكفر، حتى إذا صدَّقهم بعض المؤمنين عادوا فأظهروا الكفر ليفتنوهم ويخدعوهم عن دينهم.... ومنذ هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، إلى يوم دعاه ربه إلى الرفيق الأعلى، نجد أنه لا تكاد تنتهي وقعة بدر الكبرى بالنصر الأعظم لجند الله حتى يسلم رأس النفاق عبد الله بن أُبي بن سلول وجماعته من المنافقين، وكانوا أعوان يهود، ومن يومئذ ينفجر النفاق ويستشرى خطره، حتى تنزل فيه الآيات الكثيرة، وحتى يطلع الله رسوله ﷺ على خبايا نفوسهم وعلى أعيانهم.

ومن يومئذ يجاهر بعض اليهود بنقض العهد الذي كتبه رسول الله ﷺ بينه وبينهم عند مقدمه المدينة، فيكون مقتل اليهودي أبي عَفَك، ثم تكون غزوة يهود بني قينقاع، ثم استعانة أبي سفيان بن حرب بيهود بني النضير ينقلون إليه أخبار نبي الله.

ثم يكون ما كان في يوم أحد من خروج عبد الله بن أبي بن سلول المنافق مع رسول الله ﷺ حتى إذا بلغ رسول الله أُحُدًا انخزل ابن أُبي في كتيبة أشياعه وَهُوَ يَقُولُ: «أَيَعْصِينِي وَيُطِيعُ الْوِلْدَانَ؟» ([٤٢٣])، ثم يهزم المسلمون، فإذا عادوا إلى المدينة شمت بهم عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه المنافقون، «وَأَظْهَرَتْ الْيَهُودُ الْقَوْلَ السّيّئَ فَقَالُوا: مَا مُحَمّدٌ إلّا طَالِبُ مُلْكٍ، مَا أُصِيبَ هَكَذَا نَبِيّ قَطّ، أُصِيبَ فِي بَدَنِهِ وَأُصِيبَ فِي أَصْحَابِهِ!» ([٤٢٤])

ثم لا تمضي خمسة أشهر حتى يحاول يهود بني النضير قتل رسول الله ﷺ غدرًا حين جاء منازلهم، فأتمروا أن يطرحوا عليه صخرة من فوق البيت الذي هو تحته، فجاءه

---

٤٢٣) مغازي الواقدي (١/ ٢١٩)

٤٢٤) مغازي الواقدي (١/ ٣١٧)

الوحي بما هموا به. ثم يخرج أبو رافع سلام ابن أبي الحقيق اليهودي بعد أشهر إلى "غطفان" ومن حولهم من مشركي العرب، يغريهم بقتال رسول الله ﷺ.

ثم. . . ولا تزال تمضي من حدث إلى حدث، ومن غدر إلى غدر، ومن نفاق إلى نفاق، واليهود رأس ذلك كله، والعاملون عليه، والموغلون فيه، إلى أن تنتهي إلى خبر اليهودية التي وضعت السم في الشاة ودعت رسول الله ﷺوهو بخيبر، فأكل من شاتها ثم نبئ أنها مسمومة فلفظها.

فما معنى هذا كله؟ معناه أن اليهود لم يفتر لهم لسان ولا يد ولا غش ولا غدر ولا خديعة ولا ضغن منذ ظهر أمر رسول الله ﷺ، وأن هذه الشحناء لم تكن عن إساءة لحقتهم من الذين آمنوا بل كانت عصبية يهودية محضًا، وخليقة مركبة في طباع هذا الجنس من البشر، وأن النفاق كان طرفا من دسائسهم ومتنفسًا لأضغانهم على أهل هذا الدين، وأن الله قد وصفهم وصف الحق إذ يقول تباركت أسماؤه:{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١) لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ}(سورة المائدة ٧٨-٨١).

وهذه الصفة التي وصفهم الله تعالى بها، لم تنقطع ولن تنقطع ما بقي على الأرض مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

والتاريخ يحدثنا عن كيف استطاع اليهود أن يفسدوا على المسلمين أمورًا كثيرة، وأن يثيروا فتنة كادت تذهب بالإسلام كله، لولا أن الله قد وعد عباده أن يظهر هذا الدين كله ولو كره الكافرون» (٤٢٥).

٤٢٥) جمهرة مقالات محمود شاكر (١/ ٥٢٨/ ٥٣٠)

حديث قديم قبل البعثة شديد الخطر

حديث قديم كان قبل البعثة بقليل، وكان شديد الخطر في تاريخ العرب، وكان يوشك أن ينتهي إلى حدث جليل في تاريخ مدينة رسول الله ﷺ. فقد كان يسكن هذه البلدة الكريمة بنو أم واحدة وأب واحد من قبائل الأزد بن الغوث: أمهما قيلة، وأبوهما حارثة بن ثعلبة، وهؤلاء هم الأوس والخزرج، وكان يعيش بينهم هذا الجيل من اليهود الذي سكن جزيرة العرب، أو سكن المدينة، فكان من خبر ذلك شيء لم يكن مثله مثلا بين بني هاشم وبني أمية وهو الحرب المتطاولة بين هذين الحيين اللذين ولدتهما أم واحدة وأب واحد، ويسكنان معًا بلدة واحدة. وظل هذا القتال بين الحيين متجدد النيران إلى أن كان "يوم بُعاث"، وهو كما قال ابن سعد ج ٣ قسم ٢ ص ١٣٥ «آخر وقعة كانت بين الأوس والخزرج في الحروب التي كانت بينهم. . . وكانت هذه الوقعة ورسول الله ﷺبمكة قد تنبأ ودعا إلى الإسلام، ثم هاجر بعدها بست سنين إلى المدينة".

ونشأة هذه العداوة العجيبة بين الأخوين: الأوس والخزرج، واقتتالهما هذا القتال المر العنيف حقبًا متطاولة، ودخول اليهود في الحلف، بعضهم مع الأوس وبعضهم مع الخزرج، لا يصيبهم من أذى القتال بين هذين الحيين الأخوين إلا القليل، وتداعيهم باسم اليهودية إذا حزب الأمر، فيكونون يدًا واحدة على هذه العرب، ليس له معني إلا أن تكون هذه اليهود هي التي أرَّثت الحرب والعداوة بينهما لتؤثِّل في هذه الأرض أموالا وآطامًا وحصونًا تكون لها عدة وقوة، وتظهرها على أهل البلاد المالكين لها، وتصرف وجه هؤلاء القوم عن الزراعة والتجارة وتثمير الأموال، وتبقى يهود هي صاحبة الزراعة والتجارة وتثمير الأموال بالربا ومآكل السحت(٤٢٦) . وهذا عمل يهود في كل جيل، وفي كل أمة، وفي كل زمان إلى يوم الناس هذا» (٤٢٧).

كان من البيّن -كما رأيت قبلُ- أن يهود الحجاز قد شبوا في الجاهلية نار العداوة بين بني أم واحدة وأب واحد، يسكنون بلدة واحدة، وهم الأوس والخزرج، فتمادت الحرب بين الأخوين أحقابًا من زمن الجاهلية حتى كادوا يتفانون في يوم "بُعاث" الذي كان قبل هجرة نبي الله ﷺ إلى المدينة بست سنين. وكان الذي كان بين هذين الأخوين أمرًا جللًا

---

٤٢٦) السُحْت: كل حرام خبيث، وما خَبُث من المكاسب وحَرُم فلَزِمَ عنه العار وقبيح الذِّكْر.

٤٢٧) جمهرة مقالات محمود شاكر (١/ ٥٢٦)

شديدًا على بعض عقلاء الأوس والخزرج، إذ صاروا إلى ما وصفهم به أصحاب بيعة العقبة الأولى من الأنصار إذ قالوا لنبي الله ﷺ: "إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بيننا"، ويهود يومئذ "قد عَزُّوهم ببلادهم" أي غلبوهم عليها واستأثروا بها، كما قال رجال من الصحابة، وكما قال أكثر رواة التاريخ القديم.

وكان بعض اليهود يحالف الأوس، وبعضهم يحالف الخزرج، ولكنهم كانوا يدًا واحدة إذا جد الجد، فيخرجون من معارك هذين الأخوين لا يصيبهم شرٌّ كثير أو قليل، بل كانوا يقولون لهم: "إن نبيًّا مبعوث الآن قد أظل بزمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإِرَم" وشغلت الحرب والعداوة هذين الحيين، فانصرفوا عن الزراعة واستولت عليها يهود، وشغلتهم عن التجارة فاستبدت بها يهود، وشغلتهم عن حماية أرضهم فعاثت فيها يهود.

وأخذت يهود تبنى في المدينة وما جاورها آطامًا وحصونًا كثيرة متفرقة، وتجمع في هذه الحصون ما استطاعت من السلاح والحلقة (٤٢٨) وعُدة الحرب، وهي شيء كثير جدًّا كما ظهر ذلك بعد فتح هذه الحصون والآطام على يد رسول الله وأصحابه من المهاجرين والأنصار. ولم يكن ذلك من فعلهم في المدينة وما جاورها وحسب، بل كان مثله أيضًا في جنوب الجزيرة، في اليمن وتلك البقعة من نجران وصنعاء إلى ناحية البحرين، كانوا يقيمون الحصون والآطام ويجمعون فيها السلاح فيكثرون الجمع، وينشئون لأنفسهم مدنًا أو شبه مدن في هذه النواحي كلها، هي لهم خالصة لا يساكنهم فيها أحد.

نعم، ينشئون المدن والحصون والآطام ويجمعون السلاح، ويحالفون من جاورهم من الأعراب والبدو، ويوقعون بين حلفائهم العداوة والشر، في المدينة وفي غير المدينة من جزيرة العرب.

فماذا كانت تريد يهود بإعداد كل هذه العدة من البناء والسلاح وإيقاد البغضاء، وصرف وجوه الناس عن أسباب الحياة إلى معترك الحرب؟ .

كانت تريد في المدينة مثلا أن تسقط البلاد في أيديهم خالصة لهم، بعد أن يتفانى الأوس والخزرج في حروبهم التي يؤرّثونها بينهم، كما رأيت ذلك من فعلهم يوم رأى شأس بن قيس اليهودي، ما رأى من صلاح ذات البين بين الأوس والخزرج بالإسلام، فيرسل

---

(٤٢٨) الحَلْقَة من الناس: الجماعة، يعني تعد الرجال للحرب، أو أراد بالحلقة مطلق السلاح

إليهم فتى من يهود يناشدهم ما تقاولوا من الشعر في حروبهم، فتكاد الحرب تقع بين الأوس المسلمين والخزرج المسلمين، لولا أن أدركهم رسول الله ﷺ فردهم إلى عقولهم وأطفأ كيد اليهودي شأس بن قيس.

ومن قارن بين فعل يهود قديمًا وفعلهم حديثًا في فلسطين، ومن إقامتهم الحصون والآطام والمدن في المدينة وغيرها من الجزيرة، وما فعلوا من إنشاء المدن والحصون والمستعمرات حديثًا في فلسطين، عرف أن هذه شيمة يهود منذ قديم، وهذا هو أسلوبهم قديمًا وحديثًا حذوك النعل بالنعل.

وإذن فقد كانت تريد يهود أن تنشئ دولة في المدينة شمالا، وفي اليمن جنوبًا كما تريد اليوم أن تنشئ دولة لليهود في فلسطين، وفي غير فلسطين أيضًا.

هكذا كان أمرهم في الجاهلية، ثم يرسل الله رسوله، ويهاجر إلى المدينة فلا يكاد يفعل حتى يمتلئ تاريخ الإسلام منذ ذلك اليوم بأخبار اليهود وفتنتهم وتأريثهم العداوة بين العرب المشركين والعرب المؤمنين، وبسعايتهم في تأليب الأحزاب على رسول الله ﷺ، وبغدرهم ونكثهم ودسائسهم، لم يكفوا ساعة عن التماس غرة المؤمنين والمؤمنات، وعن ابتغاء الوقيعة بين المؤمنين أنفسهم، ويمتلئ تاريخ الإسلام عند ذلك اليوم أيضًا بأخبار المنافقين، وقد أجاد الله لنا صفتهم في كتابه، وبين لنا أحسن البيان صلتهم باليهود وإيواء اليهود لهم، ويكثر ما نزل من الآيات في شأن اليهود والمنافقين جميعًا، مقرون ذكرهما معًا. وتكون أول سورة نزلت من القرآن في المدينة هي السورة التي تذكر فيها (البقرة)، يقول الطبري في تفسيره ج ١ ص ٨٤ بإسناده عن ابن عباس: "إن صدر سورة البقرة إلى المئة منها نزل في رجال سماهم بأعيانهم وأنسابهم من أحبار يهود ومن المنافقين من الأوس والخزرج، كرهنا تطويل الكتاب بذكر أسمائهم". ثم ماذا؟ ثم تكون آخر سورة نزلت بالمدينة، أو آخر سورة نزلت من القرآن، هي سورة "براءة" أو سورة "التوبة"، تلك السورة التي فضحت اليهود والمنافقين وهتكت عن سرائرهم، وكشفت عما كانوا يبيتون من القول ومن الكيد، والتي يقول الله فيها: {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ}، والتي سماها بعضهم "الفاضحة" و"المُخْزِية" و"المُنَكِّلَة" و"المُشَرِّدَة" و"المُدَمْدِمة" دلالة على ما جلبت على اليهود والمنافقين من الفضيحة والخزي والتنكيل والتشريد والدمدمة. ثم

تكون هي السورة التي يذكر فيها "الأعراب" الذين حول المدينة من حلفاء يهود، ست مرات.

تنزل أول سورة من القرآن (بالمدينة)، فإذا هي في اليهود والمنافقين، وتنزل آخر سورة من القرآن فإذا هي في اليهود والمنافقين ومَن حول المدينة مِن الأعراب حلفاء يهود، وينزل ما بينهما من القرآن في عشر سنوات متواليات يصف ما كان من أمر هؤلاء، وينذرهم، ويكشف عن دسائسهم وكيدهم، فإذا بك ترى تاريخ الإسلام في هذه الحقبة -منذ هاجر رسول الله ﷺ إلى أن توفاه الله- حافلا بالغدر والكيد والتأليب ونكث العهود ونقض المواثيق. ويكون أول ذلك أن تسلم طائفة من أحبار يهود سماهم أصحاب السير والتاريخ، يسلمون نفاقًا في عهد رسول الله ﷺ(كما فعل كعب الأحبار وعبد الله بن سبأ وغيرهما في عهد عمر وعثمان)، فكانوا يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون منهم ويستهزئون بدينهم، ويحدثنا ابن هشام عنهم فيقول: "فاجتمع يومًا في المسجد ناس منهم، فرآهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم، قد لصق بعضهم ببعض، فأمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا من المسجد إخراجا عنيفًا"، فهل تجد أوضح ولا أبين من هذا في صفة المتآمرين حين يجلسون يتخافتون بينهم أمرًا يكيدون به ويبيّتونه؟

ويظل هذا حال المنافقين وحال اليهود معًا إلى أن يدعو الله إليه رسوله. يأوي المنافقون إلى أشياخ من اليهود يتآمرون يومًا بعد يوم عشر سنوات متواليات، ويكون على رأس هؤلاء المتآمرين رجال كأمثال رفاعة بن زيد ابن التابوت اليهودي (٤٢٩) الذي أظهر

---

٤٢٩) هو رفاعة ابن زيد بن التابوت، أحد بني قينقاع، وكان عظيما من عظماء اليهود، وكان قوم من اليهود قد تعوذوا بالإسلام وهم يبطنون الكفر. منهم: سعد بن حنيف، وزيد بن اللصيت، ورافع بن حرملة، ورفاعة بن زيد ابن التابوت، وسلسلة بن برهام، وكنانة بن صوريا» انظر: إنارة الدجى في مغازي خير الورى صلى الله عليه وآله وسلم (ص٤٥٦) «جوامع السيرة(ص٧٦) وفي إمتاع الأسماع (١/ ٢١٠): حديث عن «الريح التي أنذرت بموت كهف المنافقين رفاعة بن التابوت فأخذتهم ريح شديدة- اشتدت إلى أن زالت الشمس ثم سكنت آخر النهار- حتى أشفقوا منها، وسألوا رسول اللَّه ﷺ عنها، وخافوا أن يكون عيينة بن حصن خالف إلى المدينة، وقالوا: لم تهج هذه الريح إلا من حدث. فقال ﷺ: ليس عليكم بأس منها، فما بالمدينة من نقب إلا عليه ملك يحرسه، وما كان ليدخلها عدو حتى تأتوها، ولكنه مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة: فلذلك عصفت الريح.

وكان موته للمنافقين غيظا شديدا، وهو رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قينقاع، وكان عظيما من عظماء يهود، وكهفا للمنافقين، مات ذلك اليوم. وكانت هذه الريح أيضا بالمدينة حين دفن عدو اللَّه فسكنت. وجزع المنافقون

الإسلام وأبطن النفاق، فيسميه المسلمون "كهف المنافقين"، لأنهم كانوا يخلون إليه، ويتآمرون فيه بليل، ويستودعون ظلام هذا الكهف السميع البصير سرَّ تآمرهم وخفي كيدهم. ورسول الله في خلال ذلك كله يجاهدهم ويرجو هدايتهم، ويظل يفعل ذلك ثماني سنوات غير قانط ولا يائس، يصلى على من مات من المنافقين ويستغفر لهم، فإذا طال ذلك أنزل عليه ربه في سورة "براءة" آخر سورة نزلت، أشد آية في القرآن خاطب الله بها عبده ونبيه محمدًا ﷺ: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} ثم ينهاه أشد النهي فيقول: {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ}. كلمات قاطعة وأوامر حاسمة كحد السيف! !

عشر سنوات والقرآن ينزل على رسول اللهﷺ في المنافقين واليهود مقرون ذكرهما معًا!!

عشر سنوات تقرأ تاريخها في كتب السيرة فلا تمضي صفحة واحدة إلا وفيها ذكر لليهود والمنافقين معًا.

عشر سنوات واليهود والمنافقون معًا يؤلبون على رسول الله القبائل ويفتنون المسلمين، ويدبرون الكيد للمؤمنين والمؤمنات ولرسول اللهﷺ، حتى كان ما كان من اليهودية التي دست له ولأصحابه السم في الشاة فينبأ ﷺ بما فعلت، فيلفظ بضعة اللحم من فمه ﷺ.

ثم ماذا؟ ثم يحدثنا أصحاب رسول الله ﷺ، ويحدثنا منهم أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فيقول: "كان آخر ما تكلم به ﷺأن قال: «"أخرجوا اليهود من الحجاز، أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب".

آخر كلمة ينطق بها ﷺ عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة!

آخر كلمة تجرى على لسانه وهو يلبى دعوة ربه إلى الرفيق الأعلى!

ويروى الرواة هذه الكلمة، ويأتي علماؤنا -أحسن الله جزاءهم- فيقفون عند هذا الحديث ينظرون ما سر هذا الأمر الحازم القاطع؟

لموته قال عبادة بن الصامت يومئذ لابن أبيّ: أبا حباب! مات خليلك. قال: أي أخلائي؟ قال: من موته فتح للإسلام وأهله! رفاعة بن زيد بن التابوت، قال: يا ويلاه! كان والله وكان وكان، وجعل يذكر. فقال له عبادة: اعتصمت والله بالذّنب الأبتر! قال: من خبّرك يا أبا الوليد بموته؟ قال: رسول الله أخبرنا الساعة أنه مات هذه الساعة، فأسقط في يديه وانصرف كئيبا حزينا. فلما دخلوا المدينة وجدوا عدو الله مات في تلك الساعة».

إنهم لا يهتدون إلى سر، ولا يقفون على خبر، إلا أن يقولوا جميعًا كما قال أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الأموال ص ٩٩: "وإنما نُرَاه قال ذلك ﷺ لنكث كان منهم، أو لأمر أحدثوه بعد الصلح".

رويدكم أيها العلماء! إنه تأويل متهافت، ولا تجعلوا الظن أصلا في التأويل.

لقد كان أولى بكم أن تسألوا أنفسكم: أي نكث ذلك الذي كان من يهود الحجاز ومن أهل نجران؟ وكيف ذهب خبره فلم يرو لنا؟ وأي أمر ذلك الذي أحدثوه بعد الصلح؟ وكيف غاب عنا خبره؟

ولكن غفر الله لكم وجزاكم خيرًا إذ لم تقطعوا برأي تدلسونه على الناس كما يفعل أدعياء العلم وكذبة العلماء في عصرنا هذا، بل قلتم جميعًا كما قال أبو عبيد القاسم بن سلام: "إنما نراه" (بضم النون) أي إنما نظنّه ظنا. ولكن ما قيمة الظن في أمر كهذا الأمر؟ وكيف تريدون أن تفسروا حديثًا بظن من الظنون لم تأت به رواية، ولم يعرف له خبر يؤيده من حوادث التاريخ؟

كلا أيها العلماء! إنها آخر كلمة تكلم بها رسول الله وهو معرض عن الدنيا مقبل على الآخرة، آخر كلمة ينطق بها لسان نبي الله الذي لا ينطق عن الهوى. كلَّا، فالأمر أعظم وأجل وأخطر مما تظنون.

إنها كلمة من كلمات النبوة!

إنها تنبيه من الله على لسان نبيه إلى أحداث ستكون، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسى كافرًا. لقد كشف الغطاء ويتجلى لرسول اللهﷺ غيب ما سيكون، فرآه وهو على فراش الموت كما رآه المؤمنون عيانًا من بعد: فتنة ماحقة في الحجاز وما جاورها، وفي نجران وما أَطاف بها.

نار مشعلة فيما حول المدينة من الحجاز، وأخرى مستعرة فيما حول نجران من اليمن.

إنه يقولها ﷺ لا لشيء كان بل لشيء سيكون، يراه هو ولا يراه أصحابه ﵃.

ولقد نزل الموت برسول الله ﷺ كأشد ما ينزل حتى دعا بقدح من ماء يدخل يده فيه ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: "اللهم أعني على سكرات الموت. اللهم أعني على كرب الموت. ادن مني يا جبريل! ادن مني يا جبريل! ادن مني يا جبريل" وعنده ﷺ خميصة (ثوب من خز) يأخذها فيلقيها على وجهه، حتى إذا اغتمّ بها وضاق ألقاها عن وجهه

وهو يقول "لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" ويقول أيضًا: "لئن بقيت لا أدع بجزيرة العرب دينين"، وتكون آخر كلمة يتكلم بها وهو في مثل ما ترى من كرب الموت: "أخرجوا اليهود من الحجاز، أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب": أي أدركوا النار قبل أن تشتعل، أنقذوا العرب من فتن لا تبقى ولا تذر!

احذروا يهود الحجاز، واحذروا أهل نجران خذوا عليهم طريق الفتنة وأخرجوهم قبل أن يخرجوكم ويسفكوا دماءكم أيتها العصابة القليلة المؤمنة!

ويقبض الله ﷻ إليه نبيّه ﷺ قبل أن يقول لهم في هذا الأمر قولا لا يضلون بعده، وتبقى هذه الكلمة بغير تفسير حتى يقول العلماء في سرها ما قالوا رجمًا بالغيب.

ثم ماذا؟ ثم لا تكاد تتم بيعة أبي بكر رضي الله عنه حتى تنفجر الردة في أماكن بعينها من جزيرة العرب، فتقول عائشة بنت أبي بكر الصديق أم المؤمنين قولا يروى لنا، لم يلق إليه أحد بالا إلى يوم الناس هذا: "توفي رسول الله ﷺ فنزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها! اشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب وصار أصحاب محمد كأنهم معزى مطيرة، في حُش، في ليلة مطيرة، بأرض مَسْبَعَة [٤٣٠]. فوالله، ما اختلفوا في واحدة إلا طار أبي بحظّها وغنائها عن الإسلام".

ويحدثنا أيضًا عروة بن الزبير بن العوام: "وقد ارتدت العرب إما عامة، وإما خاصة في كل قبيلة، ونجم النفاق، واشرأبت اليهود والنصارى، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية، لفقد نبيهم ﷺ، وقلتهم وكثرة عدوهم".

وخليق بي وبك، أن نقف قليلا عند هذا. نقف حيث وقف بنا أمر رسول الله ﷺ أن: "أخرجوا اليهود من الحجاز، أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب"،

---

٤٣٠) الحُش (وبفتح الحاء أيضا): البستان، أو مجتمع النخيل. المَسْبَعَة: الأرض الكثيرة السباع. قال الدكتور: أكرم بن ضياء العمري: «وقد وصفت عائشة رضي الله عنها وضع الدولة وبناتها من الصحابة: "كأنهم معزى في حش في ليلة مطيرة بأرض مسبعة" وهو تصوير دقيق لحالة الخطر القصوى لإحاطة الأعداء بهم من كل جانب، ووصفت أبا بكر رضي الله عنه وهو ممسك بزمام القيادة.. واضح الرؤية قوي العزيمة شديد المضاء صائب الرأي "فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بحظها وسنانها". ومن المؤسف أن ينفرد الإخباريون برسم صورة أحداث الردة في أرجاء الجزيرة دون مشاركة مهمة من المحدثين مما يفقدنا القدرة على نقد أسانيد الروايات.. وتظهر مصادر المعلومات المحلية والقبلية..» «عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين» (ص٤٠٢)

نقف حيث وقفت بنا آخر كلمات تكلم بها ﷺ، وحيث وقف بنا قوله وهو في كرب الموت "لئن بقيت لا أدع بجزيرة العرب دينين"، وحيث وقف بنا قول أم المؤمنين عائشة: "اشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب"، وحيث وقف بنا حديث عروة: "ارتدت العرب. . . ونجم النفاق، واشرأبت اليهود والنصارى".

ثم نأخذ جميعًا نقرأ تاريخ حروب الردة في كتب القدماء من المؤرخين، وماذا قالوا في أسبابها، ونقرأ تاريخها أيضًا في كتب المحدثين من المؤلفين والمؤرخين، ونقرأ أيضًا كتب المستشرقين الذين يجلّهم البعض ويرفع بذكرهم رفعًا شديدًا فماذا نجد؟ نجد غموضًا شديدًا كأننا نسير في ليلة مظلمة في بطن واد عميق، عن يمينه جبل شامخ وعن يساره جبل شامخ قد أطبقا عليه جميعًا.

وإذا الردة في كتب القدماء أخبار مجموعة كما اتفق لهم أن يجمعوها، لم ينظر أحد في أسبابها، ولا في الحوافز التي أغرت العرب بها، ولا في أمر المرتدين وصفتهم وعلاقة بعضهم ببعض، ولا في وجه الشبه الذي يجمع بينهم قبل أن يرتدوا.

وإذا الردة في كتب المحدثين أخبار أيضًا حاول أصحابها أن يرتبوها ما استطاعوا، فلما نظروا في أسبابها، وفي حوافزها، وفي صفة أهلها وفي علاقة بعضهم ببعض، وفي وجه الشبه الجامع بينهم قبل أن يرتدوا -إذا بهم يخلطون خلطًا شديدًا كأنهم يبحثون عن درة في بحر من الوحل. وإذا المستشرقون يملئون كتبهم كعادتهم بالجهل الذي يضرب بعضه في وجوه بعض.

نعم، نقرأ تاريخ الردة في كل هذه الكتب جميعًا، فإذا هي خالية جميعًا من ذكر اليهود ومن ذكر المنافقين إلا كلمة شاردة ككلمة عائشة وكلمة عروة بن الزبير بن العوام تعرض في كتب القدماء، وإذا المحدثون من المستشرقين الخائضين فيما ليسوا له بأهل، لا يكادون يذكرون اليهود والمنافقين في حرب الردة، وإذا هذا عجب من أعجب أمرهم، فهم أشد ولعًا بالبحث عن الأسباب واستقصائها ونبشها من أن تخفي عليهم هذه الحقيقة البينة التي بين أيديهم، حقيقة اليهود والمنافقين وما كاد لهم من خطر في تاريخ الإسلام منذ هاجر رسول اللهﷺ إلى أن قبضه الله إليه! ! وإذا بك ترى المؤلفين من رجالنا قد ضلوا إلى حيث أضلهم أساتذتهِم من المستشرقين، فغفلوا عن تعليل الردة كيف كانت؟ وكيف بدأت؟ ومن بدأ بها؟ وكيف تم أمرها؟ .

ولم يسأل واحد منهم نفسه. أليس من العجيب الذي لا يقضى منه عجب أن يقضِي نبي الله ﷺ عشر سنوات منذ هاجر إلى المدينة حتى قبضه الله إليه، فلا يمضي يوم واحد لا يلقى فيه أشد البلاء من كيد يهود، ومن كيد أشياعهم وصنائعهم من المنافقين، ثم يظل رسول الله ﷺ هذه السنوات العشر وهو يقاتل اليهود ويقاتل مكايدهم في الأوس والخزرج، وفي القبائل، وفي الأعراب حول المدينة، ثم يظل رسول الله يتلقى الوحي عن ربه هذه السنوات العشر، فإذا أول سورة تنزل عليه وهي البقرة، أكثرها في ذكر اليهود والمنافقين وبيان حالهم وصلة بعضهم ببعض وائتمارهم جميعًا بالمؤمنين الذين اتبعوا ما أنزل الله على رسوله.

وإذا آخر سورة تنزل عليه ﷺ وهي براءة كلها في صفة اليهود والمنافقين، وفي الكشف عن أقوالهم ودسائسهم وكذبهم وخداعهم حتى فضحتهم ونبأتهم بما تخفي صدورهم من الكيد والغيظ والنفاق، ثم يكون آخر ما يتكلم به ﷺ وهو في كرب الموت: "لئن بقيت لا أدع في جزيرة العرب دينين"، وأمره لصحابته: "أخرجوا اليهود من الحجاز، أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب"، ثم يقبض الله إليه رسوله ويبايَع أبو بكر، وما هي إلا أيام قلائل حتى تشتعل نيران الردة في أماكن بعينها من جزيرة العرب شمالا وجنوبًا وشرقًا وغربًا -أليس من العجيب الذي لا يقضى منه عجب أن لا نجد بعد هذا كله شيئًا في كتب القدماء أو المحدثين -أو المستشرقين إن شئت- ذكرًا لليهود والمنافقين في أمر الردة؟ أهكذا ينتهي فجأة من تاريخ العرب ذكر اليهود والمنافقين بموت رسول الله ﷺ؟ .

أيجوز في العقول أن تظل يهود وأشياعُها من المنافقين تكيد للإسلام ولرسول الله ﷺ وللمؤمنين والمؤمنات عشر سنوات كاملة متتابعة يومًا بعد يوم، فإذا لحق رسول الله بالرفيق الأعلى (في سنة ١١ من الهجرة) نزعوا أيديهم من كل كيد، وبرئوا من كل حَدَث كان بعد ذلك في تاريخ الإسلام- برئوا من الردة (في سنة ١١ من الهجرة)، وبرئوا من مقتل عمر (في سنة ٢٣)، وبرئوا من الفتك بعثمان بن عفان رضي الله عنه (في سنة ٣٥) ولكن كيف غاب عن أصحاب رسول الله ﷺمعنى قوله: "أخرجوا اليهود من الحجاز، أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب"؟.

وكيف غفل قدماء علمائنا عن معنى هذا الحديث وفيم قيل؟ وكيف ذهل المؤرخون القدماء عن أن يربطوا بين تاريخ الردة وبين تاريخ اليهود والمنافقين؟ وأخيرًا كيف كانت الردة في الإسلام؟ وما آثارها التي تخلفت عنها؟ (٤٣١).

حصون العفة

رسالة افتخار واعتذار وتقدير للحرائر المقدسيات المرابطات العفيفات الطاهرات رضي الله عنهن وثبتهن.

من المقرر الثابت المقطوع به أن حرمة عرض المؤمن وماله ودمه كحرمة البلد الحرام في الشهر الحرام وَفِي الصَّحِيحَيْنِ فِي خُطْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا».
قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ:" قَدْ حَرَّمَ النَّبِيُّ - ﷺ- الْغِيبَةَ مُوَدِّعًا بِذَلِكَ أُمَّتَهُ وَقَرَنَ تَحْرِيمَهَا إِلَى تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ، ثُمَّ زَادَ تَحْرِيمُ ذَلِكَ تَأْكِيدًا بِإِعْلَامِهِ بِأَنَّ تَحْرِيمَ ذَلِكَ كَحُرْمَةِ الْبَلَدِ الْحَرَامِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ. (٤٣٢)
وعَن عَائِشَة رضي الله عنها قَالَت قَالَ رَسُول الله ﷺ لأَصْحَابه تَدْرُونَ أربى الرِّبَا عِنْد الله قَالُوا الله وَرَسُوله أعلم قَالَ فَإِن أربى الرِّبَا عِنْد الله استحلال عرض امرئ مُسلم ثمَّ قَرَأَ رَسُول الله ﷺ: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (الأحزاب: ٥٨.)} (٤٣٣).
قال ابن كثير :«وقوله: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيرِ مَا اكْتَسَبُوا}، أي: ينسبون إليهم ما هم بُرَآء منه لم يعملوه ولم يفعلوه، {فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}، وهذا هو البهت البيّن أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه، على سبيل العيب والتنقص لهم، ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرةُ بالله ورسوله، ثم

---

٤٣١) جمهرة مقالات محمود شاكر» (١/ ٥٣٢) وما بعدها بتصرف

٤٣٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٢٠)

٤٣٣) حديث: " أربى الربا عند الله استحلال. . . ". أخرجه أبو يعلى بهذا اللفظ، ورواته رواة الصحيح كما قال المنذري في الترغيب والترهيب (٣ / ٥٠٤ ط مصطفى الحلبي)، ورواه أبو داود (٥ / ١٩٣ ط عزت عبيد الدعاس) ، وأحمد (١ / ١٩٠ المكتب الإسلامي) بلفظ مقارب، وحسن إسناده السيوطي (فيض القدير ٢ / ٥٣١) .

....الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد بَرَّأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم؛ فإن الله عز وجل قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم، ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبدًا، يذمون الممدوحين، ويمدحون المذمومين.»([٤٣٤]).

ويضاف إلى هؤلاء الذين يسلم منهم أهل الكفر والفسوق والعصيان، ولا يسلم منهم أهل الإسلام بل يتطاولون على أهل الرباط والجهاد، ويخضون في أعراضهم فجمعوا النقائص كلها الخذلان والخسة والتلبس بأكبر الكبائر والطعن في أعراض الحرائر بالبهتان والزور والكذب يهدي إلى الفجور.

وإن كانت الأمة قد ابتليت بهؤلاء الذين يضاهئون قول الذين كفروا لتشابه قلوبهم فإن هؤلاء تلطخوا في حضيض الدركات، ومهاوي القبح لدرجة أن أهل الكفر أنفسهم تبرأوا منهم ومن أقوالهم، ولم يعجبهم ما يقولون واستنكروه ففاقوا من نافقوا وتفوقوا في الحقارة على من تبول في بئر زمزم ليشتهر وسيظل قائل هذا القبح محتقر.

خسة وخيانةَ أعظمُ من كل خيانةٍ:

روى الإمام مسلم عن بُرَيْدَةَ ـ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ، كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ، فَيَخُونُهُ فِيهِمْ، إِلَّا وُقِفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَخَذَ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ، فَمَا ظَنُّكُمْ؟.

وهذه الخيانة أعم من الزنى، بل هو **وعيد لكل من خلف المجاهد والغازي في أهله بشر أيًا كان**، ومن زاد، فعقوبته أزيد؛ فإن الله حكم عدل، قال القرطبي في المفهم: وقوله: حُرمةُ نساء المجاهدين، كحرمة أمَّهاتهم ـ يعني: أنه يجبُ على القاعدين مِن احترامهنّ، والكفّ عن أذاهنّ، والتعرض لهنّ ما يجبُ عليهم في أمهاتهم، وقوله: فما ظنكم ـ يعني: أن المخونَ في أهله إذا مُكن مِن أخذ حسنات الخائن، لم يُبقِ له منها شيئًا، ويكون مصيرُه إلى النار، وقد اقتُصِرَ على مفعولي الظن، وظَهَرَ مِن هذا الحديث: أن خيانةَ الغازي في أهله أعظمُ من كل خيانةٍ؛ لأن ما عداها لا يخيّر في أخذ كل الحسنات؛ وإنما يأخذُ بكلّ خيانةٍ قدرًا معلومًا من حسنات الخائن.([٤٣٥]) انتهى.

[٤٣٤]) تفسير ابن كثير (١١/ ٢٤١)

[٤٣٥]) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/ ٧٣٢)

فما ظنك بمن يخلف المرابطين بخسة ويقع في أعراض الحرائر بلسان قذر ملوث في زمن الفضاء المفتوح الذي لا يحكمه إلا الأهواء وإعجاب الحمقى بما دار في رؤوسهم من فاسد الأفكار والآراء، مع قوانين عاجزة وضمائر معلولة مشلولة.

شهرة عفة نساء الأرض المقدسة المباركة عبر التاريخ

هذه شهادة معاينة للعلامة القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ) لما زار بيت المقدس ودونها في كتابه أحكام القرآن والمعهود على مثل هذا الكتاب أن يذكر فيه ما ثبت بالرواية في بيان أحكام القرآن مما نقل عن النبي ﷺ وأصحابه الكرام والتابعين والأئمة في بيان أحكام القرآن ولا مجال للحديث عن الأحداث الجزئية الفردية أو الشخصية لكنه ذكر في تفسير قوله تَعَالَى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} [الأحزاب: ٣٣] ما يلي : «يَعْنِي اُسْكُنَّ فِيهَا وَلَا تَتَحَرَّكْنَ، وَلَا تَبْرَحْنَ مِنْهَا، حَتَّى إنَّهُ رُوِيَ وَلَمْ يَصِحَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا انْصَرَفَ مِنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ قَالَ لِأَزْوَاجِهِ هَذِهِ؛ ثُمَّ ظُهُورُ الْحُصْرِ؛ إشَارَةً إلَى مَا يَلْزَمُ الْمَرْأَةَ مِنْ لُزُومِ بَيْتِهَا، وَالِانْكِفَافِ عَنْ الْخُرُوجِ مِنْهُ، إلَّا لِضَرُورَةٍ.

وَلَقَدْ دَخَلْتَ نَيِّفًا عَلَى أَلْفِ قَرْيَةٍ مِنْ بَرِيَّةٍ، فَمَا رَأَيْت [نِسَاءً] أَصْوَنَ عِيَالًا، وَلَا أَعَفَّ نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ نَابُلُسَ الَّتِي رُمِيَ فِيهَا الْخَلِيلُ ﷺ بِالنَّارِ، فَإِنِّي أَقَمْت فِيهَا أَشْهُرًا، فَمَا رَأَيْت امْرَأَةً فِي طَرِيقٍ، نَهَارًا، إلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهُنَّ يَخْرُجْنَ إلَيْهَا حَتَّى يَمْتَلِئَ الْمَسْجِدُ مِنْهُنَّ، فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ، وَانْقَلَبْنَ إلَى مَنَازِلِهِنَّ لَمْ تَقَعْ عَيْنِي عَلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُمْ إلَى الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى. وَسَائِرُ الْقُرَى تُرَى نِسَاؤُهَا مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَعُطْلَةٍ، مُتَفَرِّقَاتٍ فِي كُلِّ فِتْنَةٍ وَعُضْلَةٍ.

وَقَدْ رَأَيْت بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَفَائِفَ مَا خَرَجْنَ مِنْ مُعْتَكَفِهِنَّ حَتَّى اسْتَشْهَدْنَ فِيهِ. »([٤٣٦])

قائل هذا هو القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣ هـ) زار القدس ومكث فيها مدة بعد مغادرته مصر إلى بيت المقدس: وكان وصوله سنة ٤٨٦ هـ وكان قبيل استيلاء الصليبين على بيت المقدس (٤٣٧).

٤٣٦) قول القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ) في كتابه أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية (٣/ ٥٦٨) ونقله القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٨١) ....

٤٣٧) انظر الحديث عن «رحلته إلى الشرق» في مقدمة الدراسة لتحقيق كتابه القبس في شرح موطأ مالك بن أنس (ص٣٠)

وهذا من أبلغ وأقدم ما يقال في عفة هؤلاء الطاهرات حتى أنه دلل به على تطبيق الآية وممارستها بما رآه بعينه ، في كتاب يتداوله العلماء وطلاب العلم مدة تزيد على الألف عام.

ولقد تكرر مدحه لعفة وطهارة حرائر الأرض المباركة ومن ذلك حديثه عن نابلس وكان مما قال: عن **عفة نساء نابلس**: «وهي بلدة مشحونة بالزهاد والعلماء والأخيار، وما رأيت أعف من نسائها، ولا حياء مخدرة؛ تمشي عمرك في الطريق لا يقع عينك فيها على امرأة إلا يوم الجمعة؛ فإن النساء في المسجد أكثر من الرجال، فإذا صلين ركعتين رجعن، فلا تقع عين على امرأة إلى الجمعة الأخرى.

ولما تكلم عن شروط الوجوب لصلاة الجمعة قال فهي (سبعة: العقل، والذكورية، والحرية، والبلوغ، والقدرة، والإقامة في القرية). وعند شرط الذكورية قال: «وأما الذكورية فلأن الأنوثة نقصان يخل بالعقل، حسب ما نص الله تعالى عليه (٤٣٨)، وتوجب الحجاب وتمنع من الخلط بالجماعة، فلا ينتظم منهن عصبة ولا تنعقد منهن جماعة في جمعة، بل إن الله تعالى أذن لهنّ في الجماعة على معنى التبعية للرجال رحمة لهن وتوسعة في الأجر عليهن.

دخلت نابُلس وهي قرية المنجنيق لإبراهيم، ﷺ، فما رأيت أحسن منها، سكنتها مدة وترددت عليها مراراً فما وقعت فيها عيني على امرأة نهاراً حتى إذا كان يوم الجمعة امتلأ المسجد بهن، ثم لا تقع عين عليهن إلى الجمعة الأخرى.» (٤٣٩).

من أكبر الكبائر الغيبة الجماعية والبهتان الجماعي

رحم الشيخ محمد الغزالي فقد حذر من هذه الفتنة، وهذا البهتان الذي يحركه شياطين الإنس وغرضهم التحريش بين المسلمين وتفريق كلمتهم " وتعميق الجراح في الجسم المثخن". وهي جريمة (**إهانة شعوب بأكملها**)

٤٣٨) في كون شهادة اثنتين من النساء تعدل شهادة رجل واحد لنقصان عقل المرأة المعتاد عن عقل الرجل المعتاد، وذلك ما أشار إليه القرآن في قوله تعالى: {فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى} سورة البقرة ٢٨٢.

٤٣٩) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس (ص٢٦٨)

يقول ﷺ:"إن الغيبة شيمة الضعاف "وكل اغتياب جهد من لا جهد له "والإسلام يكره أولئك الذين يعيشون في الدنيا أذناباً، تغلب عليهم طبائع الزُّلفى والتهافت على خيرات الآخرين، ويحبون أن يكونوا في هذه الحياة كالثعالب التي تقتات من فضلات الأسود. إن المسلم أكبر من أن يربط كيانه بغيره على هذا النحو الوضيع، بل يجب أن ينأى عن مواطن الهُون، وأن يضرب في فجاج الأرض يبتغى العزة والكرامة (٤٤٠)..

ويقول ﷺفي بيان واضح لا لبس فيه:" فالغيبة الجماعية والتحريش بين المسلمين، وتعميق الجراح في الجسم المثخن، عمل تقوم به الآن فئات كثيرة، وتسخر له أقلام شتى بأسلوب ماكر..

هناك من يقول: الفلسطينيون خونة! ومن يقول: أهل العراق أهل النفاق والشقاق! ومن يقول: الكويتيون خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت! ومن يقول: المصريون فراعنة إذا قدروا، وعبيد إذا عجزوا! ومن ومن... الخ.

وتلك كلها كلمات ماجنة وضيعة؟ أحسب أن مروجيها مأجورون لجهات أجنبية تكيد لأمتنا وتود لها العنت! وسواء أُلقيت كلمات عابرة أو نكات ساخرة فأثرها القريب والبعيد خطير على وحدتنا؟ وتماسكنا في هذه الأيام العصيبة.

لقد حرم الإسلام البهتان والغيبة، وعد كليهما من الكبائر، والبهتان اختلاق العيوب ورمى الأبرياء بها، أما الغيبة فهي التحدث بعيب موجود مادي أو أدبي، على سبيل التنقص والفضيحة..

وعند التأمل في نصوص الشريعة نجد التحريم يتناول ما يجرى على ألسنة الأفراد من إثم يراد به إساءة أمرئ في نفسه أو أسرته، لكن الذي يقع الآن يمكن تسميته غيبة جماعية أو افتراء جماعيا، الغاية منه إهانة شعوب كبيرة وتوهين أواصر الوحدة الكبرى التي تلمها، وإعادة العرب إلى الجاهلية التي ردم الإسلام مآثرها ورفض مفاخراتها ومنافراتها! أي أنها غيبة مركبة، أو رذيلة مضاعفة، ونتائجها إيغار الصدور، وتقطيع الصفوف، وإظلام المستقبل.. ولن يستفيد من هذا العمل إلا أعداء الإسلام، والحراص على تمزيق أمته وإضاعة جماعته!!

إن هذا السفه المنكور غير تاريخ الأمة العربية على نحو هائل مزعج!!

---

٤٤٠) خلق المسلم (ص: ٩٨)

واليوم يراد أن يتحول الخصام الحكومي إلى عداوات شعبية، تضيع فيها قضية فلسطين، وينهار فيها البيت العربي الكبير، وترث أجيال كراهية أجيال، وتذهب وصايا الله فى جمع الكلمة هباء.. {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣] عندما أصف واقعا سيئا لإنسان أو لجماعة على نحو طائش، فليس يغنى عنى أنى أقول الحق!! ففضح البشر ليس كلأ مباحا، نعم عندما أذكر أحدا بما يكره، فلا يقبل عذر لي أن أقول: لقد قررت الحق!

يقول الله تعالى فيمن يختلقون المعايب ويرمون بها الناس: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}[الأحزاب: ٥٨] وأشعر أحياناً أن الغيبة قد تكون أنكى من البهتان، فإن المفتري يمكن كشف كذبه وجره إلى القضاء ليلقى عقابه، أما الذى يعيب شخصا أو قوما بسيئة هي فيهم ليسقط مكانتهم، فهذا هو الذى يخاف شره، ويتقى ضره. والمطلوب من أهل الإيمان أن يستروا الزلل لا أن يشيعوه وأن يعينوا العاثر ليقوم، بدل أن يزيدوا هاويته عمقا لتبتلعه...!!(٤٤١)

ومن الوعيد الشديد في ذلك ما روي «عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِي ﷺ قالَ: "مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِم أَكْلَةً فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُ مِثْلَها مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ كُسي ثَوْبًا بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْسُوهُ مِثْلَهُ مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ قامَ بِرَجُلٍ مَقامَ سُمْعَةٍ وَرِياءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُومُ بِهِ مَقامَ سُمْعَةٍ وَرِياءٍ يَوْمَ القِيامَةِ"» (٤٤٢).

وقوله: «(من أكل برجل مسلم ..) يريد أنه يقع في عرض مسلم فيقذفه ويتعرض له بالأذية حتى ينال ممن يعاديه ويريد هوانه، طعمة أو كسوة. والمعنى: أن من آذى مسلما، وطعن فيه، لينال من عدوه مطعوما أو ملبوسا، أو سخر من مسلم عند غني.

وأما قوله: (ومن قام برجل مقام سمعة ورياء) أي: ينبه إلى ذلك ويشهره به فإن الله يفضحه ويهينه ويقيمه مقام أهل السمعة والرياء ويشهره بذلك على رءوس الأشهاد، ويعاقبه عقوبة المرائين.»(٤٤٣).

٤٤١) الشيخ محمد الغزالي الحق المر (٥/ ٣١)

٤٤٢) رواه أحمد ٤/ ٢٢٩، والبخاري في "الأدب المفرد" (٢٤٠)، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٢٨٠٧)، وأبو يعلى (٦٨٥٨). والحديث بمجموع طرقه صحيح.

٤٤٣) الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي (٣/ ١٠٨٥) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (٣/ ٢٦٧)

فالذي (أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْلَةً) صار الأمر عنده أن المسلم يساوي أكلة، ولذا كان عذابه أن يطعم مثلها من غسلين.

فما ظنك بمن يقول زورا ويدعي فجورا، طاعنا في أعراض عدة ملايين من البشر، وهم محاصرون مرابطون في الأرض المباركة يقاتلون عدواً فاجراً، ويقع عليهم العدوان ظاهراً وباطنا والناس على ما يفعل بهم شهود.

إن هذا بهتان عظيم وخذلان بلا مثيل لمن تلبس به، فلم نسمع عنه قبل، ونعوذ بالله من الخذلان والشقاء.

وإن حصون العفة والطهارة للمقدسيات المرابطات المباركات ببركة الأرض المقدسة، لا يؤثر فيها قول من ساقط، ولا ينقص من مكانة أهلها وطهارة نسائها كذب أفاك أثيم متطاول، وهذه أمور مسلمة شهد بها يهودي تبرأ بها من كلمة هي الدعي، ونبرأ الله من خذلانهم أو انتقاصهم أو تثبيطهم، ونسأل الله نصرتهم وأن يشدد وطأته على عدوهم ويقيننا في الله أن الله ﷻ كتب لهم وجعلهم على الحق ظاهرين وهو ناصرهم ولن يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ولا من عادهم ولا من نَاوَأَهُمْ فعجل الله لهم بالنصر وبالفرج والفرح والعزة والتمكين وتطهير الأرض المباركة من المحتلين الغاصبين.

اللهم! هذا أوان أن ترحم على أمة حبيبك وترأف بهم، وتنجيهم من الكرب العظيم الذي هم فيه، يا من لا إله إلا أنت العظيم الحليم، لا إله إلا أنت رب العرش العظيم، لا إله إلا أنت رب السنوات ورب الأرض رب العرش الكريم.

الأمة القصعة والطائفة الإناء

(كَالْإِنَاءِ بَيْنَ الْأَكَلَةِ) (تداعى الأكلة إلى قصعتها)

حديث الطائفة المنصورة المتواتر دليل إعجاز من دلائل نبوته ﷺ لم يغفل الجانب الاقتصادي، والذي هو جزء من العقيدة، لأن الاقتصاد الإسلامي جزء من العقيدة ولو كان عوداً من أراك، وما الحروب الاقتصادية إلا حروب على العقيدة أو نقض لها بسلب الناس مادة حياتهم وقدرتهم على الصمود، والاقتصاد وسيلة الاعتقاد، والاعتقاد من اسسه اصلاح الاقتصاد وربط الناس بالرزاق ذي القوة المتين.

فأول حرب معلنة على الرسول ﷺ والإسلام كانت حصاراً اقتصاديا، وتلاها مصادرة أموال المسلمين بمكة، وأول حرب عقد لوائها النبي ﷺ كانت لعير قريش، وأول بشارة وعلامة على هزيمة الكفر في الارض خسارتهم للأموال التي ينفقونها في الصد عن سبيل الله، ثم الهزيمة الجندية تليها ولا تسبقها، {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} [الأنفال: ٣٦]

فنجد في بعض روايات هذا الحديث أن هذه الطائفة (كالإناء بين الأكلة) ما رواه الطبراني بسنده عن رَسُول اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، وَهُمْ كَالْإِنَاءِ بَيْنَ الْأَكَلَةِ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: «بِأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ» قَالَ: وَحَدَّثَنِي أَنَّ «الرَّمْلَةَ هِيَ الرَّبْوَةُ، ذَلِكَ أَنَّهَا مُغَرِّبَةٌ وَمُشَرِّقَةٌ» (٤٤٤).

وإن هذا الوصف مفصح عن حجم العدوات، وعن كثرة الأعداء التي جعلتهم (كَالْإِنَاءِ بَيْنَ الْأَكَلَةِ) وهو دليل على غرور هؤلاء الأعداء وطغيانهم الذي جعلهم يظنون تمكنهم من هذه الطائفة كتمكن الآكل بل الآكلين من إناء واحد.

وقد أظهرت لنا معركة "طوفان الأقصى" صدق هذا الحديث لكثرة الأكلة " من هؤلاء الذين تعددت أهدافهم وأجناسهم فهناك "أكلة" من دول عربية مثل دول الطوق، والتي

---

٤٤٤) "حسن بشواهده دون ذكر الرملة" رواه "المعجم الكبير" (٢٠/ ٣١٧ - ٣١٨ رقم ٧٥٤)، وأخرجه في "الأوسط"(٦٦٩٥)، والفسوي في "المعرفة والتاريخ" (٢/ ٢٩٨)، والطبري في "تفسيره" (١٩/ ٣٧)، وابن عساكر في "تاريخه"(١/ ٢١٠)، وانظر: تخريجه في «موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية» (ص٣٦٥)

حصلت على حزم اقتصادية، أو الدول التي تسعى للتطبيع رافعة شعارات التعايش والتحديث والتطوير، وكل هذه الدول تريد القضاء على - الرباط والمرابطين- المقاومة عامة والإسلامية منها على وجه الخصوص، وهي الأسباب والأهداف القديمة التي رفعها المنافقون في المدينة بعد هجرة النبي ﷺ وهي محاربة يحركها البغض للإسلام والكره لكل مظاهره وتشويهه ومن باب ذر الرماد في العيون من هذه الأنظمة تحافظ على هامش ديني منزوع الصلاحية يمجدهم ولا يضرهم ولا ينفع المسلمين في شيء، وعند الحاجة يصبح ضد قضايا المسلمين بتأويلات محرفة وكلمات مزخرفة .

وهناك "أكلة من الغرب والشرق ومن سائر الأجناس والمذاهب" ممن رموا الإسلام عن قوس واحدة، وهؤلاء أعداء للإسلام على الحقيقة يريدون إطفاء نوره والله متم نوره وفي سبيل ذلك يستهينون بدماء المسلمين ويرون ثرواتهم ملك لهم.

وهي "الأحزاب" في صورتها الجديدة وفي أحدث نسخها منذ ما يزيد على قرنين من الزمان في توزيع للأدوار واتفاق على هدف واحد هو محو الإسلام بكل وسيلة وفي كل مكان والله متم نوره وغالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الطائفة المنصورة وتداعي الأمم

(**كَالْإِنَاءِ بَيْنَ الْأَكَلَةِ**) و (**تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلى قَصْعَتِها**).

هذا وصفان لحال الطائفة خاصة وحال الأمة عامة.

فالطائفة تداعى عليها الأمم بمؤازرة المنافقين والمثبطين فأصبحوا (**كَالْإِنَاءِ بَيْنَ الْأَكَلَةِ**) والأمة تداعى عليها الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها فعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أن تَداعَى عليكم كما تَدَاعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها، فقال قائلٌ: يا رسول الله، مِنْ قِلَّةٍ نحن يومئذٍ؟ فقال: بل أنتم كثيرٌ، ولكنكم غُثاءٌ كغُثاء السيل.

وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِن صدور أعدائكم المهابةَ منكم.

وَلَيَقْذِفَنَّ في قلوبكم الوَهْنَ.

قيل: يا رسول الله، ما الوَهْنُ؟ قال: حُبُّ الدنيا، وكراهيةُ الموت"(٤٤٥).

---

[٤٤٥] صحيح: أخرجه أبو داود "٤٢٩٧" في كتاب الملاحم، باب: في تداعي الأمم على الإسلام، وأحمد "٥/ ٢٧٨" وأبو نعيم في "الحلية" "٥٩١" والبيهقي في "الدلائل" "٦/ ٥٣٤"

فالتداعي يكون على الأمة الإسلامية عامة (وعلى كثرتها تكون في وهن مع تركها للجهاد واتباعها أذناب البقر وتركها ظهور الخيل فاجتمع لها الذل والوهن) ويكون أشد التداعي على الطائفة المنصورة (وهي على قلتها تكون ظاهرة على الحق ومجاهدة ظاهرة وقاهرة لعدوها ولا يضرها من خذلها).

وقد نشأ في الوهن والذل أجيال من أمة الغثاء وهذه الأجيال هي أجيال الخذلان والمخالفة للطائفة المنصورة والموجودة في نفس زمان الوهن.

وشتان بين من ازاحوا حجاب الذل والوهن بسيف العزم والجهاد والاجتهاد فجددوا إيمان الأمة وجرى على أيديهم تجديد خطاب الدعوة للأمة ولسائر البشر.

فالفعل في قوله ﷺ(يوشك الأمم أن تداعى عليكم) ورد يوشك مسندا إلى المذكر، والأمم مؤنثاً، وذلك الانزياح فيه دهشة والفات للنظر إلى حركة الأمم فالفعل المضارع (يوشك) فعل مقاربة اقتضى أن يرد خبره مصدرا مؤولاً (أن تداعى) وكان المصدر المؤول فعله هو (تتداعى) وقد حذفت منه التاء لتصور سرعة التداعي، وسهولته على الأمم لهوانها.

ونلاحظ أن اسم الفعل الناقص (الأمم) مرفوع في الجملة دال على الثبات ومجيء هذه الأمم ثابت والخبر (أن تداعى) مصدر مؤول من أن والفعل في محل نصب، والنصب يحرك الثابت إلى الحال المتغير وينقل صورة التداعي وينسجم مع حركة الأمم وتمزيقها للأمة الإسلامية هذه هي الصورة الفنية للمشبه.

وهي الصورة الواقعية التي نرى فيها سعي حثيث دؤوب لا يتوقف إذا هدأ في مكان بدأ في آخر وإن توقف هنا جرى هناك وفي كل لحظة نجد جرحاً جديداً ينزف بل جراحات في الشرق وفي الغرب وفي الشمال وفي الجنوب في عدوان لا ينقطع ونهب لا يتوقف وفتك مستمر لا يهدأ إلا ليبدأ.

واختارﷺ:(تَدَاعَى) وعدل عن:(تُدْعَى أو تَدعُو)؛ لتكون كل أمة داعيةً ومَدْعُوَّةً، (مجاملات)!

اختار:(تَدَاعَى الأممُ عليكم) وعَدَلَ عن:(تَدَاعَى الأمم إليكم)؛ لِيُظهِر الأممَ متمكنةً متحكمةً متكبرةً مستعليةً.

وفي المقابل مكن الله تعالى الطائفة المنصورة بأن جعل في علو قال ابن حجر: «اتَّفَقَ الشُّرَّاحُ عَلَى أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ أَنَّ الْمُرَادَ عُلُوُّهُمْ عَلَيْهِمْ بِالْغَلَبَةِ» (٤٤٦).

وقد جاء في سائر الروايات (قائمة على أمر الله) أي: دينه الذي شرعه، واستعمل فيه "على" (على الحق) و(ظاهرين على الناس) و(عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ) و(عَلَى مَنْ يَغْزُوهُمْ) (٤٤٧) دلالةً على كونهم عالين على الخصم محيطين بجوانب هذا الأمر، بحيث لا يصل إليه أو إليهم كيد الأعداء» (٤٤٨).

وبالرغم من تداعي الأمم فإن الله أيد الطائفة المنصورة بأن يكونوا عالين ظاهرين عليهم. وقد كتب الله الغلبة لهذه الطائفة المؤمنة القليلة على سائر الأمم المتداعية، وتداعيها بالباطل والظلم والعدوان في جرأة على الحق ومشقة وتعدي على الخلق، وهذه الطائفة سعيها بالحق لا ينقطع، يردون العدوان وينصرون الحق تعظيماً للخالق ورحمة بالخلق.

أما المشبه به (كما تداعى الأكلة إلى قصعتها) وهي التي جعل الرسولﷺ صورتها مطابقة من حيث حالة العدو النفسية، ونهمه العارم في القضاء على الأمة، والانقضاض عليها إذ جعلها بصورة المجموعة المجتمعة على آنية الطعام مدفوعة إلى الأكل بنهم متسابقة على الغلبة بفتك وافتراس.

واختار: (القَصْعَةَ) وعدل عن: (الإناء وغيره)؛ لأنها وعاءٌ ضخمٌ يُشبع عشَرَةً، فأعداؤنا ليسوا قلة، ونحن سنُشبِعُهم وزيادة..

كما اختار (القصعة) وعدل عن (الأكل أو الطعام)؛ ليدل على أن الطعام مُعَدٌّ مُجَهَّزٌ، فلن يتعبوا في إعداده، فنحن جثة هامدة، دعك من الشجب والاعتراض والإنكار وعدم الرضا والغضب...

اختار: (الأَكَلَة) جمع (آكِل) وعدل عن: (الآكِلون)؛ لأن (الأَكَلَة) من جموع الكثرة (فَعَلَة)، وليس كذلك جمع المذكر السالم، فهم عدد من الدول كبير..

وفي حديث الطائفة المنصورة جعلهم "إناء" لقلتهم ولصغر المساحة التي يشغلونها، فإن فلسطين عامة بالنسبة للعالم ولما حولها صغيرة، وغزة أصغر بالنسبة لفلسطين،

---

٤٤٦) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٩٥)

٤٤٧) المعجم الكبير: (٨ / ١٤٥) برقم: (٧٦٤٣)

٤٤٨) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري» (١/ ١٦٦) بتصرف وزيادة.

والعجيب أن الله كتب النصر لهم بالرغم من اتفاق الأكلة في الحديثين -على كثرتهم وضعفنا- على الفتك بالأمة عامة والفتك بفلسطين ومنها غزة خاصة، فالأعداء على كثرة عددهم وتنوع مقاصدهم(الأَكَلَة) اجتمعوا هذه المرة لكن على جزء صغير هو فلسطين ومنه جزء هو غزة ما ينبئ عن أن العداوة كبيرة، وأن الأعداء كثرة كاثرة يضاف إليهم طوائف من المخذلين من بني جلدتنا ممن يتحدثون بألسنتنا .

وعبر بقوله: (ولكنكم غُثاءٌ) وعدل عن: (ولكنكم كغثاء)؛ ليُصوِّر لنا أن الشبه بيننا وبين الغثاء بلغ مبلغاً لا نكاد نُمَيَّزُ عنه، ولا يُمَيَّز عنا.

و"الغثاء" يراد به زبد البحر أو زبد المحيط أو زبد الشاطئ أو الزغب هو نوع من الرغوة الناتجة عن تحريك مياه البحر، خاصة عندما تحتوي على تركيزات أعلى من المواد العضوية المتحللة (أي ميتة) كما أنها تحمل قدر معين من السمية.

وأصبح من الواضح أن (الغثاء) نتيجته كثرة المخذلين الذين لم يساعدوا هؤلاء المظلومين المحاصرين، ولم يسكتوا عنهم بل هاجموهم فكانوا سلماً للأعداء وحرباً على المسلمين المحاصرين الضعفاء.

وقد وصفهم القرآن بأنهم {قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} [الأحزاب: ١٨، ١٩]

وهؤلاء لما وجدوا الأمان والأمن من أنظمة الدول التي ينتمون إليها كان يسيراً عليهم أن يثبطوا ويخذلوا، بل تمادوا وشوهوا وهاجموا ورددوا كلام الأعداء المشوه لأهل الرباط المحاصرين، وعقاب الله لهم كان يسيرا كما كان يسيراً عليهم التثبيط والتخذيل والتشويه.

ويكتمل هذا المعنى حتى تجد صورته ماثلة أمامك لا توصف لك بل تراها وتعرف شخوصها في اختياره ﷺ بقوله: (كغثاء السيل) والعدول عن: (كالغثاء)؛ ليصورنا في أعيننا في صورة من ليس له إرادة ولا تأثير ولا مقاومة.

بل لا تعدم وجهاً للشبه بين هذه الغثائية الكثيرة والتي منها ما يسمى" ذباب إلكتروني" مكلف بمهمة التثبيط والتخذيل، ومن يلحق به متطوعاً ومتبرعاً وذلك في اختياره: للفظ (السيل) والعدول عن غيره كالنهر مثلا؛ ليدل على التحكم الفائق في الغثاء، والعبث به؛ فالسيل هو الماء الكثير المسرع، فضلا عن انعدام النفع في (السيل) كالشرب وإنتاج الزرع.

نعم إنها أمة بلا مقاومة ولا تأثير لتمكن الاستبداد والحكم الجبري منها ما سلبها قوتها، وجعلها منبطحة أمام عدوها، **ولعلك الآن تلحظ لماذا اختار هؤلاء الأبطال المرابطون تسمية معركتهم بـ (طوفان الأقصى) لأن الطوفان أشد من السيل ومزيل للغثاء كما أنه قاهر للأعداء.**

وعند أهل اللغة «وَالْغُثَاءُ: مَا يَبِسَ مِنَ النَّبْتِ، فَحَمَلَهُ الْمَاءُ، فَأَلْقَاهُ فِي الْجَوَانِبِ، يُقَالُ: غَثَا السَّيْلُ الْمَرْتَعَ: إِذَا جَمْعَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، وَأَذْهَبَ حَلاوَتَهُ» (٤٤٩)

* اختار: (لَيَنْزِعَنّ) وعدل عن (ليُخرجنّ) وغيرها؛ ليفيد أنه -تعالى- سيقلع من صدور أعدائنا مهابتهم منا بجذورها، فما أشدَّهم علينا حينئذ!!!

* اختار تقديم (من صدور أعدائكم) على (المهابة) وهي التي وقع عليها النزع، وعدل عن العكس؛ ليفيد أن هذا سيكون لأعدائنا دوننا، فهم -لا نحن- ليس في قلوبهم مهابة، فالمهابة إذن في صدورنا نحن منهم.

وهذا يدحض شبهة القائلين بأن العدد والعدة للمقاومة لا تجعلهم نداً في مواجهة دولة نووية تمدها ترسانات أممية -أمريكا وانجلترا وفرنسا وألمانيا-بالسلاح والجند والعتاد والمال، وأن الوقوف في وجه دولة الاحتلال هلكة وانتحار.

وأنت تقرأ أحاديثه ﷺ وهو لا ينطق عن الهوى- تجد الصدق والإعجاز والواقع الذي يجعلك لا تحيد عن شريعته ولا تتبع غير سنته.

فإن هؤلاء الذين كانت لهم الولاية على بلاد العرب والمسلمين تجدهم يهابون أعداء الله مهابة لا مثيل لها، ويطلبون رضاهم في كل شيء، وعلى حد تعبير أحدهم (نحن لا نعتبركم دول بل محطات وقود ترفع أعلاماً) فليس في قلوب هؤلاء مهابة لنا البتة بل

---

(٤٤٩) شرح السنة للبغوي (١٥/ ١٦)

نحن الذين نهابهم ونطلب رضاهم، فلما خرجت طائفة قليلة وقفت أمامهم كسرتهم وأذلتهم وهزمتهم فعز ذلك على أهل "حظيرة الخوف" فلم يمنعوا العدو من عدوانه بل حاصروا المجاهد ليوقفوا جهاده وحاربوه ليخفوا انتصاره لأنه عراهم وفضحهم.

* اختار تقديم (في قلوبكم) على (الوهْن) الذي قد قذفه الله -تعالى- في قلوبنا، دون العكس؛ ليفيد أن ذلك القذف سيكون في قلوبنا نحن دون غيرنا من الأمم، فالوَهْنُ في قلوبنا وليس في قلوب غيرنا.

وقد كان ما يحدث في أرض الرباط من التغيير الذي ذكره الله في قوله {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: ١١] فأصبحوا يحرصون على الموت في سبيل الله كحرص الغثاء على العيش خارج السياق بحب الدنيا وكراهية الموت.

فلما غير هؤلاء حب الدنيا وكراهية الموت إلى حب الآخرة وعز الدنيا والآخرة بالموت في سبيل الله، رزقهم الله مهابة يخاف منها العدو تجعلهم قاهرين لعدوهم وظاهرين منتصرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم.

وهنا نضيف بعض الملاحظات:

الأولى: التقابل بين الأمة السلبية والمسلوبة "الغثاء"(مفعوله)=يقابلها "طائفة مجاهدة مرابطة على الحق لا ترضى الدنية (فاعلة).

والتقابل بين الظهور على الحق / وحب الدنيا وكراهية الموت هو كالتقابل بين الطوفان والغثاء، وبهذا نعلم أنه لا يجوز خلط الأوراق بأن يتكلم في شأن أمة مرابطة مجاهدة محاصرة فرد أو جماعة تعيش في الغثائية والسلبية وترضى الدنية.

وهذه أمة منزوع عنها مهابة الأعداء فلزمتهم الذلة-وهم كثرة- وتلك طائفة ظاهرة على الأعداء أعطاهم الله المهابة وهم قلة.

الثانية: العموم حيث جاء في حديث ثوبان أنه (تداعي الأمم) عامة على (الأمة) عامة وناسب هذا العموم اتساع المطامع والمغانم المغرية والتي يناسبها إناء "متسع" وهو القصعة، والتي أسندها النبي ﷺ إلى الأمم المعتدية والمتداعية فقال (كما تَدَاعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها) فكأنهم من شدة ظلمهم وشدة وهننا ومهابتنا لهم ظنوا أن القصعة قصعتهم.

الثالثة: الخصوص والذي ناسب فيه بين "الطائفة" وبين "الإناء" وهو يدل على كثرة الأعداء وكثرة المخذلين مع قلة " الطائفة" وقلة وانعدام الناصر المعين.

(فالقصعة والإناء) مفعولة ومجعولة ومأمورة ومتداولة لا يملكان من أمرهما شيئاً، وهما وصفان دقيقان لحال الأمة التي لا صوت لها ولا قرار ولا خوف منها، بل كأنها ما خلقت إلا لتُنهب، وتنزل بها النكبات، ويتفرج بعضهم على نكبة بعض ويتآمر بعضهم على بعض وهذا ملازم للأمة في مدة تزيد على قرنين من الزمان.

ولا يفت في عضد الأعداء إلا أن يجدوا أمامهم قلوب مليئة بالخوف من الله، والسعي بالحق لكف يد الظلم عندها تعمل الشياطين بالبحث عن أهل الوهن من "المثبطين والمخذلين المتخاذلين" ليكونوا من طلائع المهاجمين لطائفة الحق ومنهم من يتبرع بذلك حتى ولو لم يأمر أو يطلب منه ذلك ورحم الله الإمام السدي فقد: «روى عن أشياخه أن بلعم أتى إلى قومه متبرِّعاً» (٤٥٠).

والتعبير بالمفرد في قوله (الإناء والقصعة) دليل على أن الأمة تبتلى في "عضو" جزء منها هنا، وجزء منها هناك، وكلما توقف اعتداء تجدد آخر، وبقية الأمة بين ساكت وعاجز وأحسنهم منكرٌ بلسانه أو بقلبه حزناً لما يقع بالأمة.

وأن الغثائية تظهر كلما تم الاعتداء على جزء جديد من الأمة وكلما نزف جرح زادوه ألماً.

«يريد أن فرق الكفر وأمم الضلالة يوشك أن تتداعى عليكم بعضهم بعضا، ليقاتلوكم ويكسروا شوكتكم ويغلبوا على ما ملكتموه من الديار والأموال، كما أن الفئة الأكلة تتداعى بعضهم بعضا إلى قصعتهم التي يتناولونها من غير ما بأس ولا مانع، فيأكلونها عفوا صفوا. فيستفرغوا ما في صحفتكم من غير ما تعب ينالهم أو ضرر يلحقهم أو بأس يمنعهم. يريد أن حب البقاء في الدنيا وكراهية الموت يدعوهم إلى إعطاء الدنية في الدين واحتمال الذل عن العدو، نسأل الله العافية فقد ابتلينا به وكأنه نحن المعنيون بذلك» (٤٥١).

---

٤٥٠) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١٧٠)

٤٥١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (١١/ ٣٣٩٣)

ولأن الأمر متعلق بالإرادة والقلب والوعي والسعي والعلم والعمل فقد ذكر الإمام البيهقي هذا الحديث في«بَابُ إِخْبَارِهِ بِتَدَاعِي الْأُمَمِ عَلَى مَنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِذَا ضَعُفَتْ نَيَّتُهُمْ»(٤٥٢).

نعم إنها نيات ضعيفة لقلوب أصابها الوهن لا يداويها من علتها إلا أن ترجع إلى الحق، وعندها يجعلها الله ظاهرة على عدوها بالحق ولا يضرها من خالفها ولا من خذلها ولا حتى من نصرها. اللهم لا حول ولا قوة إلا بك فقوّنا وأعنا على ألا نحب الدنيا حبا يجعلنا أهل وهن يوصلنا إلى غضبك وانتقامك.

لعدوهم قاهرين ﴿لِيَسُوؤُا وُجُوهَهُمْ﴾

الطائفة المنصورة الأوصاف والأخطار ومعالم النصر

لو تأملنا كلام من لا ينطق عن الهوى ﷺ في وصف الطائفة المنصورة فإن ذلك يدفعنا لوجوب نصرتهم وعدم خذلانهم، ثقة بعود الله تعالى بنصرة المؤمنين، وتصديقاً لبشرى النبي الكريم ﷺ بظهورهم وعلوهم وقهرهم لعدوهم.

فالطائفة المنصورة من خيار الأمة يفتح الله عليها بفتوح الحق القويم. تقاتل على ذلك الحق، وتقهر أهل الباطل.. وتواجه أثناء ذلك بالمخالفة والتكذيب والتشويه وقول الزور في حقها، وتطلب النصرة فيكون الرد بالخذلان، والخذلان لا يصرفها عن طريقها، ولا يفت في عضدها، ستدفع أثمانا عالية غالية من أذى العدو وممن وراءه ومن يواليه، دماء وأشلاء وتضحيات، مع الحصار والجوع، حتى إذا بلغ الكتاب أجله والله فإن الله سيجمع الأنصار من حولها، صفوفها في هذه المرحلة بأرض الشام عامة، وبأرض بيت المقدس وما حوله خاصة، ينتقل جهادها إلى دمشق وما حولها ، وبقاع أخرى غيرها كما دلت روايات أخرى وسيمتد جهادها وتتواصل انتصاراتهم حتى آخر الزمان.. كل هذا وغيره جاء في حديث واحد، متواتر تعددت رواياته وألفاظه وقد جمع من المعاني الكثير..

كما وصفت الطائفة المنصورة بأنها قائمة على الحق وأنها لا يصبها ضرر ممن خذلها ولا من خالفها ولا من ناوئها ولا من كذبها وهي "ظاهرة لعدوها" أي مشهورة معروف

٤٥٢) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٥٣٤)

مكانها ، و"ظاهرة على عدوها" أي غالبة وهذه عبارات عابرة للزمان وهذا ما يفيده قوله ﷺ : لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي (٤٥٣)][وفي رواية : لَا تَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ (٤٥٤)][وفي رواية : وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ (٤٥٥)]«لَا تَبْرَحُ هَذِهِ الْأُمَّةُ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ مَنْصُورِينَ أَيْنَمَا تَوَجَّهُوا، يُقْذَفُ بِهِمْ كُلَّ مَقْذِفٍ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»(٤٥٦).[لَا تَبْرَحُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي] [إِنَّهَا لَنْ تَبْرَحَ] [مِنَ الْمُسْلِمِينَ] (٤٥٧).

والروايات حددت الضرر الذي يصبهم من عدوهم، ومن المخذلين المثبطين والمخالفين والمكذبين والمناوئين لهم، وقد أصبحوا يقاتلون أعداء لا عدواً واحداً ومذاهب وأديان باطلة لا ديناً واحداً ، والواقع يقول أن العالم كله تحزب عليهم ورموهم عن قوس واحدة، فاجتمع شراذم الأرض من اليهود والنصارى وعباد البقر وأهل النفاق على عداوتهم، ومخالفتهم وتكذيبهم ومناوأتهم وخذلانهم وحصارهم، بمنع الطعام والشراب والدواء وسائر ما تقوم به الحياة ، وهذا من تداعي الأمم على أمة الإسلام على وجه العموم كما تداعى الأكلة على قصعتها ، كما أنه تداعي من هؤلاء الأكلة على هذه الطائفة على وجه الخصوص ويشير إلى هذا ما رواه الطبراني بسنده عن رَسُول اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، وَهُمْ كَالْإِنَاءِ بَيْنَ

٤٥٣) صحيح مسلم: (٦ / ٥٣) برقم: (١٠٣٧) مسند أحمد: (٧ / ٣٧٣٩) برقم: (١٧٢٠٦)

٤٥٤) المعجم الكبير: (١٩ / ٣٨٠) برقم: (٨٩٣)، (١٩ / ٣٩٠) برقم: (٩١٧) مسند أبي يعلى الموصلي: (١٣ / ٣٧٥) برقم: (٧٣٨٣)

٤٥٥) صحيح البخاري: (١ / ٢٥) ح (٧١) مسند أحمد: (٧ / ٣٧٣٩) ح (١٧٢٠٥) شرح مشكل الآثار: (٤ / ٣٨٧) ح (١٦٨٣)

٤٥٦) "حسن بشواهده" سنن سعيد بن منصور- الفرائض إلى الجهاد- ت الأعظمي» (٢/ ١٧٧) موقوفاً: «فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن الربعي» (ص٩) (١٦)، وعنه ابن عساكر في "تاريخه" (١/ ٢٥٩)، وأخرجه ابن عساكر من وجهين آخرين (١/ ٢٥٨- ٢٥٩) عن جبير، وقال في رواية: "هم أهل الشام". انظر: موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية (ص٢٠٩)

٤٥٧) من حديث أخرجه الطبراني في الكبير ١٩/ ٣٨٦ (٩٠٥)، وابن عساكر في تاريخه ١/ ٢٦٥. قال الهيثمي في المجمع ٧/ ٣٠٦ (١٢٣٥١): «رواه أبو يعلى، والطبراني في الأوسط، والكبير، ورجالهم ثقات»

الْأَكَلَةِ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: «بِأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ» قَالَ: وَحَدَّثَنِي أَنَّ «الرَّمْلَةَ هِيَ الرَّبْوةُ، ذَلِكَ أَنَّهَا مُغَرِّبَةٌ وَمُشَرِّقَةٌ» (٤٥٨).

فمهما كان حجم العدوات وكثرة الأعداء فإنهم ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم والله غالب على أمره وناصر لجنده وهو سبحانه مجري السحاب وهازم الأحزاب وحده.

ولما لم يكن لهم إلا الله ولياً ونصيراً وهو -نعم المولى ونعم النصير- ولما تمكنوا من صدق التوجه إليه وصدق التوكل عليه جعل الله لهم الغلبة والعلو والقهر لكل هؤلاء الأعداء على اختلاف نياتهم وفسادها.

فسبحان من قال وقوله الحق {قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ٢٤٩]

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٢١]

والنصوص متواترة في صفة هذه الطائفة وبيان مكانها وزمانها، وقد تعانق وصف زمنها ومكانها وشخوصها وأحدثها على أن هذه الطائفة قد جمع الله لها بين ثباتهم على الحق، ودوام النصر والغلبة والظهور والاشتهار واستمرار ذلك، فهي ظاهرة مشتهرة وغالبة منتصرة لن تزول عن مكانها حتى قيام الساعة، ولن يضرها من خذلها ولا من خالفها ولا من ناوئها وكل ضرر يصيبهم هو من اللأواء مع اختلاف جهات الغزو والمناوأة والمخالفة التي تجعلهم يتعرضون للخذلان والحصار ففي بعض الروايات: «إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ، فَهُمْ كَالْإِنَاءِ (كَالشَّيءِ) بَيْنَ الْأَكَلَةِ»(٤٥٩)اللأواء الشدة وضيق المعيشة بل «اللأواء: شدة الضيق» واللَّوْلَاءُ: الشِّدَّةُ والضُّرُّ وَالْجُهَدُ والسَّنَةُ: وقد غلبت على القحط(٤٦٠).

---

٤٥٨) "حسن بشواهده دون ذكر الرملة" رواه "المعجم الكبير" (٢٠/ ٣١٧ - ٣١٨ رقم ٧٥٤)، وأخرجه في "الأوسط" (٦٦٩٥)، والفسوي في "المعرفة والتاريخ" (٢/ ٢٩٨)، والطبري في "تفسيره" (١٩/ ٣٧)، وابن عساكر في "تاريخه" (١/ ٢١٠)، وانظر: تخريجه في «موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية» (ص٣٦٥)

٤٥٩) تهذيب الآثار مسند عمر (٢/ ٨٢٣) فضائل البيت المقدس - الواسطي (ص١٩٣)

٤٦٠) الغريبين في القرآن والحديث (٥/ ١٦٦٥) والنظم المستعذب (١/ ١٢١) (عن القاموس والتاج): (لولاء)

وقال الطبري ﵀:«يعني النبي ﷺ باللَّوْلَاء الشدة، إما في المعيشة من جدب وقحط أو حصار، وإما في الأبدان من الأمراض والعلل أو الجراح. يقال من ذلك: أصابت القوم لأواء، ولولاء» (٤٦١).

قاهرين لعدوهم ولمن يغزوهم

جاء عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ [وفي رواية: عَلَى الْحَقّ (٤٦٢)] ظَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ [وفي رواية: عَلَى مَنْ يَغْزُوهُمْ (٤٦٣)] قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ [وفي رواية: مَنْ نَاوَأَهُمْ (٤٦٤)] إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ قَالُوا [وفي رواية: قِيلَ (٤٦٥)]: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ (٤٦٦)».

وقد جاء في هذه الروايات قوله ﷺ«لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ» وقوله ﵇ «ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ يَغْزُوهُمْ، قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ نَاوَأَهُمْ»

وهذا يفيد أن الله تعالى لما أيدهم بنصره على قلتهم وخذلان الأقربين لهم وتحزب العالمين عليهم حتى صاروا (كَالْإِنَاءِ بَيْنَ الْأَكَلَةِ) فإنه ﷻ ناصرهم بفضله على عدوهم البعيد(من يغزوهم) والقريب(من يخذلهم ويخالفهم ويكذبهم ويسترزق منهم) وهذا يصح أن يكون من التفسير لقوله تعالى:{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} [آل عمران: ١١٢].

---

٤٦١) تهذيب الآثار "مسند عمر» ، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، ط ١، د. ت، ٢/ ٨٣٥

٤٦٢) المعجم الكبير: (٨ / ١٤٥) برقم: (٧٦٤٣)

٤٦٣) المعجم الكبير: (٨ / ١٤٥) برقم: (٧٦٤٣)

٤٦٤) المعجم الكبير: (٨ / ١٤٥) برقم: (٧٦٤٣)

٤٦٥) المعجم الكبير: (٨ / ١٤٥) برقم: (٧٦٤٣)

٤٦٦) رواه عبد الله بن أحمد عن خط أبيه وجادة كما في المسند (٥/ ٢٦٩)، والطبراني كما في المجمع (٧/ ٢٨٨)، وقال الهيثمي: "رجاله ثقات"

ومعلوم أن الحبال حبلين حبل الله ﷻ والمذكور قبل ذكر حبل الناس بعشر آيات قال تعالى {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: ١٠٣]

والحبل الثاني حبل الناس وهو الممدود لليهود بإعانتهم وهذا ينقطع بتغير البشر أو تغيير أهوائهم أو تبعاً لمتغيرات الظروف والواقع، وقد تغيير الآن بنصرة الناس من المؤمنين وغيرهم لطائفة الحق عليهم بالرغم من امدادهم بالعتاد والمال والتأييد.

وحبل الله هو «حبل وثيقِ مأمونِ الانقطاع والِاعْتِصَامُ لِلتَّوْثِيقِ بِالدِّينِ وَعُهُودِهِ واليهود: «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ مُتَلَبِّسِينَ بِكُلِّ حَالٍ إِلَّا مُتَلَبِّسِينَ بِعَهْدٍ مِنَ اللَّهِ وَعَهْدٍ مِنَ النَّاسِ، فَالتَّقْدِيرُ: فَذَهَبُوا بِذِلَّةٍ إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ.

وَالْمَعْنَى لَا يَسْلَمُونَ مِنَ الذِّلَّةِ إِلَّا إِذَا تَلَبَّسُوا بِعَهْدٍ مِنَ اللَّهِ، أَيْ ذِمَّةِ الْإِسْلَامِ، أَوْ إِذَا اسْتَنْصَرُوا بِقَبَائِلَ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ، وَأَمَّا هُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ فَلَا نَصْرَ لَهُمْ. وَهَذَا مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ فَإِنَّ الْيَهُودَ كَانُوا أعزّة بيثرب وَخَيْبَرَ وَالنَّضِيرِ وَقُرَيْظَةَ، فَأَصْبَحُوا أَذِلَّةً، وَعَمَّتْهُمُ الْمَذَلَّةُ فِي سَائِرِ أقطار الدُّنْيَا» (٤٦٧).

ويصبح الجميع -اليهود ومن تحزبوا واجمعوا أمرهم وهم يمكرون- مقهورين بصمود هذه الطائفة وينكشف عن اليهود غطاء حبل الله -بمعاصيهم- بسبب تأييده لطائفة الحق والتي تكون سبباً في انقطاع حبل الناس بظهور الحق فتظهر الذلة والصغار والمسكنة والانكسار.

ولكي نعلم مدى ذلة القوم وانكسارهم وتمكن أهل الحق منهم نشير إلى معنى القهر وهو «الاستيلاءُ والغلبة على طريق التذليل، قال تعالى: {فَأَمَّا اليتيم فَلَا تَقْهَرْ}» (٤٦٨).

و« قهَره: غلبه وأخذَهُ من فَوْقُ» سلّط عليه قُوَّته فلم يكن عنده فُسْحَة الاختيار أو هوادته فهو ينصاع راغمًا) {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ} [الضحى: ٩] لا تحتقره، لا تستذله ...فاحتقاره سَحْق لعزته ولنفسه يعصف بكيانه {قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ} [الأعراف: ١٢٧] (هذه حكاية لقول فرعون، مضيفًا إلى ما كان يفعل بهم أنه متمكن منهم، وهم موضع قهره واحتقاره فهم أقل من أن يهتم بهم»(٤٦٩) ومعنى قول

٤٦٧) التحرير والتنوير (٤/ ٥٦/٣١) وانظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (٢/ ٦٦)

٤٦٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٤/ ٣١٤)

٤٦٩) المعجم الاشتقاقي المؤصل» (٤/ ١٨٥٤)

فرعون «وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ وَإِنَّا مُسْتَعْلُونَ عَلَيْهِمْ بِالْغَلَبَةِ وَالسُّلْطَانِ، قَاهِرُونَ لَهُمْ كَمَا كُنَّا مِنْ قَبْلُ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ إِفْسَادًا فِي أَرْضِنَا، وَلَا خُرُوجًا مِنْ حَظِيرَةِ تَعْبِيدِنَا»(٤٧٠).

قال الطاهر بن عاشور: «الْقَاهِرُ: المتَّمَكُّنِ مِنَ عدوه الْغَالِب بِإِذْلَالٍ، ولا يكون إلا من علو وفوقية لِاسْتِطَاعَةِ قَهْرِ عدوه وإذلاله لِأَنَّ الِاعْتِلَاءَ عَلَى الشَّيْءِ أَقْوَى أَحْوَالِ التَّمَكُّنِ مِنْ قَهْرِهِ» (٤٧١). فلا خروج له عن حكمه، ولا قدرة (٤٧٢).

ووصف النبي ﷺ لهذه الطائفة بقوله «لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ» دليل على كثرة جرائم اليهود وشدتها وقسوتها فبشر النبي ﷺ أمته بأن طائفة منهم ستقهر هؤلاء المجرمين بمنتهى القوة والقسوة التي تتناسب مع عدو ظالم غاصب معتدي ومجرم وهو من تأييد الله لهذه الطائفة ونصرهم على عدوهم.

وعلوهم بالحق لأنهم قائمون على شرع الله ودينه، وهو السبب الذي مكنهم من العلو والظهور على عدوهم وإذلالهم وقهرهم لعدوهم بالأصالة ولمن خذلهم وخالفهم ولمن كذبهم بالتبع، فقد جاء في سائر الروايات (قائمة على أمر الله) أي: دينه الذي شرعه، واستعمل فيه "على" (على الحق) و(ظاهرين على الناس) و(عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ) و(عَلَى مَنْ يَغْزُوهُمْ) (٤٧٣) دلالةً على كونهم عالين على الخصم محيطين بجوانب هذا الأمر، بحيث لا يصل إليه أو إليهم كيد الأعداء» (٤٧٤).

وهذه الرواية تؤكد أنهم في علو وظهور وأن عدوهم مخذول ذليل، وكأن الله عوضهم بخذلان بني جلدتهم، ومخالفتهم وتكذيبهم، إذلال عدوهم وقهره وقهر من تولاه وناصره بخذلان طائفة الحق، قال ابن عاشور: «الْقَاهِرِ يَأْخُذُ الْمَغْلُوبَ مِنْ أَعْلَاهُ فَلَا يَجِدُ مُعَالَجَةً وَلَا حَرَاكًا. وَهُوَ تَمْثِيلٌ بَدِيعٌ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ فِرْعَوْنَ (وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ) [الْأَعْرَاف: ١٢٧]» (٤٧٥).

---

٤٧٠) تفسير المنار(٩/ ٧٠)

٤٧١) التحرير والتنوير» (٩/ ٥٩) بتصرف وزيادة

٤٧٢) تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن (ص٣٠٠): بتصرف وزيادة

٤٧٣) المعجم الكبير: (٨ / ١٤٥) برقم: (٧٦٤٣)

٤٧٤) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري» (١/ ١٦٦) بتصرف وزيادة.

٤٧٥) التحرير والتنوير» (٧/ ١٦٥)

ومجموع روايات الحديث فيه تناسب عجيب بين ظهورهم واشتهارهم وعلوهم وانتصارهم، وإذلالهم لعدوهم وقهرهم له بالرغم من خذلان بني جلدتهم ودعاة الحقوق.

وفيه تثبيت إلهي يدل على توكلهم على الله واعتمادهم عليه، ويكفيهم شرفاً أن النبي ﷺ نسبهم إليه بقوله في جميع الروايات "من أمتي ".

وهذه معجزة له ﷺ ومن دلائل نبوته وكرامة لهم بكونهم على الحق والسنة، قال بدر الدين العيني: «هَذَا مُلْحق بِأَبْوَاب عَلَامَات النُّبُوَّة، وَفِيه معْجزَة ظَاهِرَة، فَإِن هَذَا الْوَصْف مَا زَالَ يحمد الله تَعَالَى فِي زمن النَّبِي ﷺ إِلَى الْآن، وَلَا يَزُول حَتَّى يَأْتِي أَمر الله» (٤٧٦) ويلمح من هذه الرواية «لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ» ترجيح كون هذه الطائفة هي المجاهدة ، وليس معنى ذلك نفي الظهور والغلبة عن أهل العلم وأهل الحديث والسنة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بقدر ما هي دليل قاطع على كون الجهاد قرين العلم وغالب ما ورد في القرآن بشأن العلم ارتبط بالجهاد{ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}[التوبة: ١٢٢]

(لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ)

بعد معرفة معاني "القهر " فإنه يكون من معانيه "إساءة الوجه" التي هي علامة على تمكن القهر من النفس حتى يظهر على الوجه وهو ما يشير إليه قوله تعالى: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ليسوؤوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا} [الإسراء: ٧]

لأن القهر للعدو يظهر في وجهه بالمساءة، والمساءة ثمرة الغلبة والقهر وهي من آثار النصر، وهذه معجزة ظاهرة باهرة نراها في وجوه ممثلي الكيان الغاصب-بعد طوفان الأقصى- قد علت وجوههم قترة وغبرة بعد توشحهم بالسواد على أبدانهم وظهور المساءة في وجوههم.

قال تعالى {فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ} وتقديره: فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ليسوؤا وجوهكم ، وهذا وعد المقابلة على فسادهم في المرة الثانية أَيْ لِيَسُوءُوا

---

٤٧٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦/ ١٦٤)

الْعِبَادَ، أَوِ النَّفِيرَ(٤٧٧).«وَسَوْءُ الْوُجُوهِ: جَعْلُ الْمَسَاءَةِ عَلَيْهَا وعَزَا الْإِسَاءَةَ إِلَيها ، أَيْ تَسْلِيطُ أَسْبَابِ الْمَسَاءَةِ وَالْكَآبَةِ عَلَيْكُمْ حَتَّى تَبْدُوَ عَلَى وُجُوهِكُمْ، لِإِنْ حَصُولَ الْحُزْنُ وَالْخَوْفُ فِي الْقَلْبِ يُظهَرَ الْكُلُوحُ وَالْغَبَرَةُ وَالسَّوَادُ فِي الْوَجْهِ، و مَا يُخَالِجُ الْإِنْسَانَ مِنْ غَمٍّ وَحُزْنٍ، أَوْ فَرَحٍ وَمَسَرَّةٍ يَظْهَرُ أَثَرُهُ عَلَى الْوَجْهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْجَسَدِ، وهو كناية عن الحزن والهم والإهانة لهم ومعنى لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها بالإهانة والقهر (٤٧٨).

«هؤلاء المسلطين سلطهم الله على بني إسرائيل لما كثرت فيهم المعاصي وتركوا كثيرا من شريعتهم وطغوا في الأرض، فنصرهم الله عليكم فقتلوكم وسبوا أولادكم وجاسوا خِلالَ دياركم فهتكوا الدور {وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولا} لا بد من وقوعه لوجود سببه منهم» (٤٧٩).

سأت وجوههم وشاهت بالهزائم والجرائم وبالذلة والصغار، وبالخوف وقهر الموحدين لهم، ومن المساءة رؤية هدم بيوتهم وهجرها وبث الرعب فيها قال تعالى: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا}

ففي هذه الآية إشارة لطيفة وبشارة عظمى شريفة من الله بتتبير ما شادوا أي تدمير علو اليهود المادي والمعنوي. ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن فلسطين لم تعرف العمارات ذات الطوابق التي تزيد عن أربعة أو خمسة طوابق إلا في ظل اغتصاب اليهود لها، ولذلك فإن هذه العمارات الشاهقة التي يقيمونها على الأرض المباركة سيلحقها التدمير والخراب، وذلك كله يجري حتى يأتي اليوم الموعود يوم تتخلص المعركة أو ديار المسلمين من الإيديولوجيات المنافية للإسلام، وذلك أن الرسول ﷺ قد أخبر في حديث قتال اليهود «أن الحجر والشجر سينطق ويقول: يا مسلم يا عبد الله خلفي يهودي فتعال

---

٤٧٧) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها (٢/ ٤٣) تفسير الماوردي النكت والعيون (٣/ ٢٣٠) التبيان في إعراب القرآن (٢/ ٨١٤)

٤٧٨) مفاتيح الغيب للرازي (٢٠/ ٣٠٢) تفسير الماتريدي تأويلات أهل السنة (٧/ ١٠) تفسير الكشاف ومعه الانتصاف ومشاهد الإنصاف والكافي الشاف(٢/ ٦٥٠) التحرير والتنوير (١٥/ ٣٧) التفسير المنير للزحيلي(١٥/ ٢٣)

٤٧٩) تيسير الكريم الرحمن (ص٤٥٤)

فاقتله (٤٨٠)»»، إذن لن يكون قتال النصر في فلسطين قتالا يمينيا رجعياً ولا يساريا تقدميا، وإنما يكون قتالا إسلاميا في سبيل الله كما كان دائماً قتال النصر للمسلمين: {وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا}(سورة الإسراء الآية ٥١) (٤٨١).

لقد رأينا ورأى الناس جميعا -بعد طوفان الأقصى - خروج رئيس الوزراء ووزير الدفاع ورئيس الأركان والمتحدث الرسمي ولباسهم السواد ووجوههم مسودة عليها كآبة المسأة والقهر والإهانة والحزن والذلة والصغار والمسكنة وما كان ذلك ليكون إلا بجند لله همهم أن تكون كلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم.

الْمُرَادَ بِأَمْرِ اللَّه فِي الحَدِيث:

[(قائمة على أمر الله) [قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ] [قَائِمَةً بِالْحَقِّ]

«قوله: (بأمر اللَّه) أي: شريعته ودينه وترويج سنته، وهم أصحاب الحديث، أو بالجهاد مع الكفار وهم الغزاة، وقالوا: المراد بهم المرابطون بثغور الشام في آخر الزمان، كما يشعر به قوله: (حتى يأتي أمر اللَّه)، وقد وقع في بعض الروايات: (وهم بالشام)، وفي بعضها: (حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال). وقوله: (من خذلهم) أي: لم ينصرهم ولم يعاونهم» (٤٨٢)

واستعمل فيه "على" دلالةً على كونهم عالين على الخصم محيطين بجوانب هذا الأمر، بحيث لا يصل إليه أو إليهم كيد الأعداء» (٤٨٣).

وهذا حديث متواتر: «مُلْحق بِأَبْوَاب عَلَامَات النبوة وفيه معْجزَة ظَاهِرَة، فَإِن هَذَا الْوَصْف مَا زَالَ بحمد الله تَعَالَى فِي زمن النَّبِي ﷺ إِلَى الْآن، وَلَا يَزُول حَتَّى يَأْتِي أَمر الله» (٤٨٤)

---

٤٨٠) صحيح البخاري المناقب (٣٥٩٣)، صحيح مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٩٢١)، سنن الترمذي الفتن (٢٢٣٦)، مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٦٧)

٤٨١) الإسراء وفلسطين ودولة اليهود الشيخ أسعد بيوض التميمي ص٢٧٧وما بعدها» مجلة البحوث الإسلامية(العدد٤)١٣٩٨ = ١٩٧٧م) كتبه رحمه الله قبل ما يزيد على الثلاث والأربعين عاماً وها هي الأحداث تقودنا في طوفان الأقصى لنرى النصر والحمد لله حزم الأحزاب وحده وأعز جنده.

٤٨٢) لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٨٢٥)

٤٨٣) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري» (١/ ١٦٦) بتصرف

٤٨٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦/ ١٦٤)

وأمر الله «أَي: يَوْم الْقِيَامَة أَو علاماتها» قَالَ النَّوَوِيّ: هُوَ الرّيح الَّذِي يَأْتِي فَيَأْخُذ روح كل مُؤمن ومؤمنة، ويروى: حَتَّى تقوم السَّاعَة أَي: تقرب السَّاعَة، وَهُوَ خُرُوج الرّيح».
وقال ابن حجر: "وُقُوعُ الْآيَاتِ الْعِظَامِ الَّتِي يَعْقُبُهَا قِيَامُ السَّاعَةِ، وَلَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا شَيْئًا يَسِيرًا، وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَفَعَهُ: لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الدَّجَّالَ» (٤٨٥).
قال العيني «فَإِن قلت: يُعَارض هَذَا الحَدِيث حَدِيث عبد الله بن عبد الله بن عَمْرو: لَا تقوم السَّاعَة إلَاّ على شرار النَّاس هم شَرّ من أهل الْجَاهِلِيَّة لَا يدعونَ الله بِشَيْء إلَاّ رده عَلَيْهِم، رَوَاهُ مُسلم. قلت: المُرَاد من شرار النَّاس الَّذين تقوم عَلَيْهِم السَّاعَة قوم يكونُونَ بِموضع مَخْصُوص وبموضع آخر تكون طَائِفَة يُقَاتلُون على الْحق لَا يضرهم من خالفهم.
وَيُؤَيّدهُ مَا رَوَاهُ أَبُو أُمَامَة مَرْفُوعا لَا تزَال طَائِفَة من أمتِي ظَاهِرين على الْحق لعدوهم قاهرين حَتَّى يَأْتِيهم أَمر الله، وهم كَذَلِك قيل: يَا رَسُول الله وَأَيْنَ هم؟ قَالَ: هم بِبَيْت الْمُقَدّس وأكناف بَيت الْمُقَدّس. قلت: الأكناف جمع كنف بِالتَّحْرِيكِ وَهُوَ الْجَانِب والناحية» (٤٨٦)
ويضيف القسطلاني:" والمراد بهم الذين يحصرهم الدجال إذا خرج فينزل عيسى إليهم فيقتل الدجال، ويحتمل أن يكون ذلك عند خروج الدجال أو بعد موت عيسى عليه السلام بعد هبوب الريح التي تهب بعده فلا يبقى أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلاّ قبضته ويبقى شرار الناس فعليهم تقوم الساعة وهناك يتحقق خلوّ الأرض عن مسلم فضلاً عن هذه الطائفة الكريمة وهذا كما في الفتح أولى ما يتمسك به في الجمع بين الحديثين المذكورين» (٤٨٧).
وأمر الله كذلك حتى تضع الحرب أوزارها حين يظهر الله دينه على الدين كله فلا يبقى إلا الإسلام وسيأتي مزيد لذلك.

٤٨٥)فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٧٧ ط السلفية): عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٦/ ١٦٤) (٢٥/ ١٤١)
٤٨٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٥/ ٤٨)
٤٨٧) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ٣٢٤)

لطيفة وبشرى:

جاءت جُمْلَةُ (**حَتَّى يَأْتِي أَمر الله**): تَأْكِيدٌ لِجُمْلَةِ (**قائمة على أمر الله**)، وَمِنَ الْمُقَرَّرِ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ تَأْكِيدِ الْجُمْلَةِ فِي مِثْلِهِ هُوَ تَأْكِيدُ الْحُكْمِ الَّذِي تَضَمَّنَهُ الْخَبَرُ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْحُكْمَ الْمُسْتَفَادَ مِنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ هُوَ ثُبُوتُ الْتِحَاقِ نصر القائمين بأمر الله بغلبة العدو عِنْدَ حُصُول الاعتداء، فَكَانَ التَّأْكِيدُ مُفِيدًا تَرْجِيحَ أَثَرِ قيامهم على أمر الله عَلَى المصاعب والآلام وأنهم كذلك يجاهدون على أمر الله ويسيرون باسمه تعالى وفي سبيله لتكون كلمة الله هي العليا، وأنهم لا ينقطعون حتى يأتي أمره ﷻ وهم على العهد وعلى الحق وعلى الظهور والغلبة والقهر لعدوهم.

وهذا من تمحيض الإخلاص لله تعالى، والذي يقابله تمحيض نصرهم مهما كانت قوة عدوهم وعدده وعتاده لأن التَّكْرِيرُ يَسْتَلْزِمُ قُوَّةَ الشَّيْءِ الْمُكَرَّرِ.

فهم يسيرون على الحق اتباعاً لنبيهم ﷺ وشعارهم: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٤].

وفي قوله "أمر الله" في أول الحديث وفي آخره، تأكيد للمعية والتأييد الإلهي لهذه الطائفة، ولتوثيق الأمل بأنه لابد منه، كأنه معه فلقيامهم بالحق -أمر الله- خصهم بالنصر وهو أمر الله، كما فيه إشعارٌ بغايةِ سرعةِ مجيءِ النصر، وكأنَّه مقارنٌ للحق الذي قاموا عليه، وقاتلوا من أجله فلا يضرهم خذلان ولا عداوة ولا مخالفة أو مناوأة فهم على أمر الله حتى يأتي أمر الله.

إنهم طائفة اصطفاها الله يتقلبون في أمر الله ونصر الله ونعم الله ويقبلون أمر الله وينتصرون بأمر الله في سبيل الله.

الفصل الخامس

أطراف بيت المقدس وأكنافه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ (لَا تَزَالُ [وفي رواية : لَنْ يَزَالَ (٤٨٨)] [وفي رواية : لا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ أَوْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ (٤٨٩)] [وفي رواية : لَا يَزَالُ لِهَذَا الْأَمْرِ (٤٩٠)] عِصَابَةٌ [وفي رواية : طَائِفَةٌ (٤٩١)] مِنْ أُمَّتِي [وفي رواية : لَا تَبْرَحُ هَذِهِ الْأُمَّةُ (٤٩٢)] [قَوَّامَةً (٤٩٣)] [وفي رواية : قَائِمَةً (٤٩٤)] [عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ﷻ (٤٩٥)] يُقَاتِلُونَ [وفي رواية : يُجَاهِدُونَ (٤٩٦)] [وفي رواية : تُقَاتِلُ أَعْدَاءَهَا (٤٩٧)] [فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابْتِغَاءَ مَرضَاتِ اللَّهِ (٤٩٨)] عَلَى أَبْوَابِ دِمَشْقَ وَمَا حَوْلَهُ، [وَعَلَى أَبْوَابِ دِمَشْقَ وَمَا حَوْلَهُ (٤٩٩)]وَعَلَى أَبْوَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمَا حَوْلَهُ [مَنْصُورِينَ أَيْنَمَا تَوَجَّهُوا، يَقْذِفُ بِهِمْ كُلَّ مَقْذَفٍ (٥٠٠)] ، لَا يَضُرُّهُمْ [وفي رواية : وَلَا يَضُرُّهُمْ (٥٠١)] مَنْ خَذَلَهُمْ [وفي رواية

---

٤٨٨) مسند أحمد: (٢ / ١٧٨٢) برقم: (٨٦٠٠)

٤٨٩) مسند البزار: (١٥ / ٣٦٠) برقم: (٨٩٣٨)

٤٩٠) مسند أحمد: (٢ / ١٧٣٥) برقم: (٨٣٩٠) المطالب العالية: (١٨ / ٣١١) برقم: (٤٤٧٥ / ٥)

٤٩١) سنن ابن ماجه: (١ / ٦) برقم: (٧) المعجم الأوسط: (١ / ١٩) برقم: (٤٧)

٤٩٢) سنن سعيد بن منصور: (٧ / ١٧٧) برقم: (٢٣٧٣)

٤٩٣) سنن ابن ماجه: (١ / ٦) برقم: (٧)

٤٩٤) المعجم الأوسط: (٨ / ٥٥) برقم: (٧٩٤٨)

٤٩٥) سنن ابن ماجه: (١ / ٦) برقم: (٧)

٤٩٦) سنن سعيد بن منصور: (٧ / ١٧٧) برقم: (٢٣٧٣)

٤٩٧) المعجم الأوسط: (٨ / ٥٥) برقم: (٧٩٤٨)

٤٩٨) سنن سعيد بن منصور: (٧ / ١٧٧) برقم: (٢٣٧٣)

٤٩٩) المطالب العالية: (١٧ / ١٥٧) برقم: (٤١٩٧)

٥٠٠) سنن سعيد بن منصور: (٧ / ١٧٧) برقم: (٢٣٧٣)

٥٠١) مسند أحمد: (٢ / ١٧٣٥) برقم: (٨٣٩٠)

: مَنْ خَالَفَهُمْ (٥٠٢)] [وفي رواية : لَا يَضُرُّهُمْ خِلَافُ مَنْ خَالَفَهُمْ (٥٠٣)] [وفي رواية : لَا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا (٥٠٤)] . وَزَادَ ابْنُ حَمْدَانَ : لَا يَضُرُّهُمْ خُذْلَانُ مَنْ خَذَلَهُمْ ، ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ [وفي رواية : حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ (٥٠٥)] [وفي رواية : حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ (٥٠٦)] [وفي رواية : وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ (٥٠٧)] [وفي رواية : حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ ﷻ(٥٠٨)] [كُلَّمَا ذَهَبَتْ حَرْبٌ نَشَبَتْ حَرْبُ قَوْمٍ آخَرِينَ ، يَرْفَعُ اللَّهُ قَوْمًا وَيَرْزُقُهُمْ مِنْهُ (٥٠٩)] [ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هُمْ أَهْلُ الشَّامِ (٥١٠)] وَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ [وفي رواية: قِيلَ (٥١١)]: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ (٥١٢)» «إذا فسد أهل الشام وفي رواية [هلك] (٥١٣) فلا خير فيكم، ولا يزال أناس من أمتي منصورين [وفي رواية: مَنْصُورُونَ (٥١٤)] لا يبالون [خذلان] من خذلهم حتى تقوم الساعة» (٥١٥).

٥٠٢) مسند أحمد: (٢ / ١٧٣٥) برقم: (٨٣٩٠)، (٢ / ١٧٨٢) برقم: (٨٦٠٠)، (٢ / ١٨٧٥) برقم: (٩٠٥٢) صحيح ابن حبان: (١٥ / ٢٤٩) برقم: (٦٨٣٥) مسند البزار: (١٥ / ٣٦٠) برقم: (٨٩٣٨) سنن سعيد بن منصور: (٧ / ١٧٧) برقم: (٢٣٧٣)

٥٠٣) مسند أحمد: (٢ /١٨٧٥) ح (٩٠٥٢) صحيح ابن حبان: (١٥ / ٢٤٩) ح (٦٨٣٥) مسند البزار: (١٥ / ٣٦٠) برقم: (٨٩٣٨)

٥٠٤) سنن ابن ماجه: (١ / ٦) برقم: (٧) المعجم الأوسط: (٨ / ٥٥) برقم: (٧٩٤٨)

٥٠٥) المعجم الأوسط: (٨ / ٥٥) برقم: (٧٩٤٨)

٥٠٦) سنن سعيد بن منصور: (٧ / ١٧٧) برقم: (٢٣٧٣)

٥٠٧) مسند أحمد: (٢ / ١٧٨٢) برقم: (٨٦٠٠)، (٢ / ١٨٧٥) برقم: (٩٠٥٢) صحيح ابن حبان: (١٥ / ٢٤٩) برقم: (٦٨٣٥)

٥٠٨) مسند أحمد: (٢ / ١٧٣٥) برقم: (٨٣٩٠)، (٢ / ١٨٧٥) برقم: (٩٠٥٢)

٥٠٩) المعجم الأوسط: (٨ / ٥٥) برقم: (٧٩٤٨)

٥١٠) المعجم الأوسط: (٨ / ٥٥) برقم: (٧٩٤٨) وانظر المطالب العالية: (١٨ / ٣١١) برقم: (٤٤٧٥ / ١)

٥١١) المعجم الكبير: (٨ / ١٤٥) برقم: (٧٦٤٣)

٥١٢) رواه عبد الله بن أحمد عن خط أبيه وجادة كما في المسند (٥/٢٦٩)، والطبراني كما في المجمع (٧/ ٢٨٨)، وقال الهيثمي: "رجاله ثقات"

٥١٣) مسند البزار: (٨ / ٢٤٣) برقم: (٣٣٠٣)

٥١٤) مسند أحمد: (٦ / ٣٣٢٢) برقم: (١٥٨٣٦)، (٦ / ٣٣٢٢) برقم: (١٥٨٣٧)

٥١٥) رواه أحمد (ح١٩٤٧٣) وهذا لفظه و(ح١٩٤٦٨) (ح١٥٠٤٣)، والترمذي في الفتن رقم (٢١١٨)، وابن ماجة في المقدمة (٦)

((وَإِنِّي أُرَاكُمُوهُمْ [وفي رواية: وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ (تَكُونُوا هُم) (٥١٦)] [وفي رواية: وَإِنِّي لَأَظُنُّكُمْ هُمْ (٥١٧)] [وفي رواية: فَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ (٥١٨)] يَا أَهْلَ الشَّامِ]

محل هذه الطائفة حسب الروايات الواردة (٥١٩):

أولاً: الشام:

ورد في صحيح البخاري في حديث معاوية أن معاذ بن جبل ﷺ قال: هم بالشام. (٥٢٠) وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تزال عصابة من أمتي على الحق ظاهرين على الناس، لا يبالون من خالفهم حتى ينزل عيس بن مريم). قال الأوزاعي فحدثت بهذا الحديث قتادة فقال: لا أعلم أولئك إلا أهل الشام (٥٢١).

قال الحافظ ابن كثير: [... ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله وبها ينزل عيسى ابن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها، ولهذا جاء في الصحيحين: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك). وفي صحيح البخاري (وهم بالشام)] (٥٢٢).

ثانياً: الغرب:

ورد في صحيح مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (لا يزال أهل الغَرْب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة).

اختلاف الرواة في لفظ الحديث، فرواه جماعة بلفظ: (الغرب) وجماعة بلفظ: (المغرب).

قال العلامة المعلمي: (أقرب الأقوال إن المراد بالغرب: الحِدة والشوكة ..... أمَا ما يحكى أن بعضهم قال: المغرب، فخطأ محض) (٥٢٣)

---

٥١٦) مسند أحمد: (٨ / ٤٤٣٣) برقم: (١٩٥٩٨)

٥١٧) المعجم الكبير: (٥ / ١٦٥) برقم: (٤٩٦٧)

٥١٨) مسند البزار: (١٠ / ٢١٠) برقم: (٤٢٩٧)

٥١٩) منقول بتصرف من بحث أحاديث الطائفة الظاهرة للدكتور حسام الدين بن عفانة (ص٣٤)

٥٢٠) صحيح البخاري مع الفتح ١٣/ ٥٤٧.

٥٢١) أخرجه ابن عساكر كما في كنز العمال ٧/ ٢٦٨.

٥٢٢) تفسير ابن كثير ١/ ١٨٤.

٥٢٣) انظر: (الأنوار الكاشفة بتحقيق علي العمران ص: ١٨١)

واختلفوا العلماء أيضًا في تحديد من هم أهل الغرب على أقول منها:

١ - قيل: المراد بهم العرب، لأنهم يستسقون بالغرب وهو الدلو الكبير، وممن قال بهذا المديني.

٢ - المراد أهل الشام، لأن أهل المدينة يجعلون الشام وما جاورها: غرباً، ويؤيد كلامهم الأحاديث التي تحدثت عن الطائفة المنصورة ومكانها في الشام وأكناف بيت المقدس. وممن قال بهذا السجزي وإسحاق بن إبراهيم.

٣ - المراد بهم: هم أهل الحدة والشوكة والقوة في الجهاد، وممن قال بهذا العلامة المعلمي.

وإليك الأقوال: قال القاضي عياض: "عن علي بن المديني، الغرب هنا: الدلو، وأراد العرب، لأنهم أصحابها والمستقون بها، وليست لأحد إلا لهم ولأتباعهم. وقال آخرون: المراد به الغرب من الأرض، وقال معاذ: هم أهل الشام، والشام غرب من الحجاز. وقال غيره: هم أهل الشام وما وراءه. وقيل: المراد بأهل الغرب أهل الشدة والجلد والحِدَّة، والاستنصار في الجهاد، ونصرة دين الله، والغرب: الحِدَّة وغرب كل شيء حدُّه. " (٥٢٤).

قال أبو العباس القرطبي: «أول المغرب بالنسبة إلى مدينة النبي ﷺ إنما هو الشام، وآخره: حيث تنقطع الأرض من المغرب الأقصى وما بينهما، كل ذلك يقال عليه: مغرب. فهل أراد المغرب كله، أو أوله؟ كل ذلك محتمل» (٥٢٥).

ونقل أبو داود في "مسائله" عن أحمد أنه قيل له: هذه الأحاديث التي جاءت: (إن الله تكفَّل لي بالشام وأهله) ونحو هذا؟ قال: ما أكثر ما جاء في هذا! قيل له: فلعله في الثغور؟ قال: لا، وقال: أرض بيت المقدس أين هي؟ ولا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ هم أهل الشام.

وأيد ابن تيمية قول الإمام أحمد أن أهل المغرب هم أهل الشام لوجهين:

١/ أن سائر الحديث بين أنهم أهل الشام.

---

٥٢٤) مشارق الأنوار: ٢/ ١٣٠. شرح النووي على صحيح مسلم ٥/ ٦٠»

٥٢٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٣/ ٧٦٣)

٢/ أن لغة النبي ﷺ وأهل مدينته في (أهل الغرب) هم أهل الشام، ومن يغرب عنهم، كما أن لغتهم في (أهل المشرق) هم أهل نجد والعراق، فإن المغرب والمشرق من الأمور النسبية، فكل بلد له غرب قد يكون غرباً لغيره، وله شرق قد يكون غرباً لغيره، فالاعتبار في كلام النبي ﷺ، لما كان غرباً وشرقاً له حيث تكلم بهذا الحديث وهي: المدينة.

إلى أن قال: فأخبر أن أهل الغرب لا يزالون ظاهرين، وأما أهل الشرق فقد يظهرون تارة، ويغلبون أخرى، وهكذا هو الواقع، فإن الجيش الشامي ما زال منصوراً.

وكان أهل المدينة يسمون الأوزاعي: إمام أهل المغرب. ويسمون الثوري شرقياً ومن أهل الشرق.

وبقول أحمد وابن تيمية قال ابن رجب وغيرهم ـ رحمهم الله ـ.

قال ابن رجب: فإن التشريق والتغريب أمر نسبي، والنبي ﷺ إنما قال هذا بالمدينة، وقد سمّى النبي ﷺ أهل نجد والعراق: أهل المشرق؛ فكذلك كانوا يسمون أهل الشام: أهل المغرب؛ لأن الشام تتغرّب عن المدينة، كما أن نجداً تتشرَّق عنها؛ وكانوا يسمون البصرة هنداً، لأنها من جهة الهند، ومنها يسلك إلى الهند (٥٢٦).

وجمع الحافظ ابن حجر بين هذه الأقوال فقال: «ويمكن الجمع بين هذه الأخبار بأن المراد قوم يكونون ببيت المقدس، وهي شامية، ويسقون بالدلو، وتكون لهم قوة في جهاد العدو وحدة وجد. انتهى» (٥٢٧).

ثالثاً: بيت المقدس وأكناف بيت المقدس:

ورد في حديث أبي أمامة عند الطبراني قوله ﷺ : «هم ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس»، وهذا لا ينافي ما قاله معاذ؛ لأن بيت المقدس وأكنافه من الشام» (٥٢٨)

و«الأكناف جمع كنف بِالتَّحْرِيكِ وَهُوَ الْجَانِب والناحية، وأَكْنَافُ الجَبَل والوادِي: نَواحِيهِما حَيْثُ تَنْضَمُّ إِليه» (٥٢٩)

وهذا يعني: أنهم في بيت المقدس، وفي البلدان والقرى المجاورة لبيت المقدس.

---

٥٢٦) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٥٠٨) فضائل الشام لابن رجب (٣/ ٢٠٤)

٥٢٧) الفتح ١٥/ ٢٢٩

٥٢٨) الحواشي على سنن ابن ماجه» (٤/ ٥٢٩)

٥٢٩) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٥/ ٤٨) تاج العروس من جواهر القاموس (٢٤/ ٣٣٤)

قال الطبري: «فبين ﷺ في هذا الخبر خصوصية سائر الأخبار التي وصفنا أنها خرجت مخرج العموم، بوصفه الطائفة التي أخبر عنها أنها على الحق مقيمة إلى قيام الساعة، أنها ببيت المقدس وأكنافه، دون سائر البقاع غيرها» (٥٣٠)

رابعاً: أبواب دمشق وأبواب بيت المقدس:

عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِى يُقَاتِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ دِمَشْقَ وَمَا حَوْلَهُ، وَعَلَى أَبْوَابِ بَيْتِ المقْدِسِ وَمَا حَوْلَهُ، لا يَضُرُّهُمْ خُذْلانُ مَنْ خَذَلَهُمْ، ظَاهِرِينَ عَلَى الحقِّ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ» (٥٣١)

قال ابن بطال: [إنها تكون في بيت المقدس، كما رواه الطبراني من حديث أبي أمامة ﷺ: (قيل: يا رسول الله أين هم؟ قال (ببيت المقدس)، وقال معاذ ﷺ: هم بالشام.

والظاهر من حديث أبي أمامة وقول معاذ أن ذلك إشارة إلى محل هذه الطائفة في آخر الزمان عند خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم ﷺ، ويدل على ذلك ما تقدم ذكره من حديث أبي أمامة الذي رواه ابن ماجة وفيه: (فقالت أم شريك: يا رسول الله! فأين العرب يومئذ؟ قال: هم قليل وجلهم يومئذ ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح ...).

ويدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد وأبو داوود والبخاري في تاريخه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن حوالة الأزدي ﷺ، قال: وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي- أو على هامتي-ثم قال: (يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك)، قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه»

«ففي هذه الأحاديث دليل على أن جل الطائفة المنصورة يكون بالشام في آخر الزمان، حيث تكون الخلافة هناك، ولا يزالون ظاهرين على الحق، حتى يرسل الله الريح الطيبة،

٥٣٠) تهذيب الآثار (٢/ ٨٣٤ - ٨٣٥)

٥٣١) رواه الطبراني في الأوسط، وفيه الوليد بن عبّاد وهو مجهول، كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٨٨.

فتقبض كل من في قلبه إيمان كما تقدم في الأحاديث الصحيحة أن النبي ﷺقال: (حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك) وقال معاذ: وهم بالشام» (٥٣٢).
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ثَبَتَ لِلشَّامِ وَأَهْلِهِ مَنَاقِبُ: بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَآثَارِ الْعُلَمَاءِ، وَهِيَ أَحَدُ مَا اعْتَمَدْته فِي تَحْضِيضِي الْمُسْلِمِينَ عَلَى غَزْوِ التَّتَارِ وَأَمْرِي لَهُم بِلُزُومِ دِمَشْقَ،

---

٥٣٢) أحاديث الطائفة الظاهرة» (ص٤٠) وفي هذا البحث أقوال للمتأخرين من العلماء ذكرها المؤلف جعلت هذه الطائفة مرتبطة بمحاربة البدع وحصرها في مذهب بعينه من ذلك ما قاله الشيخ حمود التويجري: [وقد اختلف في محل هذه الطائفة: فقال ابن بطال: [إنها تكون في بيت المقدس، كما رواه الطبراني من حديث أبي أمامة ﷺ: (قيل: يا رسول الله أين هم؟ قال (ببيت المقدس)، وقال معاذ ﷺ: هم بالشام. وفي كلام الطبري ما يدل على أنه لا يجب أن تكون في الشام أو في بيت المقدس دائماً، بل قد تكون في موضع آخر في بعض الأزمنة.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ:"ويشهد له الواقع، وحال أهل الشام وأهل بيت المقدس من أزمنة طويلة لا يعرف فيهم من قام بهذا الأمر بعد شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه في القرن السابع وأول الثامن، فإنهم في زمانهم على الحق، يدعون إليه، ويناظرون عليه، ويجاهدون فيه، وقد يجيء من أمثالهم بَعْدُ بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة إلى الحق، والتمسك بالسنة، والله على كل شيء قدير.

ومما يؤيد هذا أن أهل الحق والسنة في زمن الأئمة الأربعة وتوافر العلماء في ذلك الزمان وقبله وبعده لم يكونوا في محل واحد، بل هم في غالب الأمصار، في الشام منهم أئمة، وفي الحجاز، وفي مصر، وفي العراق واليمن، وكلهم على الحق يناضلون ويجاهدون أهل البدع، ولهم المصنفات التي صارت أعلاماً لأهل السنة، وحجة على كل مبتدع، فعلى هذا، فهذه الطائفة قد تجتمع وقد تفترق، وقد تكون في الشام وقد تكون في غيره، فإن حديث أبي أمامة وقول معاذ لا يفيد حصرها بالشام، وإنما يفيد أنها تكون في الشام في بعض الأزمان لا في كلها ".

وقال الشيخ: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٣٣هـ): «وهذا هو الحق فإنه ليس في الشام منذ أزمان أحد بهذه الصفات، بل ليس فيه إلا عباد القبور، وأهل الفسق وأنواع الفواحش والمنكرات، ويمتنع أن يكونوا هم الطائفة المنصورة، وأيضًا فهم منذ أزمان لا يقاتلون أحدًا من أهل الكفر، وإنما بأسهم وقتالهم بينهم. وعلى هذا فقوله في الحديث: (هم ببيت المقدس). وقول معاذ: (هم بالشام). المراد أنهم يكونون في بعض الأزمان دون بعض، وكذلك الواقع فدل على ما ذكرنا» «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» (ص٣٢٣) وفي نفس الصفحة علق الشيخ زهير الشاويش على كلامه ورد عليه بقوله: «يوم أن كتب الشّيخ سليمان ذلك، كانت المعارك قائمة بين الدّولة العثمانية وبين الدّولة النّاشئة في الدِّرْعية، وهو لم يزر الشّام ولم يجتمع بأهلها، وإنّما شاهد الحرب، فكلامه غير دقيقٍ، والسّلفية انتشرت وعمَّت بلاد الشّام.

وكذلك قوله: (في بعض الأزمان دون بعضٍ) تجاوز لمطلق الحديث، ويردّه أيضاً ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: "والنَّبِيّ ﷺ ميّز أهل الشّام بالقيام بأمر الله دائماً إلى أخر الدّهر، وبأنّ الطّائفة المنصورة فيهم إلى آخر الدّهر. فهو إخبار عن أمرٍ دائمٍ مستمرٍّ فيهم مع الكثرة والقوّة، وهذا الوصف ليس لغير أهل الشّام من أرض الإسلام، فإنّ الحجاز التي هي أصل الإيمان نَقَصَ في آخر الزّمان منها: العلم، والإيمان، والنّصر، والجهاد [أي: في زمان ابن تيمية]، وكذلك اليمن والعراق والمشرق، وأمّا الشّام فلم يزل فيها العلم والإيمان ومَن يقاتل عليه منصوراً مؤيّداً في كلّ وقت". اه. مجموع الفتاوى ٤/٤٤٩»

وَنَهْيِي لَهُم عَن الْفِرَارِ إِلَى مِصْرَ، وَاسْتِدْعَائِي الْعَسْكَرَ الْمِصْرِيَّ إِلَى الشَّامِ وَتَثْبِيتِ الشَّامِيِّ فِيهِ، وَقَد جَرَتْ فِي ذَلِكَ فُصُولٌ مُتَعَدِّدَةٌ.

وَهَذِهِ الْمَنَاقِبُ أُمُورٌ:

أَحَدُهَا: الْبَرَكَةُ فِيهِ، ثَبَتَ ذَلِكَ بِخَمْسِ آياتٍ مِن كتَابِ اللهِ تَعَالَى.

حَيْثُ ذَكَرَ اللَّهُ أَرْضَ الشَّامِ فِي هِجْرَةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَيْهَا وَمَسْرَى الرَّسُولِ إِلَيْهَا وَانْتِقَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَيْهَا وَمَمْلَكَةِ سُلَيْمَانَ بِهَا وَمَسِيرِ سَبَأٍ إِلَيْهَا: وَصَفَهَا بِأَنَّهَا الْأَرْضُ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا.

وَأَيْضًا: فَفِيهَا الطُّورُ الَّذِي كَلَّمَ اللهُ عَلَيْهِ مُوسَى، وَالَّذِي أَقْسَمَ اللهُ بِهِ فِي "سُورَةِ الطُّورِ" وفِي {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢)} [التين: ١ - ٢].

وَفِيهَا الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى.

وَفِيهَا مَبْعَثُ أَنْبِيَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِلَيْهَا هِجْرَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَإِلَيْهَا مَسْرَى نَبِيِّنَا، وَمِنْهَا مِعْرَاجُهُ، وَبِهَا مُلْكُهُ وَعَمُودُ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَطَائِفَة مَنْصُورَةٌ مِن أُمَّتِهِ، وَإِلَيْهَا الْمَحْشَرُ وَالْمَعَادُ، كَمَا أَنَ مِن مَكَّةَ الْمَبْدَأُ، فَمَكَّةُ أُمُّ الْقُرَى مِن تَحْتِهَا دُحِيَت الْأَرْضُ، وَالشَّامُ إِلَيْهَا يُحْشَرُ النَّاسُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: {لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} [الحشر: ٢] نَبَّهَ عَلَى الْحَشْرِ الثَّانِي، فَمَكَّةُ مَبْدَأٌ، وإيليا مَعَادٌ فِي الْخَلْقِ، وَكَذَلِكَ فِي الْأَمْرِ فَإِنَّهُ أسْرِيَ بِالرَّسُولِ مِن مَكَّةَ إِلَى إيليا، وَمَبْعَثُهُ وَمَخْرَجُ دِينِهِ مِن مَكَّةَ، وَكَمَالُ دِينِهِ وَظُهُور وَتَمَامُهُ حَتَّى مَمْلَكَةِ الْمَهْدِيِّ بِالشَّامِ، فَمَكَّةُ هِيَ الْأَوَّلُ، وَالشَّامُ هِيَ الْآخِرُ: فِي الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، فِي الْكَلِمَاتِ الْكَوْنِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ.

وَمِن ذَلِكَ: أَنَّ بِهَا طَائِفَةً مَنْصُورَةً إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَهِيَ الَّتِي ثَبَتَ فِيهَا الْحَدِيثُ فِي الصِّحَاحِ مِن حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ وَغَيْرِهِ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُم مَن خَالَفَهُم وَلَا مَن خَذَلَهُم حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ".

وَفِيهِمَا عَن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: "وَهُم فِي الشَّامِ" .

وَفِي "تَارِيخِ الْبُخَارِيِّ" مَرْفُوعًا قَالَ: "وَهُم بِدِمَشْقَ".

وَفِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ" عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لَا يَزَالُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُم مَن خَالَفَهُم حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ" قَالَ أَحْمَد بْنُ حَنْبَلٍ: أَهْلُ الْمَغْرِبِ هُم أَهْلُ الشَّامِ. وَهُم كَمَا قَالَ.

وَمِن ذَلِكَ: أَنَّهَا خِيرَةُ اللهِ مِن الْأَرْضِ، وأَنَّ أَهْلَهَا خِيرَةُ اللهِ وَخِيَارُ أَهْلِ الْأَرْضِ.

وَمِن ذَلِكَ أَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ بِهَا فِي حَدِيثِ التِّرْمِذِيِّ.

وَمِن ذَلِكَ أَنَّ اللهَ قَد تَكَفَّلَ بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ كَمَا فِي حَدِيثِ الْخَوَالِي.

وَمِن ذَلِكَ: "أَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَى الشَّامِ"، كَمَا فِي الصَّحِيحِ مِن حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ.

وَمِن ذَلِكَ أَنَّ عَمُودَ الْكِتَابِ وَالْإِسْلَامِ بِالشَّامِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : "رَأَيْت كَأَنَّ عَمُودَ الْكِتَابِ أُخِذَ مِن تَحْتِ رَأْسِي فَأَتْبَعْته بَصَرِي فَذُهِبَ بِهِ إلَى الشَّامِ".

وَمِن ذَلِكَ: أَنَّهَا عُقْرُ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " وَعُقْرُ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ ".

وَمِن ذَلِكَ: أَنَّ مُنَافِقِيهَا لَا يَغْلِبُوا أَمْرَ مُؤْمِنِيهَا، كَمَا رَوَاهُ أَحْمَد فِي الْمُسْنَدِ» (٥٣٣)

فأهل الحق القائمون على أمر الله أحق الناس بعمارة الأرض المباركة، والشام بلد جهاد إلى قيام الساعة، وأعداء الله لن يكفوا عنها، فكان الترغيب للسكنى فيها، والرباط، والجهاد.

فهي حلبة الصراع بين الحق والكفر، فهي مركز قيادة الناس إلى الخير الذي بشر به النبيﷺ بقوله: (إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة).

وهذه الطائفة هم أهل العلم والجهاد، ومن تبعهم اقتداء بالسلف الصالح ـ ﷺ ـ إيماناً قولاً عملاً، وجهادا ورباطاً.

(*) عن لُقْمَانُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ أَمْرِكَ؟ قَالَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهَا قُصُورُ الشَّامِ (٥٣٤).

قال ابن كثير: «وَتَخْصِيصُ الشَّامِ بِظُهُورِ نُورِهِ إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِقْرَارِ دِينِهِ وَثُبُوتِهِ بِبِلَادِ الشَّامِ، وَلِهَذَا تَكُونُ الشَّامُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مَعْقِلًا لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَبِهَا يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِذَا نَزَلَ بِدِمَشْقَ بِالْمَنَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ الْبَيْضَاءِ مِنْهَا. وَلِهَذَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ

٥٣٣) تقريب فتاوى ابن تيمية (٢/ ١٥٥) وانظر مجموع الفتاوى (٢٧/ ٥٠٦) مناقب الشام وأهله (ص ٧٣)

٥٣٤) في «المسند» ٤: ١٢٧- ١٢٨، والطبري ١: ٤٣٥، والحاكم في «المستدرك» ٢: ٦٠٠، وصحّحه وأقرّه الذهبي. وصحّحه الشيخ أحمد شاكر أيضا في تعليقه على تفسير الطبري». والحديث بنحوه رواه الإمام أحمد أيضا في «المسند» ٥: ٢٦٢ من الحديث أبي أمامة ﵁ قال: قلت: يا نبيّ الله ما كان أول بدء أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشام

مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ" (٥٣٥). وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٥٣٦): "وَهُمْ بِالشَّامِ"» (٥٣٧).

قال ابن تيمية: «وَالنَّبِيُّ ﷺ مَيَّزَ أَهْلَ الشَّامِ بِالْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ دَائِمًا إلَى آخِرِ الدَّهْرِ وَبِأَنَّ الطَّائِفَةَ الْمَنْصُورَةَ فِيهِمْ إلَى آخِرِ الدَّهْرِ فَهُوَ إخْبَارٌ عَنْ أَمْرٍ دَائِمٍ مُسْتَمِرٍّ فِيهِمْ مَعَ الْكَثْرَةِ وَالْقُوَّةِ وَهَذَا الْوَصْفُ لَيْسَ لِغَيْرِ الشَّامِ مِنْ أَرْضِ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّ الْحِجَازَ - الَّتِي هِيَ أَصْلُ الْإِيمَانِ نَقَصَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ: مِنْهَا الْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ وَالنَّصْرُ وَالْجِهَادُ وَكَذَلِكَ الْيَمَنُ وَالْعِرَاقُ وَالْمَشْرِقُ. وَأَمَّا الشَّامُ فَلَمْ يَزَلْ فِيهَا الْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ وَمَنْ يُقَاتِلُ عَلَيْهِ مَنْصُورًا مُؤَيَّدًا فِي كُلِّ وَقْتٍ» (٥٣٨).

وعلق على هذا الشيخ أحمد بن ناصر الطيار فقال: «وهكذا الحال إلى يومنا هذا، فلا زال أهل الشام في فلسطين وسوريا يُقاتلون أعتى وأقسى وأكفر أهل الأرض، وهم اليهود والرافضة والروسُ والصليبيون، فقد اجتمعوا عن بكرة أبيهم على أهل الشام، فقاتلوهم قتالًا عظيمًا قل في التاريخ نظيرُه، واسْتبسلوا في الدفاع عن أعراضهم ودينهم وأرضهم، ولا زالت الحرب سجالًا، تُعقد هدنة بين الفينة والأخرى، وتستعر الحرب كثيرًا، ونسأل الله تعالى أن ينصرهم نصرًا مُؤزَّرًا» (٥٣٩)

(*) «وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ اسْتَقْبَلَ بِيَ الشَّامَ، وَوَلَّى ظَهْرِيَ الْيَمَنَ(٥٤٠) ثُمَّ قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكَ مَا تِجَاهَكَ غَنِيمَةً وَرِزْقًا، وَمَا خَلْفَ ظَهْرِكَ مَدَدًا، وَلا يَزَالُ اللَّهُ يَزِيدُ -أَوْ قَالَ: يُعِزُّ- الإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَيُنْقِصُ الشِّرْكَ وَأَهْلَهُ،

---

٥٣٥) هذا لفظ حديث ثوبان في صحيح مسلم برقم (١٩٢٠) ورواه أيضا بنحوه من حديث معاوية برقم (١٠٣٧) وهو في صحيح البخاري برقم (٧٤٦٠) من حديث معاوية رضي الله عنه برقم (٧٤٥٩) من حديث المغيرة رضي الله عنه

٥٣٦) صحيح البخاري برقم (٧٤٦٠) من حديث معاذ رضي الله عنه .

٥٣٧) تفسير ابن كثير - ت السلامة (١/ ٤٤٤)

٥٣٨) مجموع الفتاوى (٤/٤٤٩)

٥٣٩) تقريب فتاوى ابن تيمية» (٢/ ١٥٧).

٥٤٠) اليمن: إنما سميت بذلك لتيامنهم إليها، ويقال: إن الناس كثروا بمكة فلم تحملهم، فالتأمت بنو يمن إلى اليمن، وهي أيمن الأرض فسميت بذلك، وقيل: حد اليمن من وراء تثليث، وما سامتها إلى صنعاء، وما قاربها إلى حضرموت، والشحر وعمان إلى عدن أبين، وما يلي ذلك من التهائم والنجود واليمن تجمع ذلك كله، والنسبة إليهم يمني. "معجم البلدان" (٥/ ٥١٠).

حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ بَيْنَ كَذَا -يَعْنِي البَحْرَيْنِ (٥٤١)- وَلَا يَخْشَى إِلَّا جَوْرًا، وَلَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَبْلَغَ اللَّيْلِ »(٥٤٢)

(*) وعن قُرَّة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة) (٥٤٣).

قلت: ظهر من هذه الأحاديث رجوع أهل الشام للحق، والحق يعني التمسك بالكتاب والسنة والاتباع لمحمد ﷺ، والذين معه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين (٥٤٤) قولاً وعملاً جهاداً ورباطاً هجرة ونصرة.

حدودُ الأرضِ المقدسة:

روى البخاري عن عَوْف بْنَ مَالِكٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ:« اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا

٥٤١) البحرين: كان اسمًا لسواحل نجد بين قطر والكويت، وكانت هجر قصبته، وهي الهفوف اليوم، وقد تسمى "الحَسَا"، ثم أطلق على هذا الإقليم اسم الأَحْسَاءِ حتى نهاية العهد العثماني، وانتقل اسم البحرين إلى جزيرة كبيرة تواجه هذا الساحل من الشرق، وهذه الجزيرة كانت تسمى "أَوَالُ"، وهي إمارة البحرين اليوم، والبحرين اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان، قيل: هي قصبة هجر، وقيل: هجر قصبة البحرين، وقد عَدَّهَا قوم من اليمن، وجعلها آخرون قصبة برأسها، وفيها عيون مياه، وبلاد واسعة، وقيل: البحرين من أعمال العراق، وحده من عمان ناحية جرفار، واليمامة على جبالها، وربما ضمت باليمامة إلى المدينة. "معجم البلدان" (١/ ٤١١ - ٤١٥)

٥٤٢) "ضعيف" "حلية الأولياء" (٦/ ١٠٧)، وأخرجه ابن عساكر في "تاريخه" (١/ ٣٩٢)، وابن النجار في "الذيل على تاريخ بغداد" (٢/ ١١٩)، ثلاثتهم عن أبي عمير به. قال أبو نعيم: غريب من حديث الشيباني، تفرد به عنه ضمرة بن ربيعة. وتوبع أبو عمير، تابعه الحسين بن الفضل عند ابن عساكر (١/ ٣٩٢)، والسمعاني في "فضائل الشام" (١٧). قلت: رجال إسناده إلى نعيم أئمة ثقات إلا عمرو بن عبد الله الحضرمي؛ فقد انفرد بالرواية عنه يحيى ابن أبي عمرو السيباني، ووثقه العجلي، وهو متساهل؛ لذا قال الحافظ: مقبول، وقد اختلف عليه فيه؛ فرواه إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن أبي عمرو، عنه، عن جبير بن نفير مرسلًا، وهذا يدل على عدم ضبطه للرواية، فالإسناد ضعيف. قال الألباني في "الضعيفة" (٥٨٤٨): ضعيف. نقلا عن: موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية (ص١٩٣)

٥٤٣) أخرجه الطيالسي، ومن طريقه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح (تخريج فضائل الشام صفحة رقم ١٩). وأخرجه أحمد، وابن أبي شيبة في المصنف (١٢/١٩٠) وغيرهم وله شواهد كثيرة وانظر في " السلسلة الصحيحة " رقم (٤٠٣).

٥٤٤) إسعاد الاخصا بذكر صحيح فضائل الشام والمسجد الأقصى (١/ ٢٧، ٣٠) بتصرف وزيادة.

يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا.»(٥٤٥).

في هذا الحديث دلالة على أن النبي ﷺ يعد أول من جاس أطراف ديار بيت المقدس فقد ذكر المؤرخون بأن تبوك تعد من أطراف بيت المقدس (٥٤٦).

وقد جاوز النبي الكريم ﷺ تبوك إلى المدن التي تليها، وهي أيضا ضمن نطاق بيت المقدس، بل أرسل علقمة بن مُجَزِّز المدلجي ﷺ على رأس سرية إلى فلسطين(٥٤٧) وقد بدأ التحرك النبوي الفعلي باتجاه فتح بيت المقدس في غزوة دومة الجندل وهي في السنة الخامسة للهجرة أي قبل غزوة تبوك بأربع سنين تقريبا، ومما يوضح خطة النبي ﷺ في ذلك ما رواه الواقدي في مغازيه: أَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَدْنُوَ إِلَى أَدْنَى الشّامِ، وَقِيلَ لَهُ إِنّهَا طَرَفٌ مِنْ أَفْوَاهِ الشّامِ، فَلَوْ دَنَوْت لَهَا كَانَ ذَلِكَ مِمّا يُفْزِعُ قَيْصَرَ. وَقَدْ ذُكِرَ لَهُ أَنّ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ جَمْعًا كَثِيرًا، وَأَنّهُمْ يَظْلِمُونَ مَنْ مَرّ بِهِمْ مِنْ الضّافِطَةِ (٥٤٨)، وَكَانَ بِهَا سُوقٌ عَظِيمٌ وَتُجّارٌ، وَضَوَى إِلَيْهِمْ قَوْمٌ مِنْ الْعَرَبِ كَثِيرٌ، وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَدْنُوا مِنْ الْمَدِينَةِ. فَنَدَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النّاسَ، فَخَرَجَ فِي ألف من المسلمين، فكان يسير الليل ويكمن النّهَارَ، فَسَارَ النّبِيّ ﷺ حَتّى هَجَمَ عَلَى مَاشِيَتِهِمْ وَرِعَائِهِمْ، فَأَصَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْ أَصَابَ، وَهَرَبَ مَنْ هَرَبَ فِي كُلّ وَجْهٍ. وَجَاءَ الْخَبَرُ أَهْلَ دُومَةِ الْجَنْدَلِ فَتَفَرّقُوا، وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَاحَتِهِمْ، فَلَمْ يَجِدْ بِهَا أَحَدًا، فَأَقَامَ بِهَا أَيّامًا وَبَثّ السّرَايَا وَفَرّقَهَا حَتّى غَابُوا عَنْهُ يَوْمًا ثُمّ رَجَعُوا إِلَيْهِ، وَلَمْ يُصَادِفُوا مِنْهُمْ أَحَدًا..) (٥٤٩).

---

٥٤٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب ما يحذر من الغدر، (٤/ ١٠١) برقم (٣١٧٦)

٥٤٦) الأنس الجليل (٢/ ٨٣)

٥٤٧) علقمة بن مجزز بن الأعور المدلجي، ولاه النبي ﷺ بعض جيوشه وأرسله في غزوة تبوك إلى فلسطين، وولاه أبو بكر الصديق حرب فلسطين وشهد اليرموك ثم كان ممن ولي حرب فلسطين في خلافة عمر بن الخطاب، وحضر الجابية، وقد استشهد في البحر فقد أرسله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في عشرين مركباً، أو نحوها، في البحر إلى الحبشة لأن الحبشة تطرفت طرفا من أطراف الإسلام فأصيبوا جميعاً، انظر تاريخ دمشق: ٤١/ ١٩١- ١٩٢

٥٤٨) الضافطة: جمع ضافط، وهو الذي يجلب الميرة والمتاع إلى المدن، وكانوا يومئذ قوماً من الأنباط يحملون إلى المدينة الدقيق والزيت. (النهاية، (٣/ ٢٢)

٥٤٩) رواه الواقدي عن ابْن أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي لَبِيدٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرّحْمَنِ. ثم قال: وَحَدّثَنِي عَبْدُ الرّحْمَنِ بن عبد العزيز، عن عبد الله بن أَبِي بَكْرٍ، فَكِلَاهُمَا قَدْ حَدّثَنَا بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَأَحَدُهُمَا يَزِيدُ عَلَى صَاحِبِهِ، وَغَيْرُهُمَا قَدْ حَدّثَنَا أيضا. مغازي الواقدي، ١/ ٤٠٢- ٤٠٣.

وقوله ﷺ (موتان) بضم الميم عند تميم، وفتحها عند غيرهم: الوَبَاء، وفي الأصل هو موتٌ يقَع في الماشية، واستِعماله في الإنسان أنْ يتنبَّه على وُقوعه فيهم بوُقوعه في المَاشية، فإنَّها تسلب سَلْبًا شرعيًّا، وقد وقع ذلك في زمان عمر ﷺ في عمواس؛ قرية من قرى بيت المقدس، كان بها عسكر المسلمين، وهو أول طاعون وقع في الإسلام، مات فيه سبعون ألفًا في ثلاثة أيام» (٥٥٠) قال ابن حجر: «قَوْلُهُ: (ثُمَّ مُوتَانِ) بِضَمِّ الْمِيمِ وَسُكُونِ الْوَاوِ، قَالَ الْقَزَّازُ: هُوَ الْمَوْتُ. وَقَالَ غَيْرُهُ الْمَوْتُ الْكَثِيرُ الْوُقُوعِ، وَيُقَالُ بِالضَّمِّ لُغَةُ تَمِيمٍ وَغَيْرِهِمْ يَفْتَحُونَهَا. وَيُقَالُ لِلْبَلِيدِ مَوْتَانُ الْقَلْبِ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالسُّكُونِ، وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: يَغْلَطُ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ فَيَقُولُ مَوَتَانٌ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالْوَاوِ، وَإِنَّمَا ذَاكَ اسْمُ الْأَرْضِ الَّتِي لَمْ تُحْيَا بِالزَّرْعِ وَالْإِصْلَاحِ. (تَنْبِيهٌ): فِي رِوَايَةِ ابْنِ السَّكَنِ ثُمَّ مَوْتَتَانِ بِلَفْظِ التَّثْنِيَةِ وَحِينَئِذٍ فَهُوَ بِفَتْحِ الْمِيمِ» (٥٥١)

و«عَنْ مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قالَ: قالَ رَسُول اللَّهِ ﷺ: "عُمْرانُ بَيْتِ المَقْدِسِ خَرابُ يَثْرِبَ، وَخَرابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ المَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ المَلْحَمَةِ فَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحُ القُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجّالِ"».

وفتح القسطنطينية خروج الدجال، يوافق ترتيب حديث عوف بن مالك من رواية البخاري السابق، ووجه الموافقة أن فتح بيت المقدس سبب عمرانها، وخراب يثرب وخروج الملحمة سبب موتان القتلى الذي تأخذكم كقعاص الغنم، فإن القعاص هو الموت المعجل، وفتح القسطنطينية هو سبب استفاضة المال حتى يعطى الرجل المال العظيم فيسخط به، ثم الفتنة التي لا تبقي بيتًا إلا دخلته، وهي فتنة المسيح الدجال التي أمرنا رسول الله ﷺأن نستعيذ منها (٥٥٢).

قال مجير الدين العلمي :«وأما حدودُ الأرضِ المقدسةِ، فمنَ القِبْلَةِ أرضُ الحجازِ الشريفِ، يفصلُ بينَهُما جبالُ الشورى، وهي جبالٌ منيعةٌ بينَها وبينَ أيلةَ نحوُ مرحلةٍ، وسطحُ أيلةَ هو أولُ حدِّ الحجازِ من جهةِ الشامِ، وهي من تيهِ بني إسرائيلَ، وبينَها وبينَ بيتِ المقدسِ نحوُ ثمانيةِ أيامٍ سير الأثقال، ومن الشرقي من بعدِ دومةِ الجندلِ بريةُ

---

٥٥٠) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (٩/ ٢٥٥) شرح المصابيح لابن الملك (٥/ ٥٢٠)

٥٥١) فتح الباري (٦/ ٢٧٨)

٥٥٢) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٧/ ٩٣)

السَّماوَةِ، وهي كبيرةٌ ممتدةٌ إِلى العراقِ، ينزلُها عربُ الشام، ومسافتُها عن بيتِ المقدس نحوُ مسافةَ أيلةَ، ومنَ الشَّمالِ مما يلي الشرقَ نهرُ الفراتِ، ومسافتُه عن بيتِ المقدسِ نحوُ عشرين يومًا سير الأثقالِ، فيدخلُ في هذا الحدِّ المملكةُ الشاميةُ بكمالِها، ومن الغربِ بحرُ الرومِ، وهو البحرُ المالحُ ومسافتُه عن بيتِ المقدسِ من جهةِ رَمْلَةِ فلسطينَ نحوُ يومينِ، ومن الجنوبِ رمل مصرَ والعريشُ، ومسافتُه عن بيتِ المقدسِ نحوُ خمسةِ أيامٍ سير الأثقالِ، ثم يليهِ تيهُ بني إسرائيلَ وطورُ سيناءَ، ويمتدُّ من تلكَ الجهةِ إلى تبوكَ، ثم دومةُ الجندلِ المتصلةُ بالحدِّ الشرقيِّ»(٥٥٣).

تدارس الصحابة الكرام رضوان الله عليهم هذا الحديث وطريقة تعاملهم معه:

دلت عدة روايات على عناية الصحابة ﷺ بهذا الحديث وتدارسهم له وبشكل خاص بعد وقوع طاعون عمواس فقد أخرج الحاكم في المستدرك في حديث عوف وفيه: فَلَمَّا كَانَ عَامَ عَمْوَاسَ قال عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنهما: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ لِي: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ» فَقَدْ كَانَ مِنْهُنَّ الثَّلَاثُ وَبَقِيَ الثَّلَاثُ، فَقَالَ مُعَاذٌ: إِنَّ لِهَذَا مُدَّةً (٥٥٤). وروي أنه قال: إن لهذا أهلاً (٥٥٥).

وفي ذلك دلالة على أن الصحابة الكرام تعاملوا مع هذه الآيات التي أخبر عنها النبي ﷺ بما تقتضيه هذه الأخبار من إعداد وعمل وجهاد، فقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم أن من أهم الواجبات عليهم أن يحققوا هذا الوعد وأن يحولوا هذا الخبر إلى حقيقة

---

٥٥٣)فتح الرحمن في تفسير القرآن للعليمي (٢/ ٢٧٣) وبتفصيل أكثر في «الأنس الجليل» (٢/ ٨٣) وانظر «تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس» (١/ ٨٧) وفي حدود الأرض المقدسة وفلسطين والشام نجد مؤلفاً لصَالح بن مُحَمَّد بن عبد الله بن احْمَد الْخَطِيب الغزى التمرتاشى الْحَنَفِيّ ولد سنة ٩٨٠ ه، وَتوفى سنة ١٠٥٥ه، وهو من مدينة غزة، وهي تحت عنوان: (الخَبَرْ التّام في ذِكر حُدود الأرض المقدسة وفلسطين والشام) ننوه أن الجدل كان في مصر، بحضور رجال الحكم، فيما إذا كانت دمشق، هي الأرض المقدسة.وقد طبعت بعنوان (رسالتان حول مسائل لها أبعاد مقدسة بتحقق الباحث غالب إبراهيم عنابسة) ومعها مخطوطة أخرى بعنوان (دُرّ النّظام في مَحَاسِن الشّام) لمحمد بن حبيب وهو من مدينة نابلس(كان حياً ١٠٥٩هـ)، هذه المخطوطة أيضا كانت لسؤال بحضور حاكم دمشق، انظر مقال (من أدب الفضائل: حدود الأرض المقدسة في مخطوط منذ القرن السابع عشر الميلادي" غالب إبراهيم عنابسة- دورية كان التاريخية.- السنة الثانية عشرة- العدد ٤٤؛ يونيو ٢٠١٩. ص ١١٦ – ١٢٢.)

٥٥٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم، حديث رقم ٨٣٠٣، (٤/ ٤٦٩).

٥٥٥) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٢٧٩).

قائمة، وأن يستعدوا لمواجهة الفتن، فقاموا بهذا الواجب على أفضل حال في حالتي البشارة والنذارة، فسعوا لفتح بيت المقدس بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة فقد أنفذ أبو بكر الصديق ﷺ بعث أسامة إلى فلسطين بالرغم من ارتداد أكثر العرب عملاً بوصية النبي ﷺ، وقد روى الواقدي في فتوح الشام عن مجموعة من الرواة أن أبا بكر الصديق ﷺ بعد أن فرغ من حروب الردة قام خطيبا في الناس وكان مما قال" اعلموا أن رسول الله ﷺ كان عول أن يصرف همته إلى الشام، فقبضه الله إليه، واختار له ما لديه، إلا وإني عازم أن أوجه أبطال المسلمين إلى الشام بأهليهم ومالهم، فإن رسول الله ﷺ أنبأني بذلك قبل موته" (٥٥٦).

وقد جمع الصديق ﷺ أهل الشورى من أجل وضع الخطة التفصيلية لهذا الفتح وكان ممن أشار برأيه كل من عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف ﷺ، فكان رأي الفاروق ﷺ أن" يسرِّب إليهم الخيل في إثر الخيل، ويبعث الرجال تتبعها الرجال، والجنود تتلوها الجنود" وأما ابن عوف ﷺ فقال:" يا خليفة رسول الله إنها الروم وبنو الأصفر، حدٌّ حديد وركن شديد، ما أرى أن تقحم عليهم إقحاما لكن تبعث الخيل فتغيرُ في قواصي أرضهم ثم ترجع إليك فإذا فعلوا ذلك بهم مرارا أضروا بهم وغنموا من أداني أرضهم فقووا بذلك عن عدوهم ثم تبعث إلى أهل اليمن وأقاصي ربيعة ومضر ثم تجمعهم جميعا إليك ثم إن شئت بعد ذلك غزوتهم" .

وقد ارتضى الصديق ﷺ رأي عمر ﷺ في إرسال الجيوش إلى الشام وعدم الاقتصار على بث السرايا، لأن مرحلة بث السرايا تمت في زمن النبي ﷺ وبداية زمن أبي بكر ﷺ، وأخذ بجزء من رأي عبد الرحمن بن عوف وهو المتعلق بجمع أهل اليمن وغيرهم من أجل هذه الحرب، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام اهتمام الصحابة ﷺ بمعرفة عدوهم وإمكانياته وقدراته وقواته مما جعلهم يفكرون مليا في طريقة مواجهته، بل تروي كتب المغازي أن أبا بكر ﷺ أمر الصحابة الذين في المدينة بالنفير لقتال الروم ولما اجتمع الجيش واستعرضهم أبو بكر ﷺ وجد عددهم وعدتهم لا تكفي لخوض الحرب مع الروم، وهذا كان رأي عمر ﷺ أيضا، فأرسل الكتب إلى اليمن وأطراف البلاد لإرسال المدد ولم يرسل الجيوش إلا بعد اجتماع عدد كبير من الجند من اليمن وأطراف

٥٥٦) فتوح الشام للواقدي (١/ ٥).

البلاد، وفي ذلك درس لنا في هذا الزمان بضرورة معرفة العدو وإدراك خطره ومكامن القوة والضعف لديه والتعرف على جميع النواحي المتعلقة به والقوى المرتبطة به.

وعندما قال معاذ ﷺ عن الآيات الثلاث الباقية: إن لهذا أهلا، ففي ذلك إشارة إلى أن من أهم الواجبات على أتباع الصحابة الكرام والسائرين على دربهم أن يستعدوا لمواجهة الفتن التي حذر منها النبي ﷺ حيث حذر ﷺ من فتنتين أولاهما فتنة السراء واستفاضة المال وعدم القناعة بشيء من العطاء، والأخرى فتنة لا تدع بيتا من العرب إلا دخلته وسميت في أحاديث أخرى بالدهيماء، والظاهر من خلال استقراء الروايات المتعلقة بهذه الفتنة العامة الشاملة التي لا تترك أحداً من المسلمين إلا لطمته أنها فتنة سياسية متعلقة بالحكم بغير ما أنزل الله وانتشار الظلم، فمن أوجب الواجبات على أتباع الصحابة الكرام في زماننا هذا أن يقاوموا هذه الفتن بنشر العلم وبث الإيمان مع الصبر واليقين بالإضافة إلى مقاومة الظالمين والصدع بالحق والوقوف في صف الطائفة المنصورة المرابطة في بيت المقدس وأكنافه وتمكينهم ودعمهم بكل أنواع الدعم(٥٥٧).

أحوال الطائفة المنصورة وارتباطها بالعلم والجهاد:

الطائفة المنصورة المستمسكة بالحق تدافع عنه بالمقال والفعال باللسان والسنان، عابرة للزمان والمكان، لذا فإن أهل العلم اختلفوا في هَذِهِ الطَّائِفَةُ فقيل: هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ، وقيل أَهْلَ الْحَدِيثِ، وقيل أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، قال النووي: «وَيَحْتَمِلُ أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ مُفَرَّقَةٌ بَيْنَ أَنْوَاعِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ شُجْعَانٌ مُقَاتِلُونَ وَمِنْهُمْ فُقَهَاءُ وَمِنْهُمْ مُحَدِّثُونَ وَمِنْهُمْ زُهَّادٌ وَآمِرُونَ بِالْمَعْرُوف وَنَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَمِنْهُمْ أَهْلُ أَنْوَاعٍ أُخْرَى مِنَ الْخَيْرِ وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونُوا مُجْتَمِعِينَ بَلْ قَدْ يَكُونُونَ مُتَفَرِّقِينَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ فَإِنَّ هَذَا الْوَصْفَ مَا زَالَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْآنَ وَلَا يَزَالُ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»(٥٥٨).

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد، وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في

٥٥٧) وقفات مع حديث عوف بن مالك رضي الله عنه اعدد ستاً بين يدي الساعة د. محمد همام ملحم ، هيئة علماء فلسطين بتاريخ ٩ مايو، ٢٠٢٢/ https://palscholars.org/?p=9214

٥٥٨) شرح النووي على مسلم (١٣/ ٦٦)

البلد الواحد، وأن يكونوا في بعض منه دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فأولاً إلى ألا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد؛ فإذا انقرضوا جاء أمر الله» (٥٥٩).

وإن من أبرز سماتهم وصفاتهم ثباتهم على الحق وقتالهم عليه لمن ناوأهم حتى يوم القيامة لا يبالون من خذلهم، ولا من خالفهم، ولا من نصرهم.

«قال البيضاوي: أراد بالأمة أمة الإجابة، وبالأمر الشريعة والدين، وقيل: الجهاد وبالقيام به المحافظة والمواظبة عليه، والطائفة هم المجتهدون في الأحكام الشرعية والعقائد الدينية أو المرابطون في الثغور والمجاهدون لأعداء الدين انتهى، قلت: ولا مانع أن المراد الكل» (٥٦٠).

«وَقَالَ التُّورِبِشْتِيُّ: الْأُمَّةُ الْقَائِمَةُ بِأَمْرِ اللَّهِ وَإِنِ اخْتُلِفَ فِيهَا، فَإِنَّ الْمُعْتَدَّ بِهِ مِنَ الْأَقَاوِيلِ أَنَّهَا الْفِئَةُ الْمُرَابِطَةُ بِثُغُورِ الشَّامِ نَضَّرَ اللَّهُ بِهِمْ وَجْهَ الْإِسْلَامِ، لِمَا فِي بَعْضِ طُرُقِ هَذَا الْحَدِيثِ وَهُمْ بِالشَّامِ، وَفِي بَعْضِهَا حَتَّى تُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، وَفِي بَعْضِهَا قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَّى هُمْ؟ قَالَ: " بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ ".

فَإِنْ قِيلَ: مَا وَجْهُ هَذَا الْحَدِيثِ، وَمَا فِي مَعْنَاهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الشَّامِ، وَقَدْ عَاشَتِ الذِّئَابُ فِي الْقَطِيعِ، وَعَبَرَتِ الْجُنُودُ الْعَاتِيَةُ عَنِ الْفُرَاتِ، وَأَبَاحَتْ عَلَى مَا وَرَاءَهُ مِنَ الْبِلَاءِ كَنَبِيحَ وَسَرُوجَ وَحَلَبَ وَمَا حَوَالَيْهَا..؟.

قلت: إنما أراد بقوله: لا يضرهم كل الضرر، وقد أضر الكفار يوم أحد بأصحاب النبي ﷺ وغيره، ولما كانت العاقبة للتقوى لم يعد ذلك ضرراً عليهم، مع أن الفئة الموعود لهم بالنصرة على عدوهم هم الجيوش الغازية بها، ولم يصبهم بحمد الله إلى اليوم غضاضة ولا هوان »(٥٦١).

«قال الحرالي: ففي طيه إشعار بما وقع وهو واقع وسيقع من قتال طائفة الحق لطائفة البغي سائر اليوم المحمدي مما يخلص من الفتنة، ويخلص الدين لله توحيداً ورضا وثباتا على حال السلف الصالح» (٥٦٢).

---

٥٥٩) فتح الباري ١٣/ ٢٩٥

٥٦٠) التنوير شرح الجامع الصغير» (١١/ ٩٩)

٥٦١) إرشاد الساري شرح القسطلاني لصحيح البخاري (٦/ ٧٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٤٠٤٧)

٥٦٢) فيض القدير (٦/ ٣٩٦)

قال المناوي «وهم جيوش الإسلام أو العلماء الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر فالمقاتلة معنوية... ويحتمل أن هذه الطائفة مؤلفة من أنواع المؤمنين منهم شجعان ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم زهاد وغير ذلك ولا يلزم كونهم من قطر واحد»(٥٦٣).

ومن الأمور التي تؤيد تنوع هذه الطائفة وجمعها بين العلم والجهاد أن علم الحديث ورواية السنة والتمسك بها هي من الجهاد وقد ذكرنا أن (الأسوة الحسنة في رسول الله ﷺ واتباعه وطاعته نزلت مقرونة بالجهاد يقول الشيخ رفاعي سرور ﵀:" الحفظ للسنة: هو امتداد للتجانس بين علم الحديث وحياة العلماء والطاعة فكان الحفظ أثرًا لهذه الطاعة ومن جنسها، حيث إن الجزاء من جنس العمل، والعلم جزاء الطاعة بدليل قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} وقوله عز وجل: {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى} وقوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٨٢] فمن اهتدى زاده الله هدى وزاده علمًا وتوفيقًا.

ومن هنا كان قول بعض السلف ﵁: «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم».

فكان لهذه الطاعة بركة، وكانت آثار هذه البركة متجانسة هي الأخرى مع العلم الذي أطاعوا الله فيه، فتمثَّلت الآثار في القدرة التي بلغت حد الكرامة على تحصيل العلم وحفظه، ومثاله البخاري إمام المحدثين.

فكانت أهم هذه الآثار هي الكتب والتلاميذ، حيث كان من كتبه: الجامع الصحيح، التاريخ الكبير، التاريخ الأوسط، التاريخ الصغير، كتاب الكنى، كتاب الضعفاء، كتاب خلق أفعال العباد، كتاب الأدب المفرد، ورفع اليدين في الصلاة والقراءة خلف الإمام.

وكان من تلاميذه أئمة علم الحديث: الإمام مسلم، الإمام الترمذي، الإمام النسائي، الإمام الدارمي، الإمام أبو حاتم الرازي، الإمام النسفي، الإمام ابن خزيمة، وقد سمع عنه تسعون ألف رجل.

وكما استوعب معنى الكرامة حياة علماء الحديث.. استوعب معنى الكرامة حياة الأمة.. حتى تعلق وجود الأمة قدرًا بهذا العلم ابتداء من مصطلح «الجماعة» وانتهاء بأعلى المصطلحات السياسية للأمة.

---

٥٦٣) فيض القدير (٦/ ٣٩٥)

فمن حيث مصطلح الجماعة حدثنا سعيد بن منصور وأبو الربيع العتكي وقتيبة بن سعيد، قالوا: حدثنا حماد -وهو ابن زيد- عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان. قال: قال رسول الله ﷺ-: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»، وليس في حديث قتيبة «وهم كذلك».

وفي معنى «طائفة» قال البخاري: هم أهل العلم. وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم! وقال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذاهب أهل الحديث.

ومن حيث المصطلحات السياسية للأمة جاء مصطلح «أمير المؤمنين» ومصطلح «الحاكم» في علم الحديث؛ حيث يذكر لنا علم الحديث المصطلحين. فيقول: «أمير المؤمنين» هو الذي تفوق على من سبقه في علم الأحاديث ومعرفة عللها حتى أصبح مرجعًا لكل من جاء بعده. و «الحاكم» هو من تمكَّن من معرفة جميع الأحاديث حتى لا يفوته منها إلا القليل.

وقد جاء تعريف الجماعة بأنهم أهل الحديث من باب تسمية الشيء بما لا يقوم إلا به.

وفي ذلك يقول الإمام النووي: يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين. فمنهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر. ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير. ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض.

ولعلنا نلاحظ أن الإمام النووي قد ذكر الشجعان المقاتلين في أول أنواع المؤمنين المحققين لمصطلح الجماعة.

ولذلك كان الجهاد هو أول الأصول التي تقوم بها الجماعة، ومن هنا توافق واقع علم الحديث في هذا المعنى مع واقع الجهاد؛ فلا تجد واقعًا متميزًا بالكرامات مثل واقع الجهاد وعلم الحديث؛ حيث إن قيام الأمة قدرٌ محتوم من الله بهما تقوم وتبقى.

وقد تحقق الارتباط بين «الجهاد» و «علم الحديث» من خلال عدة عناصر:

١ - الارتباط التاريخي.

٢ - الارتباط المنهجي.

٣ - الارتباط الواقعي.

أما دليل الارتباط التاريخي: فهو أن أول من جمع الحديث الربيع بن صبيح وهو مجاهد صالح، توفي غازيًا في بحر السند سنة مائة وستين ودفن في جزيرة، وله ترجمة في تهذيب التهذيب.

أما دليل الارتباط المنهجي فهو قيام علم الجرح والتعديل على الأصلين اللذين تقوم بهما الجماعة، وهما الجهاد والبيعة؛ حيث أجمع العلماء على أن البدريين والذين شهدوا بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار هم أعلى طبقات المحدثين، فكانوا:

- البدريين المهاجرين الذين حضروا بيعة الرضوان.
- البدريين الأنصار الذين حضروا بيعة الرضوان.
- البدريين المهاجرين.
- البدريين الأنصار.
- المهاجرون ممن حضروا بيعة الرضوان.
- الأنصار ممن حضروا بيعة الرضوان.

وأما دليل الارتباط الواقعي فهو اصطباغ علم الحديث من حيث التصنيف بصبغة الأمة الحياتية، باعتبار أن الحديث هو الأحكام التطبيقية والواقعية في حياة الأمة وأن الجهاد هو قضية الأمة الأساسية، فأصبحت هذه القضية صبغة ظاهرة في كُتب الحديث.

وقد جاء الدليل على العلاقة بين علم الحديث والجهاد من خلال منهج التصنيف عند البخاري.. حيث كان كتاب «الغزوات» من أكبر كتب الصحيح. ثم تبعه «كتاب الجهاد» ثم كتاب «فرض الخمس» وهو مرتبط بالجهاد، بكل أبوابه، يضاف إلى ذلك كتاب «صلاة الخوف» الذي تناقش كل أحاديثه أحكام الصلاة في القتال بكل أبوابه، ولهذا الأمر دلالته الواضحة والمثبتة لعلاقة علم الحديث بقضايا الجماعة ومقتضيات قيامها وامتدادها.

ولذلك ملأت مصنفات علم الحديث العبارات الدالة على هذه الحقيقة، فيقول سفيان الثوري: الإسناد سلاح المؤمن، فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل..

ولذلك أيضًا يقول ابن الصلاح في «المقدمة»: وأن علم الحديث من أفضل العلوم الفاضلة، وأنفع الفنون النافعة، يحبه ذكور الرجال وفحولتهم.

وبذلك كان لعلم الحديث فاعلية الوحي.. بحيث يمكن أن نقول: إن أول حقائق القوة المقدرة لهذه الأمة كامنة في هذا العلم (٥٦٤).

قلت: مجموع النصوص الواردة في وصف هذه الطائفة تدل على أنها تكون في الشام وفي القلب منه بيت المقدس، وأطرافه وأكنافه، وخاصة في آخر الزمان وعلى مر التاريخ مع وجودهم في أماكن أخرى وتعدد مجالاتهم ومواقع مرابطتهم.

والأطراف والأكناف هي الشام لأنها حوله وهي الأرض التي باركها الله.

ووجودهم بالشام، لا ينفي وجودهم في غيره، كما أن مجالهم الأبرز هو الجهاد مع وجود علماء يدافعون عن الدين، وينشرون السنة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويحرضون على الجهاد، ولا ينفي وجودهم في مجالات أخرى كالطب والهندسة وسائر العلوم مما يتناسب مع المعنى الصحيح (للأمة واحدة) كما قال تعالى {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٩٢]

و(الجسد الواحد) كما في «صحيح مسلم» عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى.»

فالواقع التاريخي يقول إن الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع مرابط مجاهد بصير بالحرب ومنه مخترع الأسلحة ومطورها وصانعها، وفقيه محدث، ومفسر وقائم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وزاهد وعابد، وقد مر تقرير العلماء ذلك نظرياً ووقعه عملياً.

ومما يؤيد كون هذه الطائفة أكثر وجودها بالشام قوله تعالى {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء: ١]

و «الحَوْلُ» في قوله تعالى:(بَارَكْنَا حَوْلَهُ) عَلَى مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنْ مَكَانِ اسْمِ مَا أُضِيفَ (حَوْلَ) إِلَيْهِ.

وَكَوْنُ الْبَرَكَةِ حَوْلَهُ كِنَايَةٌ عَنْ حُصُولِ الْبَرَكَةِ فِيهِ بِالْأَوْلَى، لِأَنَّهَا إِذَا حَصَلَتْ حَوْلَهُ فَقَدْ تَجَاوَزَتْ مَا فِيهِ فَفِيهِ لَطِيفَةُ التَّلَازُمِ، وَلَطِيفَةُ فَحَوَى الْخِطَابِ، وَلَطِيفَةُ الْمُبَالَغَةِ بِالتَّكْثِيرِ.

---

٥٦٤) علم الحديث منظور إعجازي رفاعي سرور (ص: ١٤)

وَلِكَلِمَةِ حَوْلَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ حُسْنِ الْمُوَقِّعِ مَا لَيْسَ لِكَلِمَةِ (فِي) فِي بَيْتِ زِيَادٍ، ذَلِكَ أَنَّ ظَرْفِيَّةَ (فِي) أَعَمُّ. فَقَوْلُهُ: (فِي قُبَّةٍ) كِنَايَةٌ عَنْ كَوْنِهَا فِي سَاكِنِ الْقُبَّةِ لَكِنْ لَا تُفِيدُ انْتِشَارَهَا وَتَجَاوُزَهَا مِنْهُ إِلَى مَا حَوْلَهُ.

وَأَسْبَابُ بَرَكَةِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى كَثِيرَةٌ كَمَا أَشَارَتْ إِلَيْهِ كَلِمَةُ حَوْلَهُ. مِنْهَا أَنَّ وَاضِعَهُ إِبْرَاهِيمُ- ﷺ، وَمِنْهَا مَا لَحِقَهُ مِنَ الْبَرَكَةِ بِمَنْ صَلَّى بِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاء من دَاوُود وَسُلَيْمَانَ وَمَنْ بَعْدَهُمَا مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ثُمَّ بِحُلُولِ الرَّسُولِ عِيسَى ﷺ وَإِعْلَانِهِ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ فِيهِ وَفِيمَا حَوْلَهُ، وَمِنْهَا بَرَكَةُ مَنْ دُفِنَ حَوْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَدْ ثَبَتَ أَن قَبْرِي دَاوُود وَسُلَيْمَانَ حَوْلَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى. وَأَعْظَمُ تِلْكَ الْبَرَكَاتِ حُلُول النبي ﷺ فِيهِ ذَلِكَ الْحُلُولُ الْخَارِقُ لِلْعَادَةِ، وَصَلَاتُهُ فِيهِ بِالْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ (٥٦٥).

يقول الشيخ أسعد بيوض التميمي: «فالأرض المباركة بركتها بالإضافة إلى الأشياء المادية التي ذكرها المفسرون من الثمار والأشجار والأنهار، والأرض المعطاء والسهل الخصيب والجبال العالية ، والأرض المنخفضة التي تجعلك تنتقل في ساعة من زمن أو أقل من مستوى سطح البحر إلى العلو الشاهق إلى الغور المنخفض، فهناك البركة المعنوية، والبركة المادية تتصاغر أمام البركة المعنوية والتي باركها الله فجعلها القبلة الأولى يصلي إليها المسلمون، وأسري بنبيه إليها، وعرج به من مسجدها إلى السماوات العلا، وجعل مسجدها الأقصى تشد إليه الرحال، وهي عش الأنبياء، وهذا مما جعل عمر بن الخطاب ﷺ يأتي بنفسه لتسلم القدس.

ولذلك فحينما يتحدث اليهود وأعوانهم عن الوطن البديل للفلسطينيين يظنون أن أي أرض يمكن أن تستبدل بها الأرض المباركة، ويظنون أن الأمر أمر إسكان لاجئين أو استقرار مشردين، وما علموا -أو هم يتجاهلون -أن هذه الأرض لا تدانيها أرض أخرى، ولا يمكن أن يقوم مقامها وطن بديل في أي بقعة من بقاع الكرة الأرضية، ما عدا أرض الحرمين الشريفين فشرفها معروف؛ إذ إن هذه الأرض مرتبطة بعقيدة المسلمين سجلت في كتاب الله بوصفها القبلة الأولى، وبوصفها مسرى النبي، وبوصفها معراج الرسولﷺ، وبوصفها الأرض المباركة، ولذلك فهي لا تخص الفلسطينيين وحدهم، ولا تخص العرب وحدهم، بل تخص المسلمين أينما كانوا وحيثما وجدوا، وما دام كتاب الله

---

٥٦٥) التحرير والتنوير (١٥/ ٢٠)

القرآن موجودا على الأرض يتلى وفي الأرض مؤمنون، فليس هناك استقرار لدولة اليهود، وهي في طريقها لأن تصبح من مخلفات التاريخ، كما أصبحت دولة الصليبيين من قبلها من مخلفات التاريخ تؤلف الكتب عن أسباب زوالها، ويكتب الباحثون أبحاثهم ويعطي العلماء آراءهم في ذلك، وكلهم أو جلهم ينسى أو يتناسى الحقيقة الأزلية وهي استحالة أن يملك هذه الأرض غير المسلمين ملكا مستقرا، وأن تبقى في حوزة أعدائهم؛ لأن هذه إرادة الله بينها ليلة الإسراء» (٥٦٦).

فهذه البركة في هذا المكان وما حوله مما قدره الله وجعل قلوب الناس ترتبط به بحق أو بباطل، فوجب على أهل الحق ممن حوله أن يكونوا على قدر المسئولية ووجب على سائر الأمة ممن هي في غير هذا الحول أن يعينوا أهل بيت المقدس وأطرافه وأكنافه ليكونوا من أمته ﷺ وينالوا شرف الانتساب إليه من الطائفة الظاهرة على الحق والقاهرة لعدوها والتي لا يضرها من خذلها ولا من خالفها حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

ولهذه الأسباب فإن الرباط في ثغور الشام أفضل الرباط وهو أفضل من المجاورة بمكة والمدينة، الرباط والمرابطة هو: الحراسة بمحل خيف هجوم العدو منه، أو المقام في الثغور لإعزاز الدين ودفع الشر عن المسلمين، وأصل الرباط من رباط الخيل لأن هؤلاء يربطون خيولهم وهؤلاء يربطون خيولهم كل يعد لصاحبه فسمي المقام بالثغر رباطا وإن لم يكن فيه خيل، ويقال: الرباط من الخيل: الخمس فما فوقها. ومنه قوله تعالى: {اصبروا وصابروا ورابطوا} (١) أي: أقيموا على جهاد عدوكم. ويطلق الرباط على المحافظة على الصلوات الخمس، أو مداومة الجلوس في المسجد، كما جاء في الأثر: قال عليه الصلاة والسلام: ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، ثلاثا (٥٦٧).

---

٥٦٦) الإسراء وفلسطين ودولة اليهود الشيخ أسعد بيوض التميمي ص٢٧٧وما بعدها» مجلة البحوث الإسلامية (العدد٤)١٣٩٨ = ١٩٧٧م) كتبه ﷺ قبل ما يزيد على الثلاث والأربعين عاماً وها هي الأحداث تقودنا في طوفان الأقصى لنرى النصر والحمد لله حزم الأحزاب وحده وأعز جنده.

٥٦٧) أخرجه مسلم (١ / ٢١٩ - ط الحلبي) من حديث أبي هريرة

والأربطة: البيوت المسبلة لإيواء الفقراء والغرباء وطلبة العلم، وقد يطلق على المكان الذي يرابط فيه المجاهدون، وهو سنة مؤكدة؛ لأنه حفظ ثغور الإسلام وصيانتها، ودفع عن المسلمين، وعن حريمهم، وقوة لأهل الثغر ولأهل الغزو، قال أحمد: هو أصل الجهاد وفرعه» (٥٦٨)

قال ابن تيمية رحمه الله: «المقام في الثغور من أجل الجهاد في سبيل الله أفضل من المجاورة بمكة والمدينة ما أعلم في ذلك خلافا بين العلماء" ".

وقال أيضا رحمه الله: "المقام في الثغور بنية المرابطة في سبيل الله تعالى أفضل من المجاورة بالمساجد الثلاثة باتفاق العلماء"

وقال أيضا رحمه الله: "المقام في الثغور المسلمين كالثغور الشامية والمصرية أفضل من المجاورة في الساجد الثلاثة، وما أعلم في هذا نزاع بين أهل العلم، وقد نص على ذلك غير واحد من الأئمة" (٥٦٩).

«قال ابن نجيم رحمه الله: بناء الرباط بحيث ينتفع به المسلمون، أفضل من الحجة الثانية» (٥٧٠).

---

٥٦٨) جواهر الإكليل (١ /١٥٨، ٢٤٥)، وابن عابدين (٣ / ٢١٧) المغني ٨ / ٣٥٣، ٣٥٤، الموسوعة الفقهية الكويتية (٥/ ٢٠٧) (٢٢/ ٧٦/ ٧٧)

٥٦٩) مسألة في المرابطة بالثغور أفضل أم المجاورة بمكة شرفها الله تعالى(ص١٧) ومجموع الفتاوى(٥١/٢٧) (٤٠/٢٧) (٥/٢٨) .

٥٧٠) الأشباه لابن نجيم / ١٧٤، الموسوعة الفقهية الكويتية (١٢/ ١٥٣)

رباط عسقلان بُشرى ووعد:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَّلُ هَذَا الْأَمْرِ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ يَكُونُ خِلَافَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ إِمَارَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَتَكادَمُونَ عَلَيْهِ تَكادُمَ الْحُمُرِ فَعَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ، وَإِنَّ أَفْضَلَ جهادِكُمُ الرِّبَاطُ، وَإِنَّ أَفْضَلَ رباطِكُمْ عَسْقَلَانُ»).(٥٧١).

عند تأمُّل هذا الحديث فإنَّنا نستطيع أنْ نفهم السياق الذي جاء فيه الإخبار عن المدينة الفلسطينية (عسقلان)، حيث إنَّها ستكون أفضل رباط المسلمين، وفي وقت هو أشدّ المراحل ظلمًا ومحنة على أهل الشام وفلسطين.

والحديث يخبرنا أنَّ الرباط في (عسقلان) يكون في مرحلة متأخرة من مراحل انتقال وتحوُّل الحُكم لدى المسلمين، بحيث تختفي فيه الرحمة، ويعُمُّ الظلم، وتخضع فيه الأرض المباركة للإفساد والاحتلال والضياع، ممّا يستدعي الجهاد والرباط.

ويمكن تحديد هذه المرحلة من خلال استعراض المراحل المختلفة الذي يتناولها الحديث الشريف، وهي على النحو التالي:

المرحلة الأولى: مرحلة النبوة والرحمة: وهي المرحلة التي كان فيها النبي محمد ﷺ هو الحاكم الرحيم، وقد انتهت هذه المرحلة بوفاته ﷺ.

المرحلة الثانية: مرحلة الخلافة الراشدة: وهي مرحلة الخلفاء الراشدين الذين حكموا بهدْي النبي ﷺ، مع ما كان فيها من رحمة، وقد انتهت.

المرحلة الثالثة: الحكم الملكي (الوراثي): وهي ما تعرف بمرحلة(المُلك العاض أو العضوض)، كما في الحديث : «عَنِ النُّعْمَان بن بشير عَنْ حُذَيْفَةَ ﵄ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ» ثُمَّ سَكَتَ قَالَ حَبِيبٌ: فَلَمَّا قَامَ عُمَرُ

٥٧١) أخرجه الطبراني في الكبير(١١/٨٨)(١١١٣٨)، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد": رجاله ثقات، وصححه الألباني في الصحيحة(٣٢٧٠).

بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَتَبْتُ إِلَيْهِ بِهَذَا الْحَدِيثِ أُذَكِّرُهُ إِيَّاهُ وَقُلْتُ: أَرْجُو أَنْ تَكُونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ الْمُلْكِ الْعَاضِّ وَالْجَبْرِيَّةِ فَسُرَّ بِهِ وَأَعْجَبَهُ يَعْنِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ. ....»(٥٧٢) .

«وقوله: (أن تكون أمير المؤمنين) الظاهر أن يقال: أن تكون خليفة، وقد سماه بعض العلماء خليفة خامسة» (٥٧٣).

وهي مرحلة جاءت بعد مرحلة الخلافة الراشدة، وبدأت من أول عهد الأمويين واستمرت حتى نهاية الحكم العثماني، وكان لا يزال الحكم في هذه المرحلة فيه رحمة كما في حديث النبي ﷺ، وقد انتهت هذه المرحلة في أوائل القرن العشرين.

المرحلة الرابعة:

مرحلة تكادُم الحُمُر: وهي مرحلة المُلك الجبْري، والصراع على الحكم، والتكادُم عليه كما تتكادم الحُمُر، من خلال الانقلابات العسكرية الكثيرة، والصراعات المختلفة، وقد بدأت هذه المرحلة بعد انتهاء حكم العثمانيين في بداية القرن العشرين على أغلب الظن، ولا تزال مستمرة.

وفي هذه المرحلة بالذات نجد أنَّ النبي ﷺيذكر (عسقلان)، ويوصي بالجهاد، ويخبرنا بأنَّ أفضل جهادنا الرباط، وأنَّ أفضل رباطنا عسقلان!!

وهو أمر يُلفت النظر، وهو إخبارٌ بالغيب، فقد اُحتُلت فلسطين من قبل الصهاينة، وأنشأوا دولتهم على أرضها عام ١٩٤٨م، وشرّدوا مئات الآلاف من أهلها، مما استدعى الجهاد والرباط لتحريرها، وهو ما نجده في حديث النبي ﷺ، حيث يوصينا بالجهاد والرباط في منطقة (عسقلان) بفلسطين: (ثم يتكادمون عليه تكادم الحمر، فعليكم بالجهاد، وإنَّ أفضل جهادكم الرباط، وإنَّ أفضل رباطكم عسقلان).

لماذا عسقلان؟

عسقلان نقطة الانطلاق.. ومعلوم لدى الجميع أنَّ عسقلان مدينة فلسطينية احتلها الصهاينة في عام ١٩٤٨م، وهي تقع إلى الشمال من غزة المحاصرة، ومعلومٌ أنَّ المجاهدين لا يمكنهم الرباط فيها الآن، لأنها جزءٌ من أرض فلسطين المحتلة.

---

٥٧٢) رواه أحمد في المسند - حديث رقم (١٨٤٣٠)، قال شعيب الأرنؤوط، مشكاة المصابيح» (٣/ ١٤٧٨): ٥٣٠٦، إسناده حسن.

٥٧٣) لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٥٧٩)

لكنَّ النبي ﷺ يذكر عسقلان تحديدًا، فيقول: (وإنَّ أفضل رباطكم عسقلان)!!
في إشارة إلى أنّ عسقلان ستكون نقطة الانطلاق لتحرير بيت المقدس بإذن الله تعالى.
ويمكننا أيضًا أنْ نفهم المُراد بعسقلان في حديث النبي ﷺ على وجهين:
الوجه الأول: أنَّ المُراد بعسقلان: منطقة غزة القريبة من عسقلان ومحيطها، حيث إنَّ غزة وعسقلان تقعان على البحر المتوسط، وهما منطقتان سهليَّتان وساحليَّتان ومتجاورتان في جنوب فلسطين، ممّا يجعلهما كأنَّهما منطقة واحدة.
ولا أستبعد أنْ يكون المُراد بقوله ﷺ: (وإنَّ أفضل رباطكم عسقلان) هو الرباط في غزة القريبة من عسقلان، خاصة أنَّ غزة فعلًا منطقة جهاد ورباط ومقاومة وتحدٍّ وصبر وثبات، يرابط فيها المجاهدون، ويُعِدُّون فيها ما استطاعوا من قوة للتحرير والعودة، ويَشُنُّ الاحتلال الإسرائيلي عليها الحرب بعد الحرب، فتقاوم ولا تنكسر، ويحاصرها القريب والبعيد، ويصبر أهلها على كل هذا، ولا يتخلَّوْن عن جهادهم ورباطهم، ولا يفرطون بسلاحهم رغم ما يجدون من لأواء وأذى، فليس بعيدًا أنْ تكون غزة هي المقصودة برباط عسقلان، وفي هذا بشرى من النبي ﷺ لأهلها ومجاهديها أنَّ رباطهم هو أفضل الرباط.
الوجه الثاني: أنَّ المُراد بعسقلان: هي منطقة (عسقلان) ذاتها، والتي تقع تحت الاحتلال الإسرائيلي منذ سنة ١٩٤٨م، وفي هذا بشرى للمجاهدين والمرابطين، ففي الحديث إشارة إلى أنَّهم سيرابطون في عسقلان قريبًا، مما يجعلني أتوقع أنْ تندلع حربٌ قريبًا، يكون من نتائجها أنْ تنتصر غزة، ويسيطر مجاهدوها على منطقة غلاف غزة، ومنطقة عسقلان، بعد مواجهات عسكرية ساخنة مع الاحتلال الإسرائيلي تضطره إلى الانسحاب وترك المنطقة، فتتحقق بشرى رسول الله ﷺ بأنْ يرابط المجاهدون في عسقلان، تمهيدًا واستعدادًا لفتح بيت المقدس، وتحرير كلّ فلسطين، والذي سيشارك فيه المجاهدون من بيت المقدس وأكناف بيت المقدس(٥٧٤).
وعسقلان عرفت منذ أقدم العصور التاريخية وورد لفظها في معجم 'لسان العرب' بمعنى أعلى الرأس، إنها عروس الشام من جند فلسطين، جاء في "موسوعة المدن الفلسطينية": "وتعتبر عسقلان مدينة ساحلية ذات شأن اقتصادي على مدى تاريخها الطويل، ويعود

٥٧٤) رباط عسقلان بُشرى ووعد: بقلم: د. نصر فحجان – غزة- منشور على صفحته بالفيس بوك.

ذلك إلى مينائها البحري وموقعها الاستراتيجي القريب من الحدود المصرية - الفلسطينية، ومواجهتها للقادمين من البحر تجاراً كانوا أم غزاة، وكانت عرضة للسيطرة عليها في التاريخ القديم، ولم يعرف جيش حاول فتح فلسطين لم يحاول السيطرة على عسقلان، ولم يحدث أن فتحت فلسطين من الجنوب إلا بعد فتح عسقلان، ولم تقل أهمية عسقلان في كل عهود الحكم الإسلامي".

والحديث من أعلام ودلائل نبوته ﷺ ففيه: "ثم يتكادمون عليه تكادم الحمر" إشارة إلى الحال الذي سيصل بالمسلمين، وأنهم يتنازعون السلطة، بسبب التفرق والاختلاف.

ومن ثم كان قوله: "وإن أفضل رباطكم عسقلان" إشارة إلى أفضل الرباط على اعتبار أن هذا الرباط في بلاد الشام، وبلاد الشام مطمع الكفار، ومن تتبع تاريخ بلاد الشام منذ القدم يرى أهمية موقعها الاستراتيجي الذي كان هدف الغزاة الأول للنفاذ إلى فلسطين، فالسيطرة عليها كان يعني التحكم في الطرق المؤدية إلى معظم أنحاء فلسطين شمالاً وجنوباً وشرقاً، يضاف إلى ذلك التحكم منها في حركة المواصلات البحرية.

ولا شك أن سقوط ثغور المسلمين بيد الكفار أعداء الله دليل واضح على فساد اعتقاد المسلمين وبعدهم عن دين ربهم، ولن يعود المجد والعزة إلا إذا رجع المسلمون لدينهم واتقوا ربهم ﷻ(٥٧٥).

ووجود هذه الطائفة في فلسطين:(بيت المقدس وأكناف بيت المقدس وعسقلان)، فهم الشام عامة وفي فلسطين على وجه الخصوص، وهم الذين يسوؤون الآن وجوه اليهود، وهم الذين سيدخلون المسجد الأقصى، وهم الذين سيتبِّرون ما عَلَوْا تتبيرًا بإذن الله تعالى.

هذه الصفات المذكورة في الأحاديث النبوية الصحيحة لا يتَّصف بها كلِّها إلا أهل فلسطين الذين يعيشون على أرض فلسطين في بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس، وعسقلان (غزة).

ولهذا نميل إلى القول بأنَّ تحرير بيت المقدس وفلسطين سيكون من الداخل، على أيدي أهل فلسطين الذين يعيشون هذه الحال من الظهور على الحق، وقهرهم للأعداء، وخذلان القريب لهم، ومخالفة البعيد، والصبر على اللأواء والأذى، وانتظار أمر الله

---

٥٧٥) المفصل في عوامل النصر والهزيمة (ص: ١٠٧٠)

تعالى، وبقائهم في بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس، وعسقلان (غزة)، مرابطين صابرين، فهم رأس الحربة، وجند التحرير، في تحقيق وعد الآخرة، وزوال إفساد بني إسرائيل.

ومن خلال بعض الأحاديث التي تَمَّ استعراضها، فالمتوقع أنْ يقوم مقاتلون من خارج فلسطين بمساندة أهل فلسطين عن بُعْد، وهو ما يشير إليه قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي ذُكِر آنفًا: عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم خذلان من خذلهم، ظاهرين على الحق، إلى أنْ تقوم الساعة).

وإذا كنَّا نفهم أنَّ أبواب بيت المقدس وما حوله هي دائرة فلسطين، والمقاومة الفلسطينية، فإنَّ لنا أنْ نقول: إنَّ أبواب دمشق وما حوله هي الدائرة المحيطة بدمشق، بحيثُ تشمل دمشق، وما حول دمشق، والجولان، وتصل إلى جنوب لبنان.

ونحن نجد أنَّ الحديث الشريف قد جمع في الوقت نفسه بين مَنْ يقاتل على أبواب دمشق وما حوله، وبين مَنْ يقاتل على أبواب بيت المقدس وما حوله، وفي هذا إشارة إلى أنَّ العدوَّ الذي يقاتلونه عدوٌّ مشترك، وهم اليهود ومن والاهم.

وواضحٌ أيضًا أنَّ المقاتلين الذين يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله لن يتجاوز قتالُهم منطقةَ دمشق وما حول دمشق، ولن ينتقلوا إلى فلسطين، بل سيظلُّون في حدود دمشق وما حول دمشق.

وقد رأينا مؤخرًا (في فبراير٢٠١٨م) كيف تَمَّ إسقاط طائرة ((F16 إسرائيلية في المنطقة التي يمكن أنْ نسميها (أبواب دمشق وما حوله)، على أيدي المقاتلين في هذه المنطقة، وما يحدث من مناوشات واشتباكات في جنوب لبنان بين الحين والآخر مع الاحتلال الإسرائيلي. ولا شكَّ أنَّ هذا يعتبر مساندة للمقاومة الفلسطينية، وإشغالًا لليهود وإضعافهم (٥٧٦).

لماذا يكون في آخر الزمان أَفْضَلَ الجهادِ الرِّبَاطُ، وأَفْضَلَ الرباطِ عَسْقَلَان ...؟

وللإجابة على هذا السؤال نسوق هذه الروايات : أخرج الحاكم وصححه عن ابن عمر﵁ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﵁ كَانَ يَقُولُ:« إِنَّ اللهَ بَدَأَ هَذَا الْأَمْرَ حِينَ

٥٧٦) مَن هُم جُنْدُ التَّحرِيرِ؟ بقلم: د. نصر فحجان – غزة من صفحته على (الواجوه) الفيس بوك.

بَدَأَ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ تَعُودُ إِلَى خِلَافَةٍ وَرَحْمَةٍ، ثُمَّ تَعُودُ إِلَى سُلْطَانٍ وَرَحْمَةٍ، ثُمَّ تَعُودُ مُلْكًا وَرَحْمَةً، ثُمَّ تَعُودُ جَبْرِيَّةً يَتَكَادَمُونَ تَكَادُمَ الْحَمِيرِ، أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالْغَزْوِ وَالْجِهَادِ، مَا كَانَ حُلْوًا خَضِرًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ مُرًّا عَسِرًا، وَيَكُونُ ثُمَامًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ رُمَامًا،أَوْ يَكُونَ خُطَامًا، فَإِذَا سَاطَتِ الْمَغَازِي وفي رواية «انْتَاطَتِ»(٥٧٧)،وَأُكِلَتِ الْغَنَائِمُ، وَاسْتُحِلَّتْ الْحَرَائِمُ، فَعَلَيْكُمْ بِالرِّبَاطِ، فَإِنَّهُ خَيْرُ جِهَادِكُمْ»(٥٧٨).

(ساطت) نَفسه سوطانا ونفسي تسوطُ تقلصت وَالشَّيْء سَوْطًا خلطه وفركه بالمسوط ليختلط بعضه بِبَعْض وَيُقَال ساط الْقدر وَنَحْوهَا وَيُقَال سيط حبك بدمي وَمن دمي خلط ومزج وَالْأَمر وَنَحْوه قلبه ظهرا لبطن وتدبره وَالْحَرب وَنَحْوهَا بَاشَرَهَا وخاضها» (٥٧٩)

قال ابن الأثير "وفي حديث عمر "إذا انتاطت المغازي" أي بعدت، وهو من نياط الفازة، وهو بعدها، فكأنها نيطت بمفازة أخرى، لا تكاد تنقطع، وانتاط فهو نيط، إذا بعد"(٥٨٠)

والثمام: الرطب من النبات وهو: شجر ضعيف، عوده دقيق ضعيف قصير لا يطول.

والرمام: اليابس والهَشِيم من التبت. والبالي الرميم.

والحطام: الذي يتحطم والمتكسر المتفتت. وقوله انتطت يعني تباعدت. وقوله العزائم يريد حمل السلطان شدة الأمر عليهم والعزم فيما يشق عليهم لبعد المغزى أو قلة عونه لهم وغير ذلك» (٥٨١).«والمعنى: اغزوا وأنتم تنصرون وتوفرون غنائمكم قبل أن يهن ويضعف ويصير كالثمام»(٥٨٢).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﵁: «إِنَّ اللَّهَ بَدَأَ هَذَا الْأَمْرَ يَوْمَ بَدَأَهُ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَعُودُ خِلَافَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ سُلْطَانًا وَرَحْمَةً، ثُمَّ مُلْكًا وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَعُودُ خِلَافَةً

---

٥٧٧) مصنف عبد الرزاق» (٥/ ٢٨٢ ت الأعظمي) :(٩٦٢١)

٥٧٨) المستدرك على الصحيحين (٩/٤٠٣ط،المنهاج القويم)«٨٧٠٧» وبلفظ قريب مصنف عبد الرزاق (٢٨٢/٥) :(٩٦٢١)

٥٧٩) تاج العروس من جواهر القاموس (١٩/ ٣٩٤) المعجم الوسيط (١/ ٤٦٣)

٥٨٠)"النهاية" (٥/ ١٤١):

٥٨١) الجامع لمسائل المدونة (٦/ ٤٥) المقدمات الممهدات (١/ ٣٦٤) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث (١/ ٥٨٧)

٥٨٢) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٥/ ٢٦٩)

وَرَحْمَةً، ثُمَّ سُلْطَانًا وَرَحْمَةً، ثُمَّ مُلْكًا وَرَحْمَةً، ثُمَّ جَبَرُوتًا صَلْعَاءَ، يَتَكَادَمُونَ عَلَيْهَا تَكَادُمَ الْحَمِيرِ» (٥٨٣)

وعَنْ أَبِي عُبَيْدَة بْنِ الْجَرَّاحِ، ﷺ قَالَ أَحَدُهُمَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ خِلَافَةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ مُلْكًا عَضُوضًا» وفي لفظ «ثُمَّ تَصِيرُ جَبْرِيَّةً وَعَبَثًا» وَقَالَ أَحَدُهُمَا: «عَاضٌّ وَفِيهِ رَحْمَةٌ، ثُمَّ جَبَرُوتٌ صَلْعَاءُ لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهَا مُتَعَلَّقٌ، تُضْرَبُ فِيهَا الرِّقَابُ، وَتُقْطَعُ فِيهَا الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ، وَتُؤْخَذُ فِيهَا الْأَمْوَالُ» (٥٨٤).

(جَبَرُوتٌ صَلْعَاءُ) أي جبرية ظاهرةٌ بارزةٌ، يُقَالُ لِلْعُرْفُطَةِ إِذَا سَقَطَتْ رُءُوسُ أَغْصَانِهَا: صَلْعَاءُ، والجبل الأصلع، وهو البارز الأملس البراق، الصليعاء أَي الداهية وَالْأَمر الشَّديد، وَتُسَمَّى الدَّاهِيَةُ صَلْعَاءَ، أَيْ بَارِزَةً ظَاهِرَةً لَا يَخْفَى أَمْرُهَا (٥٨٥).

فالملك أصبح جبرية ظاهرةٌ بارزةٌ بل صارت جَبْرِيَّةً وَعَبَثًا وداهية، وأمر شديد لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهَا مُتَعَلَّقٌ، تُضْرَبُ فِيهَا الرِّقَابُ، وَتُقْطَعُ فِيهَا الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ، وَتُؤْخَذُ فِيهَا الْأَمْوَالُ ، يصبح الغزو والجهاد وطلبه أمر بعيد المنال بل ضرب من الخيال والمحال، فالسلطان شديد على المحكومين يشق عليهم، ويمنعهم من الغزو والرباط والجهاد وما دام يمنعهم فلن يعينهم فحسب بل سيعاقبهم على إرادتهم المقاومة والجهاد والغيرة على الأمة ومقدساتها ، ومن تمام هذه الجبرية الصلعاء أن يصبح ولاء هؤلاء الذين وصلوا للملك والسلطان بالعض والتكادم حتى أصبح ولائهم للأعداء وعدائهم لأمتهم ، وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ بَدَأَ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ خِلَافَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا عَضُوضًا، يَشْرَبُونَ الْخُمُورَ، وَيَلْبَسُونَ الْحَرِيرَ، وَيَسْتَحِلُّونَ الْفُرُوجَ، وَيُنْصَرُونَ وَيُرْزَقُونَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ»(٥٨٦).

ظهر بعد هذا لما صار أَفْضَلَ جهادِكُمُ الرِّبَاطُ، أَفْضَلَ الرباطِ بعَسْقَلَانُ، والتي هي من أطراف بيت المقدس وأكنافه، فهناك عدو ظاهر يكفر بالله ويعتدي على البشر والحجر، ولا يمنعه ولا يصده إلا أهل الرباط والجهاد، وفي وقت جهاد هؤلاء نجد أن ولاة

٥٨٣) الفتن لنعيم بن حماد (١/ ٩٩): رقم ٢٣٦)

٥٨٤) الفتن لنعيم بن حماد (١/ ٩٨): رقم ٢٣٣)

٥٨٥) مقاييس اللغة (٣/ ٣٠٤) الغريبين في القرآن والحديث (٤/ ١٠٩٢) غريب الحديث - ابن الجوزي (١/ ٦٠٠) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٧)

٥٨٦) الفتن لنعيم بن حماد (١/ ٩٨) (٢٣٤)

الأمور ولائهم لهذا العدو وعونهم وعينهم، وثرواتهم يسخرونها من أجله، يتعاونون معه ويعادون أهل الإيمان، ولم يدعوا أهل الأوثان فحسب بل كانوا لهم الدرع والحماية والحصن والوقاية.

وهذه الطائفة على الحق في وعيها وسعيها وقولها وعملها وجهادها ورباطها، في مواجهة العدو وطوائف الخذلان يحتفلون و«يَشْرَبُونَ الْخُمُورَ، وَيَلْبَسُونَ الْحَرِيرَ، وَيَسْتَحِلُّونَ الْفُرُوجَ»

أصبحت أرض الشام وفي القلب منها بيت المقدس خير مهاجر وأفضل رباط، وقد أفاض الله عليها البركة ووصفها النبي ﷺ بالخيرية والأفضلية، لأن المدافعون عنها والمرابطون فيها لا أحد يعينهم وليس لهم ولي ولا نصير فكان الله نصيرهم وهو نعم المولى ونعم النصير فكتب الله لهم الظهور أبداً مستمراً حتى قيام الساعة فهم لا يضرهم من خذلهم بل وقاهرين لعدوهم.

❁❁❁❁❁❁❁

لا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات فيضيع أيمانكم

حياة الشهداء ثابتة بالنص القطعي، كما ورد النهي الصريح في القرآن عن تسمية الشهيد ميتًا، قال تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤)} [البقرة: ١٥٤] وتكرر ورود النصّ وتأكد في حقّ الشهداء أنهم أحياء يرزقون الآية: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} (١٦٩) من سورة آل عمران..

ومن بديع النكات التي ساقها الطاهر ابن عاشور-ولم أجدها حسب اطلاعي عند غيره- أن قوله تعالى: (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عندَ رَبِّهِم يُرْزَقُونَ). تَكْمِيلٌ لِقَوْلِهِ: (وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ) [الْبَقَرَة: ١٤٣] وفي حَدِيثِ الْبَرَاءِ فَإِنَّهُ قَالَ: «أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}.» انتهى

«قال أهل التفسير: كان المشركون يقولون: إن أصحاب محمد يقتلون أنفسهم في هذه الحرب لغير سبب ولا فائدة وَيُضَيِّعُونَ أَعْمَارَهُمْ إِلَى غَيْرِ شَيْءٍ، ثم يموتون فيذهبون، فأعلمهم الله ﷻ أنهم أحياء في حكمه، وأنهم سيحيون، ويثابون، ويخلدون في الجنة، بل يتنعمون نعيمًا دائمًا، ويبقون بقاء لا موت بعده، ولا فناء.

فلَا تَقُولُوا لِلشُّهَدَاءِ مَا قَالَهُ الْمُشْرِكُونَ، إِنَّهُمْ أَمْوَاتٌ لَا يُنْشَرُونَ وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِمَا تَحَمَّلُوا مِنَ الشَّدَائِدِ فِي الدُّنْيَا، وَلَكِنْ قُولُوا: هُمْ أَحْيَاءٌ فِي الدِّينِ، يُثَابُونَ وَيُنَعَّمُونَ فِي الْجَنَّةِ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُ الْمُشْرِكُونَ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ مَنْ قُتِلَ عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ حَيٌ فِي الدِّينِ، وَعَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِ وَنُورٍ، وقد رفع الله درجتهم وقرن منزلتهم بأرفع المنازل وأشرفها في الجنة قَال تَعَالَى:(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ [النِّسَاءِ: ٦٩] فَأَرَادَهُمْ بِالذِّكْرِ تَعْظِيمًا(٥٨٧).

و«معناه لا تقولوا أموات بمنزلة غيرهم من الأموات بل هم أحياء تصل أرواحهم إلى الجنان» (٥٨٨) قال الطبري «ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله: هو ميت، فإن الميت من خَلقي مَنْ سلبته حياتَه وأعدمتُه حواسَّه، فلا يلتذّ لذة ولا يُدرك نعيما، فإنّ من قُتل

٥٨٧) اشتقاق أسماء الله (ص١٣٣) تفسير الرازي (٤/ ١٢٥)

٥٨٨) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٩٣)

منكم ومن سائر خَلقي في سبيلي، أحياءٌ عندي، في حياة ونعيم، وعيش هَنِيّ، ورزق سنيّ، فَرحين بما آتيتهم من فضلي، وَحبوتهم به من كرامتي...فإن الله ﷻ خصّ الشهداء أنهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها في بَرْزَخِهم قَبل بعثهم، ومنعَّمون بالذي ينعم به داخلوها بعد البعث من سائر البشر، من لذيذ مطاعمها الذي لم يُطعمها الله أحدًا غيرَهم في برزخه قبل بعثه. فذلك هو الفضيلة التي فضَّلهم بها وخصهم بها من غيرهم، والفائدة التي أفادَ المؤمنين بالخبر عنهم، فقال تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧٠]، وبمثل الذي قُلنا جاء الخبرُ عن رسول الله ﷺ»(٥٨٩).

وهذه الحياة مقصورة على الشهداء (فالمقصور في الآية هو (من يقتل في سبيل الله) والمقصور عليه هو "أَحْيَاءٌ" وأداة القصر هي بَلْ قصر موصوف على صفة. ويشترط في إفادة بَلْ القصر أن يتقدم عليها نفى أو نهى. وفى هذه الآية تقدم عليها النهى: وَلَا تَقُولُوا»(٥٩٠) لأن الْفِعْلَ فِي سِيَاقِ النَّهْيِ يَعُمُّ **فالقصر مع هذا النهي يفيد تحريم القول بالموت لمن يقتل في سبيل الله وهو :« نَّهْيٍ عَنْ قَوْلِ الْجَاهِلِيَّةِ إِنَّهُمْ لَا يُبْعَثُونَ، فَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ سَيَحْيَوْنَ بِالْبَعْثِ، فَيُثَابُونَ ثَوَابَ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أو أن يكون دفعا لإيهام مساواتهم لغيرهم في ذلك البرزخ-وتلك خصوصية لهم وإن شاركهم في النعيم- بل وزاد عليهم بعض عباد الله تعالى المقربين ممن يقال في حقهم ذلك، وإما أن يكون صيانة لهم عن النطق بكلمة قالها أعداء الدين والمنافقون في شأن أولئك الكرام قاصدين بها أنهم حرموا من النعيم ولم يروه أبدا**»(٥٩١).

وفي التعبير بالمضارع في قوله (ولا تقولوا) فائدتين:

الأولى: أنه «أتى به مضارعاً ليدل على عمومه فيمن بعدهم وفيهم من باب أحرى».

الثانية: عموم النهي في جميع الأزمان لأن «النَّهْيَ يَقْتَضِي الِامْتِنَاعَ مِنَ الْمَنْهِيّ عَنْهُ فِي كُلِّ الْأَزْمَانِ» (٥٩٢)والْفِعْلُ فِي سِيَاقِ النَّهْيِ يَعُمُّ كما قرر أهل اللغة وأهل الأصول.

---

٥٨٩) تفسير الطبري (٣/ ٢١٤ ط التربية والتراث): وما بعدها بتصرف

٥٩٠) الموسوعة القرآنية المتخصصة (١/ ٥١٣)

٥٩١) البحر المحيط (٢/ ٥٢) تفسير الألوسي (١/ ٤٢٠) التحرير والتنوير (٢/ ٥١)

٥٩٢) تفسير ابن عرفة (١/ ١٨٨) البحر المحيط في التفسير (٢/ ٥١)

قال الألوسي: «وعدل ﷻ عن- قتلوا- المعبر عنه في (آل عمران) إلى "يُقْتَلُ" في (سورة البقرة) للمبالغة في النهي» (٥٩٣). ليشمل التعبير بالماضي والمضارع ما مضى وما يستقبل، مع إفادة الثبات والدوام والتجدد والاستمرار.

وهذا التأكيد على النهي يتوازى بنفس القوة مع التأكيد على أنهم أحياء يثابون وينعمون ويرزقون.

وزاد هذه المعاني تأكيداً ما أفاده القصر قصر الموصوف (المقتول في سبيل الله) على الصفة(أحياء)، وزاد المعنى قوة إفادة (بَلْ) للقصر التي تقدمها النهى: وَلا تَقُولُوا.

فالنهي عن مجرد القول متجدد لا ينقطع، وهو يشمل كل مسلم ينطبق عليه وصف (قُتِل في سبيل الله). قال ابن عاشور :«وَقَوْلُهُ: وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ عَطَفَ النَّهْيَ عَلَى الْأَمْرِ قَبْلَهُ لِمُنَاسَبَةِ التَّعَرُّضِ لِلْغَزْوِ مِمَّا يُتَوَقَّعُ مَعَهُ الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَلَمَّا أُمِرُوا بِالصَّبْرِ عَرَفُوا أَنَّ الْمَوْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَقْوَى مَا يَصْبِرُونَ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ نَبَّهَ مَعَ ذَلِكَ على أَن هَذَا الصَّبْرَ يَنْقَلِب شكرا عِنْد مَا يَرَى الشَّهِيدُ كَرَامَتَهُ بعد الشَّهَادَة، وَعند مَا يُوقِنُ ذَوُوهُ بِمَصِيرِهِ مِنَ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ،»(٥٩٤).

فالنَّهْيِ هنا قطعي لأنه قَوْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وأهل الشرك إِنَّهُمْ لَا يُبْعَثُونَ، وهو قول أهل النفاق بإنكار تنعمهم. قال في النونية:

إنَّ الشَّهِيدَ حَيَاتُهُ مَنْصُوصَةٌ .. لَا بِالْقِيَاسِ القَائِمِ الأرْكَانِ

هَذَا مَعَ النَّهْيِ المؤَكَّدِ أنَّنَا ... نَدْعُوهُ مَيْتًا ذَاكَ فِي القُرْآنِ» (٥٩٥)

والنهي يفيد التحريم القطعي لأمور: -

ارتباطه بالاعتقاد والذي يصير صاحبه بين منكر للبعث أو الثواب المنصوص عليه أو مؤمن به.

ارتباطه بأوثق عرى الإيمان وهو الحب في الله والبغض في الله.

ارتباط هذا بأصول الإسلام والاعتقاد بأن الله (أعلى وأجل) (الله مولانا ولا مولى لهم).. (قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار).

٥٩٣) تفسير الألوسي = روح المعاني (١/ ٤٢٠)

٥٩٤) التحرير والتنوير (٢/ ٥٣)

٥٩٥) نونية ابن القيم الكافية الشافية - ط عطاءات العلم (٢/ ٦٥٤)

أن نفي الشهادة عن مسلم (بأن يقال ميت ولا يقال شهيد) فيها بلاء عظيم من تزكية النفس وحكم بالمآل مع موافقة أهل الشرك والكفر، وهي لا تتساوى أبداً مع وصف المسلم بها لو كانت على خلاف الواقع، لأنها ليست حكماً له بالجنة ولا جزماً به وهي في قول القائل تشبه الدعاء كقولنا (ﷺ) فإنها جملة خبرية في لفظها دعائية في معناها.
ووصف المسلم المقتول بيد أهل الكفر والعدوان بالشهيد هو واجب قطعي، فيه إرغام للشيطان وإغاظة لأهل الكفر والطغيان، ووصفه بكونه "ميت" فيه نهي مؤكد مقطوع به.
ولو أضاف المنافق المثبط الجهول وصف (مستراح منه) فقد وافق مقالة أهل الكفر والفسوق والعصيان وأرضى الشيطان واغضب الرحمن نعوذ بالله من الخذلان.
بل وفيه جراءة على الله تنفي الإيمان عن شهيد مع التشفي والشماتة تسعد كل من عدو حاد الله ورسوله.

(١) **ارتباط ذلك بالاعتقاد:**

«فَقَوْلُهُ: (وَلا تَقُولُوا) نَهْيٌ عَنِ الْقَوْلِ النَّاشِئِ عَنِ اعْتِقَادٍ، ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَقُولُ إِلَّا مَا يَعْتَقِدُ فَالْمَعْنَى وَلَا تَعْتَقِدُوا، فهو نهي عن الاعتقاد، وقد صرح الله تعالى بالنهي عن الاعتقاد في آية أخرى في معنى هذه الآية الكريمة وفي موضوعها فقال تعالى: (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عندَ رَبِّهِم يُرْزَقُونَ).
وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا تَكْمِيلٌ لِقَوْلِهِ: (وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ) [الْبَقَرَة: ١٤٣] كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ فَإِنَّهُ قَالَ: «أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}.»، فَأَعْقَبَ قَوْلَهُ: وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ بِأَنَّ فَضِيلَةَ شَهَادَتِهِمْ غَيْرُ مَنْقُوصَةٍ» (٥٩٦).
وهذا التعلق والتكميل خلاصته (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات فيضيع أيمانكم بل هم أحياء)، وهو أيضاً تكميل لبيان أصناف القائلين وهم (السفهاء من الناس) من اليهود وأهل الشرك والنفاق.
وهذا الاعتقاد مرتبط بأصل من أصول الإيمان وهو الإيمان بالبعث و"اليوم الآخر".

٥٩٦) التحرير والتنوير (٢/ ٥٣) زهرة التفاسير (١/ ٤٦٨) صحيح البخاري (١/ ٢٣)

(٢) ارتباطه بالولاء والبراء:

من أخطر أشكال محادة الله ورسوله ومعاداة المؤمنين الانسلاخ من الأمة والوقوف مع عدوها فيصبح الولاء والمحبة لمن حاد الله ورسوله وعادى المؤمنين وينعقد العداء للمؤمنين.

فيكون خروجاً على الله ورسوله والأمة ويصبح هؤلاء الخارجون قتلة لأهل الإسلام يوادعون ويوادون من حاد الله ورسوله من أهل الكفر والفسوق والعصيان.

وهذا يمر بمراحل خطيرة أشدها مرحلة النطق باللسان وهذه المرحلة تدخل صاحبها في التشابه بالقول الذي يقود للتشابه بالفعل وسريعاً ما يكون تشابهاً بالاعتقاد قال تعالى: {كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم}. أي: أشبهت قلوب مشركي العرب قلوب من تقدمهم في الكفر والعناد وسيكون هذا التشابه لمن يأتي بعدهم.

إنهم لما تشابهت قلوبهم بالكفر تشابهت أقوالهم وأعمالهم. وهكذا كل من نسب حصول الشر أو زوال الخير لما جاءت به الرسل أو لبعضه فهو داخل في هذا الذم الوخيم.

ويجوز أن تكون «وجُمْلَةُ تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ تَقْرِيرٌ لِمَعْنَى قالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ، أَيْ كَانَتْ عُقُولُهُمْ مُتَشَابِهَةً فِي الْأَفْنِ وَسُوءِ النَّظَرِ فَلِذَا اتَّحَدُوا فِي الْمَقَالَةِ. فَالْقُلُوبُ هُنَا بِمَعْنَى الْعُقُولِ كَمَا هُوَ الْمُتَعَارَفُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ. وَقَوْلُهُ تَشابَهَتْ صِيغَةٌ مِنْ صِيَغِ التَّشْبِيهِ وَهِيَ أَقْوَى فِيهِ مِنْ حُرُوفِهِ وَأَقْرَبُ بِالتَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ» (٥٩٧).

ولذا حسم النبي ﷺ ذلك بحكم حاسم لفظه واضح فعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» (٥٩٨)وفي الصحيحين عن أنس، عن النبي ﷺقال: [المرءُ معَ من أحَبّ] (٥٩٩).

---

٥٩٧) تفسير السعدي (ص١٨٨) التحرير والتنوير (١/ ٦٨٩) وما بعدها بتصرف.

٥٩٨) قطعة من حديث أخرجه ابن أبي شيبة في المصنّف (١٩٧٤٧) و(٣٣٦٨٧) وعبد بن حميد (٨٤٨)، وأحمد في المسند ٩/ ١٢٣ (٥١١٤) و٩/ ١٢٦ (٥١١٥)، وأبو داود (٤٠٣١)، وابن الأعرابي في معجمه (١١٠٤)، والطبراني في مسند الشاميين (٢١٦)، والبيهقي في الشعب (١١٩٩) من طرقٍ عن عبد الرحمن بن ثابت، عن حسّان بن عطية عن أبي منيب الجُرَشي -الدمشقي الأحدب- عن ابن عمر ﵄ عن النبيّ ﷺ. وأورده الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ٢٧١) وقال: أخرجه أبو داود بإسناد حسن.

٥٩٩) حديث صحيح. رواه أحمد والشيخان، ورواه أكثر أهل السنن. انظر صحيح الجامع (٦٥٦٥)

فقوله: (من تشبه بقوم) هذا عام في الخلق والخلق والشعار، وإذ كان الشعار أظهر في التشبه(٦٠٠) وقال ابن كثير «فَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى النَّهْيِ الشَّدِيدِ وَالتَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ عَلَى التَّشَبُّهِ بِالْكُفَّارِ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَلِبَاسِهِمْ وَأَعْيَادِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمُ التِي لم تشرع لنا ولا نقر عليها»(٦٠١)وقال ابن تيمية: «وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة: ٥١]»(٦٠٢).

ومن عجيب أن هذه اللفظة «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» جاءت في الحديث المشهور والذي رواه الإمام أحمد من حديث «ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» (٦٠٣).

وبالرغم من كل هذا تجد طائفة انسلخت من دينها، وتولت قوماً غضب الله عليهم فأصبحوا يضاهئون قول الذين كفروا وتشابهت قلوبهم، بل أصبح المغضوب عليهم يأتمون بهم وينتظرون تصريحاتهم ليقولوا بقولهم ويرددوا شبهاتهم.

(٣) لَا سَوَاءً، قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ

هذا أصول من أصول الإسلام ومن أركان الإيمان، مقرون بتعظيم الله وتوحيده، بأن الشهيد حي عند ربه وهو إقرار بالبعث وتسليم للأمر.

وقد ورد هذا في القرآن في موضعين في قوله تعالى:

---

٦٠٠) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٩/ ٢٩٠١)

٦٠١) تفسير ابن كثير(١/ ٢٥٧)

٦٠٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٧٠)

٦٠٣) مسند أحمد (٩/ ١٢٣ ط الرسالة) ح(٥١١٤) ذكره البخاري تعليقًا ٦/ ٦٣ في الجهاد: باب قيل في الرماح. قال الحافظ في "الفتح": هو طرف من حديث أخرجه أحمد من طريق أبي منيب عن ابن عمر بلفظ: "بعثت بين يدي الساعة مع السيف، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم"، وفي الإسناد عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان مختلف في توثيقه، وله شاهد مرسل بإسناد حسن أخرجه ابن أبي شيبة من طريق الأوزاعي عن سعيد بن جبلة عن النبي صلى الله عليه وسلم بتمامه فهو حسن . قال في فتح الباري(١٠/ ٢٧٤) ذكره الإمام البخاري «مُعَلَّقًا فِي كِتَابِ الْجِهَادِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عمرو، وَصَلَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا

{وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤)} [البقرة: ١٥٤] قال نجم الدين الطوفي:" فيه مسألتان: أنه عام في كل مقتول في سبيل الله أنه حي يرزق، وهو مطرد إلا من دل دليل خاص على أنه ليس بحي لكن لم نعلم ذلك ولم يبلغنا عن أحد.

ومفهوم الآية: أن غير المقتول في سبيل الله لا يقال له حي بل ميت، وهاتان من قبيل مسائل المعاد واليوم الآخر، إذ أول اليوم الآخر من حين الموت، ولهذا ورد أن من مات فقد قامت قيامته (٦٠٤).

وقوله: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} ([آل عمران: ١٦٩].

وورد في السنة في أشهر أحداثها وفي أشد مواطن الصراع بين التوحيد والشرك فتواترت جملة (قَتْلَانَا في الْجَنَّةِ وَقَتْلَاكُمْ في النَّارِ) تواتراً معنوياً ، ومع إضافتها للآية يصبح معناها قطعياً في لفظه ودلالته، وأن من قتل في سبيل الله حي يرزق وينعم ويحرم أن يقال عنه "ميت".

أما الأحاديث والأحداث التي وردت في تقرير هذا الأصل وتثبيته، واشاعته والدعوة إليه ونفي كل معنى يخالفه أو ينافيه فقد ثبت في مواقف هذا بيانها:

الموقف الأول: في غزوة أحد لما أراد أبو سفيان الانصراف، فأشرف على أصحاب النبي ﷺ في عرض الجبل فنادى بأعلى صوته فكان مما «قَالَ: اعْلُ هُبَلْ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ فَقَالَ: قَالَ أبو سُفْيَانَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ وَالْحَرْبُ سِجَالٌ، فَقَالَ عُمَرُ: لَا سَوَاءً، قَتْلَانَا في الْجَنَّةِ وَقَتْلَاكُمْ في النَّارِ، قَالَ أبو سفيان: إِنَّكُمْ لَتَزْعُمُونَ ذَلِكَ، لَقَدْ خِبْنَا إِذَنْ وَخَسِرْنَا، ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ» (٦٠٥)

قَالَ ابن القيم «فَأَمَرَهُمْ بِجَوَابِهِ عِنْدَ افْتِخَارِهِ بِآلِهَتِهِ وَبِشِرْكِهِ، تَعْظِيمًا لِلتَّوْحِيدِ، وَإِعْلَامًا بِعِزَّةِ مَنْ عَبَدَهُ الْمُسْلِمُونَ، وَقُوَّةِ جَانِبِهِ، وَأَنَّهُ لَا يُغْلَبُ، وَنَحْنُ حِزْبُهُ وَجُنْدُهُ» (٦٠٦).

---

٦٠٤) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية (ص٧٢)

٦٠٥) روى بعضه البخاري، وبعضه أبو داود؛ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وأحمد، والحاكم، وغيرهم؛ من رواية ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: ((جامع الأصول)) (٨/٢٣٥)، ((فقه السيرة)) للغزالي (ص٢٧٩)، ((زاد المعاد)) (٣/٢٠١).

٦٠٦) زاد المعاد ت الرسالة الثاني (٣/ ٢٣٥)

لا تنازل عن المبادئ ولا عن الدور الحضاري للأمة وأن نتمثل تلك الشعارات التي رفعها المسلمون بعد المعركة.. الله أعلى وأجل.. الله مولانا ولا مولى لهم.. قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار. (٦٠٧).

فهذه هي الأصول (*) تعظيم الله تعالى (*) أَن الوليَّ حقا الجدير بأن يستنصر به هو الله تعالى وحده. (*) تمحيض القتال ليكون في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وكل من قتل في سبيل الله فهو شهيد ويحرم أن يقال عليه "ميت".

فهذه المسألة شملت توحيد الله وتعظيمه، وموالاة المؤمنين ومعادة الكافرين بتحقيق الصفة التي وصف بها سيد الخلق وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين في قوله تعالى {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: ٢٩] والإيمان باليوم الآخر والتسليم بالطاعة لأمر الله ﷻ ووحيه في القرآن واتباع رسولهﷺ والتأسي به في سنته.

ويشير إلى بعض هذه المعاني قوله تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} [المائدة: ٥٥، ٥٦] بعد أن نهى القرآن الكريم المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياءَ؛ لأن بعضهم أولياءُ بعض، فلا يتصور أَن يخلصوا في مودة المؤْمنين، وبيّن أَن من يصافيهم يكون منهم، وأَن مودتهم تؤَدي إلى الارتداد. ثم بيّن حكمَ المرتدين مطلقا ... بعد ذلك، جاءَت هذه الآية، تبين أَن الوليَّ حقا الجدير بأن يستنصر به هو الله تعالى وحده، وكذلك رسوله ﷺ والمؤْمنون. فإن الاستعانة بهم، استعانةٌ بالله تعالى.

جاءت الآية بذلك-تحريضًا للمؤْمنين على الاستنصار بالله ورسوله والمؤْمنين، وتحذيرا من موالاة مَنْ تَجُرُّهُ مصافاته لغير المسلمين، إلى الردة عن دين الله.»(٦٠٨)

الموقف الثاني:

كان في صلح الحديبية، وَذَلِكَ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وفيه:" فجاء عمر بن الخطاب فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟

٦٠٧) السيرة النبوية دروس وعبر (ص: ٥٧١)

٦٠٨) التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٢/ ١٠٩٨)

قَالَ: "بَلَى"، قَالَ: أَلَيْس قَتْلَانَا في الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ في النَّارِ؟ قَالَ: "بَلَى"، قَالَ: فَفِيم نُعْطِي الدَّنِيَّةَ في دِينِنَا، ونَرجعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ الله بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: "يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ الله وَلَنْ يُضَيعَنِي الله أَبَدًا"، قال: فَانْطَلَقَ عُمَرُ فلم يصبر متغيظًا، فأتى أَبِي بَكْر، فَقَالَ: يا أبا بكر أَلَسْنَا عَلَى الْحَقّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: "بَلَى"، قَالَ: أَلَيْس قَتْلَانَا في الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ في النَّارِ؟ قَالَ: "بَلَى"، قَالَ: فعلام نُعْطِي الدَّنِيَّةَ في دِينِنَا، ونَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ الله بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يا ابن الخطاب إِنَّهُ رَسُولُ الله وَلَنْ يُضَيِّعَهُ الله أَبَدًا، فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْح فَقَرَأَهَا رَسُولُ الله ﷺ عَلَى عُمَرَ إلى آخِرِهَا، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله أَوَ فَتحٌ هُوَ؟ قَالَ: "نَعَمْ"، فطابت نفسه ورجع (٦٠٩).

وقد بوب الإمام البخاري: «بَاب: الْجَنَّةُ تَحْتَ بَارِقَةِ السيوف". ثم قال: «وَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ، عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا: (مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الْجَنَّةِ).

وَقَالَ عُمَرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَلَيْس قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: (بَلَى).» انتهى.

قال ابن حجر: «قَالَ ابْنُ الْمُنِيرِ: كَأَنَّ الْبُخَارِيَّ أَرَادَ أَنَّ السُّيُوفَ لَمَّا كَانَتْ لَهَا بَارِقَةٌ كَانَ لَهَا أَيْضًا ظِلٌّ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَهُوَ مِنَ الْكَلَامِ النَّفِيسِ الْجَامِعِ الْمُوجَزِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى ضُرُوبٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَعَ الوَجَازَةِ وَعُذُوبَةِ اللَّفْظِ، فَإِنَّهُ أَفَادَ الْحَضَّ عَلَى الْجِهَادِ وَالْإِخْبَارَ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ وَالْحَضَّ عَلَى مُقَارَبَةِ الْعَدُوِّ وَاسْتِعْمَالَ السُّيُوفِ وَالِاجْتِمَاعَ حِينَ الزَّحْفِ حَتَّى تَصِيرَ السُّيُوفُ تُظِلُّ الْمُتَقَاتِلِينَ، وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ، الْمُرَادُ أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْصُلُ بِالْجِهَادِ.»(٦١٠).

الموقف الثالث:

يَوْمَ بُزَاخَةَ وبُزَاخَةُ: ماء لبني أسد، كانت فيه وقعة في أيام أبي بكرﷺ مع طليحة بن خويلد الأسدي (٦١١) وفيه ورد «عن عاصِمِ بنِ ضَمرَةَ قال: ارتَدَّ عَلقَمَةُ بن عُلاثَةَ عن دينِه بعدَ النَّبِيِّ ﷺ فأبَى أن يَجنَحَ لِلسِّلم، فقالَ أبو بكرٍ ﷺ: لا نَقبَلُ مِنكَ إلَّا بسِلْمٍ مُخْزِيَةٍ

٦٠٩) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣١٨٢)، كتاب: الجزية، باب رقم ١٨، ومسلم (١٧٨٥)، كتاب: الجهاد والسير، باب: الحديبية.

٦١٠) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٣٣ ط السلفية).

٦١١) (بُزَاخَةَ). بباء موحدة مضمومة ثم زاى ثم ألف ثم خاء معجمة ثم هاء: موضع كانت فيه وقعة للمسلمين في خلافة الصديق، ووفد بزاخة ارتدوا ثم تابوا، فأوفدوا رسلهم للصديق يعتذرون إليه، فأحب الصديق ألا يقضي فيهم إلا بعد المشاورة في أمرهم،

أَو حَربٍ مُجْلِيَةٍ. فقالَ: ما سِلْم مُخزيَةٌ؟ قال: تَشهَدونَ على قَتلانا أَنَّهُم في الجَنَّة، وأَنَّ قَتلاكُم في النّار، وتَدونَ قَتلانا ولا نَدِي قَتلاكُم. فاختاروا سِلْمًا مُخزيَةً.... فَقَال عُمَرُ بن الخطاب ﷺ: «وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ أَنْ يَدُوا قَتْلَانَا وَتكُونَ قَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ، فَإِنَّ قَتْلَانَا قُتِلُوا عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، أُجُورُهُمْ عَلَى اللهِ، لَيَسَتْ لَهُمْ دِيَاتٌ، قَالَ: فَتَابَعَ الْقَوْمُ عُمَرَ» (٦١٢).

يعني: هم شهداء فلا دية لهم، فاتفقوا على قول عمر ﷺ في ذلك.

قال ابن هُبَيْرَة «في هذا الحديث من الفقه صلابة أبي بكر في دينه، وشدة وثوقه بظهور أمر الله، وفيه أيضا أن عمر آنف للشهداء من أن يأخذ ورثتهم عوض نفوسهم الكريمة عرضا من الدنيا بعد مماتهم، كما أنفوا هم من ذلك في حال حياتهم، ومن أجل أن المبايعة سبقت وأخذوا العوض من الله ﷻ بقوله: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ...} الآية [التوبة: ١١١]. فقد سبق بيعهم وقد اشترى الله ﷻ منهم، فكيف كان يجوز أخذ العوض من شيء أخذ ثمنه من قبل، فرضي الله عن عمر وعن أبي بكر ﷺ.» (٦١٣).

وفي هذه المواقف الثلاث والتي كان زمنها في حياة النبي ﷺ في غزوة أحد، وفي صلح الحديبية، وزمن الخلفاء الراشدين في حروب الردة وهي عصب أحداث سيرة النبي ﷺ وخليفتيه أبو بكر وعمر ﷺ .

والصديق والفاروق كانا في صلب أحداث أحد والحديبية وترافقا في حروب الردة، وهما الشيخان الأقربان صحبة للنبي ﷺ وأصحاب الخلافة الراشدة من بعده.

وفي الحوادث الثلاث تواتر معنى ولفظ (قَتْلَانَا في الْجَنَّةِ وَقَتْلَاكُمْ في النَّارِ) فلا سواء وهذا من الأصول العامة العظيمة في شريعة الله الحكيمة.

قال ابن تيمة رحمه الله: «قال تعالى: تَعَالَى: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ} [سُورَةُ الْقَلَمِ: ٣٥] وَقَالَ تَعَالَى: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} [سُورَةُ ص: ٢٨]. وَقَالَ: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [سُورَةُ الْجَاثِيَةِ: ٢١] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

---

٦١٢) الأموال - أبو عبيد (ص٢٥٦)، السنن الكبير للبيهقي (١٧/ ٥٧ ت التركي) .

٦١٣) الإفصاح عن معاني الصحاح (١/ ٩٧)

فَدَلَّ عَلَى أَنَّ التَّسْوِيَةَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْمُخْتَلِفَيْنِ مِنَ الْحُكْمِ السَّيِّئِ الَّذِي يُنَزَّهُ عَنْهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ مُنْكَرٌ لَا يَجُوزُ نِسْبَتُهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّ مَنْ جَوَّزَ ذَلِكَ فَقَدَ جَوَّزَ مُنْكَرًا لَا يَصْلُحُ أَنْ يُضَافَ إِلَى اللهِ تَعَالَى :فَإِنَّ قَوْلَهُ: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ} [سُورَةُ الْقَلَمِ: ٣٥] اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ، فَعُلِمَ أَنَّ جَعْلَ هَؤُلَاءِ مِثْلَ هَؤُلَاءِ مُنْكَرٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يُظَنَّ بِاللهِ أَنَّهُ يَفْعَلُهُ. فَلَوْ كَانَ هَذَا وَضِدُّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ سَوَاءً جَازَ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا وَهَذَا.

وَقَوْلُهُ: {سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [سُورَةُ الْأَنْعَامِ: ١٣٦] دَلَّ عَلَى أَنَّ هَذَا حُكْمٌ سَيِّئٌ، وَالْحُكْمُ السَّيِّئُ هُوَ الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَجُوزُ، فَعُلِمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ هَذَا.

ومنه يَعلمُ أَنَّ التَّسْوِيَةَ بَيْنَ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَبَيْنَ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ مِمَّا يُعْلَمُ بُطْلَانُهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْحُكْمِ السَّيِّئِ الَّذِي يُنَزَّهُ اللهُ عَنْهُ.

وَفِي الْجُمْلَةِ التَّسْوِيَةُ بَيْنَ الْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، وَالْمُحْسِنِينَ وَالظَّالِمِينَ وَأَهْلِ الطَّاعَةِ، وَأَهْلِ الْمَعْصِيَةِ حُكْمٌ بَاطِلٌ يَجِبُ تَنْزِيهُ اللهِ عَنْهُ، فَإِنَّهُ يُنَافِي عَدْلَهُ وَحِكْمَتَهُ.

فقد أنكر ﷻ على من ظنَّ أنه يساوي بين أهل طاعته وأهل معصيته، فكيف بمن يطلب منه أن يفضِّل العبد العاصي على المطيع؟! »(٦١٤)

فمن وصف من قتل شهيداً بيد أهل الكتاب بأنه " مستراح منه" أو أنه ليس بشهيد أو أنه مات على ضلالة أو بدعة أو مات ميتة جاهلية، فقد عصى وخالف صريح القرآن والسنة مخالفة تفضي به إلى الانسلاخ من دينه، لأنه بقوله هذا يوافق أهل الشرك والكفر ويواليهم بقوله مثل قولهم، وفي الأثر : عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُتْبَةَ: «لِيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ» قَالَ مُحَمَّدٌ: فَظَنَنْتُهُ أَخَذَ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة: ٥١](٦١٥).

وأي موالاة أعظم من موافقة الكافرين باتهام المرابطين وتثبيطهم والطعن في نياتهم وجهادهم، والحكم بمصيرهم وتسويتهم بالفجار والكفار، بل وجعل شهادتهم بأن قتلوا

---

٦١٤) منهاج السنة النبوية (٣/ ٨٩، ١٠٦) الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق (١/ ١١٣)

٦١٥) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٥٦): «(٦٥١١» الإبانة الكبرى - ابن بطة (٢/ ٨٥٨)، "السنة" للخلال ٢/ ١٥٦ (١٦٠٣) تفسير ابن كثير - ط ابن الجوزي (٣/ ٤١٨)

بيد أهل الكتاب أقل درجة بل درجات من موت سائر الناس بادعاء موتهم على البدع ونسبتهم للخروج ومخالفة المنهج.

وإن أنصع راية في الجهاد وأوضحها هي راية المرابطين المجاهدين المحاصرين في الأرض المباركة، يجاهدون وقد وقع عليهم الخذلان، وسينتصرون بوعد النبي ﷺ ، وجهادهم للعدو واجب قطعي لأنه عدو اعتدى على أرضهم وديارهم وأموالهم وأعراضهم، ومقدسات المسلمين.

ولو أن رجلا مسلما كان سكيرا عربيدا مات على فراشه لترحموا عليه.

ولكنهم يمنعون ذلك عن المرابطين: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} [سُورَةُ الْقَلَمِ: ٣٥، ٣٦].

يخذلون قوم داهم العدو أرضهم وديارهم وأخرجهم منها، وليست الأرض كسائر الأرض بل هي الأرض المباركة المقدسة، يخذلونهم فلا إعانة ولا نصرة، ويا ليتهم تركوهم وشأنهم بل زادوا في الخذلان بنسبتهم للبدعة والخروج، ثم تماودوا فمنعوا الترحم عليهم واحتقروا واستهانوا بجهادهم، بل وفرحوا بموت المرابطين المظلومين المحاصرين: {قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا} [الإسراء: ١٠٠]

وصاروا يعترضون على الضعفاء ولم ينكروا منكر غيرهم وسلطوا عليهم حداد ألسنتهم لأنهم في مأمن، وتركوا من يوالي اليهود والنصارى ولم يعترضوا أو يبينوا حكم ذلك: {فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} [الأحزاب: ١٩]

ولا ريبَ أن جهادَ هؤلاء وإقامةَ الحدودِ عليهم من أعظم الطاعات وأكبرِ الواجبات، وهو أفضلُ من جهادِ مَن لا يُقاتِلُ المسلمين من المشركين وأهل الكتاب؛ فإن جهادَ هؤلاء من جنس جهادِ المرتدِّين، والصِّدِّيقُ وسائرُ الصحابة بدؤوا بجهاد المرتدين قبلَ جهادِ الكفار مِن أهل الكتاب؛ فإنَّ جهادَ هؤلاء حُفظ لما فتح من بلاد المسلمين، وأن يدخل فيه مَن أراد الخروج عنه، وجهاد مَن لم يقاتِلْنا من المشركين وأهل الكتاب من زيادةِ إظهارِ الدين.. وحِفظُ رأسِ المال مقدمٌ على الربح. (٦١٦).

---

٦١٦) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٥٨) وامحمداه إن شانئك هو الأبتر (١/ ٤٩٧)

وان قوما يحكمون على رجل أُخرج من دياره، يدافع عن أرض الإسراء وقتله اليهود فلم يرتضوا له الشهادة ولم يحكموا له بها، ووصفوه بالموت المنهي عنه بل جعلوه فاجراً مستراح منه ومبتدعاً ليفرحوا بموته.

إن قوماً هؤلاء صفتهم وهذه أفعالهم ضاع إيمانهم وليسوا من المؤمنين بل هم -في أحسن حالهم المذري-قوم دعاة على أبواب جنهم، من أجابهم إليها قذفوه فيها.

وهم من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا.

ومما يؤكد هذا أن النهي عن قول(ميت) للشهيد وأنهم أحياء عند ربهم، سببه النهي عن مشابهة الكافرين والمنافقين، والميل والموالاة لمن حاد الله ورسوله، مع ترديد قول الكافرين المنكرين للبعث، وتأييد للمنافقين الذين ينكرون نعيم المؤمنين ويحسدونهم على مكانتهم عند رب العالمين.

المقتول في سبيل الله أول الشهداء

الشهيد: الشين والهاء والدال أصل، يدل على حضور وعلم إعلام، شهيد على وزن فعيل من الفعل شهد، والفعل شهد يدل على معان عدة، والشهيد القتيل في سبيل الله، والشهيد في الأصل من قتل مجاهدا في سبيل الله، أو قتله الكفار في المعركة ثم اتسع فيه فأطلق على من سماه النبي ﷺ من المبطون والغريق ونحوه.

فالشهيد في اللغة عام يطلق على شهيد المعركة مع الكفار، وعلى غيره..

ومن قُتِل مجاهدًا في سبيل اللَّه؛ سمي شهيداً لأن ملائكته شهود له بالجنة، وقيل لأنه حيّ لم يمت كأنه شاهد حاضر، كَذَا جاءَ عَن النَّضْر بن شُمَيْل. وَنَقله عَنهُ أَبو دَاوُود. قَالَ أَبو مَنْصُور: أُراه تَأَوَّلَ قولَ اللهِ ﷻ: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ في سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ} (آل عمرَان: ١٦٩) كأَنَّ أَرواحَهم أُحْضِرَت دارَ السَّلامِ أَحياءً، وأَرواحُ غيرهم أُخِّرَت إِلَى البَعْثِ. قَالَ: وهذا قولٌ حَسَنٌ. وقيل غير ذلك، فهو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول على اختلاف التأويل [ل، قر ٤/ ٢١٨] {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ} [آل عمران: ١٤٠] وكذا ما في [النساء: ٦٩]. (٦١٧).

---

٦١٧) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٢١) مادة شهد.، ولسان العرب (٣/ ٢٤٢) مادة شهد.، والمصباح المنير ص ٣٢٤ (مادة شهد). تاج العروس من جواهر القاموس (٨/ ٢٥٥) المعجم الاشتقاقي المؤصل (٢/ ١١٧٩).

وقد عرفه الحنفية بأنه: من قتله المشركون أو وجد في المعركة وبه أثر الجراحة، أو قتله المسلمون ظلما ولم تجب بقتله دية، أو قتل مدافعا عن نفسه، أو ماله، أو أهله، أو أحد من المسلمين أو أهل الذمة (٦١٨).

والذي يظهر من تعريف الفقهاء للشهيد أن مرادهم، الشهيد الذي تطبق عليه الأحكام الدنيوية فلا يغسل، ولا يصلي عليه، ويدفن في ثيابه التي قتل فيها، ولا بد لحصول لذلك من قيود.

الأول: أن يقتل في المعركة أو ما يسمى (مسرح العمليات) (٢) سواء كان في البر، أو البحر، أو الجو، وبهذا القيد يخرج من مات في غير المعركة، أو جرح في المعركة ومات بعد انتهاء الحرب.

الثاني: أن يكون قتيل حرب الكفار، وبهذا القيد يخرج ما لو قتله المسلمون، كأهل البغي فإنه لا يعتبر شهيد، فيغسل ويكفن ويصلى عليه (٦١٩).

والقيد الثالث وهو في غاية الأهمية: أن يكون مراد المجاهد من القتال الذي قتل فيه إعلاء كلمة الله ونصرة دينه. (٦٢٠).

وما ذهب إليه الحنفية من أن المقتول ظلما ولم تدفع ديته، والمقتول دفاعا عن ماله، أو عرضه، أو نفسه، أو أحد من المسلمين، أنه شهيد، فإن ذلك توسع منهم في معنى الشهيد، ويمكن حمل ذلك على أنه شهيد في الآخرة، كما في المبطون والغريق، ونحو ذلك ممن سماهم النبي ﷺ شهداء وغسلوا وصلى عليهم وكفنوا، فكان المراد شهداء في الآخرة والله أعلم. (٦٢١).

«وَالشُّهَدَاءُ هُمْ الْمَقْتُولُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. الْمَقْتُولُ دُونَ مَالِهِ الْمَقْتُولُ دُونَ أَهْلِهِ. الْمَطْعُونُ. الْغَرِقُ. الْحَرِقُ. الْمَجْنُونُ. الْهَدِيمُ. ذَاتُ الْجَمْعِ.

الْمَقْتُولُ ظُلْمًا. أَكِيلُ السَّبْعِ. الْمَيِّتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. مَنْ مَاتَ مِنْ بَطْنٍ فَهُوَ شَهِيدٌ. الْمَرِيضُ شَهِيدٌ. الْغَرِيبُ شَهِيدٌ. صَاحِبُ النَّظْرَةِ شَهِيدٌ (واختلف فيه على قولين: فقيل هو المخبول الذي اتخذ نظرة، وقيل هو المعين.). فَهَؤُلَاءِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهِيدًا.»

---

٦١٨) اللباب في شرح الكتاب (١/١٣٣) والاختيار للموصلي (١/٩٧). بدائع الصنائع (٢/٧٠).

٦١٩) فتح الباري (٣/٢٦٩).

٦٢٠) مغنى المحتاج (٢/٣٥).

٦٢١) أحكام المجاهد بالنفس في سبيل الله ﷻ في الفقه الإسلامي (١/٢٣٣، ٢٣٥)

ومن مات في سبيل الله فهو شهيد وإن لم يباشر الحرب، ولم يشاهدها (٦٢٢)

فهو شهيد لا يحجب عنه الاسم والوصف الذي سماه به الله ورسوله، كما لا يحجب عنه وصف الإسلام، لعداوة أو بغضاء أو لاختلاف سياسي حزبي أو مذهبي؛ لأن الأسماء والأحكام الشرعية حق لله لا تدخلها الأهواء ولا اختلاف الآراء.

والقتال في سبيل الله له شرطان هما: الإخراج من الديار والأبناء، والظلم بأنواع الاعتداء أو دفع العدو الصائل المعتدي على بلاد المسلمين، ورفع الظلم والفتنة عن المؤمنين، وإعلاء لكلمة الله تعالى، قال تعالى {قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا} [البقرة: ٢٤٦]

وقال ﷻ :{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [الحج: ٣٩-٤١] .

من قتله أهل الكتاب أجره مضاعف:

عن ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُقَالُ لَهَا أُمُّ خَلَّادٍ وَهِيَ مُنْتَقِبَةٌ، تَسْأَلُ عَنِ ابْنِهَا، وَهُوَ مَقْتُولٌ، فَقَالَ لَهَا بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ جِئْتِ تَسْأَلِينَ عَنِ ابْنِكِ وَأَنْتِ مُنْتَقِبَةٌ؟ فَقَالَتْ: إِنْ أُرْزَأَ ابْنِي فَلَنْ أُرْزَأَ حَيَائِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«ابْنُكِ لَهُ أَجْرُ شَهِيدَيْنِ»، قَالَتْ: وَلِمَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِأَنَّهُ قَتَلَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ» (٦٢٣) قال ابن تيمية: وإنما اختار من اختار الرباط بثغور النصارى (أهل الكتاب) لهذا الحديث وأمثاله «قِيلَ إِنَّ غَزْوَ

٦٢٢) أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية (٤/ ١٨١) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس (ص٣١٠) والمسالك في شرح موطأ مالك (٣/ ٥٧٤) والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/ ٧٥٨) فالشهداء ثمانية في حديث مالك، ﵁ موطأ مالك - رواية أبي مصعب الزهري (١/ ٣٦٦): ..... «مَا تَعُدُّونَ الشَّهَادَةَ؟ ، قَالُوا: الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الشُّهَدَاءُ سَبْعَةٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ.» وفي البخاري في كتاب المظالم باب من قاتل دون ماله فهو شهيد ٣/ ١٧٩، وأبو داود ٤/ ٢٤٦، والترمذي ٤/ ٢٩ - ٣٠، والنسائي ٧/ ١١٤ - ١١٥ كلهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

٦٢٣) سنن أبي داود (٣/ ٥ ت محيي الدين عبد الحميد)

الرُّومِ وَسَائِرِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِمْ فلفَضلِ غَزْوِ الرُّوم، واللهُ أعلمُ، غَزاهُم رسُولُ الله ﷺ»(٦٢٤)

ولهذا كانت «المرابطة في ثغور المسلمين–وهو المقام فيها بنية الجهاد– أفضل من المجاورة في الحرمين باتفاق أئمة المسلمين وأهل المذاهب الأربعة وغيرهم» (٦٢٥).

كما قال ابن تيمية وقال أيضاً «وهذه الأخبار تبين فضيلة سُكْنَى الشام؛ فإن أهل الشام ما زالوا مُرَابطين من أوَّل الإسلام لمُجاورتهم النصارى ومجاهدتهم لهم، فكانوا مرابطين مجاهدين لأهل الكتاب. ولهذا فضَّل النبي ﷺ جُنْدَهم على جُنْد اليمن والعراق؛ مع ما قاله في أهل اليمن» (٦٢٦).

قال ابن رسلان «(قال: لأنه قتله أهل الكتاب) فيه الحث على جهاد أهل الكتاب وفضله على غيرهم، والظاهر أن من قتل كافرًا من أهل الكتاب في الحرب له أجر من قتل كافرين كما أن مقتولهم له أجران، **ولعل سبب المضاعفة أنهم لما علموا ما في كتبهم من صفة محمدﷺ وكذبوا به وبالقرآن فكفر أتباعهم، فكان عليهم إثمهم وإثم أتباعهم،** كما قال تعالى: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ} (العنكبوت: ١٣). (٦٢٧)

الفرح بقتل المسلم ضلال مبين حبط عمل فاعله وهو من الخاسرين

روى الإمام أبو داود بسنده «عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺأَنَّهُ قَالَ: مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا فَاعْتَبَطَ بِقَتْلِهِ، لَمْ يَقْبَلِ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا» (٦٢٨). ثم روى أبو داود عن خالد بن دهقان قال: سألت يحيى بن يحيى الغساني عن قوله: فاغتبط بقتله، قال: الذين يقاتلون في الفتنة فيقتل أحدهم، فيرى أنه على هدى، فلا يستغفر الله (٦٢٩).

والصرف: النافلة والعدل: الفريضة. وقيل غيره والمعنى: أنه يحبط عمله» (٦٣٠)

---

٦٢٤) التمهيد - ابن عبد البر (١٢/ ١٩٥ ط المغربية) وما بعدها

٦٢٥) مسألة فى المرابطة بالثغور أفضل أم المجاورة بمكة شرفها الله تعالى (ص١٧)

٦٢٦) جامع المسائل - ابن تيمية - ط عطاءات العلم (٥/ ٣٥٩)

٦٢٧) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١١/ ٤٠)

٦٢٨) سنن أبي داود (٤/ ١٦٧ ط مع عون المعبود)

٦٢٩) رواه أبو داود (٤٢٧٠)، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٤١٥)

٦٣٠) حسن التنبه لما ورد في التشبه (٦/ ٣٨٢)

ومن غريب الحديث: "فاغتبط": فسَعِد وسُرَّ، فمن سُرَّ بقتل المؤمن دون وجه حق ولا ذنب، فلا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً؛ لا يقبل منه شيئًا؛ عقوبة له.

والحديث يتحدث عن قاتل فرح وسَعِد وسُرَّ بقتل خصمه وعدوه زمن الفتنة، وهو يشمل بمفهومه أن من يشمت ويفرح بقتل مسلم يدافع عن الحرمات ويدفع عدواً غاصباً فوعيده أشد لأنه أصبح في صف أعداء الأمة يفرح لفرحهم ويشمت فيما يصيب من يجاهدهم ويدفع عدوانهم.

وأكثر هؤلاء -في أيامنا-ينسب إلى التدين والدعوة وهو قد جمع السوء كله بشماتته وفرحه بقتل أهل الإسلام فأصبح يوالي الأعداء ويخذل إخوانه، وليته سكت إن لم يوافقهم، ولكنه يفرح بذلك ويفتخر ويُناصِر القتلة، فحكمُه حُكم القاتل؛ لفرحه ورضاه بما صنع القاتل، ويَركَن إلى الذين ظلموا، ويقف معهم، والله يقول: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣].

وقد مر بنا ما روي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُتْبَةَ: «لِيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ» قَالَ مُحَمَّدٌ: فَظَنَنْتُهُ أَخَذَ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة: ٥١] (٦٣١).

إنزال النصوص الواردة في الكافرين والمنافقين على المؤمنين جرأة على الله وتحريف

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ﷛ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ فَقَالَ: (مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ فَقَالَ: (الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ، وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ، وَالدَّوَابُّ» (٦٣٢) وفي رواية البيهقي في: «والعبد الكافر» (٦٣٣).

وهؤلاء المجاهدون ما قاتلوا مسلما ولا هاجموا دولة مسلمة ولا أسأوا إلى أنظمة أو شعوب، ومهمتهم معروفة معلومة معلنة، وهي تطهير المسجد الأقصى وكف يد اليهود وانهاء اغتصابهم للأرض المباركة وعودة المهجرين إلى ديارهم.

---

٦٣١) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٥٦): «(٦٥١١» الإبانة الكبرى - ابن بطة (٢/ ٨٥٨)، "السنة" للخلال ٢/ ١٥٦ (١٦٠٣) تفسير ابن كثير - ط ابن الجوزي (٣/ ٤١٨)

٦٣٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٥١٢)، ومسلم (٩٥٠) من حديث أبي قتادة﷛

٦٣٣) شعب الإيمان (٧/ ٩ ت زغلول)

وفي ترديد هذا القول عند استشهاد رجال ممن أخرجوا من ديارهم، وقتلوا باجتماع دول الكفر عليهم وخذلان إخوانهم من العرب والمسلمين إنما هي موبقات نذكر منها: من يفرح بقتل إخوانه أحسن الظن بالنفس وهو مواقع لذنب وكبيرة فلا يستغفر لأنه يرى أنه على الهداية.

ثانياً: اتهام للغير وحكم بالعين على مصير إنسان، وفي ذلك ما فيه من سوء الأدب مع الله الذي نهى عن تسمية من يقتل في سبيل الله ميت، فما ظنك بمن يجعله فاجراً أو كافراً كما في رواية البيهقي بقوله (مستراح منه).

ثالثاً: منازعة الله تعالى في الربوبية والعبودية والألوهية بالحكم على مؤمن مظلوم يدافع عن أولى القبلتين وثالث الحرمين وعن دينه وأرضه وعرضه وماله.

رابعاً : تكذيب الله ﷻ ورسوله ﷺ فيما أخبر به الله وما وعد به ﷻ بقوله {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا} [الإسراء: ٧] كما فيه رد لقول النبي ﷺ وخبره الصادق ووعده المتحقق والذي ورد في كثير من الأحاديث ومنها الحديث المتواتر «عن ثَوْبانَ، قال: قال رَسولُ الله ﷺ: "إنّما أخَافُ على أُمَّتي أئمةً مُضِلّينَ. قال: وقال رَسولُ اللهِ ﷺ: "لا تَزالُ طَائفةٌ من أُمَّتي على الحَقَّ ظاهِرينَ، لا يَضرُّهُمْ من خَذَلهم حتَّى يَأْتِيَ أمْرُ اللهِ»(٦٣٤).

وهذه رواية الترمذي هو حديث متواتر: روي عن نحو سبعة عشر من أصحاب رسول اللَّه ﷺ. (٦٣٥).

---

٦٣٤) سنن الترمذي (٤/ ٢٨٦)

٦٣٥) نص شيخ الإسلام في الاقتضاء ٩٦/١ على أنه متواتر عنه ﷺ، وكذا السيوطي في قطف الأزهار رقم ٨١ والكتاني في نظم المتناثر" (١٤٦). وقال الألباني في "الصحيحة" ١/ ٥٤٠: الحديث صحيح ثابت مستفيض أو متواتر»

(١) لمُحَمَّد بن طَاهِر بن على بن احْمَد بن ابى الْحسن الشَّيْبَانِيّ الْحَافِظ أَبُو الْفضل الْمَقْدِسِي الْمَعْرُوف بِابْن القيسرانى رَحل إِلَى بِلَاد كَثِيرَة لطلب الحَدِيث ولد سنة ٤٤٨ وَتوفى بِبَغْدَاد سنة ٥٠٧ سبع وخمسمائة (طرق حَدِيث لَا تزَال طَائِفَة من امتى) هدية العارفين (٢/ ٨٢)/ (٢) جزء فيه: فوائد في مسائل من الحديث في قوله ﵇: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرّهم من خذلهم حتى تقوم السّاعة»؛ جمع الشّيخ أبي عليّ الغسّاني، ﵀. حدثني به الشيخ أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر، ﵀، قراءة منّي عليه وكتبته من كتابه، قال: قرأته على أبي عليّ الغسّاني جامعه، ﵀. فهرسة ابن خير ط دار الغرب (ص: ٢٤٩) (٣) بشارة تسر الناظرين على حديث لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين لأبي عبد الله محمد المدعو "ماني" بن محمد الصنهاجي الفاسي، المتوفي عام ١٣٣٣هـ/١٩١٥م. الموجود قطعة من أوله يتخللها بياض، وأوله: الحمد لله... وبعد فهذه بشارة تسر الناظرين... في محفظة من ص ١ إلى ص ٢٢، مقياس ١٧٥/٢٣٠. خط مغربي ملون خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ. وردت ترجمة المؤلف في معجم الشيوخ للفاسي

أشار فيه النبي ﷺ إلى أفعال هؤلاء ووصفها مرة " بالخذلان "، ووصفهم أخرى بالمناوأة وثالثة بالمعادة ورابعة بالمخالفة وهذه الألفاظ تشير إلى أن المخالف والمعادي والخاذل والمناوئ يقع من القريب الذي ترجى منه النصرة.

ونحن نثق في وعد الله ﷻ ووعد رسوله ﷺ وأن هؤلاء المرابطون المجاهدون لن يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ولا من ناوئهم حتى يأتي أمر الله.

ج ٢ ص ٤١/٤٢. ٦٥ - (١٨٣ ك) بشارة تسر الناظرين على حديث لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين لمحمد ماني الصنهاجي المتقدم عند رقم ٦٤. أوله: الحمد لله... وبعد فهذه بشارة تسر الناظرين... في محفظة من ص ٢٣ إلى ص ١١٩، مسطرة مختلفة، مقياس ١٨٠/٢٣٠. خط مغربي مدموج مليح ملون يتخلله التشطيب والإلحاق حيث أنه خط المؤلف نفسه. وقع الفراغ من تأليفه وانتساخه بعد عصر الجمعة ٢٢ رمضان المعظم عام ١٣٠٨هـ. (من فهارس الخزائن المغربية: مخطوطات التفسير والحديث في الخزانة الكتانية للأستاذ محمد المنوني مجلة دعوة الحق، (س.٢٦، ع ٢٤٩ / يونيو ١٩٨٥ ص ١٣/ «معجم المؤلفين» (١٢/ ٤٤).

الأرض المقدسة لأجلها شرع القتال وفيها تضع الحرب أوزارها

الأرض المقدسة فيها شرع القتال وفيها ينتهي، وهي محور الصراع شرع الجهاد من أجلها ويختم في أرضها، ومن أجل بيت المقدس والمسجد الأقصى كانت بداية تشريع الجهاد وفيها ختامه حتى تضع الحرب أوزارها.

فإن من أشهر الشبهات انتشاراً شبهة انتشار الإسلام "بحد السيف" وهي شبهة متكررة وتكرر معها الرد، ولعل صلة هذه الشبهة بموضوعنا التلازم بينها وبين الجهاد عبر التاريخ، وفي كل الردود نجد الاستدلال بأن كليم الله سيدنا موسى ﷺ بعدما نجاه الله من الغرق وأهلك عدوه فرعون أنزلت عليه التوراة وأمره الله بقتال من كفر وعاند فإن :" الأمم والأنبياء من قبل موسى ﷺ لم يشرع لهم القتال والجهاد، فإذا كفرت أمة وأشركت بادرها الله بالعقوبة في الدنيا بأمر منه، فحين عصى قوم نوح نوحاً أفاض الله عليهم الماء فأغرقهم، وأهلك عاداً بما أهلكهم به من الصيحة والفزع، وأهلك قوم صالح كذلك، وأهلك قوم لوط بأن جعل عالي الأرض سافلها، وأهلك قوم فرعون بالغرق والضياع، ثم لما جاء موسى ﷺ شرع القتال والحرب، فلم تبق الفتنة ولا العذاب ولا القضاء شاملاً عاماً لكل الأمة ممن كفر بالله وأشرك به، ولكن الله تعالى شرع للمؤمنين أن يقاتلوا الكافرين؛ ليذلوا ويسحقوا ويؤدبوا على يدهم، ومنذ موسى ﷺ رفع الخسف والصعق والغرق والبلاء على الأمم عامة، إلا ما كان من القتال والجهاد، يكرم الله به المؤمنين، وهم يبذلون أرواحهم وأموالهم وأولادهم رخيصة لإعلاء كلمة الله.»(٦٣٦).

بداية تشريع الجهاد

قال ابن كثير رحمه الله : «وقوله تعالى: {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى} الآية، أي وما جعل الله بعث الملائكة وإعلامه إيّاكم بهم إلا بشرى {وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ} وإلا فهو تعالى قادر على نصركم على أعدائكم {وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} أي بدون ذلك ولهذا قال: {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} كما قال تعالى: {فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي

---

٦٣٦) تفسير المنتصر الكتاني (١٥٠/ ٢)

سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦)} [٤- ٦ سورة محمد] وقال تعالى: {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١)} [١٤٠- ١٤١ سورة آل عمران] فهذه حكم شرع الله جهاد الكفار بأيدي المؤمنين لأجلها، وقد كان تعالى إنما يعاقب الأمم السالفة المكذِّبة للأنبياء بالقوارع التي تعم تلك الأمم المكذبة كما أهلك قوم نوح بالطُّوفان، وعادًا الأولى بالدبور، وثمود بالصيّحة، وقوم لوط بالخسف والقلب وحجارة السجّيل، وقوم شعيب بيوم الظُلة، فلما بعث الله تعالى موسى وأهلك عدوه فرعون وقومه بالغرق في اليمّ.

ثم أنزل على موسى التوراة شرع فيها قتال الكفار واستمر الحكم في بقية الشرائع بعده على ذلك كما قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ} [القصص: ٤٣] وقتل المؤمنين للكافرين، أشدُّ إهانة للكافرين، وأشفى لصدور المؤمنين، كما قال تعالى للمؤمنين من هذه الأمة {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ } [التوبة : ١٤] ولهذا كان قتل صناديد قريش بأيدي أعدائهم الذين ينظرون إليهم باعين ازدرائهم أنكى لهم، وأشفى لصدور حزب الإيمان، فقتل أبي جهل في معركة القتال وحومة الوغى أشدُّ إهانة له من موته على فراشه بقارعة أو صاعقة أو نحو ذلك، كما مات أبو لهب لعنه الله بالعدسة([٦٣٧]) بحيث لم يقربه أحد من أقاربه، إنما غسلوه بالماء قذفًا من بعيد، ورجموه حتى دفنوه، ولهذا قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ} أي: له العزة ولرسوله وللمؤمنين بهما في الدنيا والآخرة كقوله تعالى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } [غافر :٥١] {حَكِيمٌ} فيما شرعه من قتال الكفار مع القدرة على دمارهم وإهلاكهم بحوله وقوته ﷻ.»([٦٣٨]).

ويؤكد هذا المعنى أيضاً قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }[القصص: ٤٣].

---

[٦٣٧]) العدسة: بثرة تشبه العدسة، تخرج في الجسد، تقتل صاحبها غالبا.

٦٣٨) تفسير ابن كثير (٤/ ١٦٦)

يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله موسى الكليم، عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، من إنزال التوراة عليه بعد ما أهلك فرعون وملأه.

وقوله تعالى: {مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى} يعني: أنه بعد إنزال التوراة لم يعذب أمة بعامة بل أمر المؤمنين أن يقاتلوا أعداء الله من المشركين، كما قال تعالى: {وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (١٠)} [الحاقة] (٦٣٩) «فدل على أن كل أمة أهلكت بعامة قبل موسى عليه السلام.» (٦٤٠).

وهذا يدل على أن القتال مما لا ينفك عنه الاجتماع البشري، فهو سنة من السنن التي شاء الله تعالى وجودها في خلقه، لتنازع الناس البقاء، ورغبتهم في توسيع الملك، والسلطة والنفوذ، فجعل مقاومة الظالمين إلى عباده المؤمنين، تكريما لهم، ورفعا لشأنهم عنده، وليكون ذلك برهانا على محبتهم له، واسترخاص أغلى ما عندهم طلبا لمرضاته، يفعلون ذلك لإعلاء كلمته، وإزالة الفتنة عن الناس، حتى يكونوا أحرارا لا سلطان لأحد على عقائدهم، وإنما شرع لهم ذلك منذ رسالة موسى عليه الصلاة والسلام، وقبلها كان ربنا عز وجل ينتقم من الظالمين بآفات عذابه، وغواشي نقمته، يرسلها عليهم، يشير إلى ذلك قول الله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } [القصص: ٤٣]، فعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيّ رضي الله عنه، قال: ما أَهْلَك اللهُ قومًا بعذابٍ مِن السماءِ ولا مِن الأرضِ بعدَ ما أُنزِلت التوراةُ على وجهِ الأرضِ غير القريةِ التي مُسِخوا قردةً، ألم تَرَ أن الله يقولُ: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[القصص: ٤٣](٦٤١).

ومن الآيات الدالة على شرع القتال زمن سيدنا موسى عليه السلام قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ

٦٣٩) تفسير ابن كثير – ط ابن الجوزي» (٦/ ٢٣)

٦٤٠) قصص الأنبياء من البداية والنهاية – ت عبد الواحد» (١/ ٣٧٥)

٦٤١) أخرجه الحاكم ٢/ ٤٤٢، رقم: ٣٥٣٤، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وأخرجه من هذا الطريق الثعلبي ٨/ ١٤٨ أ، وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ٨٠، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٨١، موقوفًا على أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وأخرجه من طريق آخر البزار في مسنده برقم (٢٢٤٨) "كشف الأستار"، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٨٨): "رواه البزار موقوفًا ومرفوعًا ورجالهما رجال الصحيح".

اللَّهِ} [البقرة: ٢٤٦] «وَإِنَّمَا كَانَ قِوَامُ أَمْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالِاجْتِمَاعِ عَلَى الْمُلُوكِ وَطَاعَةِ الْمُلُوكِ لِأَنْبِيَائِهِمْ، فَكَانَ الْمَلِكُ هُوَ الَّذِي يَسِيرُ بِالْجُمُوعِ، وَالنَّبِيُّ يُقِيمُ لَهُ أَمْرَهُ وَيُشِيرُ عَلَيْهِ بِرُشْدِهِ وَيَأْتِيهِ بِالْخَبَرِ مِنْ رَبِّهِ»(٦٤٢).

والغالب أن ذكر إيتاء سيدنا موسى الكتاب فيه إشارة إلى شرع الجهاد والمدافعة بالقتال ومن ذلك قوله تعالى: {وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا} (الإسراء: ٢).

وهذه الآية في سورة سبحان أو سورة الإسراء أو سورة بني إسرائيل تدل على أن: «اَلدِّينُ الْحَقُّ لَا بُدَّ فِيهِ مِنَ الْكِتَابِ الْهَادِي وَالسَّيْفِ النَّاصِرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ} [سُورَةُ الْحَدِيدِ: ٢٥]» «مِنْ أَسْبَابِ ظُهُورِ الْإِيمَانِ الَّذِي وَعَدَ بِظُهُورِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ بِالْبَيَانِ وَالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ ثُمَّ بِالسَّيْفِ وَالْيَدِ وَالسِّنَانِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحديد: ٢٥].

وَذَلِكَ بِمَا يُقِيمُهُ اللَّهُ ﷻ مِنَ الْآيَاتِ وَالدَّلَائِلِ الَّتِي يَظْهَرُ بِهَا الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالْخَالِيَ مِنَ الْعَاطِلِ، وَالْهُدَى مِنَ الضَّلَالِ، وَالصِّدْقَ مِنَ الْمُحَالِ، وَالْغَيَّ مِنَ الرَّشَادِ، وَالصَّلَاحَ مِنَ الْفَسَادِ، وَالْخَطَأَ مِنَ السَّدَادِ، وَهَذَا كَالْمِحْنَةِ لِلرِّجَالِ الَّتِي تُمَيِّزُ بَيْنَ الْخَبِيثِ وَالطَّيِّبِ.

قَالَ تَعَالَى: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} [آل عمران: ١٧٩] «فَذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ وَأَنَّهُ أَنْزَلَ الْحَدِيدَ لِأَجْلِ الْقِيَامِ بِالْقِسْطِ؛ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ وَلِهَذَا كَانَ قِوَامُ الدِّينِ بِكِتَابٍ يَهْدِي وَسَيْفٍ يَنْصُرُ وَكَفَى بِرَبِّك هَادِيًا وَنَصِيرًا.» (٦٤٣).

---

٦٤٢) تفسير الثعلبي الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٦/ ٤٩٠) تفسير البغوي (١/ ٣٣٢)

٦٤٣) منهاج السنة النبوية (١/ ٥٣١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (١/ ٨٧)، مجموع الفتاوى (١٠/ ١٣)

فجاء ذكر نزول الحديد كضرورة من ضرورات الدعوة مع نزول الكتاب والميزان: «ودين الإسلام: السيف تابع للكتاب، فإذا ظهر العلم بالكتاب والسنة، وكان السيف تابعا لذلك كان أمر الإسلام قائما...وأما إذا كان العلم بالكتاب فيه تقصير، وكان السيف تارة يوافق الكتاب، وتارة يخالفه، كان دين من هو كذلك بحسب ذلك.» (٦٤٤).

نزع الولاية عن اليهود ونقلها لأمة الشهادة

المناسبة بالتأكيد على نزع الولاية عن اليهود ونقلها لأمة محمدﷺ وهي الأمة الوسط الشاهدة، وذلك في سور البقرة والأعراف وفي سورة الإسراء وسورة الجمعة وغيرها.

فنجد سورة الإسراء: الإشارة إلى تلازم الكتاب مع السيف بذكر إيتاء الكتاب في الآية الثانية من السورة وبعد ذكر معجزة الإسراء بقوله تعالى {وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا} [الإسراء: ٢]

ويؤخذ منه أيضاً مناسبة تذكير أمة محمد ﷺ بحال بني إسرائيل في وصولهم إلى المسجد الأقصى سيرا بالجهد والجهاد.

وكذلك في هذه السورة أنها تثبت في البداية الولاية لبنى إسرائيل ... بعد إهلاك فرعون (وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيْلَ اسْكُنُوْا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيْفَاً) وتقف الآيات ببني إسرائيل عند مرحلة ما بعد انشقاق البحر. التي جاءت من قول الله ﷻ (فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً. وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ١٠٤) (الإسراء١٠٤.١٠٣)

ثم جاءت الآيات التي تثبت انتقال ولاية بنى إسرائيل إلى أمه النبي محمد ﷺ. ولذلك قال بعدها: (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً). (الإسراء: ١٠٦).

وبذلك اجتمعت سورة الأعراف والإسراء على إثبات انتقال الولاية من بنى إسرائيل إلى أمه محمد ﷺ......

ولما كانت سوره الأعراف قد أثبتت نقل الولاية إلي رسول الله ﷺ بصفته النبي الأمي في الآية كما جاء في آيات السورة، وكانت سورة الإسراء إثبات مماثل ...

كانت حادثه الإسراء تشكل إجراءا فعليا لعمليه نقل الولاية إلى أمه الأميين (٦٤٥).

٦٤٤) أهداف التربية الإسلامية (ص٣٣٢)

٦٤٥) في النفس والدعوة (ص: ٣٠٤، ٣٠٦)

قال أبو حيان : «لما ذكر تعالى من اخْتَصَّهُ بِالْإِسْرَاءِ وَهُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ آتَاهُ التَّوْرَاةَ وَهُوَ مُوسَى عليه السلام وَأَنَّهَا هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَذَكَرَ مَا قَضَى عَلَيْهِمْ فِيهَا مِنَ التَّسْلِيطِ عليهم بِذُنُوبِهِمْ، كَانَ ذَلِكَ رَادِعًا مَنْ عَقَلَ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ فَذَكَرَ مَا شَرَّفَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ مِنَ الْقُرْآنِ النَّاسِخِ لِحُكْمِ التَّوْرَاةِ وَكُلِّ كِتَابٍ إِلَهِيٍّ، وَأَنَّهُ يَهْدِي لِلطَّرِيقَةِ أَوِ الْحَالَةِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ. » (٦٤٦).

قال البقاعي رحمه الله: «كان وصول بني إسرائيل من مصر إلى هذا المسجد الذي أوصلنا عبدنا إليه ورددناه إليكم في بعض ليلة راكباً البراق الذي كان يركبه الأنبياء قبله، يضع حافره في منتهى طرفه، وبنو إسرائيل كانوا يسيرون جميع النهار مجتهدين ثم يبيتون في الموضع الذي أدلجوه منه في التيه لا يقدرون أن يجوزوه أربعين سنة - على ما قال كثير من العلماء،».

وقال أيضاً : «وأما الإسراء: فمن عرف أموره كلها في السّرى بالنبي ﷺ من المسجد الحرام، إلى المسجد الأقصى، ثم العروج من المسجد الأقصى، إلى السماوات العلي، إلى سدرة المنتهي، ثم إلى ما شاء العليُّ الأعلى، ثم التردد بين موسى عليه السلام ، وبين من أسرى به من السماء السادسة إلى ما وصل إليه في المرة الأولى من الحد الأسمى، والحضرة الشماء، والمحل الأقدس الأنهى، الذي وصل إليه دون غيره من الخلائق وهو فوق السماء السابعة، بما لا يعلمه إلا الله تعالى، مرة بعد أخرى ثم الرجوع إلى المسجد الأقصى، ثم إلى الكعبة العظمى، قبل فجر تلك الليلة، علم أن الفاعل لذلك متصف بكل ما ذكر، فأقبل بكليته، وانقطع دائماً إليه.

وكذا تسميتها بالأقصى، فإنه مشير إلى قصة الإسراء.

وأما بنو إسرائيل، فمن أحاط بتفاصيل أمرهم في مسيرهم إلى الأرض المقدسة، الذي هو كالإسراء، وإيتائهم الكتاب، وما ذكر مع ذلك من شأنهم في هذه السورة، الذي هو معروف بالفرق بين الإسراءين والفرق بين الإيتاءين، عرف ذلك.» (٦٤٧)

ويؤخذ منه أيضاً مناسبة تذكير أمة محمد ﷺ بحال بني إسرائيل في وصولهم إلى المسجد الأقصى سيرا بالجهد والجهاد.

---

٦٤٦) «البحر المحيط في التفسير» (٧/ ١٨)

٦٤٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١/ ٣٠٠) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (٢/ ٢٣١)

وقد حكى بعض المفسرين وجهاً آخر لمناسبة الجمع، قال الطيبي (٧٤٣):«وعقب آية الإسراء بهذه استطراداً تمهيداً لذكر القرآن، والجامع أن موسى عليه السلام أعطى التوراة بمسيره إلى الطور وهو بمنزلة معراجه لأنه هنالك شُرف بالكلام، ومُنح التكليم، وطلب الرؤية. مدمجاً فيه تفاوت ما بين الكتابين ومن أنزلا عليه وإن شئت فوازن بين {أَسْرَى بِعَبْدِهِ} [الإسراء: ١] و {وَآَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} وبين {هُدَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} و {يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء: ٩]» (٦٤٨).

وقال السعدي رحمه الله:«كثيراً ما يقرن الباري بين نبوة محمد ﷺ ونبوة موسى ﷺ وبين كتابيهما وشريعتيهما لأن كتابيهما أفضل الكتب وشريعتيهما أكمل الشرائع ونبوتيهما أعلى النبوات وأتباعهما أكثر المؤمنين؛ ولهذا قال هنا: {وَآَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} ا.هـ» (٦٤٩)

قال الشنقيطي: «لما بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة عظم شأن نبيه محمد ﷺ ، ذكر عظم شأن موسى بالكتاب العظيم، الذي أنزله إليه، وهو التوراة، مبيناً أنه جعله هدىً لبني إسرائيل، وكرر جل وعلا هذا المعنى في القرآن» (٦٥٠).

وقال المراغي «مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنّ الله تعالى لما ذكر في الآية الأولى: أنه أكرم عبده، ورسوله محمدًا ﷺ بالإسراء من مكة إلى بيت المقدس.. أردف ذلك بذكر ما أكرم به موسى عليه السلام قبله من إعطائه التوراة، وجعله هدى لبني إسرائيل ليخرجهم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور العلم والهدى، ثمّ قفّى على ذلك ببيان أنّهم ما عملوا بهديها بل أفسدوا في الأرض، فسلّط الله عليهم البابليين، أثخنوا فيهم، وقصدوهم بالقتل، والنهب، والسلب، ثم أزال عنهم هذه المحنة، وأعاد لهم الدولة، وأمدهم بالأموال، والبنين، وجعلهم أكثر عددا مما كانوا، ثم عادوا إلى عصيانهم، وقتلوا ذكريا، ويحيى عليهما السلام فَسَلَّط الله عليهم من أدال دولتهم مرة أخرى، فأعمل فيهم السيف، وسلب، ونهب، وجاس خلال ديارهم، فدخل بيت المقدس مرّة أخرى بالقهر والغلبة والإذلال، وأهلك ما أهلك، مما قد جمعوه وكنزوه، ثم أوعدهم على عصيانهم بالعقاب في الآخرة بنار جهنم، وبئس السجن هي لمن عصى الله وخالف أوامر دينه تعالى.

---

٦٤٨) حاشية الطيبي على الكشاف (٩/ ٢٣٦) وانظر: روح المعاني (٨/ ١٥).

٦٤٩) انظر: تفسير السعدي (٤٥٣).

٦٥٠) انظر: أضواء البيان (٣/ ٤٠٢).

وقوله تعالى: {إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} ومناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله ﷻ، لما ذكر ما أكرم به من اصطفاه من النبيين والمرسلين، فأكرم محمدا ﷺ بالإسراء، وأكرم موسى بالتوراة، وجعلها هدى لبني إسرائيل، ثم بيّن أنهم لم يعملوا بها، فحل بهم عذاب الدنيا والآخرة.. قفّى على ذلك بالثناء على القرآن الكريم، وبيان أنه يهدي إلى الصراط المستقيم، ويبشر المؤمنين بالأجر والثواب العظيم، وينذر الكافرين بالعذاب الأليم، ثم أردف ذلك بذكر طبيعة الإنسان، وأنه خلق عجولا قد يدعو على نفسه بالشر، أي: بالموت، والهلاك، والدمار، واللعنة كما يدعو لنفسه بالخير.» (٦٥١).

قال ابن عاشور رحمه الله «وَآتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَجَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ أَلاّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً (٢) عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةِ سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى [الْإِسْرَاء: ١] إِلَخْ فَهِيَ ابْتِدَائِيَّةٌ. وَالتَّقْدِيرُ: اللَّهُ أَسْرَى بِعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ وَآتَى مُوسَى الْكِتَابَ، فَهُمَا مِنَّتَانِ عَظِيمَتَانِ عَلَى جُزْءٍ عَظِيمٍ مِنَ الْبَشَرِ. وَهُوَ انْتِقَالٌ إِلَى غَرَضٍ آخَرَ لِمُنَاسَبَةِ ذِكْرِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى. فَإِنَّ أَطْوَارَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى تُمَثِّلُ مَا تَطَوَّرَ بِهِ حَالُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي جَامِعَتِهِمْ مِنْ أَطْوَارِ الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ، وَالنُّهُوضِ وَالرُّكُودِ، لِيَعْتَبِرَ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ فَيَقْتَدُوا أَوْ يَحْذَرُوا.

وَلِمُنَاسَبَةِ قَوْلِهِ: لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا [الْإِسْرَاء: ١] فَإِنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي أوتيها النبيﷺ آيَةَ الْقُرْآنِ، فَكَانَ ذَلِكَ فِي قُوَّةِ أَنْ يُقَالَ: وَآتَيْنَاهُ الْقُرْآنَ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ (أَيِ التَّوْرَاةَ)، كَمَا يَشْهَدُ بِهِ قَوْلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ [الْإِسْرَاء: ٩] أَيْ لِلطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ مِنْ طَرِيقَةِ التَّوْرَاةِ وَإِنْ كَانَ كِلَاهُمَا هُدًى، عَلَى مَا فِي حَالَةِ الْإِسْرَاءِ بِالنَّبِيِّﷺ لَيْلًا لِيَرَى مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُنَاسَبَةِ لِحَالَةِ مُوسَى-عليه السلام حِينَ أُوتِيَ النُّبُوَّةَ، فقد أُوتيَ النبوءة لَيْلًا وَهُوَ سَارٍ بِأَهْلِهِ مِنْ أَرْضِ مَدْيَنَ إِذْ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا، وَلِحَالِهِ أَيْضًا حِين أسرِي بِهِ إِلَى مُنَاجَاةِ رَبِّهِ بِآيَاتِ الْكِتَابِ.

وَالْكِتَابُ هُوَ الْمَعْهُودُ إِيتَاؤُهُ مُوسَى عليه السلام وَهُوَ التَّوْرَاةُ. وَضَمِيرُ الْغَائِبِ فِي جَعَلْنَاهُ لِلْكِتَابِ، وَالْإِخْبَارُ عَنْهُ بِأَنَّهُ هُدًى مُبَالَغَةٌ لِأَنَّ الْهُدَى بِسَبَبِ الْعَمَلِ بِمَا فِيهِ فَجُعِلَ كَأَنَّهُ نَفْسُ الْهُدَى، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ: هُدىً لِلْمُتَّقِينَ [الْبَقَرَة: ٢] (٦٥٢).

---

٦٥١) تفسير المراغي (١٥/ ١٢، ١٧)

٦٥٢) تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير (١٥/ ٢٤)

زمان ومكان تشريع الجهاد وقتال الكفار

لمَّا أرسَل الله موسى عليه السلام إلى فرعون وبني إسرائيل، وكان من أمرهم ما قصَّه الله علينا في كتابه، وأهلك الله فرعون وجنوده بالغرق؛ أوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى عليه السلام وخاطبَ بني إسرائيل: {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ} [المائدة:٢١]، إلى قوله تعالى: {قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} [المائدة:٢٤]، فكانت هذه هي بداية فرضيّة الجهاد وتشريعه.. فلما امتنعوا عن الجهاد مع موسى عليه السلام ، وتأبَّوا عليه؛ عاقبهم الله بالتّيه حتى هلَك مَن هلك منهم، ثم كان بعد موسى يوشع بن نون عليه السلام، نبيًّا في بني إسرائيل -وهو الذي حبس الله له الشمس عن الغروب، حتى فُتح عليه-، فقاتل معه بنو إسرائيل، وأقاموا الجهاد.

ويُوشَع بن نون عليه الصلاة والسلام نَبِي من أَنْبيَاء بني إِسْرَائِيل ثبتَتْ نبوته وجاء خبر جهاده في حديث رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: "غزا نَبِي من الْأَنْبيَاء فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتبعني رجل قد ملك بضع امْرَأَة وَهُوَ يُرِيد أَن يَبْنِي بهَا ولمّا يبن، وَلَا آخر قد بنى بنياناً ولمّا يرفع سقفها، وَلَا آخر قد اشْترى غنما أَو خلفات وَهُوَ منتظر أَوْلَادهَا، قَالَ: فغزا فَدَنَا من الْقرْيَة حِين صلى الْعَصْر أَو قَرِيبا من ذَلِك فَقَالَ للشمس: أَنْت مأمورة وَأَنا مَأْمُور اللَّهُمَّ احبسها عَليّ شَيْئا، فحبست عَلَيْهِ حَتَّى فتح الله عَلَيْهِ...» الحَدِيث (٦٥٣).

وَفي حَدِيث أبي هُرَيْرَة بيان لاسْم هَذَا النَّبِي الْكَرِيم، وتعيين لاسم المدينة التي فتحها فَعَن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم : "إِن الشَّمْس لم تحبس على بشر إِلَّا ليوشع ليَالِي سَار إِلَى بَيت الْمُقَدّس» (٦٥٤).

تشريع الجهاد وحبس الشمس متعلق ببيت المقدس

ردُّ الله الشمس ليوشع عليه السلام وهو أمر مشهور، وقد حكى البيهقي: أن الشمس حبست لنبينا صلى الله عليه وسلم مرتين يوم الخندق والثانية صباح الإسراء حين أخبرهم بوصول العير، وذلك

٦٥٣) متفق عليه: أخرجه البُخَارِيّ. ٦ / ١٥٤ - ١٥٦ في الجهاد، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: أحلت لكم الغنائم، وفي النكاح، باب من أحب البناء قبل الغزو، ومسلم رقم (١٧٤٧) في الجهاد، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة، وأخرجه أحمد في " المسند " ٢ / ٣١٨. وفي الحديث فوائد ذكرها الحافظ في " الفتح " ٦ / ١٥٦، ١٥٧ فانظرها.

٦٥٤) أخرجه الإِمَام أَحْمد ٣٢٥/٢ وَصَححهُ ابْن كثير (انْظُر: قصَص الْأَنْبِيَاء ص٣٧٧) والألباني (انْظُر: سلسلة الْأَحَادِيث الصَّحِيحَة ح٢٠٢)، وراجع سفر يشوع صَحَّ (١٠)

«لما أسرِي برَسُول الله ﷺ وَاخْبَرْ قومه بالرفقة والعلامة فِي العير قَالُوا فَمَتَى تجيء قَالَ يَوْم الْأَرْبَعَاء فَلَمَّا كَانَ ذَلِك الْيَوْم أشرفت قُرَيْش ينظرُونَ وَقد ولى النَّهَار وَلم تجئ فَدَعَا النَّبِي ﷺ فزيد لَهُ فِي النَّهَار سَاعَة وحبست عَلَيْهِ الشَّمْس فَلم ترد الشَّمْس على أحد إِلَّا على رَسُول الله ﷺ يَوْمئِذٍ وعَلى يُوشَع بن نون حِين قَاتل الجبارين» (٦٥٥).

ولو صح حبس الشمس للنبي ﷺ يوم الخندق وغزوة الأحزاب وفي صباح الإسراء فيمكننا القول بأن الله جعل هذا من علامات الاصطفاء للأرض المباركة فقد كان أو تشريع للجهاد لفتح المدينة المقدسة ولما لم يستجب أهل العناد والجدال من بني إسرائيل كتب الله عليهم التيه ثم بعث سيدنا يوشع بفتحها بالقتال وأيده بمعجزة حبس الشمس، وكذلك أيد نبيه محمد ﷺ بحبسها من أجل إثبات صدقه في إسرائه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الله بارك الله حوله وفي جهاده ضد غدر اليهود في يوم الخندق غزوة الأحزاب.

ثم استمرّت فرضيّة الجهاد، إلى يومنا هذا، وفي أمّة محمد ﷺ، حتى شُحِنت آيات القرآن، وسُنة النبي ﷺ بالتحريض عليه، والترغيب فيه، وشحذ الهِمم نحَوه، وتجلّى أمر الجهاد في الأمّة أكثر، وألزمته بعد هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة، أما قبل الهجرة؛ فكان الأمر بدعوتهم وتبليغهم وإقامة الحجة عليهم، وإن كان الإذن بالقتال ثابتًا قائمًا. قال ابن العربيّ رحمه الله: "والصحيح أن أول آية نزلت؛ آية الحج {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ} [الحج من الآية:٣٩]، ثم نزل: {وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ الله الذين يُقَاتِلُونَكُمْ} [البقرة من الآية:١٩٠]، فكان القتال إذنًا، ثم أصبح بعد ذلك فرضًا، لأن آية الإذن في القتال مكية، وهذه الآية مدنية متأخرة" (٦٥٦).

---

٦٥٥) انظر: "دلائل النبوة" (٢/ ٣٥٤)، (٣/ ٤٣٢). «البداية والنهاية» (٩/ ٣٦٦) والخصائص الكبرى» (١/ ٢٩٧) التحبير لإيضاح معاني التيسير» (٣/ ١٥٤)

٦٥٦) أحكام القرآن: ابن العربي (١ /١٠٢).

نهاية الجهاد وخاتمته

تكرر الحديث عن وعد الآخرة في سورة الإسراء أو "سورة بني إسرائيل" (٦٥٧) مقترنا بالمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله مع التلميح لأمر القتال والجهاد وأصل الصراع في قوله ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢] ومعلوم أن فرض الجهاد كان بعد إنزال الكتاب على سيدنا موسى عليه السلام وهذه هي بداية تشريع الجهاد ثم بعدها بآيات جاء ذكر " وعد الآخرة" في قوله تعالى : {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨)} [الإسراء: ٧، ٨]

وفي أواخر السورة جاء ذكر هذا الوعد في قوله تعالى {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا} [الإسراء: ١٠٤]

«وقد فسر حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما: {وَعْدُ الْآخِرَةِ}: بالقيامة (٦٥٨) وقيل: {وعد الآخرة} فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: وعد الإقامة وهي الكرة الآخرة، قاله مقاتل. الثاني: وعد الكرة الآخرة في تحويلهم إلى أرض الشام. الثالث: نزول عيسى عليه السلام من السماء، قاله قتادة.» (٦٥٩).

وهذه الأقوال لا اختلاف بينها فإن كرة المؤمنين الآخرة والأخيرة على اليهود لن تكون إلا بعد توجه شذاذ الآفاق وتحولهم إلى أرض الشام، وتكون نهايتهم وسحقهم عند نزول المسيح عيسى عليه السلام وقتاله للدجال وأتباعه من اليهود، وعندها ينتهي باطلهم وكذبهم وتزول دولتهم ويتطهر العالم من رجسهم وفتنهم وباطلهم وخستهم وغدرهم. وفي طول هذه المدة: «لن ينعم اليهود أبدًا بالسلام الأبدي الذي يحلمون به، وإن استمرت موجات هجرتهم إلى الأرض المقدسة: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا} [الإسراء: ٤]؛ فإنهم سيجتمعون لفيفًا فيما يُسَمُّونه أرضَ (الميعاد) من كل حَدَبٍ،

٦٥٧) أحد الأسماء المشهورة لسورة الإسراء، ينظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٧٣).

٦٥٨) التفسير البسيط» (١٣/ ٥٠٠) وانظر: "تنوير المقباس" ص ٣٠٦، وورد بلا نسبة في "تفسير مقاتل" ١/ ٢٢٠ ب، و"الطبري" ١٥/ ١٧٦، و"السمرقندي" ٢/ ٢٨٦، و"الثعلبي" ٧/ ١٢٣ أ، وهذا هو قول الجمهور.

٦٥٩) تفسير النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٧٨)

وصوبٍ، ومن كل فَج عميقِ يلبون نداء القدر الذي قضى الله به عليهم منذ الأزل، وإن استمر الإمداد المادي من عبّاد الصليب، وغيرهم؛ فهذا ما أخبر به عز وجل في قوله: {وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا} [الإسراء: ٦]. (٦٦٠)

كَمَا قَالَ تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ} فَهُمْ فِي الْعَذَابِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.».{وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ} أَيْ مِنْ بَعْدِ هَلَاكِ فِرْعَوْنَ {لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ} يَعْنِي أَرْضَ مِصْرَ وَالشَّامِ {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ} يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ {جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا} أَيْ: جَمِيعًا إِلَى مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ وَاللَّفِيفُ: الْجَمْعُ الْكَثِيرُ إِذَا كَانُوا مُخْتَلِطِينَ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ. يُقَالُ: لَفَّتِ الْجُيُوشُ إِذَا اخْتَلَطُوا وَجَمْعُ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ فِيهِمُ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ.

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: "فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ": يَعْنِي مَجِيءَ عِيسَى مِنَ السَّمَاءِ "جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا" أَيِ: النُّزَّاعُ مِنْ كُلِّ قَوْمٍ مِنْ هَاهُنَا وَمِنْ هَاهُنَا لُفُّوا جَمِيعًا.» (٦٦١).

ونكتة مَجِيءَ عِيسَى مِنَ السَّمَاءِ وقتله للدجال تكون جزاءً لليهود جراء غدرهم بمحاولة قتل سيدنا عيسى عليه السلام ورفعه للسماء فينزل ليكون هو من يقتل الدجال ويقاتل من معه فتنكشف ضلالاتهم المتعلقة بادعاء موته فيكون الموت لهم.

مزاعم وعقائد تحرك المغضوب عليهم

في الوقت الذي يتداعى دعاة التغريب من بني جلدتنا إلى الانسلاخ من الدين ومحاربة جميع أشكال التدين تحت دعاوى التحرر والثقافة والتجديد، والمغلوب مولع بتقليد الغالب إلا في هذه فإننا نجدهم صم بكم عمي وهم يرون ويسمعون أهل الكفر على اختلاف مللهم يتمسكون بعقائدهم الباطلة يتحركون بها بلا خجل ولا وجل.

يحركون بها الصراع ويتحركون بالباطل في كل مراحل هذا الصراع بنصوص محرفة وهم يرفعون شعارات الكفر وشارات الباطل، ويظهرون ذلك باللسان والأفعال في تحد واضح وفج وليس هذا لحناً بالقول وإنما أمر ظاهر واضح لا ينكر.

وفي أمر بدايات تشريع الجهاد من آلاف السنين يستحضر أهل الغدر والخيانة والكذب نصوصاً من التوراة المحرفة يحاربوننا بها فيزعم اليهود «أن يوشع بن نون دخل القدس

---

٦٦٠) فقه أشراط الساعة (ص٣٥٨)

٦٦١) تفسير البغوي - طيبة (٥/ ٧٦) و (٥/ ١٣٥)

في (٦) أيام، وكان سقوط أريحا، كما ورد في سفر يشوع التوراتي، أن أول اشتباك عسكري خاضه الإسرائيليون أثناء غزو كنعان. ووفقًا ليشوع (٦: ١-٢٧)، سقطت أسوار أريحا بعد أن سار الإسرائيليون حول أسوار المدينة مرة واحدة يوميًا لمدة ستة أيام، وسبع مرات في اليوم السابع، حيث كان الكهنة ينفخون في أبواقهم يوميًا ويهتف الناس في اليوم الأخير. ولكن هناك إجماع بين العلماء على أن القصة أسطورية.

وفي عام ١٩٤٨م دخلت القدس في حكم اليهود، وحرب (١٩٦٧م) كان مدتها ٦ أيام، وقد تعمد اليهود أن تكون الحرب ٦ أيام، وهي في الإذاعات العربية يقال لها: نكسة الخامس من يونيو حزيران، لكن في الإعلام الإسرائيلي يقولون: حرب الأيام الستة ليذكروا الشعوب اليهودية في إسرائيل وفي غيرها أن دولة إسرائيل قائمة على إرث عقدي يهودي تذكيراً بما صنعه يوشع بن نون من قبل بأنه دخل الأرض المقدسة في ستة أيام.

على أننا نجد اتفاق ابن خلدون (٦٦٢) مع الطبري وابن الأثير وابن كثير حول المدة التي حاصر يوشع مدينة أريحا قال الطبري «فأحاط بمدينة أريحا ستة أشهر فلما كان السابع نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة» (٦٦٣).

وقال ابن الأثير: «وَقِيلَ: بَلْ حَصَرَهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَلَمَّا كَانَ السَّابِعُ تَقَدَّمُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَصَاحُوا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَسَقَطَ السُّورُ، فَدَخَلُوهَا وَهَزَمُوا الْجَبَّارِينَ، وَقَتَلُوا فِيهِمْ فَأَكْثَرُوا. ثُمَّ اجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنْ مُلُوكِ الشَّامِ، وَقَصَدُوا يُوشَعَ فَقَاتَلَهُمْ، وَهَزَمَهُمْ، وَهَرَبَ الْمُلُوكُ إِلَى غَارٍ، فَأَمَرَ بِهِمْ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، فَقُتِلُوا، وَصُلِبُوا.

ثُمَّ مَلَكَ الشَّامَ جَمِيعَهُ فَصَارَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَفَرَّقَ عُمَّالَهُ فِيهِ. ثُمَّ تَوَفَّاهُ اللَّهُ فَاسْتَخْلَفَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَالَبَ بْنَ يُوفَنَّا، وَكَانَ عُمُرُ يُوشَعَ مِائَةً وَسِتًّا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَ قِيَامُهُ بِالْأَمْرِ بَعْدَ مُوسَى سَبْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً.»(٦٦٤).

أما أبو الفداء فيذكر أن «الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ، أَنَّ هَارُونَ تُوُفِّيَ بِالتِّيهِ قَبلَ مُوسَى أَخِيهِ بِنَحْوٍ مَنْ سَنَتَيْنِ. وَبَعْدَهُ مُوسَى فِي التِّيهِ أَيْضًا، وَأَنَّهُ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُقَرَّبَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ،

٦٦٢) تاريخ ابن خلدون (٢/ ١٠٠)

٦٦٣) تاريخ الطبري (١/٢٢٨)

٦٦٤) الكامل في التاريخ - ت تدمري» (١/ ١٧٦)

فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ، فَكَانَ الَّذِي خَرَجَ بِهِمْ مِنَ التِّيهِ، وَقَصَدَ بِهِمْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، هُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، ﷺ، فَذَكَرَ أَهْلُ الْكِتَابِ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ التَّارِيخِ، أَنَّهُ قَطَعَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ نَهْرَ الْأُرْدُنِّ، وَانْتَهَى إِلَى أَرِيحَا، وَكَانَتْ مِنْ أَحْصَنِ الْمَدَائِنِ سُورًا، وَأَعْلَاهَا قُصُورًا، وَأَكْثَرِهَا أَهْلًا، فَحَاصَرَهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ إِنَّهُمْ أَحَاطُوا بِهَا يَوْمًا، وَضَرَبُوا بِالْقُرُونِ، يَعْنِي الْأَبْوَاقَ، وَكَبَّرُوا تَكْبِيرَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَتَفَسَّخَ سُورُهَا، وَسَقَطَ وَجْبَةً وَاحِدَةً، فَدَخَلُوهَا، وَأَخَذُوا مَا وَجَدُوا فِيهَا مِنَ الْغَنَائِمِ، وَقَتَلُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَحَارَبُوا مُلُوكًا كَثِيرَةً، وَيُقَالُ: إِنَّ يُوشَعَ ظَهَرَ عَلَى أَحَدٍ وَثَلَاثِينَ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الشَّامِ.

وَذَكَرُوا أَنَّهُ انْتَهَى مُحَاصَرَتُهُ لَهَا إِلَى يَوْمِ جُمُعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، أَوْ كَادَتْ تَغْرُبُ، وَيَدْخُلُ عَلَيْهِمُ السَّبْتُ الَّذِي جُعِلَ عَلَيْهِمْ، وَشُرِعَ لَهُمْ ذَلِكَ الزَّمَانَ، قَالَ لَهَا: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيَّ. فَحَبَسَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْ فَتْحِ الْبَلَدِ، وَأَمَرَ الْقَمَرَ فَوَقَفَ عِنْدَ الطُّلُوعِ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ هَذِهِ اللَّيْلَةَ كَانَتِ اللَّيْلَةَ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنَ الشَّهْرِ. وَالْأَوَّلُ، وَهُوَ قِصَّةُ الشَّمْسِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي سَأَذْكُرُهُ. وَأَمَّا قِصَّةُ الْقَمَرِ، فَمِنْ عِنْدِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَلَا يُنَافِي الْحَدِيثَ، بَلْ فِيهِ زِيَادَةٌ تُسْتَفَادُ، فَلَا تُصَدَّقُ وَلَا تُكَذَّبُ، وَلَكِنَّ ذِكْرَهُمْ أَنَّ هَذَا فِي فَتْحِ أَرِيحَا فِيهِ نَظَرٌ، وَالْأَشْبَهُ، أَنَّ هَذَا كَانَ فِي فَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، الَّذِي هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ، وَفَتْحُ أَرِيحَا كَانَ وَسِيلَةً إِلَيْهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.» (٦٦٥).

ارتباط اليهود بأرض خروج الدجال

وهنا تلازم بين الأرض المقدسة ووارثيها من عباد الله الصالحين يمثلهم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ومعه المهدي وأهل الرباط والجهاد من أمة محمد ﷺ، وبين اليهود والدجال، والدجال هو أكبر فتنه تقع على الأرض فهو الذي يمثل كل جوانب الشر في علاقة التدافع مع الإسلام في إطار علامات الساعة.

وامتداد لارتباط الدجال باليهود ارتبط بأرضهم فكان ظهوره في مدينتهم المسماة (يهودية اصبهان)، ودليل هذا قول عائشة رضي الله عنها: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ لِي: " مَا يُبْكِيكِ؟ " قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرْتُ الدَّجَّالَ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " إِنْ يَخْرُجِ الدَّجَّالُ وَأَنَا حَيٌّ كَفَيْتُكُمُوهُ، وَإِنْ يَخْرُجْ بَعْدِي، فَإِنَّ رَبَّكُمْ عز وجل لَيْسَ بِأَعْوَرَ، إِنَّهُ يَخْرُجُ فِي يَهُودِيَّةِ أَصْبَهَانَ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَدِينَةَ، فَيَنْزِلَ نَاحِيَتَهَا، وَلَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ،

٦٦٥) البداية والنهاية (٢/ ٢٣٦)

عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكَانِ، فَيَخْرُجَ إِلَيْهِ شِرَارُ أَهْلِهَا حَتَّى الشَّامِ مَدِينَةٍ بِفِلَسْطِينَ بِبَابِ لُدٍّ ". وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ مَرَّةً: " حَتَّى يَأْتِيَ فِلَسْطِينَ بَابَ لُدٍّ، فَيَنْزِلَ عِيسَى عليه السلام فَيَقْتُلَهُ، ثُمَّ يَمْكُثَ عِيسَى عليه السلام فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِمَامًا عَدْلًا وَحَكَمًا مُقْسِطًا» (٦٦٦).

ويهودية أصبهان اسم بلدة في إيران. قال العلامة ابن الفقيه: «لما أخرجت اليهود من البيت المقدس في أيام بخت نصر وسيقوا إلى العراق (أيام التيه) حملوا معهم من تراب البيت المقدس ومن مائه فكانوا لا ينزلون منزلا ولا يدخلون مدينة إلّا وزنوا ماءها وترابها. فما زالوا حتى دخلوا أرض أصبهان، «فنزلوا بموضع منها يقال له بنجار وهي كلمة عبرانية معناها انزلوا» فنزلوا ووزنوا الماء والطين الذي في ذلك المكان فكان مثل الذي معهم من تراب بيت المقدس ومائه. فعندها اطمأنوا وأخذوا في الأبنية والعمارات وتوالدوا وتناسلوا وسمي المكان بعد ذلك. باليهودية.» (٦٦٧). وهكذا كان ارتباط اليهود بالأرض قدرا هو الأرض المقدسة، ثم كتب الله عليهم التيه وحرم عليهم الأرض المقدسة فارتبط وجودهم في الأرض بمكان خروج الدجال (٦٦٨).

وهنا يكون ختام الجهاد خير ختام يقوم به نبي الله عيسى عليه السلام ومعه المهدي وأهل الإيمان لتطهير أرض الشام وإخلاص أولى القبلتين لتوحيد الله جل جلاله وإقامة القسط والعدل ونشر الخير، وإزالة الفساد والرجس والباطل والشر الذي يمثل قمته الدجال واتباعه من أهل الغدر والخسة وخيانة العهود هؤلاء المغضوب عليهم الذين يقتلون الأنبياء والذين يأمرون بالقسط من الناس، وهو صراع بين الوعد الحق والوعد المفترى {وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى} [طه: ٦١]

نهاية الجهاد وخاتمته:

نهاية الجهاد وخاتمة القتال بأن تضع الحرب أوزارها، ويكون مكانه الشام بيت المقدس وأكنافه، وزمانه آخر الزمان بنزول عيسى عليه السلام وقتاله والمسلمون معه الدجالَ ومن معه من اليهود والأتباع، كما جاء في سنن أبي داود وأخرجه الحاكم، من قوله صلى الله عليه وسلم : «لا

٦٦٦) رواه أحمد في "مسنده": (٦/ ٧٥)، وابن حبان في "صحيحه": (٨/ ٢٩٠، رقم ٦٧٨٣ - الإحسان)، وذكره الهيثمي في "المجمع" (٧/ ٣٣٨)، وقال: رجاله رجال الصحيح غير الحضرمي بن لاحق وهو ثقة. وحسنه المحققون في طبعة مؤسسة الرسالة. («مسند أحمد» (٤١/ ١٥)

٦٦٧) البلدان لابن الفقيه (ص٥٣٠) معجم البلدان (٥/ ٤٥٤)

٦٦٨) قدر الدعوة (٦/ ٣٢ وما بعدها) بتصرف وزيادة

تزال طائفة من أمّتي يُقاتلون على الحقّ، ظاهرين على من ناوأهم، حتى يُقاتل آخرهُم المسيح الدجال»، وهذا لا يَمنع من كون الجهاد باقٍ إلى قيام الساعة، أو يوم القيامة!
وجملة: «حتى يُقاتل آخرهُم المسيح الدجال»، جملة كاشفة عن أنه آخر قتال وأشرف قتال، وكل ما ورد من نصوص في القتال في باب الملاحم والفتن آخر الزمان إنما يقع أكثره في **عموم الشام كغوطة الشام** كما في حديث أبي الدرداء ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «إن فُسطَاط المسلمين يوم الملحمة بالغُوطَةِ إلى جانب مدينة يقال لها: دمشقُ، من خير مدائن الشام» (٦٦٩).
والأعماق ودابق: كما جاء من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: "لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق ... ".
قال الإمام النووي ﷺ: الأعماق ودابق موضعان بالشام بقرب حلب.» (٦٧٠).
وهذا يصدق عليه (أطراف بيت المقدس وأكنافه).
كما يقع ذلك القتال ويكون في مدن قريبة من القدس كعسقلان التي وصف النبي ﷺ رباطها بأنه خير رباط، ثم يكون الأرض المباركة حتى يهلك الدجال عند باب لد من الأرض المقدسة، وقد روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ.»
ومعلوم أن ذلك يكون ببيت المقدس دل على ذلك الدليل والمشاهدة، قال الصدر المناوي: «والغرقد: بالغين المعجمة والراء المهملة وبالقاف نوع من شجر الشوك، معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال واليهود،» (٦٧١).
وقد دلت نصوص السنة على أن سيدنا عيسى ﷺ ينزل قرب الساعة، ويقتل الدجال ويحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ، ويمكث في الأرض ما شاء الله أن يمكث. ثم يموت

٦٦٩) أخرجه أبو داود رقم (٣٢٩٨) في الملاحم، باب في المعقل من الملاحم، وإسناده صحيح.
٦٧٠) انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٢٩)، مراصد الاطلاع (١/ ٩٦).
٦٧١) شرح النووي على مسلم (١٨/ ٤٤، ٤٥)، كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح» (٤/ ٤٧١) ومن الجدير بالذكر أن يهود الدولة اللقيطة يكثرون الآن من زراعة هذا الشجر في المستوطنات والحدائق وغيرها، وانظر: "واقعنا المعاصر" ص (٥٤٣).

ويصلي عليه المسلمون. فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمالُ حَتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْواحِدَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وَما فِيها». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: واقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} [النساء: ١٥٩] (٦٧٢).

ويؤكد هذا المعنى الأحاديث التي دلت على استمرار الجهاد وديمومته كحديث ابن عباس ﷺ: «أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ يومَ الفتحِ: لا هِجْرَةَ بعدَ الفتحِ ولكنْ جهادٌ ونيَّةٌ وإذا اسْتُنْفِرتُمْ فانْفِرُوا» وحديث عبد الله بن عمرﷺ، أنّ رسول الله ﷺقال: "الخيلُ في نَواصِيهَا الْخَيرُ إِلَى يَوْمِ الْقيَامَةِ" (٦٧٣) فقد ذكر البخاريّ (٦٧٤) هذا الحديث مفسَّرًا بقوله في حديثه: "في نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، الأَجْرُ والغَنِيمَةُ" هذا هو الخير الّذى ذكره في هذا الحديث» قال علماؤنا: يخرج من هذا الحديث أنّ الجهادَ باقٍ إلى يوم القيامة مع كلِّ بَرٍّ وفاجرٍ. وتأويلُه عند علمائنا: أنّ المراد به خيل الغزو في سبيل الله، وأنّ الإسلام باق لا تذهب جملته حتّى لا يبقى مَنْ يجاهد عن الدِّين.

ويدلُّ أيضًا أنّ أهلَ الكفرِ ومن يجاهد على الدِّين لا يخلو منهم وقت (٦٧٥).

ومما سبق نعلم أن الرباط والقتال لا ولن ينقطع في أطراف بيت المقدس وأكنافه، ولا تزال طائفة من أمة النبي ﷺ ظاهرة على الحق لا يضرها من خذلها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ«لَا تَبْرَحُ هَذِهِ الْأُمَّةُ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ

---

٦٧٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في الصحيح ٤/ ٤١٤، كتاب البيوع (٣٤)، باب قتل الخنزير (١٠٢)، الحديث (٢٢٢٢)، وفي ٦/ ٤٩٠ - ٤٩١، كتاب الأنبياء (٦٠)، باب نزول عيسى بن مريم ﷺ (٤٩)، الحديث (٣٤٤٨)، ومسلم في الصحيح ١/ ١٣٥ - ١٣٦، كتاب الإيمان (١)، باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ(٧١)، الحديث (٢٤٢/ ١٥٥).

٦٧٣) متفق عليه رواه البخاري ٦ / ٤٠ في الجهاد، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وباب الجهاد ماض مع البر والفاجر، وباب قول النبي ﷺ: أحلت لكم الغنائم، ومسلم رقم (١٨٧٣) في الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة.

٦٧٤) الحديث (٢٨٥٢) عن عُروة البارقي.

٦٧٥) المسالك في شرح موطأ مالك (٥/ ١١٣)

اللهِ مَنْصُورِينَ أَيْنَمَا تَوَجَّهُوا، يُقْذَفُ بِهِمْ كُلَّ مَقْذِفٍ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» (٦٧٦).

وهم كما قال ﷺ : (مَنْصُورِينَ أَيْنَمَا تَوَجَّهُوا، يُقْذَفُ بِهِمْ كُلَّ مَقْذِفٍ، لَا يَضُرُّهُمُ مَنْ خَالَفَهُمْ) وهي (تُقَاتِلُ أَعْدَاءَهَا، كُلَّمَا ذَهَبَ حَرْبٌ نَشَبَ حَرْبُ قَوْمٍ آخَرِينَ) ([٦٧٧]).

فهم في حرب دائمة يتنوع فيها العدو ويتجدد النصر مع كل عدو، ما يعني أن هناك " أحزاباً" مختلفة المشارب والمصالح ولكنهم متفقون على عداوة الإسلام والتعبير " بالمقذف" يصف لك حالة الحرب وشدتها والدمار والرعونة في العداوة والقتل والفتك بالضعفاء، وما يصاحبه من زور وكذب وفجور، وقذف للشبهات المثبطة والكلمات المخذلة، والتي هي عين الفجور ثمرة الكذب الذي لا يهدي إلا الفجور.

وهذه الغلبة في هذا الحديث تشير من طرف خفي بأن هناك قوم بل أقوام من "الأمة" تزيغ قلوبهم من الإيمان إلى الكفر وذلك بتضييع الولاء لله ورسوله والبراء من الكفر وحزبه، فعن أبي هريرةﷺ«أن رسول الله ﷺ قَالَ: لَا تَزَالُ مِنْ أُمَّتِي عِصَابَةٌ قَوَّامَةٌ عَلَى أَمْرِ اللهِ ﷻ لَا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا تُقَاتِلُ أَعْدَاءَهَا، كُلَّمَا ذَهَبَ حَرْبٌ نَشَبَ حَرْبُ قَوْمٍ آخَرِينَ، يُزِيغُ اللهُ قُلُوبَ قَوْمٍ لِيَرْزُقَهُمْ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ كَأَنَّهَا قِطَعُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ فَيَفْزَعُونَ لِذَلِكَ حَتَّى يَلْبَسُوا لَهُ أَبْدَانَ الدُّرُوعِ» (٦٧٨).

---

٦٧٦) "حسن بشواهده" سنن سعيد بن منصور- الفرائض إلى الجهاد- ت الأعظمي» (٢/ ١٧٧) موقوفاً: «فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن الربعي» (ص٩) (١٦)، وعنه ابن عساكر في "تاريخه" (١/ ٢٥٩)، وأخرجه ابن عساكر من وجهين آخرين (١/ ٢٥٨- ٢٥٩) عن جبير، وقال في رواية: "هم أهل الشام". وجبير بن عبيدة صوابه جبر بن عبيدة، كذا ترجم له غير واحد، وترجم له الذهبي تحت جبر ابن عبيدة، وقال: وقال بعضهم جبير بن عبيدة، وهو مجهول العين. وقال الذهبي في "الميزان" (١/ ٣٨٨): لا يعرف من ذا. وقال الحافظ: مقبول. وللحديث شواهد يرتقي بها، وقال الألباني في "فضائل الشام ودمشق" (٦): صحيح، دون قوله: "وأكثرهم أهل الشام". انظر: موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية (ص٢٠٩).

[٦٧٧]) "إسناده صحيح" أخرجه "المعرفة والتاريخ" (٢/ ٢٩٦ – ٢٩٧)، وأخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" من طريق الفسوي (١/ ٢٥٨)، وابن ماجه (٧)، مقتصرًا على قوله: "لا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله لا يضرها من خالفها"، وأبو نعيم في "الحلية" (٩/ ٣٠٧) بنحو سياق الفسوي، والبخاري في "التاريخ الكبير" (٤/ ٢٤٨)

٦٧٨) "إسناده صحيح" "المعرفة والتاريخ" (٢/ ٢٩٦ – ٢٩٧)، وأخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" من طريق الفسوي (١/ ٢٥٨)، وابن ماجه (٧)، مقتصرًا على قوله: "لا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله لا يضرها من خالفها"، وأبو نعيم في "الحلية" (٩/ ٣٠٧) بنحو سياق الفسوي، كلاهما بذكر أبي هريرة فقط بدون ذكر ابن السمط،

وفي هذه الأحاديث بشرى ببقاء هذه العصابة الطائفة وأن الله ناصرهم ومن نصر الله لهم أنهم لا يضرهم من خذلهم.

ومن البشريات كذلك هزيمة الأحزاب وأن ذلك من سنة الله تعالى، فقد قضى الله بقدرته هزيمة من تحزبوا ضد المسلمين، ففي غزوة الأحزاب علم رسول الله ﷺأن الله سينصره على المشركين واليهود لما تحزبوا ضده وقال: «أبشروا معشر المسلمين» لأنهم بهذا التحزب قد حققوا سنة إهلاكهم؛ لأنه من أفعال الله أن يهزم الأحزاب ولهذا قال الرسول ﷺ: «اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم» (متفق عليه) ولهذا أيضًا عبر القرآن عن الكافرين بعد إهلاكهم بقوله: {أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ} [ص: ١٣] (٦٧٩).

وسنة الله تعالى كذلك عبر التاريخ وفيها إهلاك من يتجبر ويطغى على الناس بإخراجهم من ديارهم وتهجيرهم وتمكين عباد الله كما في سورة إبراهيم {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} [إبراهيم: ١٣ - ١٥].

وبهذه النصوص نوقن أن هذه الطائفة المرابطة منصورة مهما كان الخذلان ومهما تداعى عليها الأعداء.

وأن هذا القتال لن ينقطع فإنه توقف حيناً سيتجدد أحياناً.

وأن التهجير وإخراج أهل الرباط -وإن خطط له القوم ومكروا وتآمروا- فلن يتم حتى وإن وقع بعضه بل تمام الأمر {لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} [إبراهيم: ١٣ - ١٥].

فيجب على المسلم أن يوطن نفسه على عدم الانخداع بدعاوى السلام والتعايش مع قوم ينتظرون ويجهزون لمناصرة أعظم فتنة منذ خلق الله آدم كما في حديث أَبِي أُمَامَةَ

والبخاري في "التاريخ الكبير" (٤/ ٢٤٨) عنهما، ولفظه: "لا تزال عصابة قوامة"، ثم قال: "هم أهل الشام". اهـ. وقال الألباني في "الصحيحة" (٣٤٢٥): هذا إسناد صحيح.

(٦٧٩) حكمة الدعوة (ص٤١)

الْبَاهِلِيّ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَ أَكْثَرُ خُطْبَتِهِ حَدِيثًا، حَدَّثَنَاهُ عَنِ الدَّجَّالِ، وَحَذَّرَنَاهُ، فَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ أَنْ قَالَ: " إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، مُنْذُ ذَرَأَ اللَّهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ، أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ، وَأَنَا آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ،.....»([٦٨٠]). الحديث، قال ابن حجر: «وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: لَا فِتْنَةَ أَعْظَمُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَكَانَ يَسْتَعِيذُ مِنْهَا فِي صَلَاتِهِ تَشْرِيعًا لِأُمَّتِهِ،» ([٦٨١])

ويؤكد النبي ﷺ مفهوم الدفع في علامة الدجال إذ يقول: «تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ» ([٦٨٢])، ويقول في حديث أخر: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الدَّجَّالَ،» ([٦٨٣])،

(حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا).

وهذا دليل آخر على أن نهاية القتال يكون في الأرض المباركة أرض المسجد الأقصى وذلك في قوله تعالى: {فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} [سورة محمد:١٣]

قال الواحدي: «قال ابن عباس: حتى لا يبقى أحد من المشركين.

وقال الحسن: {حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} قال: لا يُشرَك بالله ولا يُعبد غيره.

وقال مجاهد: حتى لا يكون دينٌ إلا الإسلام. ([٦٨٤]).

وقال سعيد بن جبير، ومجاهد: في هذه الآية خروج عيسى بن مريم عليه السلام، يكسِر الصليب، ويقتل الخنزير، ويلقى الذئب الشاة فلا يَعرِض لها، ولا تكون عداوةٌ بين اثنين ([٦٨٥]).

---

[٦٨٠]) "سنن ابن ماجه" (٤٠٧٧)، وأخرجه أبو داود في "سننه" (٤٣٢٢)

[٦٨١]) فتح الباري (١٣/ ١٠٣)

[٦٨٢]) أخرجه مسلم من حديث نافع بن عتبة رضي الله عنه، في الصحيح ٤/ ٢٢٢٥، كتاب الفتن (٥٢)، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الرجال (١٢)، الحديث (٣٨/ ٢٩٠٠).

[٦٨٣]) أخرج أبو داود (٢٤٨٤) وأحمد ٤/ ٤٣٤ و٤٣٧ والحاكم ٤/ ٤٥٠ بإسناد صحيح عن عمران بن حصين مرفوعاً.

[٦٨٤]) «أحكام القرآن لبكر بن العلاء - ط جائزة دبي» (٢/ ٤٠١)

[٦٨٥]) عزاه عن سعيد السيوطي في الدر (٧/ ٤٦٠)، لعبد بن حميد، ورواه عن مجاهد ابن جرير في تفسيره (١١/ ٣٠٨).

ومعنى الآية: حتى تضع حربكم، وقتالكم أوزار المشركين، وقبائح أعمالهم بأن يسلموا، فلا يبقى دين غير الإسلام، ولا يعبد وثن، وهذا كما قال النبي ﷺ: «الجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن تقاتل آخر أمتي الدجال» (٦٨٦).

وقال البغوي ﵀: "معنى الآية: «أثخنوا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام، ويكون الدين كله لله، فلا يكون بعده جهاد ولا قتال، وذلك عند نزول عيسى ابن مريم ﵇»(٦٨٧).

قال النسفي: (أثقالها وآلاتها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع، وقيل: أوزارها آثامها، يعني حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم بأن يسلموا، وحتى لا يخلو من أن يتعلق بالضرب والشد أو بالمن والفداء، فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي رحمه الله أنهم لا يزالون على ذلك أبدًا إلى ألا يكون حرب مع المشركين وذلك إذا لم يبق لهم شوكة (٦٨٨).

هلاك الدجال وظهور الإسلام

بوب العلامة عبد الملك بن حبيب القرطبي(ت ٢٣٨هـ) في أشراطه «باب ما جاء في نزول عيسى بن مريم ﵇، وَخُرُوجِ الدَّجَّالِ لَعَنَهُ اللَّهُ» ثم ساق بسنده فقال: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِعِيسَى ﵇{إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذين كفروا} قَالَ مُتَوَفِّيكَ أَيْ آخِذُكَ وَقَابِضُكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ الْكَلِمَةُ فِي ذَلِكَ وَاحِدَةٌ وَإِنَّمَا رَفَعَهُ اللَّهُ وَلَمْ يُمِتْهُ حَتَّى يَقْتُلَ الدَّجَّالَ لَعَنَهُ اللَّهُ ثُمَّ يَمُوتُ ﵇.

وَمِنْ كِتَابِ اللَّهِ غَيْرُ هَذَا عَنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلَ ذَلِكَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَهَذَا مِمَّا لَمْ يَخْتَلِفْ فِيهِ أَحَدٌ من أهل الإيمان والسنة أن عيسى بن مَرْيَمَ يَمُوتُ بَعْدُ، وَإِنَّمَا رَفَعَهُ اللَّهُ حَيًّا ثُمَّ يَنْزِلُ إِلَى الأَرْضِ عِنْدَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ وَتَكُونُ الْمِلَّةُ فِي زَمَانِهِ وَاحِدَةً لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَى عَنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {حتى تضع الحرب أوزارها} وَفِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى{لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كله} قَالَ ذَلِكَ حِينَ يَنْزِلُ

---

(٦٨٦) التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ١٢٠)

(٦٨٧) معالم التنزيل في تفسير القرآن ٤/ ٢١٠.

(٦٨٨) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٣/ ٣٢٣)

عِيسَى ﷺ، مُصَدِّقًا بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ وَيُسْلِمُ عِنْدَ نُزُولِهِ كُلُّ يَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ وصاحب ملة فيكون الدين واحد وَيَقَعُ الأَمَانُ فِي الأَرْضِ وَيَكُونُ السَّلامُ وَتَأْنَسُ الْوُحُوشُ بِالنَّاسِ وَيَأْمَنُ النَّاسُ السِّبَاعَ وَالْهَوَامَّ حَتَّى إِنَّ الصَّبِيَّ يَلْقَى الأَسَدَ فَيَعْرِكَ أُذُنَيْهِ وَلا يُهَيِّجُهُ عَلَيْهِ وَيَلْقَى الرَّجُلُ الْحَيَّةَ فِي كَفِّهِ وَلا تَضُرُّهُ وَتَلْقَى الشَّاةُ الذِّئْبَ فَلا يَضُرُّهَا فَذَلِكَ حِينَ تَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا وَيَظْهَرُ الإِسْلامُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (وَثَبَتَ كتباتُهَا) وَعَلَى عَهْدِ آدَمَ فَيَكُونُ النَّاسُ مَعَهُ عَلَى خَيْرِ حَالٍ وَخَيْرِ زَمَانٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثم يقبض الله روح عيسى بن مَرْيَمَ ﷺ، وَيَذُوقُ الْمَوْتَ فَيُدْفَنُ وَيَمُوتُ النَّاسُ فَلا يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الأَخْيَارِ إلا الأَشْرَارَ (فِي قَلْبِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) .

ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى رِوَايَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ: إِنَّ عِيسَى ﷺ يَقْتُلُ الدَّجَّالَ وَيَمُوتُ هُوَ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى {وَيُكَلِّمُ الناس في المهد وكهلا} قَالَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَهُوَ صَبِيٌّ، ثُمَّ رَفَعَهُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كَهْلا ثُمَّ يُنْزِلُهُ فَيُكَلِّمُ النَّاسَ بَعْدَ نُزُولِهِ ثُمَّ قَرَأَ قوله تعالى {وإنه لعلم للساعة} فيقول نزول عيسى بن مَرْيَمَ هُوَ عِلْمُ السَّاعَةِ {فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا} (٦٨٩)

«آخر عصابة من أمة محمدﷺ تقاتلُ الدجال»

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:«ثلاثٌ من أصلِ الإيمانِ: الكفُّ عمَّنْ قال: لا إله إلاّ الله، لا تُكفِّرْهُ بذنبٍ، ولا تُخرجْه من الإسلامِ بعمَلٍ، والجهادُ ماضٍ مُذْ بعثَني الله إلى أن يُقاتِلَ آخرُ أُمتي الدجَّالَ، لا يُبطلهُ جوْرُ جائرٍ، ولا عَدلُ عادلٍ، والإيمانُ بالأَقْدارِ» (٦٩٠)

وفي الحديث ذكر «الخصلة الثَّالِثَة اعْتِقَاد كَون الْجِهَاد ماضيًا أي: نَافِذا؛ وباقيًا حكمه (مُنْذُ بَعَثَنِي الله) تَعَالَى يَعْنِي أَمرنِي بِالْقِتَالِ وَذَلِكَ بعد الْهِجْرَة (إِلَى أَن يُقَاتل آخر أمتِي الدَّجَّال) فينتهي حِينَئِذٍ الْجِهَاد.

---

٦٨٩) أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار لعبد الملك بن حبيب (٤/ ١٣٤)

٦٩٠) الحديث رواه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الغزو مع أئمة الجور، حديث رقم (٢٥٣٢)، (٣ / ٤٠) وفي سند الحديث يزيد بن أبي نشبة، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب: مجهول. والأحاديث التي تدل على بقاء الجهاد والقتال في سبيل الله إلى يوم القيامة كثيرة جدا، منها قوله ﷺفيما رواه مسلم: " لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة "، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب (٥٣)، الحديث رقم (١٩٢٢)، (٣ / ١٥٢٤) ؛ ومسند أحمد (٥ / ٩٢، ٩٤، ٩٨، ١٠٣، ١٠٤) . المفاتيح في شرح المصابيح (١/ ١٥٠)

والتقدير [في] قوله: "مذ بعثني الله": مذ فرض الجهاد وأُمرت بالجهاد إلى خروج الدجال يكون الجهاد باقيًا، وبعد قتل الدجال لا يكون الجهاد باقيًا، لأن بعد الدجال يكون خروج يأجوج ومأجوج ولا يقدر أحد أن يقاتلهم، وبعد هلاكهم لم يبق في الدنيا كافر ما دام عيسى عليه السلام في الأرض حيًا، فإذا مات يكفر بعض المسلمين، وحينئذ لا يقدر أحد على القتال، بل يموت المسلمون كلُّهم عن قريب بريح طيبة وبقي الكفار.» (٦٩١).

وبعد قتال الدجال وانتهاء حقيقة التدافع تقع الأمنة على الأرض: (يضع عيسى ابن مريم الحرب)(٦٩٢)، كما في حديث « أبي هُرَيْرَة أَن النَّبِي ﷺ قَالَ الْأَنْبِيَاء إخْوَة لعَلَّات أمهاتهم شَتَّى وَدينهمْ وَاحِد وَإِنِّي أولَى النَّاس بِعِيسَى بن مَرْيَم لِأَنَّهُ لم يكن بيني وَبَينه نَبِي وَإِنَّهُ نَازل ......فيدق الصَّلِيب وَيقتل الْخِنْزِير وَيَضع الْجِزْيَة وَيفِيض المَال وَيُقَاتل النَّاس عَلَى الْإِسْلَام حَتَّى يهْلك الله فِي زَمَانه الْملَل كلهَا إِلَّا الْإِسْلَام وَيهْلك الله فِي زَمَانه الْمَسِيح الدَّجَّال وَتَقع الأمنة فِي الأَرْض فِي زَمَانه حَتَّى ترتع الْأسود مَعَ الْإِبِل وَالنُّمور مَعَ الْبَقر والذئاب مَعَ الْغنم وتلعب الصّبيان بالحيات لَا تَضُرهُمْ » (٦٩٣).

ولعلنا نلاحظ من الأمثلة الواردة في الحديث أنها تعني انتهاء العداء الطبيعي الموجود بين جميع الخلائق، والله غالب على أمره.

---

٦٩١) المفاتيح شرح المصابيح (١/١٥٠)، شرح المصابيح (١/٨٠) التيسير شرح الجامع الصغير (١/٤٦٤)

٦٩٢) عن أبي هريرة مرفوعًا: "والذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيْكُمُ ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، ويَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، ويَضَعَ الحَرْبَ، ويَفِيضَ المَالُ حتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حتَّى تكون السَّجْدَةُ الواحدةُ خَيْرًا مِن الدُّنْيا وما فيها". البخاري في الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم (٦/ ٤٩٠ - ٤٩١) رقم (٣٤٤٨) وغير موضع -واللفظ له-، ومسلم في الإيمان، باب نزول عيسى (١/ ١٣٥) رقم (١٥٥)، قال الحافظ ابن حَجَر في "فتح الباري" (٦/ ٤٩١): "في رواية الكُشْمِيْهَنِيّ: "الجزية"".

٦٩٣) مسند أحمد: ٢/ ٤٠٦ وصحيح ابن حبّان: ١٥/ ٢٣٣ بتفاوت في الكل، وجامع البيان للطبري: ٦/ ٣٠.
وأصل الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى عليه السلام(٣٤٤٨)، ومسلم كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد (١٥٥) من طريق ابن شهاب عن سعيد عن أبي هريرة. وأخرجه أبو داود كتاب الملاحم، باب في خبر الجساسة (٤٣٢٤)، وابن حبان في "صحيحه" كما في "الإحسان" ١٥/ ٢٢٥ (٦٨١٤)، وأحمد في "المسند" ٢/ ٤٠٦ (٩٢٧٠) من طريق قتادة، عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة، ولفظه هو الَّذي ساقه المصنف. وأخرج البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى عليه السلام (٣٤٤٢) من طريق ابن شهاب عن أبي سلمة، عن أبي هريرة بلفظ: "أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات، ليس بيني وبينه نبي".

فتوى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الشريف
لا يجوز الصلح مع إسرائيل ولا التعاون والتحالف مع دول الاحتلال

اجتمعت لجنة الفتوى بالجامع الأزهر في يوم الأحد ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٧٥ الموافق (أول يناير سنة ١٩٥٦) برئاسة السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف عضو جماعة كبار العلماء ومفتى الديار المصرية سابقا وعضوية السادة أصحاب الفضيلة الشيخ عيسى منون عضو جماعة كبار العلماء وشيخ كلية الشريعة سابقا (الشافعي المذهب) والشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء (الحنفى المذهب) و الشيخ محمد الطنيخي عضو جماعة كبار العلماء، ومدير الوعظ والإرشاد (المالكي المذهب) والشيخ محمد عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر (الحنبلي المذهب) و بحضور الشيخ زكريا البرى أمين الفتوى.
ونظرت في الاستفتاء الآتي وأصدرت فتواها التالية:
****

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما – بعد فقد اطلعت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف على الاستفتاء المقدم إليها عن حكم الشريعة الاسلامية في إبرام الصلح مع اسرائيل التي اغتصبت فلسطين من أهلها ، وأخرجتهم من ديارهم ، وشردتهم نساءً وأطفالاً وشيباً وشباناً في آفاق الأرض، واستلبت أموالهم ، واقترفت أفظع الآثام في أماكن العبادة والآثار والمشاهد الاسلامية المقدسة ، وعن حكم التواد والتعاون مع دول الاستعمار التي ناصرتها وتناصرها في هذا العدوان الأثيم ، وأمدتها بالعون السياسي والمادي لإقامتها دولة يهودية في هذا القطر الإسلامي بين دول الإسلام ، وعن حكم الأحلاف التي تدعو إليها دول الاستعمار ، والتي من مراميها تمكين إسرائيل من البقاء في أرض فلسطين لتنفيذ السياسة الاستعمارية ، وعن واجب المسلمين حيال فلسطين وردها إلى أهلها ، وحيال المشروعات التي تحاول إسرائيل ومن ورائها الدول الاستعمارية أن توسع بها رقعتها

وتستجلب بها المهاجرين إليها، وفي ذلك تركيز لكيانها، وتقوية لسلطانها، مما يضيق الخناق على جيرانها، ويزيد في تهديدها لهم، ويهيئ للقضاء عليهم.

***

وتفيد اللجنة أن الصلح مع إسرائيل - كما يريده الداعون إليه - لا يجوز شرعاً، لما فيه من إقرار الغاصب على الاستمرار في غصبه، والاعتراف بحقية يده على ما اغتصبه، وتمكين المعتدى من البقاء على عدوانه.

وقد أجمعت الشرائع السماوية والوضعية على حرمة الغصب ووجوب رد المغصوب إلى أهله، وحثت صاحب الحق على الدفاع والمطالبة بحقه. ففي الحديث الشريف: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ عِرْضِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**» (متفق عليه صحيح البخاري، المظالم، ٣٣؛ وصحيح مسلم، الإيمان، ٢٢٦.) وفي حديث آخر: «**عَلَى الْيَدِ مَا أَخَذَتْ حَتَّى تَرُدَّ**» (**أخرجه أبو داود البيوع ٣/٢٩٤ ح ٣٥٦١، بلفظ: (حتى تؤدي) والترمذي البيوع ٣/٥٥٧ ح ١٢٦٦ وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه الصدقات ٢/٨٠٢ ح ٢٤٠٠ وأحمد المسند ٥/١٢ ح ٢٠١٠٩ والطبراني في الكبير ٧/ ٢٠٨**.).

فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين، واعتدوا فيها على أهلها وعلى أموالهم : على أي وجه يمكن اليهود من البقاء كدولة في أرض هذه البلاد الإسلامية المقدسة ، بل يجب عليهم أن يتعاونوا جميعا على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لرد هذه البلاد إلى أهلها ، وصيانة المسجد الأقصى مهبط الوحى ومصلى الأنبياء الذي بارك الله حوله ، وصيانة الآثار والمشاهد الإسلامية ، من أيدى هؤلاء الغاصبين ، وأن يعينوا المجاهدين بالسلاح وسائر القوى على الجهاد في هذا السبيل ، وأن يبذلوا فيه كل ما يستطيعون ، حتى تطهر البلاد من آثار هؤلاء الطغاة المعتدين ، قال تعالى :﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ** ﴾. [الأنفال: ٦٠]

ومن قصر في ذلك، أو فرط فيه، أو خذل المسلمين عنه، أو دعا إلى ما من شأنه تفريق الكلمة وتشتيت الشمل، والتمكين لدول الاستعمار والصهيونية من تنفيذ خططهم ضد

العرب والاسلام وضد هذا القطر العربي الاسلامي، فهو - في حكم الإسلام - مفارق جماعة المسلمين، ومقترف أعظم الآثام.

كيف ويعلم الناس جميعا أن اليهود يكيدون للإسلام وأهله ودياره أشد الكيد، منذ عهد الرسالة إلى الآن؟!

وأنهم يعتزمون ألا يقفوا عند حد الاعتداء على فلسطين والمسجد الأقصى، وإنما تمتد خططهم المديرة إلى امتلاك البلاد الإسلامية الواقعة بين نهري النيل والفرات، وإذا كان المسلمون جميعا - في الوضع الإسلامي - وحدة لا تتجزأ بالنسبة إلى الدفاع عن بيضة الإسلام، فأن الواجب شرعا أن تجتمع كلمتهم لدرء هذا الخطر والدفاع عن البلاد واستنقاذها من أيدي الغاصبين قال تعالى:﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقاًّ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ١١١] وقال تعالى :﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً** ﴾ [النساء: ٧٦].

وأما التعاون مع الدول التي تشد أزر هذه الفئة الباغية، وتمدها بالمال والعتاد، وتمكن لها من البقاء في هذه الديار، فهو غير جائز شرعا، لما فيه من الإعانة لها على هذا البغي والمناصرة لها في موقفها العدائي ضد الإسلام ودياره. قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الممتحنة: ٩].

وقال تعالى: ﴿**لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ المُفْلِحُونَ**﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقد جمع الله - سبحانه - في آية واحدة جميع ما يتخيله الإنسان من دوافع الحرص على قراباته وصلاته وعلى تجارته التي يخشى كساده بمقاطعة الأعداء، وحذر المؤمنين من التأثر بشيء من ذلك واتخاذه سببا لموالاتهم فقال تعالى : ﴿**قُلْ إِن كَانَ**

آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

ولا ريب أن مظاهرة الأعداء وموادتهم يستوي فيها إمدادهم بما يقوى جانبهم، ويثبت أقدامهم بالرأي والفكرة، وبالسلاح والقوة: سرا وعلانية، مباشرة وغير مباشرة.

وكل ذلك مما يحرم على المسلم مهما تخيل من أعذار ومبررات .

ومن ذلك يعلم أن هذه الأحلاف - التي تدعو إليها الدول الاستعمارية، وتعمل جاهدة لعقدها بين الدول الإسلامية، ابتغاء الفتنة، وتفريق الكلمة، والتمكين لها في البلاد الاسلامية، والمضي في تنفيذ سياستها حيال شعوبها - لا يجوز لأية دولة إسلامية أن تستجيب لها وتشترك فيها، لما في ذلك من الخطر العظيم على البلاد الإسلامية، وبخاصة فلسطين الشهيدة التي سلمتها هذه الدول الاستعمارية إلى الصهيونية الباغية نكاية في الإسلام وأهله وسعيا لإيجاد دولة لها وسط البلاد الإسلامية، لتكون تكأة لها في تنفيذ مآربها الاستعمارية الضارة بالمسلمين في أنفسهم وأموالهم وديارهم، وهي في الوقت نفسه من أقوى مظاهر الموالاة المنهى عنها شرعا والتي قال الله تعالى فيها:**﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾**. [المائدة: ٥١]

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن موالاة الأعداء إنما تنشأ عن مرض في القلوب يدفع أصحابها إلى هذه الذلة التي تظهر بموالاة الأعداء فقال تعالى: **﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾** [المائدة: ٥٢]

وكذلك يحرم شرعا على المسلمين أن يمكنوا إسرائيل - ومن ورائها الدول الاستعمارية التي كفلت لها الحماية والبقاء - من تنفيذ تلك المشروعات التي لا يراد بها إلا ازدهار دولة اليهود وبقاؤها في رغد من العيش وخصوبة في الأرض، حتى تعيش كدولة تناوئ العرب والإسلام في أعز دياره، وتفسد في البلاد أشد الفساد، وتكيد للمسلمين في أقطارهم، ويجب على المسلمين أن يحولوا بكل قوة دون تنفيذها، ويقفوا صفا واحدا في الدفاع عن حوزة الإسلام، وفى إحباط هذه المؤامرات الخبيثة التي من أولها هذه المشروعات الضارة.

ومن قصر في ذلك أو ساعد على تنفيذها أو وقف موقفا سلبيا منها، فقد ارتكب إثماً عظيماً.

وعلى المسلمين أن ينهجوا نهج الرسول ﷺ-، ويقتدوا به وهو القدوة الحسنة - في موقفه من أهل مكة وطغيانهم بعد أن أخرجوه ومعه أصحابه ﷺ من ديارهم، وحالوا بينهم وبين أموالهم وإقامة شعائرهم ، ودنسوا البيت الحرام بعبادة الأوثان والأصنام ، **فقد أمره الله تعالى أن يعد العدة لإنقاذ حرمه من أيدى المعتدين ، وأن يضيق عليهم سبل الحياة التي بها يستظهرون ، فأخد -عليه الصلاة والسلام - يضيق عليهم في اقتصادياتهم التي عليها يعتمدون** ، حتى نشبت بينه وبينهم الحروب ، واستمرت رحا القتال بين جيش الهدى وجيوش الضلال ، حتى أتم الله عليه النعمة ، وفتح على يديه مكة ، وقد كانت معقل المشركين ، فأنقذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، وطهر بيته الحرام من رجس الأوثان ، وقلم أظافر الشرك والطغيان .

وما أشبه الاعتداء بالاعتداء، مع فارق لابد من رعايته، وهو أن مكة كان بلدا مشتركا بين المؤمنين والمشركين، ووطنا لهم أجمعين، بخلاف أرض فلسطين، فإنها ملك المسلمين، وليس لليهود فيها حكم ولا دولة، ومع ذلك أبى الله تعالى إلا أن يظهر في مكة الحق ويخذل الباطل ويردها إلى المؤمنين، ويقمع الشرك فيها والمشركين، فأمر سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بقتال المعتدين فقال تعالى: ﴿**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ**﴾ [البقرة: ١٩١]. والله سبحانه وتعالى نبه المسلمين على رد الاعتداء بقوله تعالى: ﴿**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**﴾ [البقرة: ١٩٤] ومن مبادئ الاسلام محاربة كل منكر يضر العباد والبلاد، وإذا كانت إزالته واجبة في كل حال، فهي في حالة هذا العدوان أوجب وألزم، فأن هؤلاء المعتدين لم يقف اعتداؤهم عند إخراج المسلمين من ديارهم وسلب أموالهم وتشريدهم في البلاد، بل تجاوز ذلك الى أمور تقدمها الأديان السماوية كلها وهي: احترام المساجد وأماكن العبادة .

وقد جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [البقرة: ١١٤].

* * *

أما بعد - فهذا هو حكم الاسلام في قضية فلسطين، وفى شأن إسرائيل والمناصرين لها من دول الاستعمار وغيرها، وفيما تريده اسرائيل ومناصروها من مشروعات ترفع من شأنها، وفي واجب المسلمين حيال ذلك، تبينه لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، وتهيب بالمسلمين عامة أن يعتصموا بحبل الله المتين، وأن ينهضوا بما يحقق لهم العزة والكرامة، وأن يقدروا عواقب الوهن والاستكانة أمام اعتداء الباغين، وتدبير الكائدين، وأن يجمعوا أمرهم على القيام بحق الله تعالى وحق الأجيال المقبلة في ذلك، اعزازا لدينه القويم .

نسأل الله تعالى أن يثبت قلوبهم على الإيمان به، وعلى نصرة دينه، وعلى العمل بما يرضيه. والله أعلم

يقول العلامة مصطفى صادق الرافعي أديب العربية:

«أيها المسلمون! ليست هذه محنة فلسطين، ولكنها محنة الإسلام، يريدون ألا يثبت شخصيته العزيزة الحرة.

كل قرش يدفع الآن لفلسطين، يذهب إلى هناك ليجاهد هو أيضًا.

أولئك إخواننا المجاهدون؛ ومعنى ذلك أن أخلاقنا هي حلفاؤهم في هذا الجهاد.

أولئك إخواننا المنكوبون؛ ومعنى ذلك أنهم في نكبتهم امتحان لضمائرنا نحن المسلمين جميعا.

أولئك إخواننا المضطهدون؛ ومعنى ذلك أن السياسة التي أذلتهم تسألنا نحن: هل عندنا إقرار للذل؟

ماذا تكون نكبة الأخ إلا أن تكون اسما آخر لمروءة سائر إخوته أو مذلتهم؟

أيها المسلمون! كل قرش يدفع لفلسطين، يذهب إلى هناك ليفرض على السياسة احترام الشعور الإسلامي.

السياسة وراء اليهود، واليهود وراء خيالهم الديني، وخيالهم الديني هو طرد الحقيقة المسلمة.

أيها المسلمون! كل قرش يدفع لفلسطين، يذهب إلى هناك ليثبت الحقيقة التي يريدون طردها..

يقول اليهود: إنهم شعب مضطهد في جميع بلاد العالم.

ويزعمون: أن من حقهم أن يعيشوا أحرارًا في فلسطين، كأنها ليست من جميع بلاد العالم «ولكن لماذا كنستكم كل أمة من أرضها بمكنسة أيها اليهود؟

أجهلتم الإسلام؟ الإسلام قوة كتلك التي توجد الأنياب والمخالب في كل أسد قوة تخرج سلاحها بنفسها، لأن مخلوقها عزيز لم يوجد ليؤكل، ولم يخلق ليذل.

قوة تجعل الصوت نفسه حين يزمجر، كأنه يعلن الأسدية العزيزة إلى الجهات الأربع.

قوة وراءها قلب مشتعل كالبركان، تتحول فيه كل قطرة دم إلى شرارة دم ولئن كانت الحوافر تهيئ مخلوقاتها ليركبها الراكب، إن المخالب والأنياب تهيئ مخلوقاتها لمعنى آخر.

لو سئلت ما الإسلام في معناه الاجتماعي؟ لسألت: كم عدد المسلمين؟

فإن قيل: (مليار) ثلاثمائة مليون. قلت: فالإسلام هو الفكرة التي يجب أن يكون لها (مليار) ثلاثمائة مليون قوة.

أيجوع إخوانكم أيها المسلمون وتشبعون؟ إن هذا الشبع ذنب يعاقب الله عليه.

والغني اليوم في الأغنياء الممسكين عن إخوانهم، وهو وصف الأغنياء باللؤم لا بالغنى.

كل ما يبذله المسلمون لفلسطين، يدل دلالات كثيرة، أقلها سياسة المقاومة.

كان أسلافكم أيها المسلمون يفتحون الممالك. فافتحوا أنتم أيديكم ...

كانوا يرمون بأنفسهم في سبيل الله غير مكترثين، فارموا أنتم في سبيل الحق بالدنانير والدراهم.

لماذا كانت القبلة في الإسلام إلا لتعتاد الوجوه كلها أن تتحول إلى الجهة الواحدة؟

لماذا ارتفعت المآذن إلا ليعتاد المسلمون رفع الصوت في الحق؟

أيها المسلمون! كونوا هناك. كونوا هناك مع إخوانكم بمعنى من المعاني.

لو صام العالم الإسلامي كله يوما واحدًا وبذل نفقات هذا اليوم الواحد لفلسطين لأغناها

لو صام المسلمون كلهم يوما واحدًا لإعانة فلسطين، لقال النبي مفاخرًا الأنبياء: هذه أمتي!

لو صام المسلمون جميعا يومًا واحد لفلسطين، لقال اليهود اليوم ما قاله آباؤهم من قبل: إن فيها قومًا جبارين ...

أيها المسلمون! هذا موطن يزيد فيه معنى المال المبذول فيكون شيئا سماويًا.

كل قرش يبذله المسلم لفلسطين، يتكلم يوم الحساب يقول: يا رب، أنا إيمان فلان» (٦٩٤).

ويقول الإمام محمد البشير الإبراهيمي: «يقولون إنّ فلسطين منسك للأديان السماوية الثلاثة وإنها قبلة لأهل تلك الأديان جميعًا، فإن كان ما يقولون حقًّا- وهو حق في ذاته- فإن أحق الناس بالائتمان عليها العرب، لأنهم مسلمون، والإسلام يُوجب احترام الكُتب والكتابيين، ويوجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، ويضمن إقامة الشعائر لليهود والمسيحيين، لا اليهودُ الذين كذَّبوا الأنبياء وقتلوهم، وصلبوا- بزعمهم- المسيح الصادق، وشرّدوا حوارييه من فلسطين، وكفروا بمحمد بعد ما جاءهم بالبيّنات» (٦٩٥)

أيها العرب ... أيها المسلمون ...

«إن الغنى عمل وتدبير، فلو عملتم لكنتم أغنياء. وإن بدء الغنى من غنى النفس بالتعفف عن الكماليات، وفطمها عن الشهوات، وإن القوة مشيئة لا جبر فيها. فلو شئتم أن تكونوا أقوياء لكنتم وإن بدء القوة من قوة الأخلاق، وقوة الاتحاد ...

ان العروبة لفي حاجة إلى ذلك الطراز العالي من بطولة العرب.

وإن الإسلام لفي حاجة إلى ذلك النوع السامي من الموت في سبيل الحق ليحيا الحق..

أيها العرب ... أيها المسلمون ...

إن فلسطين وديعة محمد عندنا، وأمانة عمر في ذمتنا، وعهد الإسلام في أعناقنا، فلئن أخذها اليهود منا - ونحن عصبة - إنا إذا لخاسرون)»(٦٩٦).

«يا نبيَّ الله!!

إنّ الإسلامَ قد قَعَدَ به أَهْلُه، والزمنُ بالناس يعدُو، والحياةُ في العالم فكْرٌ يتحقَّق، وهي عندنا حُلُمٌ يَتبدَّد، هذه أُمَّتُك تملأ الأرْض، ولكن قد فرغت قلوبها من الإيمان، والإيمانُ

٦٩٤) وحي القلم (٢/ ٢٠٩)

٦٩٥) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي» (٣/ ٤٤٥)

٦٩٦) سلسلة جهاد شعب الجزائر (٧/ ١٥٣) الجزائر والأصالة الثورية (الدكتور صالح خرفي) ص ٢٨ - ٣٠ و ٤١ - ٤٣، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٣/ ٤٤٥)

في دِينك قولٌ وعملٌ، كانت به المعجزةُ الإسلامية ولكنه عندنا قولٌ وجدَلٌ، تكون به الفُرقةُ الجاهليّة. . .

فاللهمَّ هِجْرةً كهجرَةِ نبيّكَ بالعزِم والإيمان. اللهمَّ جهادًا كجهادِهِ يُجدّد القلوبَ والأوطان.

اللهم إني أبرأ إليك مما نحن فيه. اللهم إني أخوف الناس مما خوفهم منه عبدك ورسولك إذ يقول: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ».

اللهم إني أقول كما قال صاحب رسولكﷺ معاذ بن جبلرضي الله عنه: «اللَّهُ حَكَمٌ قِسْطٌ هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ» (٦٩٧).

❁❁❁❁❁❁❁

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٨، ١٢٩]

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧]

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٣، ١٤]

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧]

---

٦٩٧) جمهرة مقالات محمود شاكر (١/ ٩٤، ٥٩٨)